

جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ
الْإِسْجَازِيُّ الشَّافِعِيُّ
الْمُتَوَفَّى ٩٠٥ هـ

وَمَعَ
حَاشِيَةٍ
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْغَزْنَويّ
الْمُتَوَفَّى ١٢٩٦ هـ

تَحْقِيقُ
الدُّكْتُورِ عَبْدِ الْحَمِيدِ هِنْدَاوِيّ
المدرّس بطنية دار العلوم - جامعة القاهرة
المجلد الرابع

المحتوى :
منه أُزِلَ سُورَةُ غَافِرٍ - إِلَى آخِرِ سُورَةِ النَّاسِ

مَنْشُورَاتُ
مَحْتَدِيَّةِ بَيْهَوْتِ
لِنَشْرِ كُتُبِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ
دَارُ الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّةِ
بِكَيْرُوتِ - لُبْنَانُ

مستشارات محمد وديع بروت



دار الكتب العلمية

جميع الحقوق محفوظة

Copyright

All rights reserved

Tous droits réservés ©

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة
لدار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو
جزراً أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر
أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً

Exclusive rights by ©

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beirut - Lebanon

No part of this publication may be translated,
reproduced, distributed in any form or by any means,
or stored in a data base or retrieval system, without the
prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à ©

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Beyrouth - Liban

Toute représentation, édition, traduction ou reproduction
même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite
sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite
et exposerait le contrevenant à des poursuites
judiciaires.

الطبعة الأولى

٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

رمل الطريرف - شارع البحتري - بناية ملكارت

الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية

هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠ / ١١ / ١٢ / ١٣ (٥ ٩٦١)

صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beirut - Lebanon

Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor

Head office

Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Beyrouth - Liban

Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage

Administration général

Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13

B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-3976-2



9 782745 139764

<http://www.al-ilmiyah.com/>

e-mail: sales@al-ilmiyah.com

info@al-ilmiyah.com

baydoun@al-ilmiyah.com

سورة المؤمن مكية

وآياتها خمس وثمانون آية وتسع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حَمِّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَادِلُ فِيْ ءَايَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

﴿حَم ١﴾ الكلام على الحروف المقطعة قد تقدم، وقيل: حم اسم من أسماء الله تعالى

(١) وفي الحديث الحواميم دجاج القرآن وفيه من أراد أن يرتع في رياض من الجنة فليقرأ الحواميم

١٢ وجيز - الحديث الأول أخرجه أبو الشيخ وأبو نعيم والدلمي [موضوع، انظر ضعيف

الجامع (٢٧٩٩)]، والثاني أخرجه ابن الضريس - در منشور. [ضعيف لإرساله].

وقيل معناه: ^(١) قضى ما هو كائن فيكون من حُمّ بالضم وتشديد الميم ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ﴾ مبتدأ وخبر، ﴿الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾، عطف هذه الصفة من بين الصفات يدل على زيادة ارتباط وجمعية أو الواو دال على نوع مغايرة وليست في الموصوف، فيعتبر في المتعلق أى: غافر الذنب لمن شاء وقابل التوب لمن تاب ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ هذه الإضافة لفظية البتة؛ لأنها من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها؛ فالأولى أن نقول إن الصفات كلها أبدال ليندفع خلل تخلل بدل بين النعوت فيلزم أن البعض من الأوصاف مقصود والبعض غير مقصود والمتبوع مقصود غير مقصود أو هو أيضاً نعت والأصل الشديد العقاب فحذف اللام لالازدواج ^(٢) ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾: ذى السعة والغناء، أو ذى النعم والفواضل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ ^(٣)، فيجازى كلاً بعمله، ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾: بالباطل من الطعن فيها والقصد إلى إطفاء نورها ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرُكَ تَقْلُبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾: تصرفهم في البلاد للتجارات وسلامتهم وربحهم، فإنما لا تدل على حسن عاقبتهم، بل عاقبتهم كعواقب كفار الأمم السوالف، ثم بين حالهم فقال: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ﴾: الذين تحزبوا على رسلهم بالكذب، ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾: كعاد وثمود، ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾: من هؤلاء ﴿بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ﴾:

(١) وقيل: معناه حُمّ أمر الله أى قرب نصره لأوليائه ولهذا.

(٢) يعنى مع غافر وقابل فى الخلو عن الألف واللام.

(٣) أخرج ابن مردويه والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ "من قرأ حم المؤمن إلى إليه المصير وآية الكرسى حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى ومن قرأهما حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح" [ضعيف، أخرجه الترمذى فالعزو إليه أولى، وانظر ضعيف الجامع (٥٧٨١)]، ولما ذكر أن القرآن كتاب أنزله ليهتدى به فى الدين ذكر أحوال من يجادل فيه لقصد إبطاله فقال: "ما يجادل" الآية ١٢/ فتح.

ليأسروه فيقتلوه أو يعذبوه، ﴿وَجَادَلُوا^(١) بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا﴾: ليزيلوا ﴿بِهِ الْحَقَّ فَآخَذْتُهُمْ﴾: أخذ إهلاك جزاء لهممهم وفعلهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾، هذا الاستفهام بكيف حمل على الإقرار وفيه تعجيب للسامعين ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أى: كما وجب إهلاك الأمم ﴿حَقَّتْ﴾ وجبت ﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ أى: كلمته بالعذاب، ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من قومك ﴿أَلَهُمْ﴾ أى: لأنهم، ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾: أو أنهم أصحاب النار بدل من كلمة ربك وحينئذ معناه كما وجب عذابهم في الدنيا بالاستئصال وجب عذابهم في الآخرة بالنار، فالمراد من الذين كفروا الأمم السالفة ﴿الَّذِينَ^(٢) يَحْمِلُونَ^(٣) الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾: من الملائكة المقربين الذين هم الكروبيون ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ متبسين

(١) والمراد الجدال بالباطل والقصد إلى دحض الحق كما في قوله: "وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق" وأما الجدال لاستيضاح الحق ورد أهل الزيف فهو من أعظم ما يتقرب به المتقربون قال تعالى: "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن" [العنكبوت: ٤٦] فتلخص أن الجدال نوعان: جدال في تقرير الحق، وجدال في تقرير الباطل، أما الأول فهو حرفة الأنبياء عليهم السلام ومنه قوله تعالى حكاية عن قوم نوح -عليه السلام: "يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا" [هود: ٣٢]، أما الثاني فهو مذموم وهو المراد هنا وفي الحديث "إن الجدال في القرآن كفر" رواه أبو داود [صحيح، أخرجه أحمد والحاكم، وعزوه إلى أبي داود وهم، وانظر صحيح الجامع (٣١٠٦)]، ثم نهي رسول الله ﷺ عن الاغترار بشيء من حظوظهم الدنيوية فقال: "فلا يغررك" الآية / ١٢ فتح.

(٢) ولما ذكر حال الكفار المجادلين في آيات الله وعصيانهم، ذكر طاعة هؤلاء المصطفين من خلقه، فقال: "الذين يحملون العرش" الآية [الطور: ٢١] / ١٣ وجيز. فكأنه قال إن كلان هؤلاء الأراذل يبالغون في العداوة فلا تبال بهم، ولا تلتفت إليهم فإن حملة العرش يحبونكم ويستغفرون لكم وهم أشرف طبقات المخلوقات / ١٢.

(٣) أخرج ابن أبي شيبة عن أبي أمامة قال: الملائكة الذين يحملون العرش يتكلمون بالفارسية / ١٢ در منشور. قلت: وفي هذا الأثر نكارة، فإن العربية أشرف اللغات.

﴿يُحْمَدُ رَبَّهُمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾، فائدة إثبات الإيمان لهم إظهار فضل الإيمان والترغيب فيه، كإثبات الصلاح والصدق للأنبياء ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، لما بينهم من المناسبة بالإيمان، ﴿رَبَّنَا﴾ أى: يقولون ربنا، ﴿وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أصله وسعت رحمتك كل شيء، فنصب الفاعل بالتمييز وأسند الفعل إلى صاحب الرحمة للمبالغة، كأن ذاته رحمة واسعة كل شيء ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ أى: لمن علمت منه التوبة ﴿وَاتَّبِعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾: إياها، ﴿وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ﴾، عطف على مفعول أدخل ﴿وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ أى: أدخلهم وهؤلاء، وساو بينهم في المترلة، لتتم سرورهم وثقل أعينهم. عن سعيد بن جبیر^(١) إن المؤمن إذا دخل الجنة سأل عن أقاربه أين هم؟ فيقال: إنهم لم يبلغوا طبقتك في العمل فيقول: إني إنما عملت لى ولهم، فيلحقون به في الدرجة، ثم تلا هذه الآية وهذا معنى قوله تعالى: "والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان" الآية [الطور: ٢١] ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب القادر على كل شيء، ﴿الْحَكِيمُ﴾: فى جميع أفعالك ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ أى: العقوبات أو وبال السيئات، وهو تعميم بعد تخصيص ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ﴾ أى: تقه ﴿يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾، وجاز أن يراد من السيئات فى الموضوعين المعاصي، فيكون معناه ومن تقه فى الدنيا عن المعاصي، فقد رحمته يوم القيامة ﴿وَذَلِكَ﴾: الرحمة والوقاية، ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقَّتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ ﴿٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا

(١) أخرج الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس مرفوعاً بمعناه ١٢ در مشهور. [ذكره الهيثمى

فى "المجمع"، (١١٤/٧) وقال: "رواه الطبراني فى الصغير والكبير وفىه محمد بن

عبد الرحمن بن غزوان وهو ضعيف".

أَثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١٠﴾ ذَالِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ
 اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١١﴾ هُوَ
 الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ
 ﴿١٢﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٣﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو
 الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْزِلَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٤﴾
 يَوْمَ هُمْ بَرْزُونَ لَا خَفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ
 الْقَهَّارِ ﴿١٥﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ
 الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَازِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَا
 لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٧﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي
 الصُّدُورُ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ
 إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ *

﴿إِنَّ الَّذِينَ^(١) كَفَرُوا يُنَادُونَ﴾: في القيامة ويقال لهم ﴿لَمَقْتُ اللَّهَ﴾: إياكم، ﴿أَكْبَرُ
 مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾: أى: لملت الله تعالى أهل
 الضلالة حين عرض عليهم الإيمان في الدنيا فأعرضوا أكبر مما مقتوا أنفسهم حين عاينوا
 العذاب في القيامة، فإنهم أبغضوا أنفسهم ومقتوها غاية المقت عند غمرات النيران
 لسبب ما اكتسبوا من الآثام، الموجبة للعذاب المخلد، ثم من يجوز الفضل في الظرف
 لسعته بأجنبي وهو الخبر بين المصدر ومعموله يجوز أن يكون إذ تدعون ظرفاً للمقت

(١) لما ذكر في أول السورة أحوال الكافرين المجادلين في آيات الله عاد إلى شرح أحوالهم
 وبين أنهم في القيامة يعترفون بذنوبهم، واستحقاقهم العذاب يسألون الرجوع إلى الدنيا
 ليتلافوا ما فرط منهم، فقال: "إن الذين كفروا ينادون" الآية/ ١٢ كبير.

الأول، ومن لم يجوز فعنده أنه منصوب بمقدر، هو اذكروا، أو مصدر آخر أى: مقتـه إياكم إذ تدعون، وقيل متعلق بمقتكم، أو أكبر على سبيل العلية والسببية، ومعناه بغض الله تعالى إياكم أكبر من بغض بعضكم بعضاً؛ لأنكم كنتم تدعون إلى الإيمان في الدنيا فكنتـم تكفرون ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ أى: إِمَاتَيْنِ وإِحْيَاءَتَيْنِ وذلك لأنهم في أرحام أمهاتهم نطف، لا حياة^(١) فيهم، فأحيوا في الدنيا ثم أميتوا عند آجالهم ثم أحيوا للبعث وهذا هو الصحيح الذى عليه ابن عباس وابن مسعود وكثير من السلف رضى الله عنهم وهذا إقرار منهم بالبعث، والقدرة التامة التى أنكروها في الدنيا، ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾: من النار، ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ فنسلكه فأجيبوا بقوله: ﴿ذَلِكُمْ﴾ أى: ما أنتم فيه من العذاب، ﴿بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَخُدْهُ﴾ أى: منفردا بالذكر ﴿كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾: بالإشراك ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ﴾: حيث حكم بالعذاب السرمـد عليكم ﴿الْعَلَى الْكَبِيرِ﴾: من أن يشرك به ﴿هُوَ الَّذِى يُرِيكُمْ^(٢) آيَاتِهِ﴾ الدالة على توحيده وكمال قدرته، ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ

(١). وعلى هذا ففيه جمع بين الحقيقة والجاز، وقد جوز في المثنى والمجموع كالأمهات والجدات قال تعالى: "وكنتم أمواتا فأحياكم ثم بميتكم ثم يحييكم" [البقرة: ٢٨]، وهذا كقولك: سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل. أراد الإنشاء على تلك الهيئة، والسبب في صحته أن الصغر والكبر جائزان على مصنوع واحد من غير ترجيح، فإذا احتار الصانع أحدهما وهو متمكن منهما على السواء، فقد صرف المصنوع من الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنفـل منه ١٢/ وجيز.

(٢) لما ذكر ما يوجب التهديد فى حق المشركين، أردفه بذكر ما يدل على كمال قدرته وحكمته، ليصير ذلك دليلا على أنه لا يجوز جعل غيره شريكا له، والمعنى أن الوقوف على دلائل توحيد الله كالأمر المركوز فى العقل إلا أن القول بالشرك والاشتغال بعبادة غير الله يصير كالمنايع من تجلى تلك الأنوار، فإذا أعرض العبد عنها وأتاب إلى الله تعالى زال الغطاء والوظء فظهر النور التام، ولما قرر هذا المعنى صرح بالمطلوب وهو الإعراض

رِزْقًا: أسباب رزق أى: المطر، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾: بالآيات، ﴿إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾: يرجع إلى الله تعالى، فإن المنكر المعاند لا ينظر فيما يناق مقصوده ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: أخلصوا له العبادة ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾: إخلاصكم ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ كناية عن علو شأنه، أو درجات الجنة للمؤمنين، خير ثانٍ هو^(١) أو خير لمحذوف ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾: مالك أصل العالم الجسماني ومديره ﴿يَلْقَى الرُّوحَ﴾، خير رابع، والروح الوحي فإنه يحى القلوب من موت الكفر أو المراد جبريل ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾: من قضائه ومن ابتدائية متعلقة بيلقى أو حال من الروح "قل الروح من أمر ربي" [الإسراء: ٨٥] ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، فيجعله نبيا ﴿لِنُنذِرَ﴾: الضمير لمن ﴿يَوْمَ التَّلَاقِ﴾: يوم القيامة يلتقى فيه الخالق والمخلوق، وأهل السماء والأرض، والظالم والمظلوم، والعباد وما عملوا من خير وشر، ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾: ظاهرون لا يسترهم شيء بدل من يوم التلاق الذى هو مفعول به، ويوم مضاف إلى جملة "هم بارزون" ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ من أعمالهم وأحوالهم وذواتهم ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ حكاية لما يسأل عنه فى ذلك اليوم حين إفناء الخلق ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾، حكاية لما يجاب به، لا أحد يجيبه فيجيب نفسه^(٢)، وقيل: الجواب للعباد كلهم، والسؤال عنهم ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾: يجزى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾، فإنه سبحانه عادل متفضل حرم الظلم من فضله على نفسه ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾،

= عن غير الله، والإقبال بالكلية على الله تعالى فقال: "فادعوا الله مخلصين له الدين" ١٢/ كبير.

(١) للفظ هو فى قوله تعالى: "هو الذى يريكم" ١٢/.

(٢) بعد أربعين سنة يكون الصوت بالسؤال بين العرش والكرسى، وهذا مصرح فى الأحاديث المعتمدة ١٢/ وحيزة.

لأنه لا يشغله حساب أحد عن حساب آخر، ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾: القيامة الآزفة القريبة ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾: من الخوف زالت عن مقارها فلا هي تعود ولا تخرج فيموتوا أو يستريحوا ﴿كَاطِمِينَ﴾: متلئين كرباً، أو ساكتين والكظوم السكوت وتعريف القلوب والحناجر^(١) عوض أى: قلوبهم لدى حناجرهم، "فكاظمين" حال من المضاف إليه فى حناجرهم، والعامل ما فى الظرف من معنى الفعل أو من الضمير فى "لدى" الراجع إلى القلوب ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾: محب مشفق ﴿وَلَا شَفِيعٍ^(٢) يُطَاعُ﴾: فيشفع ويكون للشفاعة فائدة، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ^(٣) الْأَعْيُنِ﴾ أى: خيانتها كلحظة المرأة الحسناء إذا غفل الناس وغمزها، أو الخائنة صفة للنظرة ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ أى ما تخفيه، وجملة يعلم خائنة الأعين مستأنفة كالتعليل لقوله تعالى: "وأنذرهم" ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ لا يظلم مثقال ذرة ﴿وَالَّذِينَ

(١) عن المضاف إليه ١٢/.

(٢) والمقصود نفى المعين لهم، ولذلك قال حميم وشفيع يطاع فإن محبا غير مشفق وشفيعاً غير مطاع وجوده وعدمه سواء ١٢/ وجيز.

(٣) أخرج أبو داود والنسائي وابن مردويه عن سعد قال: لما كان يوم فتح مكة آمن [هكذا بالأصل، والمراد: أمن أهل مكة] رسول الله ﷺ إلا أربعة نفر وامرأتين، وقال: "اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة" منهم عبد الله بن سعد أبى سرح فاختبأ عند عثمان بن عفان، فلما دعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة جاء به فقال: يا رسول الله بايع عبد الله فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى أن يبايعه ثم بايعه، ثم أقبل على أصحابه فقال: "أما فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حين رآنى كففت يدي عن بيعته فيقتله، فقالوا: ما يدرينا يا رسول الله ما فى نفسك هلا أومأت إلينا بعينك قال: "إنه لا ينبغى لنى أن يكون له خائنة الأعين" [صحيح، وانظر صحيح سنن أبى داود (٣٦٦٤)/ ١٢/ درمنثور.

يَدْعُونَ ﴿أَيُّ: المَشْرُكُونَ إِيَّاهُمْ﴾ ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ كَالْأَصْنَامِ ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ لَأَنْهَى
جَمَادَاتٍ فِيهِ تَحْكُمُ لِأَنَّهُ لَا يَقَالُ فِي الْحَمَادِ يَقْضَى أَوْ لَا يَقْضَى ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ﴾ وَعِيدٌ لِلْمَشْرِكِينَ وَتَقْرِيرٌ لِإِحَاطَةِ عِلْمِهِ.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ
كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ
مِنْ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا
فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ
مُتِينٍ ﴿١٨﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقُرُونَ فَقَالُوا سَحَرٌ كَذَّابٌ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا
جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا
نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ
مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ
﴿٢١﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ
الْحِسَابِ ﴿٢٢﴾﴾

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾
فَإِنَّهُ يَظْهَرُ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ عَلَامَاتٌ سَوَاءٌ عَاقِبَتُهُمْ ﴿كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ قُدْرَةٌ
وَعَمَلُهُمْ، وَهُمْ ضَمِيرُ الْفَصْلِ وَالْأَصُوبُ أَنْ يُجْعَلَ لَهُمْ مَبْتَدَأٌ لَا فَصْلًا ﴿وَءَانَارًا فِي
الْأَرْضِ﴾ مِثْلُ الْحَصُونِ وَالْقُصُورِ ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ وَلَمْ تَنْفَعَهُمْ قُوَّتُهُمْ ﴿وَمَا
كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ بَقِيَّتُهُمْ مِنْ عَذَابِهِ فَمَنْ زَائِدَةٌ وَوَاقٍ اسْمُ كَانَ ﴿ذَلِكَ﴾
الْأَخَذَ ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: الدَّالَّةُ عَلَى صِدْقِهِمْ، ﴿فَكَفَرُوا﴾

فَاخَذَهُمُ اللَّهُ إِلَهَهُ قَوِيًّا: لا عجز له أصلاً، ﴿شَدِيدٌ﴾^(١) الْعِقَابِ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى
بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ: حجة ظاهرة، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾: وزير^(٢) فرعون
﴿وَقَارُونَ﴾ أغنى الناس في ذلك الزمان ﴿فَقَالُوا﴾: هو ﴿سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾، وفي هذه
الحكاية تسلية وبشارة لرسول الله ﷺ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾: الدليل على نبوته،
﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾: للخدمة وهذا
أمر من فرعون بإعادة ما كانوا يفعلون بهم، فإنه كان قد أمسك عن قتل أبناءهم ولما
بعث موسى أعاد القتل عليهم^(٣)، ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: ضياع
وزوال ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ كان فيهم من يمنعه نصحاً عن قتله
خوفاً من العذاب، ﴿وَلْيَدْعُ﴾: موسى، ﴿رَبَّهُ﴾: الذى يزعم أنه أرسله فيقيه منا، وفيه
دليل على أن قوله ذروني تمويه وتورية، فإن ظاهره الاستهانة به وباطنه الخوف من
دعائه^(٤) ربه ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾: الذى أتمم عليه إن لم أقتله ﴿أَوْ أَنْ
يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾: من الفتن والتهارج والخلاف أراد يبدل دينكم أو ديناكم
﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ حقيقة وهو الله تعالى ﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا
يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾^(٥) أظهر التوكل على الله وعلمهم.

(١) ولما حثهم على السير والنظر في عاقبة من كفر ولم يرفع رأسه إلى المعجزات الظاهرات،
جاء بحكاية موسى مع فرعون فقال: "ولقد أرسلنا موسى" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) وكان في نهاية الكبر والحشمة/ ١٢ وجيز.

(٣) غيظاً وتشفياً عما في صدره من الهم والحزن/ ١٢ وجيز.

(٤) فإنه كان سفاكاً لا يشاور أحداً/ ١٢ وجيز.

(٥) فإن من آمن بيوم الحساب لا يجترئ على الظلم وعلمهم التوكل وقال "ربى وربكم"،

ولم يسم فرعون، بل جاء بما يشمله/ ١٢ وجيز.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿١٨﴾﴾ يَقُومُ لَكُمْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿١٩﴾﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٢٠﴾﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٢١﴾﴾ وَيَقُومُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٢٢﴾﴾ يَوْمَ تُؤَلَوْنَ مَذْرِبِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٢٤﴾﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٢٥﴾﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَلَهُمُنِ آبُنِ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُعُ ﴿٢٦﴾﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴿٢٧﴾﴾ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٢٨﴾﴾

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: من أقاربه وهو ابن عمه^(١)، وعن بعض السلف أنه إسرائيلي، وعنده إن قوله: "من آل فرعون" متعلق بقوله: ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾:

(١) آمن بموسى سرًا، وكان اسمه حزئيل عند ابن عباس والأكثر/١٢.

من فرعون، ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾^(١) أَنْ يَقُولَ ﴿أى: لَأَنْ يَقُولَ: رَبِّىَ اللَّهُ﴾: وحده، ﴿وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات على صدقه، ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾، هذا إظهار لإيمانه وإرشاد ثم أخذ فى الاحتجاج فقال: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ﴾: وبال كذبه على نفسه لا يتخطاه، ﴿وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ﴾ أى: لا أقل من أن يصيبكم ﴿بَعْضُ الَّذِى يَعِدُكُمْ﴾، ففيه إظهار الإنصاف وكمال الشفقة فإنه بنى الكلام فى النصيح على التزل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾، كلام ذو وجهين يعنى لو كان مسرفاً لما هداه الله إلى البينات، ولو كان كاذباً فهو غير مهتد، فخلوا سبيله ولا تعظموا شأنه وكان فيه تعريضاً لفرعون بالإسراف والكذب ﴿يَا قَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾، وهذا من تنمة نصحه ﴿ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ﴾: غالبين فى مصر، ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾: عذابه، ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾، فلا تتعرضوا لبأس الله بقتله، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾: حين منع من قتله: ﴿مَا أُرِيكُمْ﴾: من الرأى، أى: لا أشير عليكم، ﴿إِلَّا مَا أَرَى﴾: من المصلحة يعنى قتله، ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ﴾، بهذا الرأى: ﴿إِلَّا سَبِيلَ﴾^(٢) الرَّشَادِ: طريق صلاحكم، ﴿وَقَالَ الَّذِى آمَنَ﴾ من قوم فرعون: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾: يوم وقائع الأمم الماضية، ﴿مِثْلَ دَابِ﴾

(١) أخرج البخارى وابن المنذر وابن مردويه من طريق عروة قال: قلت لعبد الله بن عمرو ابن العاص أخبرنى بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ يصلى بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ، ولوى ثوبه فى عنقه، فخنقه خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبيه ودفعه عن النبى ﷺ ثم قال: أقتلونا رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ١٢/ در منشور.

(٢) وهذه الكلمات من فرعون الذى يدعى الألوهية مع تجبره وسفكه الدماء من غير تأول نص صريح فى أنه خائف، وهو عالم بأن ما جاء به موسى حق لكن يتجلد دفعاً لخنجله ١٢/.

عطف بيان لمثل الأول ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أى: مثل جزاء عادتهم من الكفر وتكذيب الرسل، ترك جمع اليوم والدأب لعدم الإلباس فإن لكل منهم ^(١) يوماً ودأباً ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾، فلا يعاقبهم من غير استحقاق، ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾: يوم القيامة سمي بذلك لكثرة النداء فيه بالسعادة والشقاوة ^(٢)، ونداء بعضهم بعضاً خوفهم عن عذاب الدنيا أولاً ثم عن عذاب الآخرة، ﴿يَوْمَ تَوَلَّوْنَ﴾: عن الموقف، ﴿مُذْبِرِينَ﴾: فارين عن النار ذاهبين، ﴿مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾: يعصمكم من عذابه، ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾: يوسف بن يعقوب ^(٣) بعثه الله تعالى من قبل موسى رسولاً يدعو القبط إلى طاعة الله وحده فما أطاعوه تلك الطاعة، نعم أطاعوه لمجرد الوزارة والجاه الدنيوى وهذا أيضاً من كلام مؤمن آل فرعون، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات، ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾: من الدين، ﴿حَتَّى إِذَا هَلَكَ﴾: مات، ﴿قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾: حزمتم بأن لا رسول بعده مع الشك فى رسالته ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الإضلال ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾: فى معصيته، ﴿مُرْتَابٌ﴾: شاك فى دينه المبين بالحجج ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾، بدل من "من هو مسرف"، وهو فى معنى الجمع أو تقديره هم الذين ﴿فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾: ليبتلوه، ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾: حجة، ﴿أَتَاهُمْ﴾، بل بمجرد تشبههم ﴿كَبْرًا﴾، فاعله ضمير راجع إلى من والحمل على المعنى أولاً ثم على اللفظ ثانياً، جائز من غير ضعف أو إلى الجدال المدلول

(١) لظهور أن الأحزاب ما هلكوا فى يوم واحد / ١٢ وجيز.

(٢) بأن نادى مناد ألا إن فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعده أبداً وفلان شقى شقاوة لا يسعد سعادة بعدها أبداً / ١٢ كمالين.

(٣) وهو الصحيح / ١٢ وجيز.

عليه بقوله يجادلون، ﴿مَقْتًا﴾: بغضًا تمييز، ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾^(١) وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الطبع، ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾^(٢): يَحْتَمُ عليه فلا يعسى خيرًا، ولا يفقه الرشد، ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا﴾: قصرًا عاليًا ظاهرًا، ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ أى: الطرق أو الأبواب ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ أهمه ثم أوضحه تعظيمًا وتشويقًا إلى معرفته، ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ من قرأ بالنصب فبحواب الترجى، تشبيهًا بالتمنى من جهة إنشاء التوقع ﴿إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾، فهو جاهل، أو متجاهل، يلبس على قومه، فإن الوصول إلى السماء بالبناء محال، ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾^(٣) كَاذِبًا﴾: فى أن

(١) والأولى فى إعرابه أن الذين مبتدأ وكبر خبره وفيه ضمير إلى مصدر يجادلون نحو ممن كذب كان شرًّا له، وهذا إعراب لا غبار عليه ١٢/ وحيز.

(٢) وتلك الصفات فى فرعون وأكثر قومه، وقد عدل عن مخاطبتهم لحسن محاورته لهم فى كبر مقتا ضرب من التعجب ١٢/ وحيز.

(٣) فى ادعائه بأن له إلهًا غيرى مستويًا على العرش فوق السماوات ١٢/ فتح احتج به أهل الحديث وأئمة الإسلام وأعلام الهدى، على أن الله عز وجل فوق سماواته على عرشه وعلى أن جميع الرسل متفقون عليه، وأن فرعون اللعين كذب موسى فى قوله إن الله فى السماء بوجه منها: أن فرعون كان من المنكرين لوجود الله وكل ما يذكره فى صفات الله تعالى فذلك إنما يذكره لأجل أنه سمع أن موسى يصف الله بذلك، فلولا أنه سمع موسى يصف الله بأنه موجود فى السماء لما طلبه فى السماء، ومنها أنه قال: وإنى لأظنه كاذبًا، ولم يبين أنه كاذب فى ماذا، والمذكور السابق متعين لصرف الكلام إليه، فكان التقدير فأطلع إلى الإله الذى يزعم موسى أنه موجود فى السماء، ثم قال انى لأظنه كاذبًا أى: وإنى لأظن موسى كاذبًا فى ادعائه أن الإله موجود فى السماء، وذلك يدل على أن دين موسى هو أن الإله موجود فى السماء، ومنها أن العلم بأنه لو وجد إله لكان فى السماء علم بديهى متقرر فى كل العقول والفطر، ولذلك ترى النساء والصبيان والجهال والأعراب إذا تضرعوا إلى الله رفعوا وجوههم وأيديهم إلى السماء، وأن فرعون مع

له إلهاً في السماء^(١) ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك التزيين، ﴿زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنْ السَّبِيلِ﴾: عن^(٢) طريق رشاده ومن قرأ صدَّ فمعناه صدَّ فرعونُ الناس عن الحق بأن أَوْهم رعاياه بأنه يعمل شيئاً يتوصل به إلى العلم بكذبه ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ خسار لا ينفعه كيده.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَقُومُوا اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ ﴿١٢﴾ يَقُومُوا إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعْ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿١٣﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٤﴾ * وَيَقُومُوا مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿١٥﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿١٦﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَبَّ الْأُمُوسِرِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ

= نهاية كفره لما طلب الإله فقد طلبه في السماء، وهذا يدل على أن العلم بأن الله موجود في السماء علم متقرر في عقل الصديق والزنديق والملحد والموحد والعالم والجاهل، وقد اتفق عليه الأنبياء والمرسلون والصحابة والتابعون وجميع أئمة الهدى ومصابيح الدجى في كل عصر، وقد نقلوا إجماع الرسل عليهم السلام على ذلك كما قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله - في كتاب الغنية: وكونه سبحانه في السماء مذكور في كل كتاب أنزل على نبي أرسل، وقد مر بعض عبارات الأئمة في سورة القصص تحت قوله تعالى: "ولم يأت لأظنه من الكاذبين" فتذكر/١٢.

(١) في أن له إلهاً في السماء، وقد سمع من موسى أن الله في السماء كما هو وارد في صحاح الأحاديث وحسانها/١٢ وحيز.

(٢) وهو لأنه كان معانداً فحالته أسوأ وهو أضل/١٢ وحيز.

﴿١٢﴾ فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَؤِضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ
 ﴿١٣﴾ فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿١٤﴾ النَّارُ
 يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ
 الْعَذَابِ ﴿١٥﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا
 كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْعُونَ عَنَّا نَصِيًّا مِنَ النَّارِ ﴿١٦﴾ قَالَ الَّذِينَ
 اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي
 النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿١٨﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ
 تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَأَدْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي
 ضَلَالٍ ﴿١٩﴾

﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾ مؤمن آل فرعون: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾:
 أدلكم عليه، ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أى: ما هذه الحياة، إلا ﴿مَتَاعٌ﴾: تمتع
 قليل تذهب عن قريب، ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾: فإنها لا تزول، ﴿مَنْ عَمِلَ
 سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثْنَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ
 يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾: بغير تقدير لا كالسيئة فإنها بموازنة
 العمل وما هذا إلا من سعة فضله ورحمته ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ﴾:
 إلى ما هو سبب لها ﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾، وهذا المنادى عطف على قوله ياقوم
 اتبعوني لا على يا قوم إنما هذه؛ لأن الثاني كالبيان للأول ولهذا تراه بغير عطف بخلاف
 الثالث ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ﴾، بيان للثاني، والدعاء كالمهادية في التعدية بإلى واللام
 ﴿وَأَشْرِكْ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾: شيئاً ليس لى بربوبيته حجة وبرهان أى ما ليس
 بإله ﴿وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ﴾: الغالب القادر المطلق ﴿الْفَقَارِ لَا جَرَمَ أَنَّ مَا

تَدْعُونِنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ: لا ردّ لما دعوه إليه وجَرَمَ فعل بمعنى حق وما بعده فاعله أى: وثبت أن الذى تدعونني إليه باطل ليس له ثبوت أصلاً في زمان، أو بمعنى كسب، وفاعله ضمير إلى ما قبله وما بعده مفعول أى: كسب ذلك الدعاء إليه بطلان دعوة ما تدعونني إليه، أى: ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته، أو اسم بمعنى القطع ولا لنفى الجنس وما بعده خبره أى لا قطع ولا انقطاع لبطلان دعوة الأصنام، ومعنى ليس له دعوة أن ليس له دعوة إلى نفسه ومن شأن المعبود الحق أن يدعو العباد إلى طاعته أو معناه ليس له استجابة دعوة فيكون من تسمية أثر الشيء وثمرته باسم ذلك الشيء «وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ»: مرجعنا إليه، «وَأَنْ الْمُسْرِفِينَ»: المشرّكين، «هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ»^(١) لَكُمْ: من النصيح وتتحسرون على عدم القبول «وَأَفْوُضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ»: فيعصمني عن كل سوء، «إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ»، وذلك حين أوعده بمخالفة دينهم «فَوَقَاهُ»^(٢) اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكُرُوا، فما وصل إليه آثار مكرهم، ونجّاه مع موسى «وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ»: بفرعون وقومه واستغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى بذلك، «سُوءَ الْعَذَابِ» الغرق في الدنيا ثم النقلة منه إلى النار «النَّارُ يُعْرَضُونَ»^(٣)

(١) ولما بلغ ذلك المؤمن في باب النصيحة إلى هذا الكلام ختم كلامه بخاتمة لطيفة فقال فستذكرون ما أقول لكم، وفي هذا الإيهام من التخويف والتهديد ما لا يخفى ١٢/ فتح.

(٢) قال مقاتل: قصدوا قتله ففر إلى جبل فبعث فرعون إلى أخذه ألف رجل فهلك بعضهم بالعطش وبعضهم بأكلهم السباع وبعضهم لما رجعوا أقمهم فأمر فرعون بقتلهم وصلبهم فهلك الألف عن آخرهم ونجا ١٢/ وجيز.

(٣) قيل: المراد من العرض الإحراق بها، يقال عرض الإمام الأسارى على السيف إذا قتلهم وفيما بين الغدو والعشى الله أعلم بحالهم، إما التنفيس أو التعذيب بغير النار وجاز أن يراد من الغداة والعشى الدوام ١٢/ وجيز [قلت: والأخير هو الصواب، وهو ما رجحه الطيبي في شرحه على المشكاة بتحقيقى في بعض المواضع، وسماه بالكناية الزبدية].

عَلَيْهَا غُدُورًا وَعَشِيًّا» مبتدأ وخبر أو النار بدل من سوء العذاب، ويعرضون حال، «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ»، قيل لهم، «ادْخُلُوا»^(١) آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ»، في الصحيحين "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة"، وهذه الآية أصل في استدلال عذاب القبر وعليه سؤال وهو أن الآية لا شك في أنها مكية، وفي مسند الإمام أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين أن يهودية في المدينة كانت تعيد عائشة عن عذاب القبر، فسألت عنه رسول الله ﷺ فقال: "كذب يهود لا عذاب دون يوم القيامة"، فلما مضى بعض أيام نادى عليه السلام محمرا عيناه بأعلى صوته: "أيها الناس استعيذوا بالله من عذاب القبر"(*)، فإنه حق ف قيل في جوابه: إن الآية دلت على عذاب الأرواح في البرزخ وما نفاه أولاً ثم أثبتته عليه السلام عذاب الجسد فيه، والأولى أن يقال الآية دلت على عذاب الكفار فيه وما نفاه ثم أثبتته عذاب القبر للمؤمنين ففي صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن يهودية قالت: أشعت أنكم تفتنون في القبور فلما سمع عليه الصلاة والسلام قولها ارتاع وقال: "إنما يفتن اليهود" ثم قال بعد ليال: "أشعرت أنه أوحى إلى أنكم تفتنون في القبور"، ثم كان بعده يستعيز من عذاب القبر «وَإِذْ يَتَحَاوُونَ»، واذكر وقت تخاصمهم «فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا»: في الدنيا جمع تابع كخدم «فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْنُونَ عَلْنَا نَصِيًّا مِنَ النَّارِ»: نصيًّا مفعول اسم الفاعل بتضمين معنون معنى دافعون «قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا»: نحن وأنتم وكفانا

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر بحذف الألف والوصل وبضمهما في الابتداء وضم الخاء من الدخول، وقرأ الآخرون أدخلوا بقطع الألف وكسر الخاء من الإدخال أى: يقال للملائكة أدخلوا ١٢/ معالم.

(٥) أخرجه أحمد في "المسند" (٨١/٦) بسند صحيح.

مَا عَلَيْنَا ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ فَأَعْطَىٰ كَلَامًا مَا يَسْتَحِقُّهُ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾، وعذاب جهنم غير منحصر ^(١) في النار، ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يَخْفَفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ﴾ أى: قدر يوم، ومن العذاب بيانه، أو بعضًا من العذاب في يوم من الأيام ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ أى: أكنتم غفلتم عن هذا ولم تَكُ تَأْتِيكُم؟ إلخ، ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾: جاءوا بها، ﴿قَالُوا﴾ الخزنة: ﴿فَادْعُوا﴾: أنتم لأنفسكم فنحن لا ندعو لكم وفيه إقناط لهم، ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾: ضياع لا نفع له.

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾
يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٢٣﴾ هُدًى وَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٢٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٢٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتْلَهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٦﴾ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَن عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٣٠﴾

(١) ولذا لم يقل لخرزنتها ١٢/.

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾: بظهور حجتهم والانتقام من أعدائهم والنصرة بهذا المعنى عام لكل رسول والمؤمنين وقيل: الخير عام وأريد به الأكثرون فإن بعضا منهم قد قتل، كيحيى وزكريا وغيرهما، ﴿فِي الْحَيَاةِ^(١) الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾: فإن الملائكة يشهدون للرسول وعلى الكفار، والجمهور على أن فاعلا لا يجمع على أفعال، وفي الصباح أنه جمع شَهِدٍ بالسكون وفي المرزوقى جمع شهود ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ﴾، بدل ﴿الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ﴾، وإن رخصوا في الاعتذار ﴿وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾: يعنى جهنم، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾: ما يهتدى به في أمر الدين، ﴿وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَآئِيلَ الْكِتَابَ﴾: تركنا عليهم من بعده التوراة ﴿هُدًى وَذِكْرَى﴾، مفعول أوحال، هادياً ومذكراً ﴿لأُولَى الْأَلْبَابِ فَاصْبِرْ﴾: على أذاهم^(٢)، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾: في نصرتك، ﴿حَقٌّ﴾، واستشهد بحال موسى ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَذَنبِكَ﴾، لفرطاتك ليُعلَى درجتك، وليصير سنة لأمتك ﴿وَسَبِّحْ﴾: متلبساً، ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾: أواخر النهار وأوائله أو صل العصر والصبح ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾: برهان ﴿أَنَّهُمْ﴾: يردون الحجج بالشبه، ﴿إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا^(٣)﴾: إلا تكبر عن اتباع الحق يريدون إبطاله، ﴿مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾:

(١) قيل: بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة، وكل ذلك قد كان للأنبيا والمؤمنين فهم منصورون بالحجة على من خالفهم، وإهلاك أعدائهم ونصرهم بعد أن قتلوا بالانتقام من أعدائهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فإنه قتل به سبعون ألفاً فهم منصورون بأحد هذه الوجوه، قاله البغوي وزاد في الفتح وكما نصر الحسين بن علي الشهيد فإنه قتل به سبعون ألفاً أيضاً / ١٢.

(٢) فإن فيهم من ليس من أولى الألباب.

(٣) ولما كان من أول هذه السورة الرد على المجادلين بالباطل نبه هنا أن الكبير هو الذي يحملهم على هذا الجدال الباطل، وذلك الكبير هو أنهم لو سلموا نبوتك لزمهم أن

بواصلى مقتضيه ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ فى إطفاء نارهم، وعن كعب وأبى العالىة -رضى الله عنهما- نزلت حين قالت اليهود: إن صاحبنا الدجال^(١) يخرج، فتملك به الأرض فأمر الله تعالى أن يستعيز من شره^(*)، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَخَلَقُ^(٢) السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ﴾: أعظم وأشق فى نظر العقل، ﴿مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾: إعادتهم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، فهذا ينكرون الإعادة مع الاعتراف بخلق الأعظم من غير أصل وهذا رد لجدالهم فى رد البعث، ومن قال: الأمر بالاستعاذة من الدجال، فهذا رد لمقال الدجال من دعوى الألوهية، وإنكار البعث ﴿وَمَا يَسْتَوِى الْأَعْمَى^(٣) وَالْبَصِيرُ

= يكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك، لأن النبوة تحتها كل ملك ورياسته فى صدورهم كبر لا يرضون أن يكونوا فى خدمتك، فهذا هو الذى يحملهم على هذه المجادلات الباطلة والمخاضات الفاسدة/ ١٢ كبر.

(١) قد وردت أحاديث صحيحة فى ذكر الدجال وخروجه فى آخر الزمان وما يقع منه، وإليه ذهب جميع أهل السنة والمحدثين والفقهاء خلافاً لمن أنكره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة، وخلافاً للجبائى وموافقيه فى أنه صحيح الوجود، لكن الأشياء التى يأتى بهما زعموا أنها مخاريف وخیالات لا حقائق لها والأخبار الصحيحة تردده رداً مشبعاً/ ١٢ فتح.

(*) عزاه السيوطى فى "الدر المنثور"، (٥/٦٦١) إلى عبد بن حميد وابن أبى حاتم وصححه سنده.

(٢) لما تقول وتعمل ولما يقولون ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك منهم ولما كان أعظم النظر فى آية المجادلة من أول السورة إلى البعث، وصيرورة العباد إلى الله للحساب والثواب والعقاب فقال مؤكداً: "لخلق السموات" الآية/ ١٢ وجيز.

(٣) ولما تقدم قوله: "ولكن أكثر الناس لا يعلمون"، ناسب أن يتدئ بالأعمى ثم بالمثل الآخر ابتداء بالممدوح لمجاورته البصير وقد يخالف هذا الطريق، وكل ذلك تفنن فى البلاغة/ ١٢ وجيز.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءَ ﴿١﴾ مزيد لا للمبالغة في نفي مساواته للمحسن، والأولان مثلاً للغافل والمستبصر، والآخرون للمحسن والمسيء لتغاير وصفيهما أو كأنه قال لا يستوى الأعمى والبصير فكذلك المحسن والمسيء فشبه حالهما في عدم الاستواء بحالهما، ﴿قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (*) ﴿أَي: تذكرون تذكراً قليلاً، ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾: لأن من تأمل في أطوار الخلق لعلم أنه لا بد من معاد يجازى المحسن والمسيء، ولاتفاق كلمة الأنبياء عليهم السلام مع ظهور معجزتهم عليها، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: لا يصدقون بها لغفلتهم وجهلهم ﴿وَقَلِيلٌ﴾ (١) رَبُّكُمْ ادْعُونِي﴾: سلوني، ﴿أَسْتَجِبْ﴾ (٢) لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾: عن دعائي (٣)، والدعاء (٤) مخ العبادة، وفي الحديث "من لم يدع الله" وفي رواية "لم يسأل الله يغضب" (٥) عليه"، أو معناه ابدوني أثبكم، ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ صاغرين ذليلين.

(*) بالأصل: يتذكرون.

(١) ولما بين أن قيام الساعة حق أرشد عباده إلى ما هو الوسيلة إلى السعادة في دار الخلود فقال: "وقال ربكم ادعوني" الآية / ١٢ فتح.

(٢) من دعا حق الدعاء لا محالة يستجيبه الله / ١٢ وجيز.

(٣) وفي مسند الإمام أحمد الدعاء هو العبادة، ثم قرأ ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الآية، وهكذا روى أصحاب السنن، وقال الحاكم: صحيح الإسناد وقال الترمذى حسن

صحيح / ١٢ و١٠٠. [صحيح، وانظر صحيح الجامع (٣٤٠٧)]

(٤) رواه الترمذى / ١٢ فتح. [ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٣٠٠٣)]

(٥) أخرجه الحاكم وابن أبي شيبه / ١٢ فتح. [حسن، وأخرجه أيضا الترمذى فالعزو إليه

أولى، وانظر صحيح سننه (٢٦٨٦)]

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ ١ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ ٢ ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاَنَّى تُؤْفِكُونَ﴾ ٣ ﴿كَذَٰلِكَ يُؤْفِكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ ٤ ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ٥ ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٦ ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ٧ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشْدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَىٰ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلُغَ أَجَلَ مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٨ ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٩ ﴿

﴿اللَّهُ﴾ (١) الَّذِي جَعَلَ: أنشأ، ﴿لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا﴾ (٢) فِيهِ: وتستريحوا من تعب النهار، ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾: الإبصار في الحقيقة لأهل النهار، فأثبتته له مجازاً أو مبالغة

(١) ولما ختم بأمر الساعة، التي ينكرها الكفار عقبه بما يدل صريحاً على كمال قدرته، ولا يمكن إنكاره فقال: "اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ" الآية ١٢/ وحيز.

(٢) ولو قال جعل لكم الليل ساكناً لا يفهم تلك المبالغة لجواز وصف الليل بسكون هو ملحق في العرف بالحقيقة نحو: ليلاً ساكناً أى: لا ريح فيه كما يقال: ليل مظلم بارد بخلاف وصفهما بوصف أهلهما فإنه مجاز صرف ١٢/ وحيز.

وجعله حالاً، ولم يقل لتبصروا فيه لتلك الفائدة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ وفي التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم، حيث أوقع على صريح اسمهم الظاهر الموضوع موضع المضر الدال على أن ذلك كأنه شلن الإنسان وخاصيته ﴿ذَلِكُمْ﴾: المختص بتلك الأفعال، ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أخبار مترادفة أى: هو الجامع لتلك الأوصاف ﴿فَأَنبِئْهُمْ بِذُنُوبِهِمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: تصرفون عن عبادته ﴿كَذَلِكَ﴾ أى كما أفكوا ﴿يُؤْفِكُ﴾ فعل المضارع للاستحضار، والمعنى على المضى، ﴿الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ أى: من غير دليل ولا تأمل، ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾: مستقرًا، ﴿وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾: قبة على الأرض، ﴿وَصَوَّرَكُمُ فَأَحْسَنَ﴾^(١) صَوَّرَكُمُ: خلقكم فى أحسن صورة، فإحسان الصورة بعد التصوير بحسب الاعتبار، وإن لم يكن تعدد بحسب الوجود، ﴿وَرَزَقَكُمُ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾: من اللذائذ، ﴿ذَلِكُمْ﴾: المخصوص بتلك الأفعال، ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، هذا دليل آخر على وحدته ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾: المتفرد بالحياة الذاتية الدائمة، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: موحدين له، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أى: قائلين له عن ابن عباس رضى الله عنهما-: من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين ﴿قُلْ﴾: يا محمد حين يدعونك إلى دين قومك، ﴿إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ﴾: الأدلة على وحدانيته ﴿مِنْ رَبِّي﴾ جواب "لما" يدل عليه ما قبله، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ﴾: أنقاد ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ﴾: من بطون أمهاتكم، ﴿طِفْلًا﴾: وحده لإرادة الجنس أو على تأويل كل واحد، ﴿ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ أى: ثم يقيقكم لتبلغوا سن

(١) ويكفى فى الحسن استواء القامة / ١٢ وجيز.

الشباب، ﴿ثُمَّ لَتَكُونُوا﴾ أى ثم يقيكم لتكونوا، ﴿شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ﴾ أى: من قبل هذه الأحوال ﴿وَلَتَبْلُغُوا﴾ أى: ويفعل ذلك لتبلغوا، ﴿أَجَلًا مُّسَمًّى﴾ هو أجل الموت المقدر، وقيل: يوم القيامة، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾: وحدته، عطف على لتبلغوا أجلاً ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾: لا يحتاج إلى مادة ومدة وآلة وعدة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾ ٥٨ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ٥٩ ﴿إِذِ الْأَعْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ ٦٠ ﴿فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ ٦١ ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ ٦٢ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمَّا كُنَّا نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ ٦٣ ﴿ذَالِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ ٦٤ ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ ٦٥ ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا يُرْجَعُونَ﴾ ٦٦ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ٦٧

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ﴾ (١) ﴿فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ﴾: كيف يصرفون عن الحق إلى الجهل؟! ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾: بالقرآن، ﴿وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾:

(١) تعجيب من أحوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة وعمهيد لما يعقبه من بيان تكذيبهم بكل القرآن، وبسائر الكتب والشرائع وترتيب الوعيد على ذلك كما أن ما سبق من قوله

من سائر الكتب، أو المراد من الكتاب جنس الكتب ومن ما أرسلنا رسلنا الشرائع
﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾: وبالله، ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾، جعل المتوقع في حكم
الوجود لتيقنه، ولهذا جمع بين سوف^(١) وإذ فإنه^(٢) ظرف ليعلمون ﴿وَالسَّلَاسِلُ﴾،
عطف على الأغلال ﴿يُسْحَبُونَ﴾، حال من ضمير أعناقهم أى: يحرون ﴿فِي
الْحَمِيمِ﴾، وقيل: تقديره يسحبون بها، فيكون السلاسل مبتدأ، والجملة خبره، ﴿ثُمَّ فِي
النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾: يحرقون، ويصيرون وقود النار ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ
تُشْرِكُونَ﴾ أى: الذى تشركون به، ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أى: الأصنام ﴿قَالُوا ضَلُّوا
عَنَّا﴾، فقدناهم وذلك قبل أن يقرن آلهتهم بهم أو معناه ضاعوا عنا أى: ما كنا نتوقع
منهم، ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا﴾: جحدوا شركهم كما قالوا: "والله ربنا ما
كنا مشركين" [الأنعام: ٢٣]، أو ضاعت عبادتنا لها كما يقول من ضاع عمله ما كنت
أعمل شيئاً أى العمل كلا عمل، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الإضلال ﴿يُضِلُّ اللَّهُ
الْكَافِرِينَ﴾ حتى لا يهتدوا إلى ما ينفعهم فى الآخرة بوجه ﴿ذَلِكَ﴾: الإضلال، أو
العذاب، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ الشرك والضلال ﴿وَبِمَا
كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾: تتوسعون فى الفرح أو تفسدون ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾: السبعة
المقسومة لكم ﴿خَالِدِينَ﴾: مقتدين الخلود ﴿فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾: منزل

= تعالى: "إن الذين يجادلون فى آيات الله"، الآية، بيان لابتناء جداهم على مبنى فاسد لا
يكاد يدخل تحت الوجود، هو الأمنية الفارغة فلا تكرر فيه أى: "انظر إلى هؤلاء
المكابرين المجادلين فى آياته تعالى الواضحة الموجبة للإيمان بما الزاجرة عن الجدال فيها،
كيف يصرفون عنها، بالكلية؟" قاله أبو السعود/ ١٢ فتح.

(١) الذى للمستقبل ١٢/ وجيز.

(٢) الذى للماضى ١٢/.

المتكبرين عن الحق جهنم، ﴿فَاصْبِرْ﴾: يا محمد، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾^(١): بنصرك وإعلاء كلمتك ﴿حَقٌّ﴾: كائن ﴿فِيمَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾: كالقتل، والأسر، وإن شرطية وما زائدة، وجزاؤه محذوف مثل فذاك، أو فهو المقصود ﴿أَوْ تَتَوَفَّيَنَّكَ﴾: قبل أن يحل ذلك بهم ﴿فَالَيْتَنَا يَرْجِعُونَ﴾: فنجازيهم في القيامة، وهذا جواب للثاني أو هو جواب لهما أى: إن نعدهم في حياتك أو لم نعدهم فإننا نعدهم في الآخرة عذاباً شديداً، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾، وفي مسند الإمام أحمد^(*) عن أبي ذر عن رسول الله ﷺ أن جملتهم مائة ألف وأربع وعشرون ألفاً، الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر، ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: ليس لهم اختيار في إتيان مقترح أمهم، ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: قضاؤه بين الأنبياء والأمم، ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾: فنجى المؤمنين، ﴿وَوَحَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾: الكافرون، وقيل: أمر الله تعالى القيامة، والمبطلون المعاندون باقتراح الآيات.

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَتَعِمَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبَلَّغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاتَارًا فِي

(١) لما تكلم من أول السورة إلى هذا الموضع في تزييف طريقة المجادلين في آيات الله أمر في

هذه الآية رسوله بأن يصبر على إيذائهم وإيحاءهم بتلك المجادلات / ١٢ كبير.

(٥) أخرجه أحمد (٢٦٦/٥)، وذكره الهيثمي في "المجمع"، (١٥٩/١) وقال: "رواه أحمد

والطبراني في الكبير... ومداره على بن زيد وهو ضعيف".

الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿١٩﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٢٠﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾^(١): إنشاء الإبل والبقر والغنم ﴿لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾: من الصوف والدرّ والوبر ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾: من حمل أثقالكم إلى بلد والغنم للأكل وله المنافع والباقي من الأنعام يصلح للكل ﴿وَعَلَيْهَا﴾: في البر، ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾: في البحر، ﴿تَحْمَلُونَ﴾^(٢) دخول اللام في بعض دون بعض للفرق بين العين والمنفعة، والأظهر أن الأنعام هاهنا الإبل ولما كان العمدة في منافعها الركوب والحمل، أدخل اللام عليهما وأما الأكل والانتفاع بالألبان والأوبار وإن كان يصلحان للتعليل أيضاً، لكنهما قاصران عنهما فجعلنا مكتنفين لما بينهما من غير دخول لام عليهما وتقدم المعمول في منها تأكلون، وعليها وعلى الفلك لرعاية الفاصلة وزيادة الاهتمام، ومنها تأكلون عطف على جعل لكم الأنعام عطف جملة على جملة بتقدير وجعل لكم الأنعام منها تأكلون، حتى لا يلزم عطف الحال على العلة وكذلك وعليها وعلى الفلك ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على كمال القدرة والرحمة، ﴿فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ﴾: أى آية منها ﴿تُنْكِرُونَ﴾، هو العامل في

(١) لما أظنّب في تقرير الوعيد عاد إلى ذكر ما يدل على وجود الإله الحكيم الرحيم وإلى ذكر ما يصلح أن يعد إنعاماً على العباد ١٢/ كبير.

(٢) ولما ذكر ما امتن به من الركوب للإبل في البر ذكر ما امتن به من نعمة الركوب في البحر ولهذا قيل للإبل سفينة البر ١٢/ وحيز.

أَيُّ «أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ» عدداً «وَأَشَدَّ قُوَّةً»: فإنهم أجسم، «وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ»: كقصورهم، ومصانعهم «فَمَا أَغْنَى»، ما نافية، أو استفهامية منصوبة بأغنى ودخل الفاء، لأنه كالنتيجة بمعنى أنه ترتب عليه وإن كان عكس المطلوب «عَنْهُمْ»: العذاب وسوء العاقبة، «مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»^(١): كسبهم أو مكسوبهم «فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ» الفاء تفسير وتفصيل لما أهم، وأجل من عدم الإغناء «رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا»: رضوا، «بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ»^(٢): بزعمهم أو سماه علماً سخرية، وهو قولهم: نحن

(١) والمقصود أن هؤلاء الكفار الذين يجادلون في آيات الله، وحصل الكبر العظيم في صدورهم بهذا أو السبب في ذلك كله طلب الرياسة والتقدم على الغير في المال والجاه، فمن ترك الانقياد للحق لأجل طلب هذه الأشياء فقد باع الآخرة بالدنيا، فبين تعالى أن هذه الطريقة فاسدة لأن الدنيا فانية ذاهبة، وقال: "أفلم يسيرا" الآية يعني لو ساروا في أطراف الأرض لعرفوا أن عاقبة المتكبرين ليس إلا الهلاك والبوار، مع أنهم كانوا أكثر عدداً ومالا وجاها من هؤلاء المتأخرين، فلما لم يستفيدوا من تلك المكانة العظيمة والدولة القاهرة، إلا الخيبة والخسارة والحسرة والبائسة فكيف يكون حال هؤلاء الفقراء المساكين ١٢/ كبير.

(٢) قال الرازي: ويجوز أن يكون المراد علوم الفلاسفة والدهريين فإنهم كانوا إذا سمعوا بوحى الله دفعوه وصغروا علم الأنبياء إلى علمهم، وعن سقراط أنه سمع بموسى عليه السلام وقيل له لو هاجرت إليه فقال: "نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا إلى من يهذبنا" انتهى.

قال ابن القيم في الإغاثة بعد ذكر فضائح الفلاسفة وتعطيلهم وكفرهم بالأنبياء فصل: وهذه البلايا ليست عامة لجميع الفلاسفة؛ فإن الفلسفة من حيث هي لا يقتضى ذلك، فإن معناها محبة الحكمة والفيلسوف محب الحكمة وقد صار هذا الاسم في عرف كثير من الناس مختصاً بمن خرج عن ديانات الأنبياء وذهب إلى ما يقتضيه مجرد العقل في =

زعمه، وأخص من ذلك أنه في عرف المتأخرين اسم لأتباع أرسطو وهم الذين هذب ابن سينا طريقتهم وهم فرقة شاذة من فرق الفلاسفة حتى قيل أنه لم يقل من الفلاسفة بقدم الأفلاك غير أرسطو وأصحابه، والأساطين قبله كانوا يقولون بحدوثه وإثبات الصانع ومبائنة للعالم، وأنه فوق العالم وفوق السماوات بذاته إلى أن قال، وحكى أرباب المقالات أن أول من عرف منه القول بقدم العالم أرسطو، وكان مشركاً يعبد الأصنام وله في الإلهيات كلام كله خطأ قد رده عليه طوائف المسلمين حتى الجهمية والمعتزلة والقدرية والرافضة وفلاسفة الإسلام وأنكر أن يعلم الله شيئاً من الموجودات، وقال: لو علم شيئاً لكمل بمعلوماته ولم يكن كاملاً في نفسه وكان يلحقه التعب من تصور المعلومات وتبعه من تستر باتباع الرسل وهو منحل من كل ما جاءوا به، ويسمونه المعلم الأول لأنه أول من وضع لهم التعاليم المنطقية، وزعم أرسطو وأتباعه أن المنطق ميزان المعاني، كما أن العروض ميزان الشعر، وقد بين نظار الإسلام فساد هذا الميزان وعوجه وتخييطه للأذهان وصنفوا في رده وتهافته وآخر من صنف في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - ألف في رده، وإبطاله كتابين بين فيهما تناقضه وتهافته وفساد كثير من أوضاعه رأيت فيه تصنيفاً لأبي سعيد السيرافي، والمقصود أن الملاحدة درجت على إثر هذا المعلم حتى انتهت النوبة إلى معلمهم أبي نصر الفارابي فوضع لهم التعاليم المصوتية، كما أن المعلم الأول وضع لهم التعاليم الحرفية، ثم وسع هذا المعلم الثاني الكلام في صناعة المنطقية وشرح فلسفة أرسطو وهذبا والله عند هؤلاء كما قرره -أفضل متأخريهم وقدمونه على الرسل أبو علي بن سينا- هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق وليس له صفة ثبوتية يقوم به، ولا يفعل شيئاً باختياره، ولا يعلم شيئاً من الموجودات أصلاً، ولا يعلم عدد الأفلاك، ولا شيئاً من المغيبات ولا كلام له يقوم به ومعلوم أن هذا إنما هو خيال مقدر في الذهن لا حقيقة له وليس هو الرب الذي دعت إليه الرسل وعرف الأمم بل الرب الذي دعت إليه الملاحدة، وجردته عن الماهية وعن كل صفة ثبوتية وكل فعل اختياري وأنه لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلاً به =

أعلم لا بعث ولا عذاب وهذا في الحقيقة جهل، وقيل: معناه استهزؤا بما عند الأنبياء من العلم، وقيل: رضوا بما عندهم من علم الدنيا ومعرفة تدبيرها واكتفوا بها ﴿وَحَاقَ بِهِمْ﴾: وبال ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، قيل: فيه إشعار إلى المعنى الثاني ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾: عاينوا وقوع العذاب، والفاء مجرد التعقيب ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾: منفرداً بالإيمان، ﴿وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ﴾: من الأصنام، ﴿مُشْرِكِينَ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ﴾: أى: لم يصح^(١) أن ينفعهم ﴿إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾: أى: سن الله تعالى ذلك سنة ماضية فهي من المصادر المؤكدة ﴿وَخَسِرَ هُنَالِكَ﴾، استعير اسم مكان للزمان أى: وقت البأس، ﴿الْكَافِرُونَ﴾: أى: ظهر لهم خسرافهم.

والحمد لله على نعمائه.

= ولا مبائنا له ولا فوقه ولا تحته ولا أمامه ولا خلفه ولا عن يمينه ولا عن شماله، وقول هؤلاء الملاحدة أصلح من قول معلمهم أرسطو فإن هؤلاء أثبتوا واجباً وممكناً هو معلول له، صادر عنه صدور المعلول عن علته وأما أرسطو فلم يثبت إلا من جهة كونه مبدأ عقلياً للكثرة وعلة غائية لحركة الفلك فقط، وصرح بأنه لا يفعل شيئاً باختياره وهذا الذى يوجد في كتب المتأخرين من حكاية مذاهبه من وضع ابن سينا فإنه قربه من دين الإسلام بجهد غايه ما أمكنه أن قربه من قول غلاة الجهمية انتهى / ١٢.

(١) وهذا أبلغ من قولك لم ينفعهم لأنه إنما يلتقى الوقوع لا الصحة والاستقامة / ١٢ وحيز.

سورة حم السجدة (*) مكية

وهي ثلاث أو أربع وخمسون آية وست ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَمْدٌ ۝ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ كِتَابٌ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاَعْمَلْ إِنَّا نَحْمِلُونَ ۝ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۚ وَبَلِّغْ لِلْمُشْرِكِينَ ۝ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝﴾ *

﴿حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تنزيل خبر حم إن كان اسماً للسورة؛ وإلا فهو خبر محذوف، أو مبتدأ مخصص^(١) خبره قوله ﴿كِتَابٌ﴾، وعلى الأولين إما خبر بعد خبر، أو بدل أو خبر محذوف ﴿فُصِّلَتْ﴾: ميزت وبينت ﴿آيَاتُهُ قُرْءَانًا﴾ نصب على المدح أو حال، ﴿عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾: لقوم صفة أخرى لقُرْءَانًا، أو متعلق بفصلت أى: هذا التفصيل للعلماء، فإنهم هم العالمون به ﴿بَشِيرًا﴾: للمؤمنين ﴿وَنَذِيرًا﴾: للكافرين ﴿فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ﴾: عن تأمله، ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾: سماع قبول،

(٥) فصلت.

(١) يعنى تنزيل مبتدأ نكرة مخصص بالصفة وهى من الرحمن الرحيم ١٢/ منه.

﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ﴾: أغطية ﴿مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾: فلا نفقه ما تقول ﴿وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾: صمم، ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾: يعنى نحن فى ترك القبول عنك بمنزلة من لا يفهم، ولا يسمع، وبينه -مع ما هو عليه- وبين داعيه -مع ما هو عليه- حجاب غليظ، فلا تلافى ولا ترى، وفائدة من أن الحجاب ابتداء منا ومنك، فيدل على استيعاب ما بين الطرفين بالحجاب ﴿فَاعْمَلْ﴾: على دينك، ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾: على ديننا، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾: أى: لست بجنى ولا بملك أتكلم بما لا تفهمون، ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾: وجهوا إليه وجوهكم، وأخلصوا له العبادة ﴿وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾: من سالف الذنوب ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾: لا يطهرون أنفسهم، "قد أفلح من زكاها" [الشمس: ٩]، "قد أفلح من تزكى" [الأعلى: ١٤]، أو المراد زكاة أموالهم، وأصلها مأمور به فى ابتداء البعثة وأما مقدارها وكيفيةها فبين أمرها بالمدينة. ولفظ الإيتاء يساعد المعنى الثانى، بل كالصريح، لكن الأول منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون: غير مقطوع وأما المنة فله على أهل الجنة، "بل الله يمين عليكم أن هذا لكم للإيمان" [الحجرات: ١٧].

﴿قُلْ أَبْنَيْكُمْ لتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ١٠٠ ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ ١٠١ ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ آتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ ١٠٢ ﴿فَفَضَّلْنَهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ ١٠٣ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَنِيعَةَ مِثْلِ صَنِيعَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ ١٠٤ ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا

لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهَوْنِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٣﴾ وَجَعَلْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٤﴾

﴿قُلْ أَتُنتَكُم لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ أى فى حقيقة يومين معلومين عند الله، لا نعرف كيفيتهما أو فى قدر يومين لأن الظاهر من قوله: "رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها" [النازعات: ٢٨-٢٩]، أن حدوث اليوم والليلة بعد خلق السماء وعن كثير من السلف أن اليومين: الأحد والاثنان وفيه إشكال، اللهم إلا أن يقال: إن الله تعالى لما خلق الأزمان سَمَّى أول يومه السبت ثم الأحد ثم الاثنان ثم وثم، وخلق السماء والأرض وما بينهما فى مقدار ستة أيام قبل حدوث الزمان متصل بحدوثه بمعنى أنه لو كان الزمان حين الخلق موجوداً لكانت مدة الخلق ستة أيام يكون أوله يوم الأحد البتة، وآخره يوم الجمعة ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَادًا ذَلِكَ﴾: القادر العظيم، ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا﴾: فى الأرض، ﴿رَوَاسِي﴾: جبالاً ثوابت وهو عطف على محذوف، أى خلقها وجعل، وقيل: عطف على خلق والفصل بالجملتين كلا فصل؛ لأن الأولى بمنزلة الإعادة لتكفرون، والثانية اعتراضية كالتأكيد لمضمون الكلام، ﴿مِنْ قَوْعِهَا﴾: مرتفعة ليظهر على الناظرين ﴿وَبَارَكَ فِيهَا﴾: بخلق المنافع فيها، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾: أقوات أهلها، أو قدر فى كل بلدة ما لم يجعله فى الأخرى، ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ أى: تتمتها لقوله: "خلق السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام"

[السجدة: ٤] ^(١)، واليومان الثلاثاء والأربعاء «سَوَاءً» أى: استوت استواءً بلا زيادة ولا نقصان، والجملة صفة أيام «لِلسَّائِلِينَ» أى: هذا الحصر للسائلين عن مدة خلقها، أو متعلق بقدر أى: قدر فيها للمحتاجين أقواتها «ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ»: قصد نحوها، «وَهِيَ دُخَانٌ»: ارتفع من الماء الذى عليه عرشه، «فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا»: ما أمر كما أى: افعلاه واستجيبا لأمرى، كما يقال: ائت ما هو الأحسن قيل: إتيان السماء حدوثها، وإتيان الأرض أن تصير مدحوة. عن ابن عباس -رضى الله عنه- أطلعنى شمسك وقمرك ونجومك يا سماء وشققى أنهارك فأخرجى ثمارك ونباتك يا أرض «طَوَّعًا أَوْ كَرْهًا»: طائعتين أو مكرهتين أى: شئتما أو أبيتما ذلك «قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ»: استجبنا لك منقادين لما خاطبهما وأقدرهما على الجواب أجراهما بحرى العقلاء عن بعض السلف أن المتكلم موضع الكعبة، ومن السماء ما يسامنه «فَقَضَاهُنَّ»: خلقهن، وأحكمهن الضمير إلى السماء على المعنى «سَبْعَ سَمَوَاتٍ»، حال «فِي يَوْمَيْنِ»: يوم الخميس والجمعة، وهذه الآيات مشعرة بأن خلق الأرض ودحوها مقدم على خلق السماوات ^(٢)، وهو مخالف لما فى سورة النازعات "والأرض بعد ذلك دحاها" [النازعات: ٣٠]، فلا بد أن نقول أن ثم فى "ثم استوى إلى السماء" للتراخي ^(٣)

(١) وثبت أن خلق السماوات فى يومين فلو كان الكلام على ظاهره لزم أن يكون خلق المجموع فى ثمانية أيام، وقد ثبت أنه فى ستة وظاهر كلام الزمخشري أن قوله: "فى أربعة أيام" خبر مبتدؤه محذوف أى: المجموع فى أربعة / ١٢ منه ووجيز.

(٢) لأن خلق الجبال وجعلها رواسى من فوق الأرض والبركة فيها بخلق المنافع وتقدير الأقوات قبل الدحو بعيد جدا، وإن كان أحد القولين المذكورين وهو قوله: وإتيان الأرض أن تصير مدحوة هو ذلك البعيد فتأمل / ١٢ منه.

(٣) وقال الشوكانى بعد ذكر هذا الاستشكال: إن ثم ليست للتراخي الزمانى، بل للتراخي الرتبى، فيندفع الإشكال من أصله، وعلى تقدير إنها للتراخي الزمانى فالجمع ممكن، بل أن

الرتبى لا الزمانى، وسنذكره فى سورة النازعات ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ قرر
ورتب شأها أى: خلق ما يحتاج إليه من الملك، وما لا يعلمه إلا الله تعالى ﴿وَزَيَّنَّا
السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾: الكواكب كلها ظاهرة^(١) عليها، ﴿وَحَفِظْنَا﴾ مصدر
لحذوف أى: وحفظناها من استراق السمع حفظا ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ فَإِنْ
أَعْرَضُوا﴾: مع هذا البيان عن الإيمان ﴿فَقُلْ أَذْذَرْتُمْ صَاعِقَةً﴾: مهلكة، ﴿مِثْلَ
صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ﴾، حال من صاعقة عاد أو ظروفها لما فيها
من معنى الفعل أى: صعقوا إذ جاءهم ﴿مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أى: من القرى القريبة من

= الأرض خلقها متقدم على خلق السماء ودحوها بمعنى بسطها هو أمر زائد على مجرد
خلقها فهى متقدمة خلقاً متأخرة دحوا وهذا ظاهر انتهى.

وفى الوجيز بعد ذكر الإشكال والأولى أن ثم هنا لترتيب الإخبار لا لترتيب الزمان،
كأنه قال أخبركم بأنه خلق الأرض وجعل فيها كذا وكذا ثم أخبركم أنه استوى إلى
السماء، فلا تعرض فى الآية للترتيب، ولما كان خلق السماء أبداع استؤنف الإخبار فيه
بثم وهذا كقوله: "ثم كان من الذين آمنوا" بعد قوله: "فلا اقتحم العقبة"
[البلد: ١٣-١٧]، ومن هذا القبيل أيضاً "ثم آتينا موسى الكتاب" بعد قوله: "قل تعالوا"
الآية [الأنعام: ١٥١-١٥٤]، ويدل على أن المقصود الإخبار بوقوع هذه الأشياء من
غير ترتيب وقوله فى الرعد "الذى رفع السموات بغير عمد ترونها" الآية ثم قال بعد:
"وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى" [٢-٣] الآية فظاهر هذا رفع السماوات، ثم
مد الأرض وظاهر ما فى هذه السورة جعل الرواسى قبل خلق السماء، لكن المقصود من
الآيتين الإخبار بصدور ذلك منه من غير تعرض لترتيب ما، كأنه لا يندفع الإشكال إلا
بهذا / ١٢.

(١) إشارة إلى أنه يمكن تصحيح كلام أهل الهيئة أن السيارات فى سبع سماوات كما قال
تعالى: "كل فى فلك يسبحون" [الأنبياء: ٣٣] بأن نقول: لما كانت الكواكب ظاهرة على
السماء الدنيا ترى كأنها تلالو عليها فيصدق أن سماء الدنيا مزينة بها / ١٢ منه.

بلادهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ القرى البعيدة كما قال: "وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه" [الأحقاف: ٢١]، وقيل: من كل جانب وعملوا فيهم كل حيلة كما قال الشيطان: "لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ" [الأعراف: ١٧]، وقيل: أنذروهم من مثل الوقائع المتقدمة ومن العذاب المتأخر أى: عذاب الآخرة ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ أن بمعنى أى ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا﴾: إرسال الرسل، ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾: برسالته فإنما أنتم لستم بملائكة ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾: على زعمكم، ﴿كَافِرُونَ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾: بغوا وعتوا، ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، اغتروا بقوتهم ومزيد قدرتهم وحسبوا أنها تغنيهم عن العذاب، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾: أزيد قدرة منهم، ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ أى: يعلمون وينكرون عطف على فاستكبروا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾: شديدة الصوت من الصرير وشديدة البرد من الصرر^(١) ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾: مشؤمات عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما ﴿لَنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ﴾: الذل وصف به العذاب مع أنه فى الأصل صفة المعذب على الإسناد المجازى للمبالغة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾: دللناهم على طريق الحق^(٢)، بلسان نبيهم صالح - عليه السلام ﴿فَاسْتَجَبُوا أَلْعَمَى﴾: اختاروا الضلالة ﴿عَلَى الْهُدَى﴾، وهذا لا ينافى كون الضلال بمشيئة الله تعالى، وإنما ينافيه لو كان معنى هديناهم^(٣) أردنا منهم

(١) صَرَّ يَصْرِ صَرًّا وَصَرِيرًا صَوْتٌ / ١٢ قاموس.

(٢) وفى الوجيز بعد ما فسر الآية بما فسر به المصنف وهذا تفسير ظاهر موافق لمن غير تكلف لمذهب أهل السنة والجماعة.

(٣) رد على الزمخشري - عفا الله عنه - حيث قال: لو لم تكن فى القرآن حجة على القدرة إلا هذا لكفى بها حجة. سمي أهل السنة باسم المعتزلة وقد صار كالمثل فى

الهدى ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾: صيحة ورجفة؛ وهى الذل والهوان والإضافة إلى العذاب ووصفه بالهوان للمبالغة ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾: من القبائح ﴿وَنَجَّيْنَا﴾: من تلك الصاعقة، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ ١٢٠ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ وَقَالُوا لِمَ جُلِدْنَا لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٢٢﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٢٤﴾ فَإِنْ يَصِيرُوا فَاَلنَّارِ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿١٢٥﴾ * وَقَيِّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُّوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٢٦﴾

﴿وَيَوْمَ﴾ (١) يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ﴾ أى اذكره ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ يحبس أولهم على آخرهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا﴾ ما مزيدة لتأكيد ظرفية للشهادة أى: إنما تقع فيه

= الاشتهار أن القدرية هم الذين لا يؤمنون بالقدر خيره وشره نسبة لمبالغتهم في نفيه/ ١٢ منه.

(١) ولما ذكر ما عاقبهم به في الدنيا ذكر ما عاقبهم في الآخرة فقال: "ويوم يحشر أعداء الله" الآية / ١٢ فتح.

البتة ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: من المعاصي، ﴿وَقَالُوا لَجُلُودُهُمْ﴾، خص الجلود بالسؤال لأن الشهادة منها أعجب إذ ليس شأنها الإدراك بخلاف السمع والبصر ﴿لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾: لأى علة؟! وبأى موجب؟! ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أى: كل شىء ينطق فما شهدنا اختياراً، بل اضطراراً، والأعضاء فى القيامة هى الناطقة بالحقيقة^(١) وفيها القدرة والإرادة، لا كنطق ينسب إلى الجملة، واللسان مجرد آلة حتى إن إسناد النطق إليه ربما يعد مجازاً ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، الظاهر أنه من تنمة كلام الجلود^(٢) عن ابن عباس -رضى الله عنهما- إن الكافر يجحد شركه ويحلف كما يحلفون لكم فتشهد من أنفسهم جوارحهم ويختم على أفواههم ثم يفتح لهم الأفواه فتخاصم الجوارح فتقول أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو الذى خلقكم أول مرة وإليه ترجعون، فتقر الألسنة بعد الجحود ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَرُونَ﴾: عند المعاصي، ﴿أَنْ يَشْهَدَ﴾: لأن يشهد ﴿عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ أى: ليس استتاركم عند المعاصي خيفة شهادة الجوارح، فإنكم ما تصدقون بشهادتها لإنكاركم الحشر والبعث ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٣) أى: لكنكم

(١) ولذلك قال: "شهد عليهم سمعهم" وقالوا: "لم شهدتم علينا". وليس الشاهد أنفسهم وهذه آلات للنطق بمرآة اللسان، بل الجوارح فى القيامة هى الناطقة حقيقة/ ١٢ منه.

(٢) رد على البغوى والواحدى حيث قالاً تم الكلام، وقال الله: "وهو خلقكم" إلخ وليس هذا من جواب الجلود وهذا الذى نقلنا عن ابن عباس -رضى الله عنهما- يدل على ما قلنا وقد صحح هذا النقل عن ابن عباس -رضى الله عنهما- الشيخ المحدث عماد الدين بن كثير / ١٢ منه.

(٣) نقل محيى السنة بإسناده عن ابن مسعود قال: اجتمع عند البيت رجال فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ وقال الآخر: يسمع إن جهرنا لا إن أخفينا وقال الآخر:

إنما استترتم لظنكم أن الله لا يعلم الخفيات، فهو بالحقيقة استدراك من المفعول له أى: ليس استتاركم لخوف الشهادة، بل لظن أن^(١) الله تعالى لا يعلم ﴿وَذَلِكُمْ﴾، مبتدأ ﴿ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ خبر أو بدل ﴿أَرَادَاكُمْ﴾، خبر ثان أو هو الخبر أى: أهلككم، ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾، قد صرح بعض المفسرين أن كلام الجلود إلى قوله: "فأصبحتم من الخاسرين"، ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا﴾: ولا يسألوا شيئاً، ﴿فَالْتَأَرُّ مَثْوًى لَّهُمْ﴾: لم ينفعهم الصبر، ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا﴾: يسترضوا، ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾، فلم يرضوا تقول استعيبته^(٢) فأعتبني أى: استرضيته فأرضاني أو إن سألوا الرجوع عن الآخرة إلى الدنيا لم يجابوا، ﴿وَقَيَّضْنَا^(٣)﴾: قدرنا، ﴿لَهُمْ﴾: للمشركين، ﴿قُرْنَاءَ﴾: من الشياطين، ﴿فَزَيَّيْنَاهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أى: أحسنوا لهم أعمالهم الماضية والآتية فلم يروا أنفسهم إلا محسنين أو أمر الدنيا واتباع شهواتها، وأمر الآخرة وإنكارها ﴿وَحَقَّقَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ﴾: كلمة العذاب، ﴿فِي أُمَمٍ﴾ أى: كائنين في جملتهم حال من عليهم ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ﴾ استئناف تعليل ﴿كَانُوا خَاسِرِينَ﴾.

= إن يسمع ما جهرنا يسمع ما أخفينا. فأنزل الله "وما كنتم تستترون" الآية/ ١٢ منه أقول
 وفي البخارى عن ابن مسعود بمعناه / ١٣ منه. [أخرجه البخارى فى "التفسير"،
 (٤٨١٦)، وفى غير موضع من صحيحه]

(١) تفسير القاضى لا يطابق تفسيرنا فتأمل ترى أيهما أصوب، ولا تغفل أيضاً عما نقلنا فى
 الحاشية من سبب التزل / ١٢ منه.

(٢) العتبى الرجوع لهم إلى ما يجبون / ١٢ منه .

(٣) ولما ذكر الوعيد الشديد على كفرهم، أردفه بذكر السبب الذى لأجله وقعوا فى ذلك
 الكفر فقال: "وقيضنا لهم قرناء" الآية / ١٣ كبير.

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴾^(١)
 فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾
 ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا
 يَجْحَدُونَ ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ
 جَعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴿٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ
 ثُمَّ اسْتَقَلُّوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ
 الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٥﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
 وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٦﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ
 رَحِيمٍ ﴿٧﴾

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾: كان بعضهم يوصي
 بعضا إذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر واللغو وكلموا فيه وعيَّسوه أو
 بالملكاء والصفير، أو أكثروا الكلام والصياح ليختلط عليه ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ﴾: محمدا
 على قراءته فيترك ﴿ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أى: لنذيقنهم ﴿ عَذَابًا شَدِيدًا
 وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أى: نجزيَنهم جزاء أسوأ أعمالهم من
 الاستهزاء، وتحقير القرآن ﴿ ذَلِكَ ﴾: الأسوأ ﴿ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ ﴾ مبتدأ وخبر ﴿ النَّارُ ﴾
 عطף بيان للخبر ﴿ لَهُمْ فِيهَا ﴾: فى النار، ﴿ دَارُ الْخُلْدِ ^(١) ﴾: فى النار مواضع واسعة،
 ولهم فيها مكان يخلدون فيه ﴿ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) وجاز أن يكون من باب التجريد نحو: "لكم فى رسول الله أسوة
 حسنة" [الأحزاب: ٢١]. فالنار فى نفسها دار الخلد، والتجريد هو أن يتزع من أمر دى
 صفة أمرا آخر بتلك الصفة مبالغة لكماله فيها / ١٢ منه ووجيز.

رَبَّنَا أَرْنَا اللَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ﴿١﴾ أى: شيطانى النوعين وعن على - رضى الله عنه - إن مرادهم إبليس، فإنه سن الكفر، وقايل فإنه سن القتل ﴿نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾: أسفل منا فى العذاب، ليكون عذابهما أشد ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ ^(١) أى: فى الدرك الأسفل ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾: أقرؤا بوحدانيته ﴿ثُمَّ اسْتَقامُوا﴾: على التوحيد، ولم يشركوا به شيئاً، أو على أمر الله تعالى فعملوا بطاعته واجتنبوا معصيته ﴿تَنْزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند الموت أو عنده وفى القبر عند البعث ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ ^(٢) بمعنى أى: أو بأن لا تخافوا مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتموه من أمر الدنيا ﴿وَأَبشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾: على لسان أنبيائكم ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾: وفقناكم على الخير وحفظناكم من الشر بإذن الله تعالى ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ نؤنس منكم وحشة القبر، ونوصلكم إلى الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾: فى الآخرة، ﴿مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾: ما تطلبون، والثانى أعم من الأول ^(٣) ﴿نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾، النزل طعام التريل، وهو حال من الضمير المستكن فى خبر ما تدعون لا من مفعول تدعون.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾
 ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعُ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾
 ﴿وَمَا يُلْقِئَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِئَهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾
 ﴿وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ

(١) قيل: ندهسهما انتقاماً منهما ليكونا من الأسفلين مكاناً أو ذلاً/ ١٢ منه.

(٢) يعنى إن "إن" إما مفسرة أو مصدرية / ١٢ منه.

(٣) لأنه يمكن طلب شيء لا تشتهيه نفسه / ١٢ منه.

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٦﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ آتِلُ وَالنَّهَارُ وَاللَّيْلُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا
 لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
 تَعْبُدُونَ ﴿٦٧﴾ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ
 وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا
 أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى
 كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى
 فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِيَ ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرٌ ﴿٧٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٧١﴾ لَا
 يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٧٢﴾ مَا يُقَالُ
 لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾
 وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ ءَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ
 هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ
 عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٧٤﴾

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾: إلى طاعته ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، لا من الذين
 لا يوافق قولهم عملهم ﴿وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١)، جعل الإسلام دينه ومذهبه،
 أو تكلم بذلك تفاخرًا، والآية عامة في كل مهدي هادي ولعل مراد من قال: إن المراد به

(١) يعني ليس الغرض التكلم بهذا الكلام بل جعل الإسلام دينه ومذهبه كما تقول: هذا
 أقول الشافعي أى: مذهبه واعلم أن القول يستعمل بمعان يناسب المقام، كالنصح ومن
 ذلك ما ورد في الدعاء المأثور (سبحان من تعزز بالعز وقال به) / ١٢ وجيز.

المؤذنون أهم أولى وأدخل لا أنها نزلت فيهم، فإن الآية مكية والأذان شرع بالمدينة
﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾، لا الثانية لتأكيد النفي، ﴿ادْفَعْ﴾: السيئة،
﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: وهى الحسنة استئناف كأنه قيل: كيف أصنع؟ قال: ادفع والمراد
من الأحسن الزائد مطلقاً عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أمر بالصبر عند الغضب،
وبالعفو عند الإساءة. معناه لا تستوى الحسنات، بل يتفاوت إلى الحسن والأحسن،
وكذلك السيئات فادفع السيئة التى ترد عليك بحسنة هى أحسن من أختها، مثلاً تحسن
إلى من أساءك ولا تكتفى بمجرد العفو عنه ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ﴾ أى: إذا
فعلت ذلك يصير العدو ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾: صديق شفيق، ﴿وَمَا يُلْقَاهَا﴾ أى: تلك
الخصلة يعنى مقابلة الإساءة بالإحسان ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: على مخالفة النفس، ﴿وَمَا
يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: من كمال النفس ﴿وَمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾
أى: يفسدك فساد، حال كون الفساد من الشيطان يعنى يصرفك عن الدفع بالتي هى
أحسن، فيكون من قبيل جدّ جدّه، ومن الشيطان حال مقدم ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾: حتى
يوفقك على دفعه، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾: باستعاذتك ﴿الْعَلِيمُ﴾: بما فى ضميرك،
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ
وَأَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾، الضمير للأربعة نحو: الأيام مضمين^(١) ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ﴾: فإن عبادته مع عبادة غيره غير مقبولة، ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا﴾: عن الامتثال،
﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أى: الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أى: دائماً،
﴿وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾: لا يملون وهذا مثل قوله: "فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها
قومًا ليسوا بها بكافرين" [الأنعام: ٨٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾: متذلة

(١) فإن حكم ضمير جماعة ما لا يعقل، وإن كانت الذكور أن يجعل مؤنثاً فلا يكون هذا
من باب التغليب / ١٢ وحيز ومنه.

استعارة عن يسها، ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾: تحركت بالنبات، ﴿وَرَبَّتْ﴾: زادت وعلت، ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾: فيقدر على الإعادة، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾: يميلون عن الاستقامة ﴿فِي آيَاتِنَا﴾^(١): يضعون في غير مواضعها ﴿لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾، فيه وعيد شديد ﴿أَفَمَنْ

(١) بأن يطعنوا فيها ويأولوها بالباطل ويلغوا فيها ويجرفوا فيها ١٢/ منه.

قال السيوطي في الإكليل تحت هذه الآية: قال ابن عباس -رضي الله عنه هو أن يوضع الكلام في غير موضعه أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عنه، ففيه الرد على من تعاطى تفسير القرآن بما لا يدل عليه جوهر اللفظ، كما يفعله باطنية [كذا بالأصل والمقصود: الباطنية] والاتحادية والملاحدة وغلاة المتصوفة انتهى.

ومن الإلحاد في أسماء الله وآياته ما يفعله كثير من الفلاسفة ومتفلسفة الصوفية والمتكلمين الذين يجعلون الألفاظ التي جاءت في القرآن موضوعة لمعاني تخالف لغة العرب، وتناقض ثبوت الصفات كما فعله بلفظ الغنى والقدم والواحد والواجب بنفسه، فصاروا يجعلونها تدل على معاني وتستلزم معاني تناقض ثبوت الصفات، وتوسعوا في التعبير ثم ظنوا أن هذا الذي فعلوه هو موجب الأدلة العقلية وغيرها. وهذا غلط منهم، فموجب الأدلة العقلية لا يتلقى عن مجرد التعبير، وموجب الأدلة السمعية يتلقى من عرف المتكلم بالخطاب لا من الوضع المحدث فليس لأحد أن يجعل الألفاظ التي جاءت في القرآن موضوعة لمعاني ثم يريد أن يفسر مراد الله بتلك المعاني، بل هذا من فعل الملاحدة المفرتين. فإن هؤلاء عمدوا إلى معاني ظنوها ثابتة فجعلوها هي معنى الوحدة، والوجوب والغنى والقدم ونفى المثل ثم عمدوا إلى ما جاء في القرآن والسنة من تسمية الله بأنه أحد واحد وغنى ونحو ذلك من نفي المثل والكفو عنه فقالوا: هذا يدل على المعاني التي سميناها بهذه الأسماء وهذا من أعظم الافتراء على الله، وكذلك المتفلسفة عمدوا إلى لفظ الخالق والفاعل والصانع والمحدث ونحو ذلك فوضعوها لمعنى ابتدعوه، وقسموا الحدوث إلى نوعين: ذاتي وزماني وأرادوا بالذاتي كون المربوب مقارنا للرب

يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يعني جزاء الإلحاد فيها النار ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾، تهديد على تهديد ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾: فيجازيكم، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾: بالقرآن، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، جملة مستأنفة، وحذف خير إن للتحويل أى: يكون من أمرهم ما يكون، أو يهلكون أو الجملة بدل من إن الذين يلحدون إلخ ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾: أعزه الله ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾: ليس للبطان إليه سبيل، أو لا يطله الكتب المتقدمة ولا يأتيه كتاب بعده يطله، ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾: في ذاته وإن لم يحمده الحامدون، ﴿مَا يُقَالُ لَكَ﴾ أى: لا يقول لك قومك ﴿إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أى: إلا مثله أى:

= أزلا وأبدًا وأن هذا اللفظ على هذا المعنى لا يعرف في لغة أحد من الأمم، ولو جعلوا هذا اصطلاحًا لهم لم ننازعهم فيه، لكن قصدوا بذلك التلبيس على الناس وأن يقولوا: نحن نقول بحدوث العالم وأن الله خالق له وفاعل له وصانع له ونحو ذلك من المعاني التي يعلم بالاضطرار أنها تقتضى تأخير المفعول، لا يطلق على ما كان قديمًا بقدّم الرب مقارنة له أزلا وأبدًا، وكذلك فعل من فعل بلفظ المتكلم وغير ذلك من الأسماء ولو فعل هذا بكلام سيويه وبقراط لفسد ما ذكره من النحو والطب، ولو فعل هذا بكلام آحاد العلماء كمالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة لفسد العلم بذلك، ولكان ملبوسًا عليهم، فكيف إذا فعل هذا بكلام رب العالمين وهذه طريقة الملاحدة الذين ألدوا في أسماء الله وآياته ومن شركهم في بعض ذلك وكذلك إذا قالوا: الموصوفات تتماثل أو الأجسام تتماثل أو الجواهر تتماثل، وأرادوا أن يستدلوا بقوله تعالى: "ليس كمثله شيء" [الشورى: ١١] على نفى مسمى هذه الأمور التي سموها بهذه الأسماء في اصطلاحهم الحادث، كان هذا افتراءه على القرآن فإن هذا ليس هو المثل في لغة العرب، لا لغة القرآن، ولا غيرها فحمل القرآن على ذلك كذب على القرآن هذا ما التقطت من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية على وجه الاختصار/ ١٢.

فاصبر كما صبروا ولا تجزع ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾: لمن تاب، ﴿وَذُو عِقَابٍ﴾^(١) أليم: لمن أصر على التكذيب وقيل: معناه لا يقول الله لك إلا مثل ما قال لهم، وهو إن ربك لذو مغفرة، فقوله: "إن ربك" بدل مما قد قيل ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾^(٢) قُرْآنًا أعجميًا: بغير لغة العرب، ﴿لَقَالُوا لَوْلَا﴾ أى: هلا، ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾: بينت بوجه نفهمه، ﴿أَعْجَمِي وَعَرَبِي﴾ أى: أكلام أعجمي ومخاطب عربي؟! فالحزمة للإنكار، ومن قرأ بلا همزة فهو إخبار وعن بعضهم أن معناه حينئذ هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجميًا وبعضها عربيًا، ليتفجع بها القبيلتان، يعنى هم على أى حال تجدهم فى عناد واعتراض متعتين. نقل البغوى عن مقاتل أنها نزلت حين قال المشركون: يعلم يسار محمدًا القرآن وهو غلام يهودى، أعجمى يكنى أبا فكيهة، ﴿قُلْ﴾: يا محمد ﴿هُوَ﴾: القرآن، ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾: إلى الحق، ﴿وَشِفَاءٌ﴾: من الجهل، ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، عطف على المجرور باللام ﴿فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ﴾، عطف على هدى، والمحققون يجوزون مثل ذلك العطف "وفى آذانهم" حال من الضمير فى الذين لا يؤمنون، ووقر أى: ذو قر أو كوقر أو الذين كفروا مبتدأ، وخبره فى آذانهم وقر بتقدير مبتدأ أى: هو يعنى القرآن فى آذانهم وقر فيكون من عطف الجملة على الجملة ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ أى: ذو عمى أو كعمى فلا يتفجعون به أصلاً ﴿أَوَلَيْكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ لهذا تمثيل أى: مثلهم مثل من يصيح به من مسافة بعيدة، لا يسمع من مثلها إلا مجرد نداء، مثل الذين كفروا، كمثل الذى ينطق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء وعن الضحاك ينادون يوم القيامة من مكان بعيد بأشنع أسمائهم.

(١) ولما ذكر الملحدون فى آياته وأهم لا يخفون عليه، والكافرين بالقرآن ذكر ما دل على

تعتتهم وما ظهر من تكذيبهم فقال: "ولو جعلناه" الآية / ١٢ وحيز.

(٢) أى: الذكر / ١٢.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ
لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ
أَسَاءَ فَعَلِيَهَا وَمَا رُثْكَ بِظُلْمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٦﴾ * إِلَيْهِ يَرُدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ
ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْثَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ
أَيُّكُمْ شُرَكَاءِي قَالُوا ءَاذَنْكَ مَا مِتْنَا مِنْ شَهِيدٍ ﴿١٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿١٨﴾ لَا يَسْمُؤُا الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ
الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿١٩﴾ وَلَكِنْ أَدْقَنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ
مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا إِلَى وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي
عِنْدَهُ لِلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ
﴿٢٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ
عَرِيضٍ ﴿٢١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ
فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٢٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ
الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيبَةٍ مِنْ
لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّخِيطٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾: بالتصديق والتكذيب، كما اختلف
قومك في كتابك ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾: في تأخير العذاب وأجل مسمى،
﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾: عجل لهم العذاب، ﴿وَإِنَّهُمْ﴾: أى: المشركين ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾: من
القرآن ﴿مُرِيبٍ﴾: موقع لهم في الريبة أو أن اليهود لفى شك من التوراة ﴿مَنْ عَمِلَ

صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ^(١)»: فلا يعذب أحداً إلا بعد الاستحقاق. ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾: ما يعلمها إلا الله، ﴿وَمَا^(٢) تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ﴾، ما نافية ومن زائدة للاستغراق ﴿مِنْ أَكْمَامِهَا﴾، جمع كِم بالكسرة، وهو وعاء الثمرة، ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾: مقرونا بعلمه ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ^(٣)﴾ أى: اذكر يوم ينادى الله تعالى المشركين ﴿أَيْنَ شُرَكَائِي﴾ بزعمكم؟ ﴿قَالُوا أَذْنَاكُ﴾ أعلمناك ﴿مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ﴾: من أحد يشهد أن لك شريكاً إذ تبرعوا عنهم لما عاينوا الحال والسؤال توبيخ ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ﴾: من الأصنام، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: قبل القيامة فلا ينفعهم، ﴿وَوُظِّنُوا﴾: أيقنوا ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ﴾: مهرب، ﴿لَا يَسْأَمُ﴾: لا يمل، ﴿إِلَإِنْسَانٍ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ﴾: كالمال والصحة، ﴿وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾: كالفقر والمرض، ﴿فَيُئْسُ^(٤)﴾: من فضله، ﴿فَنُوطُ﴾: من رحمته، وما هذا إلا حال الكافر فإنه لا يئأس من روح الله إلا القوم الكافرون، ﴿وَلَكِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ﴾: بتفريجها عنه، ﴿لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾: حقى وصل إلى، أو لا يزول عني، ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَكِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي﴾: على فرض أن تقوم القيامة كما يزعمون ﴿إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾:

(١) ولما ذكر من عمل صالحاً ومن أساء كان فيه دلالة على الجزاء كأن سائلاً قال: متى

ذلك؟ فأجاب: "إليه يرد علم الساعة" الآية / ١٢ وحيز.

(٢) ثم ذكر سعة علمه، فقال: "وما تخرج" إلخ / ١٢ وحيز.

(٣) ولما ثبت بهذا علمه وقدرته وعجز من سواه وجهله، وأمر الساعة مقرر لا بد من كونه

ليتنصر المظلوم، وليتميز المسيء من المحسن ذكر شقاوة المسيء فقال: "ويوم يناديهم"

الآية / ١٢ وحيز.

(٤) واليأس صفة القلب، وهو أن يقطع رجاءه من الخير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس /

١٢ وحيز.

معدّلى عند الله الحالة الحسنى من النعمة يتمنى على الله تعالى مع إساءة عمله، وهو جواب القسم ساد مسد جواب الشرط ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: نخبرهم، ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾: بحقيقة أعمالهم فيعلموا أنها تستوجب ندامة لا كرامة ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ وَإِذَا أُنْعَمْنَا^(١) عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ﴾: نسى المنعم، ولم يأتمر بأوامره ﴿وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾: أذهب نفسه وتباعد عنه تكبرا، والجانب مجاز عن النفس ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾: كثير دائم لأنه إذا كان عرضه واسعا فما ظنك بطوله فإنه أطول الامتدادين استعير ما هو من صفة الأجرام للدعاء ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾: أخبروني، ﴿إِنْ كَانَ﴾: القرآن، ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِنْهُ هُوَ فِي شِقَاقٍ﴾: خلاف وعداوة ﴿بَعِيدٍ^(٢)﴾: عن الطريق المستقيم، أى: من أضل منكم؟ فوضع موضعه، ليكون تعليلاً لكمال الضلال، وهو فى موقع مفعولى أخبروني على طريق التعليق،

(١) ولما حكى الله تعالى أقوال الذى أنعم عليه بعد وقوعه فى الآفات حكى أفعاله أيضاً فقال: "وَإِذَا أُنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ" من التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله، ونأى بجانبه أى: ذهب بنفسه وتكبر وتعظم، ثم إن مسه الضر والفقر أقبل على دوام الدعاء وأخذ فى الابتهاال والتضرع ١٢/ كبير.

(٢) وتقرير هذا الكلام أنكم كلما سمعتم هذا القرآن أعرضتم عنه وما تأملتم فيه وبالغتم فى النفرة عنه، حتى قلتم: قلوبنا فى أكنة مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقصر، ثم من المعلوم بالضرورة أنه ليس العلم بكون القرآن باطلا علما بديهيا وليس العلم بفساد القول بالتوحيد والنبوة علما بديهيا فقبل الدليل يحتمل أن يكون صحيحا، وأن يكون فاسدا فبتقدير أن يكون صحيحا كان إصراركم على دفعه من أعظم موجبات العقاب، فهذا الطريق يوجب عليكم أن تتركوا هذه النفرة وأن ترجعوا إلى النظر والاستدلال؛ فإن دل دليل على صحته قبلتموه، وإن دل على فساده تركتموه. فأما قبل الدليل فالإصرار على الدفع والإعراض بعيد عن العقل ١٢/ كبير.

﴿سُنُرِيهِمْ آيَاتِنَا﴾: الدالة على حقية القرآن، ﴿فِي الْآفَاقِ﴾: كوقائع لا تتعلق بخاصتهم، مثل ظهور الإسلام على الأقاليم وسائر الأديان ﴿وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾: كالوقائع التي حلت بهم، كوقعة بدر وفتح مكة ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ﴾: القرآن، ﴿الْحَقُّ﴾: المتزل من عند الله تعالى أو معناه سنريهم آياتنا في الآفاق، كالشمس والقمر وغيرهما، وفي أنفسهم من عجائب الصنع المركب منها الإنسان حتى يتبين أن الله هو الحق وكل شيء سواه باطل، زائل لا يستحق الألوهية ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ﴾ أي: أليس الأمر كذلك؟ ولم يكف ﴿بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: ألم يكف شهادته على كل شيء؟ وهو يشهد على صدق محمد فيما أخبر به عنه أو ألم يكف في حقية الله تعالى اطلاعه على جميع الأشياء؟ فبربك فاعل كفى، وما بعده بدل منه قيل: أو لم يكفك ربك؟ فإنه عالم بكل شيء فيعلم حالك ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ﴾: شك ﴿مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾: بالبعث، ﴿أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾: الكل تحت علمه وقدرته بإقامة الساعة يسير عليه.

والحمد لله رب العالمين.

سورة حم عسق وتسمى سورة الشورى مكية

وهي ثلاث وخمسون آية وخمس ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حَمْدٌ ۝ عَسَقٌ ۝﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ
السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفَّورُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ
أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَبَّ فِيهِ
فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ
يُتَخَلَّفُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ أَمْ
اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝﴾

﴿حم عسق﴾^(١) قيل: فصل بينهما ليطابق سائر الحواميم ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ
وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أي: مثل ما في هذه من المعاني أوحى

(١) وقد أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، ونعيم بن حماد والخطيب عن [كذا في الأصل، عن
ابن المنذر، وكذا في الدر المنثور للسيوطي (٦٩٢/٥)، وهو أرطاة بن المنذر كما في
تفسير الحافظ ابن كثير (١٠٥/٤)]. ابن المنذر حديثاً طويلاً في تفسير حم عسق، وهو

الله تعالى إليك، وإلى من قبلك من الرسل. قال ابن عباس رضى الله عنهما: ليس من رسول إلا وقد أوحى إليه حم عسق، فعلى هذا "كذلك" إشارة إليه، وذكر المضارع للاستمرار وبيان العادة، وكذلك في موقع المصدر أو المفعول به، ومن قرأ "يوحى" بصيغة المجهول، فالله مرفوع بمحذوف كأن قائلاً قال: من يوحى فقال: الله ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾^(١) الْعَظِيمُ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾: يتشققن من عظمته، أو من قولهم: "اتخذ الرحمن ولداً" (يونس: ٦٨، مريم: ٨٨، الأنبياء: ٢٦) ﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾^(٢) أى: يتبدى الانفطار من جهتهن الفوقانية، فإن أعظم آياته الدالة على جلاله، وهى العرش والكرسى وغيرهما من تلك الجهة ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾: من المؤمنين،

= حديث لا يصح ولا يثبت وما أظنه إلا من الموضوعات المكذوبات، والحامل لواضعه عليه ما يقع لكثير من الناس من عداوة الدول، والخط من شأنهم، والإضرار عليهم. وكذا ما أخرجه أبو يعلى وابن عساكر عن أبي معاوية قال السيوطى: بسند ضعيف عجيب وقلت: بسند موضوع، ومتن مكذوب، وقد قال ابن كثير فى الحديث الأول: أنه غريب عجيب منكر [كذا فى الأصل، ووصفه ابن كثير كما فى الموضوع السابق بأنه أثر غريب عجيب منكر]، وفى الثانى: إنه أغرب من الأول، وعندى إنيهما موضوعان مكذوبان، وذكر هذا كله صاحب الفتح، وما أظنه إلا من كلام الشوكانى لكنه ما عزاه إليه.

(١) فى ذاته وصفاته / ١٢ وجيز.

(٢) فى الدر المنثور أخرج ابن جرير عن الضحاك "يتفطرن من فوقهن"، يقول: يتصدعن من عظمة الله. وأخرج عبد بن حميد، وابن أبى حاتم وأبو الشيخ فى العظمة عن ابن عباس "تكاد السموات يتفطرن من فوقهن"، قال: من فوقهن، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر، وأبو الشيخ والحاكم وصححه، عن ابن عباس "تكاد السموات يتفطرن من فوقهن"، قال: من الثقل، انتهى. وفى الفتح، ويدل على هذا المعنى مجيئه بعد قوله: "العالى العظيم" / ١٢.

كما قال تعالى: "وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا" (غافر: ٧)، وقيل: الاستغفار طلب هدايتهم التي هي موجب الغفران، فيعم الكافر ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ شركاء ﴿اللَّهُ حَفِيزٌ عَلَيْهِمْ﴾: رقيب على أعمالهم، يحصيها ويجزئهم ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِمْ بَوَكِيلٍ﴾: بموكل بهم، "إنما أنت نذير" (هود: ١٢) ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أى: مثل ذلك الإيحاء البين ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا﴾ مفعول أوحينا ﴿عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾: مكة، أى: أهلها ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ قرى الأرض كلها، أو المراد العرب، وترك المفعول الثانى لقصد العموم أى: بأنواع الإنذار ﴿وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ﴾ يقال: أنذرته النار وبالنار. وترك المفعول الأول للعموم أيضاً، أى: لتنذر كل أحد عن هول يوم القيامة، الذى يجمع فيه الأولون والآخرون ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ اعتراض لا محل له ^(١) ﴿فَرِيقٌ﴾ أى: منهم فريق يعنى مشارفين للتفريق، والضمير للمجموعين الدال عليه يوم الجمع ﴿فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ والجملة حال من مفعول الجمع، ولذلك قدرنا الجار والمجرور مقدماً؛ لأنه إذا كانت الجملة الاسمية حلالاً بغير واو، ولم يكن فيما صدرته الجملة ضمير إلى ذى الحال، لكان ضعيفاً ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ^(٢): على دين واحد ﴿وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ بالهداية ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾: يدفع عنهم العذاب وينصرهم، وتغيير المقابلة للمبالغة فى الوعيد، وتكثير الفائدة ﴿أَمْ اتَّخَذُوا﴾ بل اتخذوا

(١) من الإعراب / ١٢ منه.

(٢) قال الشوكاني: وهاتنا مخصصات بين المت مذهبين المتحامين على ما درج عليه أسلافهم، فذبوا عليه من بعدهم، وليس بنا إلى ذكر شيء من ذلك فائدة، كما هو عادتنا فى تفسيرنا هذا، فهو تفسير سلفى يمشى مع الحق، ويدور مع مدلولات النظم الشريف، وإنما يعرف ذلك من رسخ قدمه، وتبرأ من التعصب قلبه ولحمه ودمه / ١٢ فتح.

الهمزة للإنكار ﴿مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ﴾ أى: إن أرادوا ولياً، فالله هو الولي
 بالحق عن ابن عباس -رضى الله عنهما- فالله هو وليك، وولي من تبعك ﴿وَهُوَ يُحْيِي
 الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَالِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ
 وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن
 الأنعام أزواجاً يذروكم فيه ليس كمثلهم شئٌ وهو السميع البصير ﴿لَهُ
 مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
 ﴿ۙ﴾﴾ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا
 به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على
 المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب
 ﴿ۙ﴾ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت
 من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم
 لفي شك منه مريب ﴿ۙ﴾ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع
 أهواءهم وقل ءأمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا
 وربكم لنا أعملنا ولكم أعملكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا
 وإليه المصير ﴿ۙ﴾ والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب لهم
 حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ﴿ۙ﴾ الله الذى
 أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يذكرك لعل الساعة قريب ﴿ۙ﴾ يستعجل بها
 الذين لا يؤمنون بها والذين ءامنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق

أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٥٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ
يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٥٩﴾

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ لإرادة العموم أتى هذا البيان ﴿فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾
هذا كقوله: "وإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول" (النساء: ٥٩). وهذا حكاية
لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على طريقة التعليم لقوله: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي
عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾: أرجع ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خير آخر لذلكم،
أو مبتدأ خبره قوله: ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أى: من جنسكم ^(١) ﴿أَزْوَاجًا﴾:
نساء ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾: وخلق للأنعام من جنسها أزواجًا، أو خلق لكم من
الأنعام أصنافًا ﴿يَذَرُوكُمْ فِيهِ﴾: يكثركم في ذلك الطريق والتدبير، وهو جعلكم
أزواجًا يكون سببًا للتوالد ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: قولنا: ليس كذاته ^(٢)، وليس كمثله،

(١) أو خلق حواء من ضلع آدم / ١٢ منه.

(٢) الأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسوله نفيًا
وإثباتًا، ففي "ليس كمثله شيء" رد التشبيه، وفي قوله: "وهو السميع البصير" رد للإلحاد
والتعطيل. قال الحافظ العلامة ابن القيم، في كتابه حادى الأرواح، في باب الرؤية: هذه
الآية يعنى قوله: "ليس كمثله شيء" من أعظم الأدلة الدالة على كثرة صفات كماله
ونعوت جلاله، فإنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها، وهكذا جميع
العقلاء إنما يفهمون من قول القائل: فلان لا مثل له وليس له نظير ولا شبيه، أنه قد تميز
عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها، وكلما كثرت أوصافه ونعوته فاق
أمثاله، وبعد عن مشابحة أضرابه، فكيف بالحقى القيوم الذى لا مثل له في ذاته وصفاته؟!
فقوله: "ليس كمثله شيء" من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته. انتهى. وأيضًا قال:
في إغاثة اللهفان بعد البيان الطويل:، قوله تعالى: "ليس كمثله شيء وهو السميع
البصير" إنما قصد به نفي أن يكون معه شريك أو معبود يستحق العبادة والتعظيم، ولم

عبارتان عن معنى واحد إلا أن الأولى صريحة والثانية: كناية مشتملة على مبالغة، وهى أن المماثلة منفية ممن يكون مثله وعلى صفته، فكيف عن نفسه. وهذا لا يستلزم وجود المثل، وقيل: الكاف أو المثل: صلة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَهُ مَقَالِيدُ﴾: مفاتيح، أو خزائن ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾: ويضيق ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(١) شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَي: أظهر وسنّ لكم من الدين، دين نوح وهو أول^(٢) أنبياء الشريعة، ومحمد وهو آخرهم، ومن بينهما من أولى العزم ﴿أَنْ أَقِيمُوا

= يقصد به نفى صفات كماله وعلوه على خلقه، وتكلمه بكتبه وتكليمه لرسله، ورؤية المؤمنين له جهرة بأبصارهم، كما يرى الشمس والقمر فى الصحو، فإنه سبحانه إنما ذكر هذا فى سياق رده على المشركين الذين اتخذوا من دونه أولياء، فقال: "والذين اتخذوا من دونه أولياء" ثم ساق الآيات إلى قوله: "ليس كمثله شىء وهو السميع البصير"، ثم قال: فانظر وتأمل كيف ذكر هذا النفى تقريراً للتوحيد وإبطالاً لما عليه أهل الشرك من تشبيه آلهتهم وأوليائهم به حتى عبدوهم، فحرفها المحرفون وجعلوها ترساً لهم فى نفى صفات كماله، وحقائق أسمائه وأفعاله انتهى. ومن أراد زيادة التفصيل فليرجع إلى حاشية هذا الكتاب/ ١٢.

(١) فإنه إذا علم أن الغنى صلاح لعبده أغناه وإلا أفقره، ولما هدد ووبخ فى شأن من اتخذ من دونه أولياء، أعقبه بأن التوحيد شرع جميع الرسل فقال: "شرع لكم" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) وقد ثبت فى الحديث الصحيح أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال فى حديث الشفاعة المشهور الكبير: "ولكن اتنوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض" [جزء من حديث الشفاعة الطويل، أخرجاه فى الصحيحين]، وهذا صحيح لا إشكال فيه، كما أن آدم أول رسول نبى بغير إشكال إلا أن آدم لم يكن معه إلا نبوة ولم تفرض الفرائض، ولا شرعت له المحارم، إنما كان شرعه تنبيهه على بعض الأمور، واقتصاراً على =

الدِّينَ» بدل من مفعول شرع، أو "أن" مفسرة بمعنى: أى «وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ» المراد إقامة دين الإسلام وعدم الاختلاف فيه، أى: فى التوحيد والطاعة ونحو ذلك من الأصول، لا الشرائع العملية المختلفة باختلاف مصالح الأمم «كَبُرَ»: عظم وشق «عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ» من ترك الشرك «اللَّهُ يَجْتَبِي»: يصطفى «إِلَيْهِ»: إلى الله «مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ»: من يُقْبِلُ إِلَيْهِ، وقيل: يجتئى من جئ الخراج أى: جمعه؛ لأن الكلام فى عدم التفرق يناسب الجمع والانتهاء إليه، وضمير إليه للدين «وَمَا تَفَرَّقُوا» أهل الأديان، أو أهل الكتاب «إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ» بأن الفرقة ضلالة، أو المراد من العلم الكتب السماوية «بَغْيًا»: لعداوة وعناد «بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ»: بالإمهال «إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى»: يوم القيامة، أو آخر أعمارهم «لَقَضَى بَيْنَهُمْ» بأن جزيناهم بما يستحقون فى أسرع وقت «وَأَنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ» إنجيل المتأخر بعد القرون الأولى «لَفِي شَكٍّ مِنْهُ»: من دينهم أو من القرآن «مُرِيبٌ»: مدخل فى الريبة «فَلِذَلِكَ» أى: إلى ما أوحينا إليك وإلى غيرك «فَادْعُ» الناس. يقال: دعوت له وإليه، وقيل: لأجل ذلك التفرق ادع الناس إلى الاتفاق على دين الإسلام «وَأَسْتَقِمُّ» على عبادة الله تعالى «كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ» لا كمن آمن ببعض، وكفر ببعض «وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ»: لأن أعدل فى الحكم «بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا

= ضرورات المعاش، وأخذًا بوظائف الحياة والبقاء واستمر إلى نوح، فبعثه الله بتحريم الأمهات والبنات والأخوات ووظف عليه الواجبات وأوضح له الآداب والديانات، ولم يزل ذلك يتأكد بالرسل ويتناصر بالأنبياء عليهم السلام واحدًا بعد واحد وشرعية إثر شرعية، حتى ختمها بخير الملل ملتنا على لسان أكرم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم/ ١٢ فتح.

وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ وكل يجازى بعمله ﴿لَا حُجَّةَ﴾: لا خصومة
﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ وهذا قبل نزول آية السيف فإن السورة مكية. وقيل: لا إيراد حجة
بيننا، فإنه قد ظهر الحق ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾: يوم المعاد ﴿وَأَلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ فيفصل بيننا
﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ﴾: يجادلون ﴿فِي اللَّهِ﴾: في دينه ﴿مَنْ بَعْدَ مَا اسْتَجِيبَ لَهُ﴾ أى:
بعد ما استجاب الناس لله تعالى ودخلوا الإسلام، وقيل: بعد ما استجاب الله تعالى
لرسوله بإظهار دينه، وقيل: بعد ما استجاب أهل الكتاب له وأقروا بنبوته ﴿حُجَّتْهُمْ
دَاحِضَةٌ﴾: باطلة زائلة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ الله الذى
أَنْزَلَ الْكِتَابَ ﴿جَنَسَهُ﴾ ﴿بِالْحَقِّ﴾ متلبساً بعيداً من الباطل ﴿وَالْمِيزَانَ﴾: العدل وهو
شرعه، أو إنزال العدل عبارة عن الأمر به، أو المراد إنزال الميزان على الحقيقة، كما
سندكره فى سورة الحديد من أنه نزل إلى نوح وأمر أن يوزن به ﴿وَمَا يُذْرِيكَ لَعَلَّ
السَّاعَةَ﴾: التى هى يوم الجزاء، ووضع الميزان والعدل ﴿قَرِيبٌ﴾ فواظب على العدل،
وتذكير قريب، لأن الساعة بمعنى البعث، أو لأن تقديره: لعل مجيء الساعة ﴿يَسْتَفْجِلُ
بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾: استهزاء ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾: خائفون ﴿مِنْهَا
وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾: الكائن البتة فيستعدون لها ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ﴾: يجادلون
﴿فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن طريق الصواب ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾: بار بالبر
والفاجر ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ أى: يرزق من يشاء ما يشاء على مقتضى حكمته ﴿وَهُوَ
الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾: القادر المطلق الذى لا يغلب.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ
الْدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٦١﴾﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ
مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ
لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِّمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ

ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدَ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿١٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ * وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُّنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِّن بَعْدٍ مَّا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٨﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرَثَ الْآخِرَةِ﴾ أى: زرعها. سُمى عمله زرع الآخرة؛ لأن الفائدة تحصل فيها، كما يقال: زرع الصيف ﴿نَزِدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ بتضعيف ثوابه ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرَثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾: شيئاً منها بقدر ما قسمنا له ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَّصِيبٍ﴾^(١) نصيب من عمله، إذ لكل امرئ ما نوى ﴿أَمْ

(١) ولما قرأ أن الله شرع لكم من الدين ما وصى به النبيون، فهو شرع الله وشرع أهل الهدى، فمن له طريق وشرع غير شرعهم، فما هو إلا من الأصنام والشياطين فقال: "أم لهم شركاء" الآية/ ١٢ وحيز.

لَهُمْ شُرَكَاءُ^(١): بل ألهم آلهة وهم الشياطين، والهمزة للتحقيق والتثبيت ﴿شَرَعُوا﴾: أظهروا ﴿لَهُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ غير دين الإسلام ﴿مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ^(٢) اللَّهُ﴾ وهذا إضراب عن قوله: "شرع لكم من الدين" (الشورى: ١٣) إلخ ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾: القضلة السابق بتأجيل العذاب إلى القيامة ﴿لَقَضَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ بين المؤمنين والكافرين في الدنيا ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ في القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾: من وباله ﴿وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ لا محالة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ^(٣)﴾ في رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ: أحسن بقاعها ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ ظرف لـ "لَهُمْ" أى: حصل لهم عنده وفي كرمه، أو حال ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ذَلِكَ﴾ الثواب ﴿الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ﴾ أى: به، حذف الجار ثم العائد ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾: على التبليغ ﴿أَجْرًا^(٤)﴾:

(١) والآية بعمومها تشمل كل شيء لم يأمر به الله سبحانه أو رسوله، فيدخل فيه التقليد لأنه مما لم يأذن به الله، بل ذمه في كتابه في غير موضع ولم يأذن به رسوله، ولا إمام من أئمة الدين ولا أحد من سلف الأمة وسادتها وقادتها، بل نهى عنه المجتهدون الأربعة، ومن كان بعدهم من أهل الحق بترك الإيمان وأتباع سنته المطهرة، وإنما أحدثه من أحدث من الجهال والعوام بعد القرون المشهود لها بالخير، فرحم الله امرءاً سمع الحق فاتبعه وسمع الباطل فتركه وأدمغه، وبالله التوفيق/ ١٢ فتح.

(٢) اعلم أن الله تعالى لما بين القانون الأعظم والقسطاس الأقوم في أعمال الآخرة والدنيا، أرفده بالتنبيه على ما هو الأصل في باب الضلالة والشقاوة فقال: "أم لهم شركاء" الآية/ ١٢ كبير.

(٣) ولما كانت العادة جارية بأن المبشر يطلب شيئاً وإن لم يسأل، لأن بشارته بمترلة سؤاله قال: "قل لا أسألكم عليه أجراً" الآية/ ١٢ وحيز.

(٤) قيل: جمع قريش مالا، وأرادوا أن يرشوه على أن يمسك من سب آهتهم، فترلت/ ١٢ وحيز.

نفعاً منكم **﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾**: إلا أن تحبوني في حق قرابتي منكم ومن أجلها، أو إلا أن تحبوا أهل قرابتي وتجعلوهم مكان المودة، فالظرف حال، وعن الإمام أحمد قال عليه الصلاة والسلام للعباس: "لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى يحبكم الله ولقرابتي" (*)، أو إلا أن تحبوا الله في تقريبكم إليه بطاعته **﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ﴾**: يكتسب **﴿حَسَنَةً طَاعَةً تَنْزِدُ لَهُ فِيهَا﴾**: في الحسنة **﴿حُسْنًا﴾** بأن نضاعف أجرها **﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾** يقبل الطاعة وإن قللت **﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾** بل يقولون: إضراب آخر أشد من قوله: "أم لهم شركاء" (١) إلخ **﴿افْتَرَى﴾** محمد **﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ﴾** أي: خذلانك اللازم للافتراء **﴿يَخْتِمُ عَلَى قَلْبِكَ﴾** فلا تعي القرآن ولا تفهم الوحي، ويسلبك ما أتاك من الله تعالى، أو فتجترئ على الافتراء (٢) عليه، وهذا رد واستبعاد لافتراءه على الله تعالى. وعن مجاهد: يربط على قلبك بالصبر فلا يشق عليك أذاهم **﴿وَيَمْنَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾** كلام ابتدائي عطف جملة على جملة لا على الجزاء، ولهذا أعاد اسم الله تعالى، ورفع يحق وحذف الواو من يمحو في اللفظ لالتقاء الساكنين، وفي الخط في بعض المصاحف على خلاف القياس كما في "ويدع الإنسان" (الإسراء: ١١) وهذا عدة يمحو الباطل الذي هم عليه، وإثبات الحق الذي عليه المؤمنون بحججه أو بالقرآن أو بقضائه، وقيل: حاصله أن من عادته محو الباطل وإثبات الحق، فلو كان مفترئاً لحقه وأثبت الحق **﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** فيعلم ضميرك

(*) أخرجه أحمد (٢٠٨/١) وغيره، وصحح إسناده الشيخ شاكر في تعليقه على المسند.

(١) كأنه قال: شرع الله لهم ديناً كذا أو كذا ثم قال: بل لهم دين شرع لهم شياطينهم، بل هم في الكفر أشد، لأنهم ينسبون نبينا وكلامنا إلى الافتراء، ثم الافتراء على الله/ ١٢ وحيز.

(٢) لكن الله قد شرح صدرك وأنار قلبك، فحاشاك عن الافتراء على الله/ ١٢ وحيز.

وضميرهم، فيجزي الأمر على حسب ذلك ﴿وَهُوَ﴾^(١) الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ: بالعفو عما تاب عنه، وعدم المؤاخذه به ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ من شأنه قبول التوبة والعفو عن الذنوب، والظاهر من لفظ العفو وعطفه على يقبل التوبة، أن هذا في غير التائب ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ فيثبت ويعاقب ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أى: يجيب الله تعالى دعاءهم ويثيبهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ عما استحقوا، وفي الحديث في تفسير "ويزيدهم" قال عليه الصلاة والسلام: "الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع إليهم المعروف في الدنيا"^(*). وعن بعض السلف في قوله: "ويستجيب الذين آمنوا"، قال: يشفعون في إخوانهم وفي قوله: "ويزيدهم من فضله" قال: يشفعون في إخوان إخوانهم ﴿وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَلَوْ بَسَطَ﴾^(٢) اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ ﴿بأن أغناهم جميعاً ووفر الدنيا لكل﴾ ﴿لَبَعُوا﴾: أفسدوا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بطرا أى: ولم ييسط لئلا يعم البغى ولا يغلب الفساد على الصلاح ﴿وَلَكِنْ يُنْزَلُ بِقَدَرِ مَا يَشَاءُ﴾ أى: يتزل ما يشاء من أرزاقهم بتقدير وتعيين، وفي الحديث "إن من عبادى من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه، وإن منهم من لا يصلحه إلا الفقر

(١) وفي المعالم عن ابن عباس -رضى الله عنه- لما نزل "إلا المودة في القربى" وقع في بعض القلوب منها شيء، وقالوا: يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده، فجاء جبريل وأخبره بأنهم أتهموك، وأنزل "أم يقولون افترى على الله" الآية فاعتذروا، وقالوا: يا نبي الله إنا نشهد بصدقك فتزل "وهو الذى يقبل التوبة عن عباده" الآية ١٢/ وجيز.

(*) ضعيف، أخرجه ابن أبي عاصم في السنة وغيره.

(٢) لما قال الله: "يسط الرزق لمن يشاء ويقدر"، وقال الله تعالى: "لطيف بعباده يرزق من يشاء"، كان للواهم أن يقول: كمال البسط واللفظ أن يوفر الدنيا لكل من عباده فقال "ولو بسط الله الرزق" الآية ١٢ وجيز.

ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه (***) ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ فيقدر لهم ما يناسبهم ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾: المطر، قيل: هو المطر النافع ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾: أيسوا منه ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾: ييسط منافع الغيث، أو ينشر سائر رحمته ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾: المتصرف للأمر ﴿الْحَمِيدُ﴾: المستحق للحمد ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: أى: نشر، وما موصولة عطف على السماوات ﴿فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾: من حي، ذكر اللزوم وأراد اللازم، أو فى السماء دواب من مراكب أهل الجنة وغيرها، وقيل: فيهما، أى: فى بينهما مما يدب على الأرض ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ﴾: للحرش ﴿إِذَا يَشَاءُ﴾ أى وقت شاء ﴿قَدِيرٌ﴾.

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ ٢٠ ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ٢١ ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ ٢٢ ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ٢٣ ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ ٢٤ ﴿وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ ٢٥ ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ ٢٦ ﴿وَالَّذِينَ يَحْتَبِبُونَ كِبِيرَ الْأَثَمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ ٢٧ ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ

(**) جزء من حديث طويل أخرجه ابن أبى الدنيا فى كتاب الأولياء والحكيم السترمذى فى نوارد الأصول وابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية وابن عساكر فى تاريخه عن أنس مرفوعا، كما فى الدر المنثور (٥/٧٠٤، ٧٠٥)، وهو ضعيف كما فى الحلية (٨/٣١٩).

شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَنِ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّن سَبِيلٍ ﴿٣١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٣٣﴾

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ من الجرائم فأنتم السبب، والفاء لتضمين "ما" معنى الشرط، ومن قرأ بغير الفاء فمن غير تضمين ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ فلا يعاقبكم لا في الدنيا ولا في الآخرة بها "ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا" (فاطر: ٤٥) وعن ^(١) على -رضى الله عنه- قال: ألا أخبركم بأفضل آية حدثنا بها رسول الله -صلى الله عليه وسلم؟ "ما أصابكم من مصيبة" الآية قال: وسأفسرها لك يا على ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا، فيما كسبت أيديكم والله أحلم من أن يثني عليهم العقوبة في الآخرة، وما عفى الله عنه في الدنيا فالله أكرم من أن يعود بعد عفوهِ ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ فيصل إليكم لا محالة ما قدر الله تعالى لكم ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فإنه هو المتولى والناصر وحده ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ^(٢)﴾ السفن ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ أى: السفن كالجبال في

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده / ١٢ وحيز. [أخرجه أحمد (٨٥/١)، وفي سنده ضعيف ومجهولان، وضعفه الهيئى في "المجمع"، (١٠٣/٧، ١٠٤)، ومع ذلك حسنه الشيخ شاكر في تعليقه على المسند.]

(٢) قال صاحب البحر: أصله السفن الجوارى، حذف الموصوف وقامت صفته مقامه / ١٢ وحيز.

العِظَم، والظرف متعلق بما يتعلق به "من آياته" وكالأعلام حال من ضميره ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ﴾: يصرن ﴿رَوَاكِدَ﴾: ثوابت ﴿عَلَى ظَهْرِهِ﴾ أى: ظهر البحر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾: لكل مؤمن سافر البحر ورأى عجائبه، فإنه صبر على شدائد البحر وشكر عند الخلاص، والكافر يجزع فلا يشكر ﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا﴾: يهلك أهلهن بالغرق بسبب ذنوبهم، عطف على يسكن الريح ﴿وَيَعْفُ﴾^(١) عَنْ كَثِيرٍ تقديره: أو إن يشأ يعصف الريح، فيوبق بعضاً من أهلهن، وينج بعضاً على العفو عنهم ﴿وَيَعْلَمُ﴾^(٢) الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا لِإِبْطَالِهَا ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِصٍ﴾: مهرب من عذابه المقدر، ومن قرأ بنصب "يعلم" فعنده عطف على تعليل محذوف، أى: يوبقهن لينتقم منهم ويعلم ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّاعُ الْحَيَاةِ

(١) يعنى: إنه تعالى إن شاء ابتلى المسافرين في البحر بإحدى بليتين، إما سكون الريح فلا تجرى السفن ولا يصل أهلها إلى مقاصدهم، وما ذلك إن طال إلا من عظام أهوال البحر، لا يعرفه إلا من وقع فيه، أو يهلكهن بعصف الريح، أو بغير ذلك من أسباب إغراق السفن بشؤم ذنوبهم، وإن يشأ يعف عن كثير فلا يسكن ريحهم ولا يهلكون، بل تهب رياحهم فيصلون بالسلامة إلى مقاصدهم، وتلطفنا عليهم بالعفو عن جرائمهم وعلى هذا "أو يوبقهن" عطف على يسكن الريح لأن التقدير: إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها / ١٢ وحيز.

(٢) معنى الآية: وليعلم الذين ينازعون على وجه التكذيب، ألا مخلص لهم إذا وقفت السفن وإذا عصفت الرياح، فيصير ذلك سبباً لاعترافهم بأن الإله النافع الضار ليس إلا الله واعلم أنه تعالى لما ذكر دلائل التوحيد أردفها بالتنفير عن الدنيا وتحقير شأنها؛ لأن الذي يمنع من قبول الدليل إنما هو الرغبة في الدنيا بسبب الرياسة وطلب الجاه، فإذا أصغرت الدنيا في عين الرجل لم يلتفت إليها فحينئذ ينتفع بذكر الدلائل، فقال: "فما أُوتِيتُمْ مَوْ شَيْءَ" الآية / ١٢ كبير.

الدُّنْيَا» لا يبقى بعد الموت «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ» من الثواب «خَيْرٌ وَأَبْقَى» لما كانت سببية كون الشيء عند الله تعالى لخيريته أمراً مقررّاً في العقول، غنياً عن الدلالة عليه بحرف موضوع له، بخلاف سببية كون الشيء عندكم لقلته وحقارته أتى بالفاء في الأول دون الثاني «لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» قيل: نزلت في أبي بكر (١) - رضي الله عنه - حين تصدق بجميع ماله ولامه الناس «وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ» عطف على اللذين، والأصح أن الكبائر: كل ما ورد فيه وعيد شديد في الكتاب والسنة «وَأَلْفَوْا حِشّاً»: تزايد قبحه، أو ما يتعلق بالفروج، تخصيص بعد تعميم «وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ» سحبتهم الصفح لا الانتقام «وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ»: أحابوه حين دعاهم إلى الطاعة بلسان رسوله - عليه الصلاة والسلام «وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ»: ذو شورى، لا يرمون أمراً حتى يتشاوروا فيه «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ»: الظلم «هُمْ يَتَصَرُّونَ» يعني: يعفون في محل العفو، ويتقمون في محل الانتقام، ليسوا أذلة عاجزين «وَجَزَاءُ» (٢) سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» عقب وصف الانتقام بهذا إشارة إلى منع التعدي، وسمى الثانية سيئة لالازدواج «فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ» بينه وبين عدوه «فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ» أهم الجزاء للتعظيم «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ»: الذين يبدعون بالظلم «وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ» من إضافة المصدر إلى المفعول، أى: بعد ظلم الظالم إياه «فَأُولَئِكَ» إشارة إلى معنى "من" «مَا

(١) كما روى عن علي / ١٢ وحيز.

(٢) لما قال: "والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون" أردفه بما يدل على أن ذلك الانتصار

يجب أن يكون مقيداً بالمثل، فإن النقصان حيف والزيادة ظلم والتساوى هو العدل، وبه

قامت السماوات والأرض، فلهذا السبب قال: "وجزاء سيئة سيئة مثلها" الآية / ١٢

كبير.

عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿بِعَقُوبَةٍ وَمُؤَاخَذَةٍ﴾ ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ﴾ أَى: مَا السَّبِيلُ بِالْمَعَاقِبَةِ إِلَّا
 ﴿عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ لَا عَلَى مَنْ يَنْتَصِرُ ﴿وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
 أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ عَلَى الْأَذَى ﴿وَغَفَرَ﴾ وَلَمْ يَنْتَصِرْ ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾
 إشارة إلى صبره، لَا إِلَى مطلق الصبر، فلا يحتاج إلى تقدير ضمير ﴿لَمَنْ عَزَمَ الْأُمُورَ﴾:
 لمن الأمور المشكورة، والأفعال الحميدة.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ
 يَقُولُوتَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ﴿١١﴾ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنْ
 الدُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا
 أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ ﴿١٢﴾ وَمَا كَانَ
 لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ﴿١٣﴾
 أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ
 يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ ﴿١٤﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ
 عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَحَرَّحَ بِهَا وَإِنْ تَصَبَّهُمْ سَيِّئَةٌ
 بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ ﴿١٥﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ
 مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ ﴿١٦﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ
 ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ ﴿١٧﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ
 يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا
 يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾ ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ
 تَدْرِى مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ

عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٧﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿١٢٨﴾

﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ﴾: من ناصر يتولاه ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾: من بعد إضلال
الله إياه ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ﴾ في القيامة ﴿يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ
سَبِيلٍ﴾: هل طريق إلى رجعة إلى الدنيا؟! ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾: على النار
﴿خَاشِعِينَ﴾: خاضعين ﴿مِنَ الذِّلِّ﴾: مما يلحقهم من الذل ﴿يَنْظُرُونَ﴾: إلى النار ^(١)
﴿مِنْ طَرَفٍ خَفِيٍّ﴾: مسارقة فإن الكاره لشيء، لا يقدر أن يفتح أحفانه عليه ﴿وَقَالَ
الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالضلال ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾
بالإضلال، وقيل: خسروا أهليهم بأن فرقوا بين أنفسهم وبينهم، لأنهم في النار وأهليهم
في الجنة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ظرف لخسروا، وقال: على التنازع. وهذا القول من المؤمنين
حين رأوا أن العذاب أحاط بهم، والماضي ^(٢) من باب ونادى أصحاب
الأعراف [الأعراف: ٤٨]، أو هذا القول منهم في الدنيا ^(٣) ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ
مُقِيمٍ﴾ تصديق من الله تعالى أو تنمة كلامهم ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ إلى الهداية والجنة ﴿اسْتَجِيبُوا
لِرَبِّكُمْ﴾ أى: أجبوا أمره وداعيه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدٍّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾
من متعلق بمتعلق له لا ^(٤) بمرد أى: لا يرده الله تعالى بعد ما حكم به، وقيل: متعلق بياى

(١) دل عليها لفظ العذاب / ١٢ منه.

(٢) أى: قال والمناسب المضارع / ١٢ منه. [غير أنه عدل إلى الماضي لتحقيق وقوعه]

(٣) فلا يكون من قبيل التنازع بل الظرف لـ "خسروا" وحده / ١٢ منه.

(٤) لأنه لو كان متعلقا بمرد معمولا له، لما صح بناؤه على الفتح، لكونه مشابها للمضاف
فلا تغتر بظاهر عبارة الكشف / ١٢ منه.

﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾: إنكار لأعمالكم^(١)، وجاز أن يراد إنكار لوعد الله تعالى ووعيده ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإجابة ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾: رقيبًا تحفظ أعمالهم ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾^(٢) وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ أَي: جنسه ﴿مِثْرًا رَحْمَةً﴾ كصحة وغنى ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ فأشرب واطر ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيَدِيَهُمْ﴾ بسبب قبائحهم ﴿فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾: بليغ الكفران ينسى النعمة رأساً ويقنط، علق الحكم بصريح اسم^(٣) الجنس دون الضمير العائد إلى مثله، تسجيلاً على أن هذا الجنس موسوم بالكفران ﴿لِلَّهِ﴾^(٤) مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^(٥) فيقسم

(١) فإنهم في هذا اليوم مقرون بقبائح أعمالهم / ١٢ منه.

(٢) والآية تسلية وتأنيس لقلب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولما ضمن هذه الآية ما أرسله له، أتبعه ما جيل عليه الإنسان؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم - لا حكم له على الطباع، وأن الذي عليه الإسماع لا السماع، وبين السبب وإصرارهم على مذاهبهم الباطلة، وذلك أنهم وجدوا في الدنيا الفوز بالمطالب، ومطالب الدنيا يفيد الغرور والفجور والتكبر وعدم الانقياد للحق. فقال: "وإنا إذا أذقنا الإنسان" الآية / ١٢ كبير مع الوجيز.

(٣) أى: قال: إن الإنسان ولم يقل: أنه / ١٢ منه.

(٤) ولما فصل من أول السورة أن التصرف والقدرة الكاملة لله وحده، وأن الإنسان من جملة الخلق وكل ما وصل إليهم من الرحمة فما هي إلا من فضلنا، وما وصل إليهم من سيئة فمن شؤم أنفسهم، بين أنهم مجبورون في أصل وجودهم وخلقتهم قال: "لله ملك السموات والأرض" الآية / ١٢ وجيز.

(٥) والمقصود منه ألا يغتر الإنسان بما ملكه من المال والجاه، بل إذا علم أن الكل ملك الله وملكه، وأن ما حصل من إنعامه وفضله تعالى، فحيثئذ يصير ذلك حاملاً على مزيد الطاعة والخدمة، وأما إذا اعتقد أن تلك النعم إنما تحصل بسبب عقله وجاهه واجتهاده بقى مغروراً بنفسه معرضاً عن طاعة الله تعالى، ثم ذكر أقسام تصرف الله في العالم / ١٢ كبير.

الرحمة والسيئة كيف يشاء ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا﴾ وإن لم يشأها (*)
 ﴿وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ تأخير الذكور؛ لأن سياق الكلام في إطلاق مشيئة الله تعالى من غير اختيار لغيره، والإناث مما لم يشأه الوالدان، وأيضاً للمحافظة على الفواصل، ولذا عرّفه، أو لجبر التأخير أو قدمهن توصية برعايتهن لضعفهن، لا سيما وكن قريات العهد بالوآد ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ﴾ أى: المولودين ﴿ذُكْرًا وَإِنَاثًا﴾ في موضع الحال من المفعول، وذكر هذا القسم بلفظه أو من غير ذكر المشيئة؛ لأنه ليس قسيماً على حدة، بل تركيب من السابقين؛ كأنه قيل: يهب لمن يشاء إناثاً منفردات وذكوراً كذلك أو مجتمعين ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ فيفعل ما يعلم صلاحه ﴿وَمَا كَانَ^(١)﴾: ما صح ﴿لَبَشْرٍ^(٢)﴾ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾: وهو الإلهام^(٣) أو المنام^(٤) ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾: يسمع كلامه ولا يراه، كما لموسى عليه الصلاة والسلام ﴿أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا^(٥)﴾: ملكاً ﴿فَيُوحِي﴾ ذلك الرسول إلى المرسل إليه

(٥) يقصد: الأب، أو الأب الكافر لأنهم كانوا يكرهون الإناث فيعدونها خشية العار أو العفو.

(١) ولما ذكر قدرته التامة أعقبه بالنعمة العظيمة التي ليست لأحد، إلا من خصه الله تعالى من فضله، فقال: "وما كان لبشر" الآية / ١٢ وحيز.

(٢) وفي المعالم وغيره أن اليهود قالوا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى - صلى الله عليه وسلم - ونظر إليه؟ فترل قوله: "وما كان لبشر" الآية / ١٢ وحيز.

(٣) كما ألهمت أم موسى أن تقذفه في البحر / ١٢ لباب.

(٤) كما رأى إبراهيم في المنام أن يذبح ولده وهو وحى / ١٢ لباب.

(٥) قال ابن عباس - رضى الله عنه: "إلا أن يبعث ملكاً يوحى إليه من عنده أو يلهمه فيقذف في قلبه أو يكلمه من وراء حجاب / ١٢ در منثور.

﴿يَاذَنَّهُ﴾ أى: الله ﴿مَا يَشَاءُ﴾ أى: الله، ووحياً وأن يرسل بمعنى: موحياً ومرسلاً، ويقدر مُسَمِّعاً قبل من وراء الحجاب، وكل منها حال، أو الكل مصدر، فإن الوحي والإرسال نوعان من التكلم، ويقدر قبل من وراء حجاب إسماعاً، أو تقديره: بأن يوحى أو يُسَمِّع من وراء حجاب، أو يُرسل فنصبه بترع الخافض ﴿إِنَّهُ عَلَيَّ﴾ عين مماثلة خلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيفعل ما يقتضيه حكمته ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحاً﴾ أى: وحياً، فإن حياة القلوب بما أوحى إليه ﴿مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ على التفصيل^(١) الذى عرفت بعد الوحي، وعن بعضهم المراد الإيمان هاهنا الصلاة، كقوله: "وما كان الله ليضيع إيمانكم" (البقرة: ١٤٣) ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ﴾ الكتاب أو الإيمان ﴿ثَوْرًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ صِرَاطَ اللَّهِ﴾ بدل ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ فيحكم فيها بمقتضى عدله وفضله.

والحمد لله رب العالمين.

(١) إشارة إلى جواب ما يقال: إن الأنبياء قبل البعثة مؤمنون عارفون بالإيمان بلا خلاف، فالجواب: أن المراد من الإيمان، الإيمان على التفصيل وهذا بعد البعثة البتة.

سورة الزخرف مكية

قيل إلا قوله "واسئل من أرسلنا"

وهي تسع وثمانون آية وسبع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلًى حَكِيمٌ ۝ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ۝ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۝ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ۝ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ۝ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ۝ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ۝ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ۝﴾

﴿حَمْدٌ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ أقسم بالكتاب المظهر^(١) طرق الهدى، أو الظاهر الجلي

(١) يعني مشتق من الإبانة بمعنى الإظهار المتعدى، أو بمعنى الظهور اللازم ١٢/ منه.

معناه، والواو إما للقسم وحام أيضاً قسم، فهو من غلط التعديد، أو للعطف على القسم، أو معناه بحق الكتاب المبين أنه حُمَّ الأمر وقضى، ثم ابتدأ بقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا^(١)﴾: صيرناه عربياً بلغتكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ^(٢)﴾ وإِنَّهُ عطف على "إنا" ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾: اللوح المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾: عندنا ﴿لَعَلِّي﴾: ذو مكانة وشرف ﴿حَكِيمٌ^(٣)﴾: ذو حكمة بالغة، والظرف الأول في موقع الحال، والثاني بدل، أى حال كون ذلك متحققاً في اللوح ثابتاً عندى، كقولك: زيد عندى كامل الشجاعة، أو هما بيان محل الحكم، أى هذا فى أم الكتاب لدينا، وقيل: الأول متعلق بـ "لعلّي"، واللام غير مانع ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ﴾، نبعد وننحيه عنكم ونترك إنزاله ونعرض عنه ﴿صَفْحًا﴾: إعراضاً، مصدر من غير لفظه؛ لأن تنحية الذكر إعراض أو حال بمعنى معرضين ﴿وَأَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾: أى: لئن كنتم، والفاء عطف على محذوف، أى: أهملكم وترك

(١) أخرج ابن مردويه عن طاوس قال: جاء رجل إلى ابن عباس -رضى الله عنه- فقال له: يا ابن عباس أخبرني عن القرآن أكلام من كلام الله أم خلق من خلق الله؟ قال: بل كلام من كلام الله، أو ما سمعت الله يقول: "وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله"^(١) (التوبة: ٦)، فقال له الرجل: أفرأيت قوله: "إنا جعلناه قرآناً عربياً" قال: كتبه الله فى اللوح المحفوظ بالعربية، أما سمعت الله يقول: "بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ" (البروج: ٢١) المجيد: هو العزيز أى: كتب الله فى اللوح المحفوظ / ١٢ در منشور.

(٢) أى: تكونوا بحيث يرجى منكم التعقل، ولما كان أول من يطلب منهم تصديق القرآن العرب، قال ذلك / ١٢ ووجيز

(٣) أخرج ابن مردويه والديلمى عن أنس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السموات والأرض وهو عنده فوق العرش، الخلق منتهون" إلى ما فى ذلك الكتاب، وتصديق ذلك فى كتاب الله، "وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلّى حكيم" [ضعيف] / ١٢ در منشور.

إنزال القرآن لأنكم مسرفون؟! وعن كثير من السلف^(١) معناه ألا نذكركم قط ونخليكم ونعرض عنكم ولا نغذّبكم ولا نجازيكم لأنكم تركتم أمرنا وأسرفتم^(٢)؟ كما تقول أحبك أن كنت شتمتني، ومن قرأ "إن كنتم" بالكسر، فمن باب جعل المحقق منزلة المشكوك، ابتداء على أن المخاطب كأنه متردد شك في ثبوت الشرط، قصداً إلى نسبته إلى الجهل ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ أي: من القوم المسرفين، وهم قومك ﴿بَطْشًا﴾: قوة، وقيل معناه: فأهلكنا أشد المستهزئين من الأولين بطشا ﴿وَمَضَى﴾ سلف في القرآن ﴿مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾: قصتهم وحالهم العجيبة، وعن بعضهم معناه مضى عبرتهم، أي: جعلناهم عبرة لمن بعدهم فيه تسلية ووعد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ووعد للمكذّبين ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ أنكروا قدرته بالبعث وعبدوا غيره، بعد ما أقروا بكمال قدرته وعزته وعلمه ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ تستقرون فيها، وهذا قول الله - تعالى - من غير حكاية وصفاً منه لذاته في سياق واحد^(٣) ﴿وَجَعَلَ﴾: خلق ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾: إلى مقاصدكم من بلد إلى بلد، أو إلى كمال حكمته فتؤمنون ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾: بمقدار معلوم ﴿فَأَنْشَرْنَا﴾: أحيينا، فيه التفات ﴿بِهِ بَلَدَةٌ مَيِّتًا﴾ البلدة بمعنى: المكان، فذكر صفته ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ من قبوركم

(١) منهم ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والسدي، واختاره ابن جرير، والقول الأول هو قول قتادة وكأنه أوفق / ١٢ منه.

(٢) يعني أن إسرافكم علة نزول القرآن لا لتركه / ١٢.

(٣) وهذا كما يقول مخاطبك: أدبني زيد، فتقول: الذي أكرمك وأعطاك ورباك، تصل كلامك بكلامه على أنه من تتمته، لكن لا تجعله من كلامه وهذا أولى مما ذكره الزمخشري فتأمل فيهما / ١٢ منه.

﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾^(١): الأصناف ﴿كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ أي: تركبونه، جعل السفينة كالدابة فعدى الفعل إليها بنفسه^(٢)، فإنه يقلل: ركب في الفلك ﴿لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ أي: ظهور ما تركبون ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا﴾ بقلبيكم ﴿نِعْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا﴾ بلسانكم ﴿سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾^(٣): مطيقين ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ﴾: منصرفون راجعون، يذكر ركوب النفس بالبدن وسير العمر، وعن طاوس: حق على كل مسلم إذا ركب دابة أو سفينة، أن يقول ذلك، ويتذكر انقلابه في آخر عمره على مركب الجنائز إلى الله تعالى ﴿وَجْعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ يعني بعد اعترافهم بأن الخالق هو الله تعالى، جعلوا له ولدًا، فإن الولد بضعة وجزء لوالده، فقالوا: الملائكة بنات الله، وقيل معناه: جعلوا جزءًا من عباده، فإنهم جعلوا بعض أنعامهم لله تعالى وبعضها لطواغيتهم^(٤) ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ جنسه ﴿لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾ ظاهر الكفران.

﴿أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَلَكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ ۞ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ۞ ﴿أَوْ مِنْ يَنْشُوْا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي

(١) قيل: كل ما سوى الله فهو زوج، كفوق وتحت ويمين وشمال وقدام وخلف، ذات وصفات، صيف وشتاء وربيع وخريف، غيم وصحو / ١٢ وحيز.

(٢) يعني من حقه أن يقول ما تركبونه، وفيه تغليب المتعدي بغير واسطة على المستعدي بواسطة / ١٢ منه.

(٣) أخرج مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي والحاكم وابن مردويه عن ابن عمر: "أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان إذا سافر ركب راحلته، ثم كبر ثلاثة، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون" / ١٢ منشور.

(٤) نحو: "وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والإنعام نصيباً" (الأنعام: ١٣٦) - الآية / ١٢ منه.

الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٢﴾ أَمْ أَتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٦٣﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُثَبِّتُونَ ﴿٦٤﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُثَبِّتُونَ ﴿٦٥﴾ قُلْ أُولُو عِثْتِكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قُلْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٦٦﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٦٧﴾

﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ﴾ أى: اتخذ ربكم لنفسه البنات ﴿وَأَصْفَاكُمْ﴾: أخلصكم ﴿بِالْبَنِينَ﴾ فالهمزة للإنكار والتعجب من عدم اكتفائهم بنسبة الولد، حتى نسبوا له الجزء الأخس ﴿وَإِذَا بُشِّرَ﴾ الجملة حالية ﴿أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ﴾ بالجنس الذى جعله ﴿لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا﴾: شبهًا فإن الولد شبه الوالد ﴿ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا﴾ من الحزن ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوء قلبه من الغيظ ﴿أَوْ مَنْ يُنشِؤُا﴾: يترى ﴿فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾: فى المجادلة ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ ليس له بيان أى: تنسبون له من هو ناقص الظاهر - يستكمل نقصه بالحلى - والباطن - لا يقدر على إيراد الحجة على من يخاصمه - وتقديره: أو اتخذ من ينشؤ، عطف على أم اتخذوا، والهمزة بين المعطوفين لمزيد الإنكار، وفى الخصام متعلق بمبين؛ لأن غير فى معنى النفي، فجاز تقديمه عليه، وقيل: من مبتدأ حذف خبره، أى: أمن هذا حاله وكذده، أو عطف على ما يخلق ﴿وَجَعَلُوا﴾: سموا ﴿الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا﴾ فهذا كفر آخر منهم، ومن قرأ "عند الرحمن" فمعناه: قربتهم ورببتهم ﴿أَشْهَدُوا﴾: حضروا ﴿خَلَقَهُمْ﴾: خلق

الله تعالى إياهم فشاهدوا ﴿سَتَكْتُبُ شَهَادَتَهُمْ﴾ على الملائكة ﴿وَيَسْأَلُونَ﴾^(١) عنها يوم القيامة ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ﴾ أن لا نعبد الملائكة ﴿مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ كفر آخر، فإنهم أرادوا أن كفرهم بمشيئة الله تعالى، فلا يكون منكراً منهياً عنه، بل مأموراً^(٢) به، فرأيهم رأى القدرية من أن كل مأمور به مراد، وكل منهي عنه غير مراد ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾^(٣) يعنى: أنهم جاهلون كاذبون، مصييين في استصوابه، معذورين في ارتكابه ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾: قبل القرآن، بأن يعبدوا غير الله تعالى، وينسبوا إليه الولد، ويقولوا هو راض عنا ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ نسبهم إلى الكذب أولاً، ثم أضرب عنه إلى إنكار سندهم من جهة النقل ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾: دين ﴿وَوَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ﴾^(٤) جعلوا من جهلهم تقليد جهلتهم اهتداءً ﴿وَكَذَلِكَ﴾^(٥) ما أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ

(١) قيل: سألهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما يدريكم أنهم إناث؟ فقالوا: سمعنا ذلك من آبائنا، ونحن نشهد بصدقهم، فأنزل الله "ستكتب شهادتهم ويسألون" / ١٢ وحيز.

(٢) ولم يفرقوا بين الإرادة والرضاء، ولم يعرفوا أن مشيئة الله شيء لا يستلزم رضاه به، فلا يكون عبادتهم مرضياً له تعالى / ١٢ كمالين.

(٣) كأنه تعالى لما أظهر وجوه فساد مقدمتهم، وحكى شبههم المزيفة نفى أن يكون لهم علم من طريق العقل، ثم أضرب عنه إلى إبطال أن يكون لهم سند من جهة النقل، فقال: "أم آتيتهم كتاباً" الآية / ١٢ أبو السعود.

(٤) أي: لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية، بل اعترفوا بالألأ سند لهم سوى تقليد آبائهم، قاله أبو السعود / ١٢.

(٥) أي: الأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبههم بذيل التقليد / ١٢ أبو السعود.

مُتَرْفُوهَا ﴿مَنْعُمُوهَا﴾ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿١﴾
فهذه شينشيتهم القديمة ليست مخصوصة بقومك ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا

(١) استئناف مبين لذلك دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم، ليس لأسلافهم أيضًا
سند غيره، وتخصيص المترفين بتلك المقالة، للإيذان بأن التمتع وحب البطالة هو الذي
صرفهم عن النظر إلى التقليد/ ١٢ أبو السعود، قال الرازي: ولو لم يكن في كتاب الله
إلا هذه الآية لكفت في إبطال القول بالتقليد؛ لأنه تعالى ذمهم بأنهم فيما ذهبوا إليه لم
يتمسكوا بدليل عقلي ولا نقلي، وذكر هذه المعاني في معرض الذم والتهجين، ذلك يدل
على أن القول بالتقليد باطل ومما يدل على بطلانه أنه أمر مشترك بين الحق والمبطل، فلو
كان حقًا لوجب كون الشيء ونقيضه حقًا، ومعلوم أن ذلك باطل. انتهى ملخصًا.
وقال الشوكاني بعدما ذم المقلدة في الإسلام: وقد وهب لهم الشيطان عصًا يتوكئون
عليها عن أن يسمعوها من يدعوهم إلى الكتاب والسنة، وهي أنهم يقولون إن إمامنا الذي
قلدناه أعلم بكتاب الله وسنة رسوله، وذلك لأن أذهانهم قد تصورت من يقتدون به
تصورًا عظيمًا بسبب تقدم العصر وكثرة الأتباع، وما علموا أن هذا منقوض عليهم
مدفوع به في وجوههم، فإنه لو قيل لهم: إن في التابعين من هو أعظم قدرًا وأقدم عصرًا
من صاحبكم، فإن كان لتقدم العصر وجلالة القدر مزية توجب الاقتداء، فتعالوا حتى
أريكم من هو أقدم عصرًا وأجل قدرًا، فإن أبيتم ذلك ففي الصحابة من هو أعظم قدرًا
من صاحبكم علمًا وفضلًا وجلالة قدر، فإن أبيتم ذلك فما أنا أدلكم على من هو أعظم
قدرًا وأجل خطرًا وأكثر أتباعًا وأقدم عصرًا وهو محمد بن عبد الله نبينا ونبينا صلى
الله عليه وآله وسلم - ورسول الله إلينا وإليكم، فتعالوا فهذه سنته موجودة في دفاتر
الإسلام ودواوينه التي تلقى جميع هذه الأمة، قرنا بعد قرن وعصرًا بعد عصر، وهذا
كتاب ربنا خالق الكل ورازق الكل بين أظهرنا موجود في كل بيت وبين كل مسلم،
لم يلحقه تغيير ولا تبديل ولا تحريف ولا تصحيف، ونحن وأنتم ممن يفهم ألفاظه ويتعقل
معانيه، فتعالوا لنأخذ الحق من معدنه ونشرب صفو الماء من منبعه، فهو أهدي مما
وجدتم عليه آباءكم، قالوا: لا سمع ولا طاعة، إما بلسان الحال أو بلسان المقال، فتدبر

وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۚ الظاهر أن قل حكاية أمر ماض ^(١) أوحى إلى نبينا عليه السلام، ويؤيده قراءة "قال" أي: أتبعون آباءكم ولو جئكم بدین أهدى؟! ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ بأنواع من العذاب ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿١٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿١٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا هَذَا أَلْقَرْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ أَهَمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٢٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٥﴾﴾

= هذا وتأمله إن بقى فيك بقية من إنصاف وشعبة من خير وحياء وحصة من دين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم / ١٢ فتح.

(١) لكن أكثر المفسرين فسروا على خلاف الظاهر، وقالوا: قل يا محمد أتبعون آباءكم ولو جئكم بأهدى؟ قالوا: "إنا بما أرسلتم به كافرون" وقالوا فانتقمنا منهم أي: من الأمم المكذبة وفي هذا التفسير بعد كما لا يخفى / ١٢ منه.

﴿وَإِذْ قَالَ^(١)﴾ أي: واذكره ﴿إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ﴾ مصدر مستوفٍ فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ أي بريء من معبودكم ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ منقطع أو متصل، فإنهم كانوا معترفين بأن الله تعالى هو الإله الأصلي المعبود، و"ما" تعم أولى العلم أو غلب غيره؛ لأن أكثر معبودهم الأصنام غير العقلاء ﴿فَأَنَّهُ سَيُهْدِيهِنَ﴾ الأظهر أن السنين لمجرد التأكيد والتسويق، والمضارع للاستمرار ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: جعل الله تعالى، أو إبراهيم كلمة التوحيد ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ في ذريته لا يزال فيها من يوحد الله تعالى ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الضمير للبعض من المعقب، أو لهم بحذف المضاف، أي: لعل مشركهم ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ﴾ أي: قومك، فإنهم من عقب إبراهيم ﴿وَأَبَاعَهُمْ﴾ في الدنيا فاغتروا بها ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهر رسالته ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ﴾ مكة والطائف ﴿عَظِيمٌ﴾ بالجاه والمال أرادوا وليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف، أو غيرهما فإنهما من الأعاضم، ولا يليق تلك الرتبة العظيمة إلا بمثلها ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾ أي ليس الأمر مردودا إليهم، بل إنه يعلم حيث يجعل رسالته، فإنما لا يترها إلا على أركى الخلق قلباً ونفساً، وأشرفهم وأطهرهم وأظهرهم بيتاً وأصلاً، لا على أكثرهم مالاً وجاهاً ﴿لَنَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فجعلنا البعض غنياً والبعض فقيراً ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالمال، ودرجات إما تمييز أو بدل ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ لِيُسَخَّرَ الأغنياء الفقراء بأموالهم، ويستخدموهم فينتظم العالم، وليس هذا من شرف في الغنى ونقص في الفقر ﴿وَرَحْمَةٌ

(١) ولما ذكر تقليد هؤلاء آباءهم، أعقب حكاية إبراهيم مع أبيه وقومه، فإنهم أجابوا بمثل ما أحاب هؤلاء فقال: "وإذ قال إبراهيم" الآية / ١٢ وحيز

رَبِّكَ ﴿بَخْلَقَهُ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾: من الأموال ومن حطام الدنيا ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أي: لولا كراهة اجتماع الخلق على الكفر لرغبة النفس في الدنيا ﴿لَجَعَلْنَا^(١) لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا﴾ ليوثهم بدل اشتغال من "لمن يكفر"، وجاز تعلقه بسقفاً، كما تقول: جعلت لك لوحاً لكتابك ﴿مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ﴾: سلام ومصاعد منها ﴿عَلَيْهَا يظهرون﴾: يعلون السطوح، لحقارة الدنيا فيغترون بها أكثر مما اغتروا ﴿وَلِيُوتِيَهُمْ أَبْوَابًا وسُرُرًا﴾: من فضة ﴿عَلَيْهَا﴾ أي: على السرر ﴿يَتَكُونُونَ وَزُخْرُفًا﴾: ذهباً، عطف على محل من فضة، والزخرف: الزينة، فعطف على سقفاً، وروى الترمذى وقال: حسن صحيح "لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة، ما سقى منها كافراً شربة ماء أبداً" ^(*) ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إن نافية، و"لما" بمعنى إلا، ومن قرأ "لما" بالتخفيف فإن مخففة، واللام هي الفارقة، وما صلة ﴿وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ أي: خاصة لمن هو متقى عند الله وفي عمله، أو حاصل عند الله تُعَدُّ لهم.

﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿n﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿iv﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿fa﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ

(١) حاصله لو جعلنا الكفر سبباً لكثرة الأموال، لاجتمع الخلق على الكفر لرغبتهم في الدنيا، وما أردنا ذلك، فذلك بعض الكفار أغنياء وبعضهم فقراء / ١٢ منه، ففقر بعض الكفرة من سوابق عناياتنا على المؤمنين، وإلا فموضع مال الدنيا أياذى أهالى الشقاوة وسقفهم وسلاليمهم وأبواهم وسررهم / ١٢ وحيز.

(*) "صحيح" انظر صحيح الجامع (٥٢٩٢)، والصحيحة .

ظَلَمْتُمْ أَنْكُمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٦٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْى
وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧٠﴾ فَإِنَّمَا نَذْهَبُ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٧١﴾ أَوْ
نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٧٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ
إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ
تُسْأَلُونَ ﴿٧٤﴾ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ
إِلَهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٧٥﴾

﴿وَمَنْ يَعِشْ﴾: يعرض ﴿عَنْ ذِكْرِ﴾^(١) الرَّحْمَنِ يُقَيِّضُ لَهُ﴾: نسب له ونسلط عليه
﴿شَيْطَانًا﴾: يزين له الغواية، ويصده عن الهداية ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾: لا يفارقه ﴿وَأَنَّهُمْ﴾
أى: الشياطين ﴿لَيَصُدُّوهُمْ﴾ جمع الضميرين للمعنى ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾: عن طريق الحق
﴿وَيَحْسَبُونَ﴾ أى: الكفار ﴿أَنَّهُمْ﴾ أى: أنفسهم ﴿مُهْتَدُونَ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا﴾ الكافر
﴿قَالَ﴾ للشيطان ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ بعد المشرق من المغرب،
فغلب وأضاف البعد إليهما بعد التشبيه ﴿فَيَسَّ الْقَرِينُ﴾ أنت ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ﴾
هذا قول الله تعالى أو الملك لهم ﴿إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ أى: إذ يتبين ظلمكم أنفسكم فى الدنيا
فإذ لتحقيق الوقوع، والمعنى على الاستقبال كما فى "ولو ترى إذ وقفوا"

(١) قال شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية رحمه الله -: وذكر الله يراد به تارة ذكر العبد ربّه،
ويراد به الذكر الذى أنزله الله كما قال "وهذا ذكر مبارك أنزلناه" (الأنبياء: ٥٠)، وقال نوح:
"أوعجبتكم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم" (الأعراف: ٦٣، ٦٩)،
وقالوا: "يا أيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون" (الحجر: ٦)، وقال: "ما يأتيهم من ذكر
من ربهم محدث" (الأنبياء: ٢)، وقال: "إنه لذكر لك ولقومك" (الزخرف: ٤٤)، وقال: "إن
هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم" (التكوير: ٢٧)، قال: "وما علمناه الشعر وما
ينبغى له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين" (يس: ٦٩) انتهى.

(الأنعام: ٢٧، ٣٠) وجاز أن يكون بدلاً من اليوم ﴿أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لا ينفعكم اشتراككم واجتماعكم في العذاب؛ لأن لكل نصيبه الأوفر، فإنكم فاعلُ لن ينفعكم، وفاعله ضمير يرجع إلى التمني المستفاد من قوله: "يا ليت" وإنكم علة أى لأنكم في العذاب مشتركون ﴿أَفَأَنْتُمْ تُسْمِعُ الصُّمَّ﴾ همزة إنكار، فإنه عليه السلام يتعب روحه في إهدائهم ﴿أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَى وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أى ليس هذا في وسعك، والقادر على ذلك هو الله تعالى وحده ﴿فِيمَا نَذَبْتَ بِكَ﴾ فإن قبضناك قبل أن نعذبهم، وما زائدة للتأكيد بمثالة لام القسم في استجلاب نون التأكيد ﴿فَأِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ بعد موتك ﴿أَوْ تُرِيَّتْكَ﴾ أي: إن أردنا أن نريك ﴿الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾ من العذاب ﴿فَأِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ فَاسْتَمْسِكْ﴾^(١) بِالَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ من الشرائع ﴿إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَإِنَّهُ﴾ أي: الذى أوحى إليك ﴿لَذِكْرٌ﴾: لشرف ﴿لَكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ حيث إنه أنزل بلغتهم، فينبغي أن يكون أقوم الناس، أو لتذكير لك ولقومك وتخصيصهم بالذكر لا ينفي من سواهم ﴿وَسَوْفَ يُسْأَلُونَ﴾ عن حقه ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ السؤال عن الرسل سؤال عن أهمهم، ويدل عليه قراءة ابن مسعود "واسئل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا" ﴿أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ أي: هل جاءهم الرسل إلا بالتوحيد، ومعنى الأمر به التقرير لمشركي قريش^(٢) أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله تعالى، وعن بعض السلف^(٣): جمع له الرسل ليلة أسرى به وأمر أن يسألهم، فلم يشك ولم يسأل.

(١) ولما ردَّ وبين حياته وموته صلى الله عليه وسلم - أمره بالاشتغال بشغله فقال: "فاستمسك بالذي" الآية / ١٢ وجيز.

(٢) هذا قول أكثر السلف / ١٢ وجيز.

(٣) هذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد، وعلى هذا لا يكون المراد السؤال عن أمم بل عن الرسل أنفسهم، ولا يكون فائدة الأمر بالسؤال تقرير مشركي

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿١٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ الْادَّاعِي لَنَا رَبِّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَذُونَ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٢٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَبْقَوْمُ آلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا آلِدَىٰ هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يَبِينُ ﴿٢٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٢٣﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٢٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وَلَقَدْ﴾ (١) أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿١٧﴾ فَاجْتَوَا بِالْاِسْتِهْزَاءِ بِالْآيَاتِ ﴿١٨﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴿١٩﴾ أي: صاحبها التي كانت قبلها، أو هو تمثيل باتصاف الكل بالكمال، بحيث لا يظهر التفاوت ويظن عند النظر بكل واحد أنه أفضل

= قريش، والأول قول ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن ومقاتل / ١٢ منه.

(١) ولما قال قريش: "لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" أي: في المال والجاه أعقبه حكاية موسى مع فرعون، ليعلم أن فرعون حين قال: أليس لي ملك مصر" الآية قدوهم في ذلك، وموسى ما أمر إلا بالتوحيد فقال: "ولقد أرسلنا" الآية / ١٢ وحيز.

من البواقي ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ كالطوفان والجراد وغيرهما ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ لكي يرجعوا عن الكفر ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾ أي: العالم الكامل وهذا تعظيمه منهم، فإن السحر عندهم فضيلة لا نقيسة، أو لفرط حيرتهم سبق لسأهم إلى ما تعودوا به ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ بكشف العذاب عنا ﴿بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ﴾: بسبب عهده عندك أن يجيب دعوتك، أو بحق ما عندك من عهد الله تعالى وهو النبوة، أو بحق الإيمان، أو بسبب ما عهده الله تعالى من كشف العذاب لمن آمن ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾: مؤمنون ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾^(١) فاجأوا نكث العهد ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ أمر بالنداء، أو هو نادى بنفسه في مجمع عظمائه^(٢) ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ﴾ أثمار النيل^(٣) عطف على ملك مصر ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِي﴾ تحت قصرى أو أمرى، جملة حالية، أو خير لهذه^(٤) الأنهار، والواو للحال ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ذلك ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ﴾: بل أنا خير، والهمزة للتقرير والتحقيق، وقيل: أم متصلة حاصله، أفلا تبصرون أم تبصرون، من إقامة المسبب موقع السبب، فإن إبصارهم سبب لقولهم: أنت خير ﴿مَنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾: حقير ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾: يفصح ويعرب عما في ضميره، لما في لسانه من اللكنة ﴿فَقُلُوا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةً مِنْ ذَهَبٍ﴾ أي: هلا ألقى رب موسى عليه أسورة إن كان سيداً مطاعاً، فإنهم إذا كانوا سودوا رجلاً، سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب، يكون ذلك دلالة

(١) والقصة المذكورة في سورة الأعراف بلفظ يا موسى "ادع لنا ربك" (الأعراف: ١٣٤) فيحتمل أن الله حكى كلامهم بحسب المعنى، ويحتمل أن يكون هذا كلام بعض وذاك كلام بعض آخر، أو بحسب محلين / ١٢ منه ووجيز.

(٢) لما رأى إجابة الله دعوة موسى في رفع العذاب وخاف ميل القلوب إليه / ١٢ ووجيز.

(٣) فإنه ينشعب من النيل أنهار / ١٢ منه.

(٤) فالواو: وللحال لا للعطف على ملك مصر كما قلنا / ١٢ منه.

لسيادته ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾: مقرونين يصدقونه، أو متتابعين يشهدون له مرة بعد أخرى ﴿فَاسْتَخَفَّ﴾ أى فرعون ﴿قَوْمَهُ﴾ حملهم على الخفة والجهل ﴿فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ فاطاعوا فسادا ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾: أغضبونا ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ﴾ فى اليم ﴿أَجْمَعِينَ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾: متقدمين، ليتفكروا المتأخرون فيهم ويتعظوا ﴿وَمَثَلًا﴾: قصة عجيبة ﴿لِلْآخِرِينَ﴾^(١).

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ ٥٧ ﴿وَقَالُوا ءَالِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ٥٨ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ٥٩ ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ ٦٠ ﴿وَأَنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلْسَاعَةِ فَلَا تَمْتَرُ بِهَا وَاتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ٦١ ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ٦٢ ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ ٦٣ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ ٦٤ ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾ ٦٥ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٦٦ ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ ٦٧

(١) ولما ذكر طرفاً من قصة موسى أعقبه طرفاً من قصة عيسى وقدم من أمره ما يتعلق بقريش فقال: "ولما ضرب ابن مريم" / الآية ١٢ وحيز.

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ لما نزل "إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم" (الأنبياء: ٨٩) جادل ابن الزبيرى^(١) وقال: رضينا، إن آلهتنا مع عيسى فجعلوه مثلاً حجة^(٢) سائدة، أو مقياساً ومثالاً في بيان إبطال ما ذكر من أنكم وما تعبدون ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾: قريش ﴿مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾: يضجون فرحاً بأنه أسكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومن قرأ بضم الصاد فمعناه: من أجل هذا المثل يعرضون عن الحق، وعن الكسائي: هما لغتان كيعرش ويعرش، قال الواحدي: إذا قومك المؤمنون يضجون من هذا يعنى غمًا وشكًا ﴿وَقَالُوا أَلَّهِتُنَا خَيْرٌ﴾ عندك ﴿أَمْ هُوَ﴾ أي: عيسى فإن كان هو حصب جهنم فليكن آلهتنا كذلك ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ أي: المثل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾^(٣) لأجل الجدل فإنه معلوم لكل من له نظر، أن المراد مما تعبدون: الأصنام، سيما إذا جعل

(١) بكسر الزاى المعجمة وفتح الباء الموحدة وسكون العين والراء المهملة والألف المقصورة معناه سبى الخلق / ١٢.

(٢) وقالوا عيسى: يعبد من دون الله والملائكة، فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم، ففرحوا وضحكوا وارتفعت أصواتهم، وفرح قريش: بأننا أسكتنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله "إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون" ولا يخفى أن ما قاله ابن الزبيرى باطل من أصله لأن الله قال: "وما تعبدون" ولم يقل ومن تعبدون حتى يدخل في ذلك العقلاء قال الشهاب: ابن الزبيرى هو عبد الله الصحابي المشهور وهذه القصة على تقدير صحتها كانت قبل إسلامه / ١٢ فتح. [أخرج أصل هذا الحديث أحمد في "المسند"، (٣١٨/١)، وقال الهيثمي في "المجمع"، (١٠٤/٧): "رواه أحمد والطبراني بنحوه وفيه عاصم بن بحدلة وثقه أحمد وغيره وهو سبى الحفظ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح".]

(٣) أخرج أحمد والترمذى وصححه وغيرهما مرفوعاً "ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا هذه الآية" [حسن، انظر صحيح الجامع (٥٦٣٣)] وقد ورد في ذم الجدل بالباطل أحاديث كثيرة / ١٢ فتح.

ما لغير العقلاء على ما هو المتبادر إلى الفهم عند الإطلاق ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾
 فهذا رد الله تعالى عليه إجمالاً، وتفصيله في موضع آخر، حيث قال: "إن الذين سبقت
 لهم منا الحسنى" كالملائكة وعيسى وعزيز "أولئك عنها مبعدون" ﴿إِنْ هُوَ﴾: عيسى
 ﴿إِلَّا عَبْدٌ أُنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا﴾: أمراً عجيباً ﴿لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَوْ
 نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ بذلك ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ﴾ أي: يخلفونكم في
 الأرض يعبدونني، فالملائكة وعيسى لا يستحقون الألوهية، وقيل: معنى لجعلنا منكم
 لولدنا منكم يا رجال ملائكة، كما ولدنا عيسى من غير فحل، لتعرفوا أن الملائكة
 مثلكم أجسام، وأن الله تعالى قادر على كل شيء ﴿وَإِنَّهُ﴾: عيسى ﴿لَعَلَّمِ لِلسَّاعَةِ﴾
 أي: علامتها، فإن نزوله من أشراطها وقيل ما وضعت على يديه من إحياء الموتى
 وغيرها، كفى به دليلاً على علم الساعة وقيل: الضمير للقرآن^(١) فإن فيه الدلالة عليها،
 ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾: لا تشكن فيها، ﴿وَاتَّبِعُون﴾ أي: شرعى وما أحرىكم به، ﴿هَذَا
 صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾: أي ما أدعوكم إليه صراط لا يضل سالكه، ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ
 الشَّيْطَانُ﴾: عن اتباعه، ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ
 جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾: النبوة، ﴿وَلَأُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ هو من عطف الجملة أي: جئتكم
 بالحكمة وجئتكم لأبين لكم، وجاز عطفه على محذوف عام، أي: جئتكم بالحكمة
 لمصالحكم ولأبين، ﴿بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ أي: بعضاً توضيحه صلاح دينكم،
 أو بعض ما أتم تختلفون فيه من أحكام التوراة فإن الذى لم يختلفوا فيه لما احتاج إلى
 تبين، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ
 مُسْتَقِيمٌ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ الفرق المتحزبة، منهم من يقر بأنه عبد الله
 ورسوله، ومنهم من يدعى أنه ولد الله أو هو الله ومنهم من يدعى أنه كذاب، ﴿فَوَيْلٌ

(١) هذا قول الحسن -رضى الله عنه/ ١٢ منه.

لِلَّذِينَ ظَلَمُوا^(١) مِنْ عَذَابٍ يَوْمٍ^(٢) أَلِيمٍ هَلْ يَنْظُرُونَ: يتظرون، ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾: إلا إتيان الساعة، وأن تأتيهم بدل من الساعة، ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة، مفعول مطلق، ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(٣): إنكارهم، أو لانهاكهم في دنياهم، يعني: أنها تأتيهم لا محالة، فكأنهم ينتظرونها، ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ يومئذ طرف، عدو والفصل بالمبتدأ غير مانع، ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ فإن محبتهم تبقى.

﴿يَعْبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾^(١) الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ^(٢) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ^(٣) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ^(٤) وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٥) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^(٦) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ^(٧) إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ^(٨) لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ^(٩) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ^(١٠) وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ^(١١) لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ^(١٢) أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ^(١٣) أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتَئِبُونَ^(١٤) قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ^(١٥)

(١) والمراد كل ظالم وهؤلاء أدخل فيهم ١٢ وجيز.

(٢) ذى ألم هذا العذاب، وفيه مبالغة بليغة/ ١٢ وجيز.

(٣) مجيء الساعة فجأة، ربما يكون مع الشعور به وربما يكون مع الغفلة، فكلا القيدتين

محتاج إليه/ ١٢ منه.

سَبَّحَنَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٤﴾ فَذَرَهُمْ يَخْضَوْنَ
وَيَلْعَبُونَ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿١٥﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي
الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿١٦﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ وَلَئِنْ
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿١٩﴾ وَقِيلَ لَهُ رَبِّ إِنْ هَؤُلَاءِ
قَوْمٌ لَا يَوْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

﴿يَا عِبَاد﴾: حكاية لما يُنادى به المتحابون المتقون، ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ
تَحْزَنُونَ الَّذِينَ﴾: منصوب على المدح، ﴿آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا
الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾: المؤمنات، ﴿تَحْبِرُونَ﴾: تسرون^(١)، ﴿يَطَافُ عَلَيْهِمْ
بَصِحَافٌ﴾: جمع صفحة^(٢)، ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾: جمع كوب وهو كوز لا عروة
له، ﴿وَفِيهَا﴾: في الجنة، ﴿مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾: بمشاهدته، وكأنه لم
يعتد بمستلذات السمع والشم والذوق في جنب مستلذات العين^(٣) فلم يذكرها،
﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وهو من أتم النعم، ﴿وَتِلْكَ﴾: الجنة المذكورة، ﴿الْجَنَّةُ الَّتِي
أُورِثُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، والجنة إما خير، والتي أورثتموها صفة لها، أو صفة

(١) تسرون سروراً يظهر حباره أي: أثره على وجوهكم/١٢ منه.

(٢) وهي مملوءة من طعام الجنة/١٢ وحييز.

(٣) إشارة إلى رد ما قاله الزمخشري، حيث قال: وهذا حصر لأنواع النعم لأنها إما مشتهاة في
القلوب وإما مستلذات في العيون: واعترض عليه بأن مستلذات ما في الحواس إن جعلت
داخلة في مشتهيات القلوب فكذا مستلذات الأعين وإن لم يجعل فلا حصر والله أعلم/١٢ منه.

والتي خبر، أو هما صفتان والظرف خبر، ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾^(١) : يبقى بعضها، أبدا لا تجد شجرة عريانة من الثمرة، ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ﴾ : لا يخفف ولا ينقص، ﴿وَهُمْ فِيهِ﴾، في العذاب، ﴿مُبْلِسُونَ﴾ : ساكتون سكوت يأس، ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ : على أنفسهم، ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ : من قضى عليه، إذا أماته وهو تمنى الموت من فرط شدتهم وحيرتهم، وهذا الكلام والنداء قبل الإبلas وقبل أن يقال لهم: "احسبوا فيها ولا تكلمون" [المؤمنون: ١٠٨]، ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَأْكُوثُونَ﴾ : المكث يشعر بالانقطاع ولا انقطاع فيه استهزاء، ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ﴾ : جواب من الله تعالى بعد جواب الملك، أو في قال ضمير يرجع إلى الله تعالى، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾^(٢) أم أبرموا : أحكموا، ﴿أَمْرًا﴾، في رد الحق بحيل ومكر، ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ : كيدنا في مجازاتهم، ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ : ما يخفون من الغير، ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ : ما تكلموا به فيما بينهم، ﴿بَلَى﴾ : نسمعهما، ﴿وَرُسُلَنَا﴾ : أى الحفظة، ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُوبُونَ﴾^(٣) : ذلك، ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ

(١) لما ذكر الوعد أردفه بالوعيد على الترتيب المستمر في القرآن/١٢ كبير.

(٢) عن بعض السلف أنهم يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما، ثم يرد عليهم: "إنكم مأكثون" ثم يدعون الله بقولهم "ربنا غلبت علينا شقوتنا" الآيات فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ثم أحاجهم بـ "احسبوا فيها ولا تكلمون" (المؤمنون: ١٠٨/١٠٥) فوالله لا يسمع منهم إلا زفير وشهيق كالحمير، قال: ولكن أكثركم فإن بعضهم كافر بالتبع وبعضهم هجم [كذا بالأصل ولعل الصواب: هجم] لا يعرف الحق والباطل/١٢ وحيز.

(٣) ولديهم متعلق بـ يكتبون، قدمه رعاية للفواصل ولما قدم في أول السورة تبكيتهم في ادعائهم ولذا وهددهم بقوله "ستكتب شهادتهم ويسئلون" علم نبيه جوابهم وردهم فقال: "قل إن كان للرحمن ولد" الآية/١٢ وحيز.

الْعَابِدِينَ»، لذلك الولد جعل ثبوت الولد ملزومًا لأمر منتف محال في اعتقاده، وهو عبادته للولد، لكن اللازم منتف فكذا الملزوم، والغرض نفى الولد على أبلغ وجه قال تعالى: "لو أراد الله أن يتخذ ولدًا" (الزمر: ٤) وعن بعضهم معناه: إن كان له ولد في زعمكم فأنا أول الموحد لله تعالى فإن من عبد الله تعالى فقد دفع(*) أن يكون له ولد، أو معناه: فأنا أول الآنفين^(١) من أن يكون له ولد، المنكرين لما قلتم، يقال: عَبْدٌ يَعْبُدُ: إذا اشتد أنفه أو إن نافية، أي: ما كان له ولد، فأنا أول من قال بذلك، ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: من كونه ذا ولد، ﴿فَذَرَهُمْ يَخْضَوْنَ﴾: في الباطل، ﴿وَيَلْعَبُوا﴾: في الدنيا، ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ أي: القيامة، ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ^(٢)﴾ أي: هو إله فيهما، فالظرف متعلق بآل لما فيه من معنى الوصفية^(٣)، أو لأنه بمعنى المعبود^(٤) بالحق، ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾: في التدابير، ﴿الْعَلِيمُ﴾، بكل شيء فلا يحتاج إلى ولد، ﴿وَتَبَارَكَ

(٥) في النسخة ن: رفع.

(١) وهذا المعنى حكاه البخارى عن سفيان الثورى يقال: عبد بالكسر يعبد بالفتح: إذا اشتد أنفه: ثم انظر إلى الزمخشري الجريء الحرى بالسب، كيف ألحد بالمقال، وقام في هذا المقام باختراع المثال، واقتحم خطبًا خطيرًا لم يسبقه واحد من الفجرة، ولم يخف أن يسقط عليه كسفًا من السماء وأن يشق به الأرض، وأنا أتحاشى أن أذكر لفظه ورفضه عن الدين، وإن لم يداركه عفو الله فالويل ثم الويل/١٢ وجيز.

(٢) أخرج عبد بن حميد وابن جرير والبيهقي، في الأسماء والصفات عن قتادة قال: هو الذى يعبد في السماء ويعبد في الأرض/١٢ در مشور.

(٣) بمعنى: المعبود الحق، يعنى في التضمن معنى المعبود نحو هو حاتم في الحي/١٢ منه.

(٤) يعنى الإله وإن كان اسمًا للمعبود مطلقًا لكن خصه العرف بالمعبود بحق ولهذا صرح لا إله إلا الله مع كثرة المعبودات الباطلة/١٢ منه.

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ»، لا عند غيره،
«وَالِيهِ تُرْجَعُونَ»: للجزاء، «وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» أي: آلهتهم،
«الشَّفَاعَةُ»: كما زعموا أنهم شفعاءهم عند الله، «إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ»: بالتوحيد،
«وَهُمْ يَعْلَمُونَ»، حقيقة ما شهدوا به ولا يكونون منافقين، والاستثناء متصل، أي: لا
يملكها أحد من المعبودين إلا الموحدين كالملائكة، وعيسى، فإن لهم الشفاعة بإذنه لمن
ارتضى أو منقطع أي: متعلق الذين بالأصنام، «وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ
فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ^(١)»: يصرفون من عبادته إلى عبادة غيره، «وَقِيلَهُ»: بالنصب مفعول
مطلق أي: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قيله أي: شكى إلى ربه شكواه من
قومه فقال: «يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ»، أو عطف على سرهم ونجواهم أو
على معنى وعنده علم الساعة أي: يعلم الساعة، و"قيله" وبالجر عطف على الساعة أي:
عنده علم قيله، «فَاصْفَحْ»: أعرض، «عَنْهُمْ»، ولا تجادلهم. بمثل ما يخاطبونك من
الكلام السيء، «وَقُلْ سَلَامٌ» أي: أمرى وشأى تَسْلَمَ ومسألة^(٢) منكم، «فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ»: غِبَّ ما فعلوا، فهذا وعيد أكيد لهم، ومن قرأ بالثناء فهو أيضًا من مقول قل.

والحمد لله رب العالمين.

(١) اعلم أنه تعالى ذكر هذا الكلام في أول هذه السورة وفي آخرها، والمقصود التنبيه على
أنهم لما اعتقدوا أن خالق العالم وخالق الحيوانات هو الله تعالى، فكيف أقدموا مع هذا
الاعتقاد على عبادة غيره/ ١٢ كبير، وفي الكمالين، وفيه تعجب عن الإشراك في العبادة
مع الإقرار بالتوحيد في الخلق/ ١٢.

(٢) أي: لم يؤمر بالسلام عليهم وإنما بالتبرء عنهم وعن دينهم/ ١٢ منه.

سورة الدخان مكية

إلا قوله: "إنا كاشفوا العذب"

وهي سبع أو تسع وثلاثون (*) آية وثلاث ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حَمْدٌ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ ۝ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۝ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ ۝ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝ إِن كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى ۝ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا ۝ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى ۝ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۝ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ۝ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ۝ إِنِّي ءَاتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُّبِينٍ ۝ وَإِنِّي عِدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُون ۝ وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُون ۝

(*) كذا بالأصل والصواب: وخمسون.

فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَتُولَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿١٦٦﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ ﴿١٦٧﴾ وَاتْرِكِ الْبَحَرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ ﴿١٦٨﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٦٩﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿١٧٠﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَلَکَهِينَ ﴿١٧١﴾ کَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخِرِينَ ﴿١٧٢﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴿١٧٣﴾

﴿ح م وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾، الواو للعطف، إن كان حم مقسمًا بها بإضمار حرف القسم، والجواب قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾، أي: الكتاب المبين، ﴿فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾^(١)، قال تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ" (القدر: ١) أنزل فيها جملة واحدة^(٢) من اللوح إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم أنزل مفصلاً بحسب الوقائع، وعن بعض: هي ليلة النصف^(٣) من شعبان^(٤)، ﴿إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾: محذرين بإنزال الكتاب، مستأنفة تبين

(١) يعني ليلة القدر/ ١٢ كمالين.

(٢) أخرج سعيد بن منصور عن سعيد بن جبير قال: نزل القرآن من السماء العليا إلى السماء الدنيا جميعاً في ليلة القدر ثم فصل بعد ذلك في تلك السنين / ١٢ در منشور.

(٣) عن عائشة قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: (إن الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا، فيغفر لأكثر من عدد شعر غنم كلب) / أخرجه الترمذی/ ١٢ الباب [ضعيف، أخرجه أحمد والترمذی وابن ماجه، وانظر ضعيف الجامع (١٧٦١)].

(٤) كذا روى عن عكرمة، قال الحافظ ابن كثير: ومن قال إنها ليلة النصف من شعبان فقد أبعد، فإن نص القرآن أنها في رمضان، وأما حديث "تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان، حتى أن الرجل لينكح ويولد له، وقد خرج اسمه في الموتى"، فهو حديث مرسل، ومثله لا يعارض النصوص، كذا في المواهب هذا ما في الكمالين، وذكر في =

فائدة الإنزال، ﴿فِيهَا﴾: في تلك الليلة، ﴿يُفْرَقُ﴾: يفصل ويثبت (*)، ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾: محكم لا يبدل من الأرزاق والآجال وجميع أمرهم إلى السعة، الآية، قال تعالى: "تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ" (القدر: ٤)، ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا﴾، نصب على الاختصاص، أي: أعني به أمراً حاصلًا من عندنا، أو حال من كل، أو من ضمير حكيم، ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾، إلى الناس يتلو عليهم آياتنا، بدل من إنا كنا منذرين، أي: أنزلنا القرآن، لأن من عادتنا إرسال الرسل، ﴿رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ﴾، مفعول له، وقيل "إنا كنا" علة ليفرق، ورحمة مفعول به، أي: يفصل الأمور فيها، لأن من شأننا إرسال الرحمة، وفصل الأمور من باب الرحمة، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، للأقوال والأحوال، والرب لا بد أن يكون كذلك، ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُّوقِنِينَ﴾: في إقراركم بأن الله خالق السماوات والأرض، تعرفون مضمون ما ألقى إليكم من إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وتعترفوا به، فإن الكفرة معترفون بأن خالق الأشياء هو الله، أو معناه إن كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ﴾، في الدنيا، رد لكونهم موقنين، ﴿فَارْتَقِبْ﴾: انتظر لهم، ﴿يَوْمَ﴾، مفعول به لارتقب، ﴿تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾: هو الدخان الموعود، الذي هو من علامة قرب القيامة البين الواضح، الذي يراه كل أحد، وإليه ذهب حبر الأمة ابن عباس^(١) رضى الله عنه وكثير من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم مع الأحاديث من

= منهية الكمالين، أن الحديث رواه ابن جرير عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأحنس مرسلًا/١٢. [انظر الدر المنثور (٥/٧٤٠).]

(*) وفي نسخة (ن): يبين.

(١) وفي الكمالين وقال ابن عباس رضى الله عنه، وابن عمر والحسن وغيرهم: إن المراد بالدخان، الدخان الموعود من أشراط الساعة البين الواضح الذي يراه كل أحد، وقد =

الصحاح والحسان، ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾: يحيط بهم، أما المؤمن فيصيه كالزكّام، وأما الكافر فهو كالسكران، يخرج من منخريه وأذنيه ودبره، ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ﴾، أي: قائلين هذا عذاب إلى مؤمنون، ﴿إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾، وعد بالإيمان إن كشف عنهم، كأنه قيل: إن تكشف فإننا مؤمنون، ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾: من أين لهم التذكر؟ ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ﴾، قال بعضهم: يعلمه غلام أعجمي، ﴿مَجْنُونٌ﴾، وقال بعضهم: مجنون، يعني: لا يتأتى منهم التذكر بهذا السبب، فإنه قد جاءهم أسباب أعلى من هذا، وما التفتوا إليها، ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا﴾: زمانًا قليلًا يكشف الله تعالى الدخان، قيل: بعد أربعين يومًا فيرتدون، ولا يفون بوعدهم، ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾: في الكفر، ولا يلزم أن يكونوا قد أفلحوا عن كفرهم بالكلية، ثم عادوا إليه، قال تعالى حكاية عن شعيب: "قد افترينا على الله كذبًا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها" (الأعراف: ٨٩) ولم يكن شعيب قط على ملتهم، قال قتادة: إنكم عائدون إلى عذاب الله تعالى، ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾، هو يوم القيامة، ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾^(١)، منهم، والعامل في "يوم"

= ورد به الأحاديث الصحيحة عند مسلم، وغيره وأخرج ابن جرير عن حذيفة بن اليمان مرفوعًا "إن أول الآيات الدخان، ونزول عيسى بن مريم، ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر"، فقال حذيفة: يا رسول الله، وما الدخان؟ فتلا هذه الآية: "يوم تأتي السماء بدخان مبين" يملأ ما بين المشرق والمغرب يمحط أربعين يومًا وليلة، فأما المؤمن فيصيه منه كهية الزكّام، وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره" / ١٢. [ذكره الحافظ ابن كثير في "التفسير"، (١٣٩/٤)، من طريق ابن جرير، وقال: "موضوع بهذا السند".]

(١) لما بين أن كفار مكة مصرون على كفرهم، بين أن كثيرًا من المتقدمين أيضًا كانوا كذلك، فبين حصول هذه الصفة في أكثر قوم فرعون، فقال: "ولقد فتنا قبلهم" الآية / ١٢ كبير.

فعل دل عليه "إنا منتقمون"، لأن إن مانع من عمله فيما قبله، أو بدل من "يوم تأتي"، وعن ابن مسعود رضى الله عنه وبعض آخر من السلف^(١) أن المراد من الدخان الظلمة التي في عام القحط من قلة الأمطار، وكثرة الغبار، أو ما يرى الجائع كهيئة الدخان من المجاعة من ضعف بصره، حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتجئوا وقالوا: ادع الله تعالى لئن يكشف عنا لنؤمن لك، فدعا وكشف ولم يؤمنوا، فانتقم الله تعالى منهم يوم بدر، وهو البطشة الكبرى، «وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ»: قبل قريش، «قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ»، على الله، «أَنْ أَدُّوا»، أن مفسرة، «إِلَى عِبَادِ اللَّهِ»: بني إسرائيل وأرسلوهم معي ولا تعذبوهم، «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ»، على الوحي، «وَأَنْ لَا تَعْلُوا»: لا تكبروا، «عَلَى اللَّهِ»، بترك طاعته، «إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ»: حجة ظاهرة على صدق قولي، «وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ»: التجأت إلى الله تعالى، «أَنْ تَرْجُمُونِ»: تقتلوني، أو تشتموني فإنه الرجم باللسان، «وَأِنْ لَّمْ تَوْمِنُوا لِي فَأَعْتَزِلُونِ»: كونوا بمعزل مني، لا تتعرضوا إلى بسوء، «فَدَعَا رَبَّهُ»، شاكيًا بعد ما كذبوه، «أَنْ هَؤُلَاءِ»، أي: بأنهم، «قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ فَأَسْرِ

(١) قال ابن مسعود: من علم علماً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، وسأحدثكم إن قريشاً لما استعصوا على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- دعا عليهم، فقال: "اللهم أشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف" فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعظام، وكانوا يرون بين السماء والأرض الدخان، حتى إن الرجل يحدث الرجل فيسمع صوته ولا يرى المتكلم، من الدخان فمشى أبو سفيان ونفر معه فناشدوه الله والرحم، وواعدوه بالإيمان بعد كشف العذاب، فلما كشف عنهم بدعائه -صلى الله عليه وسلم- رجعوا إلى حالهم، فرحم النبي -صلى الله عليه وسلم- وأرسل إليهم صدقة ومالاً، وأنزل الله: "يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون" / ١٢ وجيز [أخرجه البخاري في "التفسير"، (٤٨٢١)].

بِعِبَادِي»، أي: قال الله تعالى، إذا كان الأمر كذلك فأسر بني إسرائيل، ﴿لَيْلًا﴾: قبل الصبح، ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾: يتبعكم القبط، ﴿وَأَتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا﴾، أي: اتركه حين قطعته، وعبرت ساكنًا كهيئته، ولا تأمره بأن يرجع إلى ما كان، وذلك لما جاوز أراد أن يضرب بعصاه، حتى يعود كما كان ليصير حائلًا بينهم وبين فرعون، فأمر الله تعالى أن يتركه على حاله، ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ كَمْ تَرَكَوْا﴾، كثيرًا تركوا، ﴿مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾، في مصر وقراه، ﴿وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكْهِنَ﴾: متنعمين، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها، ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾، عطف على الفعل المحذوف، ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾، بني إسرائيل^(١)، ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾، لكل مؤمن باب في السماء ينزل منه رزقه، ويصعد فيه عمله، فإذا مات أغلق بابه فقد بكأ عليه، وإذا فقد مصلاه من الأرض بكأ عليه وليس لقبط عمل صالح فما بكأ^(*)، وكلام بعض السلف: على أن بكأ الباب المذكور لكل مسلم، وأما بكأ السماء مطلقًا فما بكأ منذ كانت الدنيا إلا على اثنين يحيى بن زكريا، وحسين بن علي عليهما السلام^(**) لما قتلا احمرت السماء وبكأ، وقيل: نجاز عن عدم الاكتراث^(٢) بهلاكهم، قالت العرب في موت عظيم: بكأه الريح وأظلمت له الشمس، ﴿وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾: مهملين لتوبة وغيرها.

(١) كذا روى ابن جرير عن قتادة، كما نقله السيوطي في الدر المنثور، وفي الوجيز، قومًا

آخرين هم بنو إسرائيل، وفي سورة الشعراء "كذلك وأورثناها بني إسرائيل"

(الشعراء: ٥٩)، فلا تعتد ولا تعتبر على ما في التواريخ ليس بعزيز / ١٢ .

(٥) هذا الكلام ورد نحوه مرفوعا، وقال الهيثمي في "المجمع"، (١٠٥/٧): "رواه أبو يعلى

وفيه موسى بن عبيدة الربذى وهو ضعيف".

(**) هذا من كلام زيد بن زياد، وهو يفتقر إلى ما يؤيده.

(٢) يقال ما أكثر ث له، أي: ما أبالي به / ١٢ صراح .

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٦٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٦٢﴾ وَآتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ ﴿٦٣﴾ إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿٦٤﴾ إِن هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴿٦٥﴾ فَأْتُوا بِآيَاتِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٦﴾ أَهْمَ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ ﴿٦٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧١﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٢﴾﴾

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾: قتل الأبناء واستخدام النساء، ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾، حال من ضمير المهين، أو بدل من العذاب، ﴿إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ﴾: في الشرارة، ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ﴾، بنى إسرائيل، ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾: عالين بأنهم أحقَاء، ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾: على عالمي زمانهم، ﴿وَآتَيْنَاهُمْ مِّنَ الْآيَاتِ﴾، على يدى موسى، ﴿مَا فِيهِ بَلَاءٌ﴾^(١): اختبار أو نعمة، ﴿مُبِينٌ إِنَّ هَؤُلَاءَ﴾: قريشًا والكلام فيهم، وحكاية القبط لتذكيرهم، ﴿لَيَقُولُونَ إِن هِيَ إِلَّا مَوْتُنَا الْأُولَى﴾، التى هى بعد الحياة الدنيا، وليست بعدها موة القبر، فلا حياة فيه، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾: من القبور، نفوا أولاً بقوله: إلا موتنا الأولى الإحياء فى القبر بنفى الإمامة فيه، ثم نفوا البعث والإحياء بعد القبر، وهى ضمير مبهم يفسره الخبر، أو ما نهاية الأمر إلا الموت الذى بعد حياة الدنيا، يعنى: ليس بعده إلا الفناء المحض، ولهذا

(١) نعمة ظاهرة من فلق البحر، والمن والسلوى / ١٢ جلالين .

صرحوا بقولهم: وما نحن بمنشرين، ﴿فَاتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١)، أي: إن صدقتم أنه يمكن النشور بعد الموت، فاسألوا ربكم إحياء من مات من آبائنا، حتى نعلم صدق ما تقولون، ﴿أَهُمْ﴾: قریش، ﴿خَيْرٌ﴾، في القوة، والمنعة، ﴿أَمْ قَوْمٌ تُبْعَ﴾: وهم سبأ، أهلكهم الله تعالى، وخرب ديارهم وفرقهم شذر ومذر، وتبع اسم لمن ملك فيهم، كما أن كسرى لمن ملك الفرس، وقیصر للروم، وفرعون لمصر، والنجاشي للحیثة، وهو الذي بنى سمرقند، وفي الحديث (لا أدري أتبع كان نبياً أم لا) (*) وقد ورد أيضاً (لا تسبوا تبعاً، فإنه كان قد)^(٢)

(١) ولما كان حمير ومن تبعهم من قوم تبع أقرب المهلكين، لعدم إطاعة نبيهم حذر قریشاً من أن يصيروا مثلهم، فقال: "أهم خير" الآية / ١٢ وحيز .

(٥) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٦٧٤) والحاكم (٣٦/١) وصححه وأقره الذهبي، ووافقهما الشيخ الألباني كما في الصحيحة (٢٢١٧). ثم قال: (فائدة): قال ابن عساکر: " وهذا الشك من النبي -صلى الله عليه وسلم- كان قبل أن يبين له أمره، ثم أخبر أنه كان مسلماً، وذلك فيما أخبرنا " ثم ساق الحديث الذي بعده.

(٢) رواه الإمام أحمد والطبراني، وروى ابن إسحاق وغيره، أنه آمن من قبل البعثة بسبع مائة سنة، وكتب كتاباً فيه: أما بعد، فإني آمنت بك، وبكتابك، وأنا على دينك وستك، وآمنت بربك ورب كل شيء، وآمنت بكل ما جاء من ربك، فإن أدركتك فيها ونعمت، وإلا فاشفع لي، ولا تنسني يوم القيامة، فإني من أمتك الأولين، وبلغتكم قبل مجيئكم، وأنا على ملتك، وملة أبيك، ثم ختم الكتاب، ونقش عليه (الله الأمر من قبل ومن بعد). وكتب عنوانه إلى محمد بن عبد الله بنى الله، ورسوله خاتم النبيين ورسول رب العالمين من تبع، فكان الكتاب عند أبي أيوب خالد بن زيد حين بعثه النبي -صلى الله عليه وسلم-، يتوارثونه كابراً عن كابر حتى أدوها النبي صلوات الله وسلامه عليه / ١٢ وحيز .

أسلم^(١) وهو كان في زمن موسى -عليه السلام، «وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ»: من الأمم الكافرة، «أَهْلَكْنَاهُمْ»، هدد بهم قريشاً، «إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ»، كقريش، «وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا»: بين الجنسين^(٢)، «لَا عَيْنَ»: لاهين، «وَمَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ»: بسبب الحق وهو البعث والجزاء وغيرهما، «وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ^(٣)»: فصل الحق والحق عن الباطل والمبطل، «مِيقَاتُهُمْ»: وقت وعدهم، «أَجْمَعِينَ يَوْمَ لَا يُغْنِي»، بدل عن يوم الفصل، «مَوْلَى»، أى مولى كان من قرابة أو غيرها، «عَنْ مَوْلَى»، أى مولى كان، «شَيْئاً»، من الإغناء مصدر، «وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ»، الضمير إما للمولى الأول، أى: هم ليسوا بناصر، ولا منصور^(٤)، وجاز عوده إلى الثاني، أو إليهما، «إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ»، بدل من واو "ينصرون"، أو نصب على الاستثناء منه، فإنه جاز النصب، والمختار البذل، والمراد

= وفى الفتح سمي تبعاً لكثرة أتباعه، وقيل: كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعاً، لأنه يتبع صاحبه الذى قبله كما سمي فى الإسلام خليفة/ ١٢ فتح، وكان فى شعره
وحدثت أن رسول الملك يخرج حقاً بأرض الحرم
ولو مد دهرى إلى دهره لكنت وزيراً له وابن عم
/ ١٢ در منشور

(١) رواه البيهقي، والحاكم، وصححه / ١٢ فتح. [أخرجه أحمد (٣٤٠/٥) فالعزو إليه أولى، وذكر الشيخ الألبانى رحمه الله - فى الصحيحة (٢٥٢/٥) أن له شواهد يرتقى بها إلى درجة الحسن.]

(٢) ولذا لم يقل ما بينهن / ١٢ منه .

(٣) لما كان المقصود من قوله: " ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعين " إثبات القول بالبعث والقيامة، فلا جرم ذكر عقيقه قوله: " إن يوم الفصل " الآية/ ١٢ كبير .

(٤) وجاز عود ضمير جمع إلى الفرد لفظاً، لأن لفظه مطلق شائع فى جنسه متأول لكل ولبعض / ١٢ وجيز .

المؤمنون، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾، الغالب الذى لا يُغلب، ﴿الرَّحِيمُ﴾^(١)، لمن كان أهل الرحمة.

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾ طَعَامُ الْآثِمِ ﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾
﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾ خَذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا أَلَمَوتَ إِلَّا أَلَمَوتَةَ الْأُولَى وَقَلَّهْمُ عَذَابِ الْجَحِيمِ ﴿فَضَلَّامٍ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ﴾

﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾، سبق في الصفات بيانه، ﴿طَعَامُ الْآثِمِ﴾: كثير الإثم أي: الكافر لأن الكلام فيه، ﴿كَالْمُهْلِ﴾: دُرْدَى الزيت، وقيل: هو ذائب الفضة والنحاس، ﴿يَغْلِي فِي الْبُطُونِ﴾، ومن قرأ "يغلي" بالياء فباعتبار أن الشجرة طعام الآثِم، ﴿كَغَلِي الْحَمِيمِ﴾، غلياناً مثل غليان الماء الشديد الحرارة، ﴿خَذُوهُ﴾، أي: قلنا للزبانية: خذوا الآثِم، ﴿فَأَعْتَلُوهُ﴾: سوقوه بعنف، ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾: وسطها، ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾، الملك مضره بجديد فيفتح دماغه، ثم

(١) ولما كان السياق في الانتقام أخبر عن حال الفجار بطريق الاستئناف، فقال: "إن شجرة الزقوم" الآية / ١٢ وجيز .

يصب الحميم على رأسه فيسلت ما في بطنه من الأمعاء، فيتمزق على كعبيه، أعاذنا الله تعالى من ذلك، ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾، أي: قولوا له ذلك سخرية وتقريعاً، وعن (١) عكرمة: (٢) أنه عليه السلام قال لأبي جهل: (أمرني الله تعالى أن أقول لك أولى لك فأولى)، فقال: ما تستطيع لي ولا صاحبك (٣) من شيء إني أمتنع أهل بطحاء وأنا العزيز الكريم، فقتله الله تعالى يوم بدر وأذله وغيره بكلمته، وأنزل: " ذق إنك أنت العزيز الكريم "، وذكر غير واحد من السلف: أن المراد من الأثيم أبو جهل (٤)، ﴿إِنَّ هَذَا﴾: العذاب، ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾: ما تشكون فيه، ﴿إِنْ (٥) الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ﴾: موضع إقامة، ﴿آمِينَ﴾: يأمن صاحبه عن كل مكروه، ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾، بدل من مقام، ﴿وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ﴾، خبر ثان، أو حال، أو استئناف، ﴿مِنْ سُنْدُسٍ﴾: ما رق من الحرير، ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾: ما غلظ منه، ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾، لا يجلس أحد منهم وظهره إلى غيره لأنس بينهم، ﴿كَذَلِكَ﴾، أي: الأمر كذلك، أو أثبتناهم مثل ذلك، ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ﴾: قرناهم بهن، والهور: النساء النقيات البيضاء، ﴿عَيْنٍ﴾: عظيمة العينين، ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾: يأمرن بإحضار أنواع الفواكه، ﴿آمِينَ﴾، من كل مكروه، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾، بل حياتهم أبدية، ﴿إِلَّا الْمَوْتَ الْأُولَى﴾، لكن ذاقوا الموت الأولى في الدنيا، قيل الاستثناء للمبالغة، فإن الغرض من إعلام أنهم لا يذوقون الموت أصلاً، كأنه قال: لو فرضنا ذوق الموت في

(١) أخرج الأُموي في مغازيه / ١٢ فتح . [ضعيف لإرساله]

(٢) وغيره / ١٢ وحيز .

(٣) أراد الرب تعالى وتقديس / ١٢ .

(٤) ولما كانت السورة مكية فالظاهر نزول الآية عند قوله ما تستطيع أنت . وصاحبك / ١٢

وحيز .

(٥) لما ذكر حال المجرمين أعقبه بحال المتقين كما هو عادة كلام الله / ١٢ وحيز .

الجنة لما ذاق إلا الموتة الأولى وذوق تلك الموتة محال، لأنها ماضية، فالذوق محال، ﴿وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضْلًا﴾، أي: أعطى كل ذلك تفضلاً، ﴿مَنْ رَبُّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١) فَإِنَّمَا يَسْرُنَا: سهلنا القرآن، ﴿بِلِسَانِكَ﴾، فإنه بلغتك، ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: لكي يفهمونه فيتعظون به، ﴿فَارْتَقِبْ﴾: انتظر الفتح أو ما يحل بهم، ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ﴾: ما يحل بك من الدوائر^(٢).

فالحمد لله رب العالمين.

(١) ولما امتن بأن جميع النعم من فضله سبحانه، أعقبه بفرد من الفضل تام فقال: "فإنما يسرناه" الآية / ١٢ وجيز .

(٢) فيما يزعمون من ظنهم الكاذبة فهو وعد ووعد، والحمد لله على كل حال / ١٢ وجيز .

سورة الجاثية مكية

وهي سبع أوست وثلاثون آية وأربع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حَمِّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ
يُوقِنُونَ ٤ وَاخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ
فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٥
تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ
٦ وَتِلْ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ٧ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ
مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا
شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ٩ مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا
يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّنْ
رَّجَزٍ أَلِيمٍ ١١ ﴿*﴾

﴿حَمِّ تَنْزِيلُ^(١) الْكِتَابِ﴾، إن كان حم اسماً للسورة مبتدأ، فلا بد من تقدير أي:
تنزيل حم تنزيل الكتاب، إذ السورة نفسها ليست بتنزيل، فإن كان المراد من الكتاب

(١) قوله: "تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم" هذه الآية وأمثالها دلت على أن الله عز

وجل - بذاته فوق العرش بائن من جميع المخلوقات، كما قال الحافظ العلامة شمس

السورة ، ففيه إقامة الظاهر مقام المضمر، كما تقول: شعرُ نابغة شعره، وإن كان المراد القرآن فالمعنى على التشبيه، أى: تتزيل حم كتنزيل سائر القرآن فى البيان، والهداية والإعجاز والحكمة، ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، وقيل: حم قسم ^(١) وتتزيل صفته، وجوابه قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ^(٢)﴾، كالكواكب والحيوان والمعادن، ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ﴾، عطف على خلقكم، ﴿مِن دَابَّةِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، من قرأ برفع "آيات" فمحمول على محل اسم إن، ومن قرأ بنصبها فعلى لفظه، ﴿وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾، أى: المطر، فإنه سبب الرزق، ﴿فَاحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ

والله أخبرنا بأن كتابه	تتزيله بالحق والبرهان
أىكون تتزيلاً وليس كلام من	فوق العباد أذاك ذو إمكان؟!
أىكون تتزيلاً من الرحمن والر	حم ليس مبائن الأكوان؟!

وقال فى موضع آخر من الكتاب المذكور:

واذكر نصوصاً فى الكتاب تضمنت	تتزيله من ربنا الرحمن
تضمنت أصليين قام عليهما	الإسلام والإيمان كالبنيان
كون الكتاب كلامه سبحانه	وعلوه من فوق كل مكان
وعدادها سبعون حين تعد أو	زادت على السبعين فى الحسابان

وذكر شيخ الإسلام أبو العباس - رحمه الله تعالى - أنه سئل بعض أئمة نفاة العلو عن نزول الرب عز وجل، فقال: يتزل أمره، فقال له السائل: فمن يتزل الأمر من العدم المحض؟! فبهت وكان كبيراً فيهم، انتهى / ١٢.

(١) أى: مقسم به / ١٢.

(٢) فإنهم المتأملون / ١٢.

الرِّيحَ: جنوباً وشمالاً وغيرهما، ﴿آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾^(١)، في "آيات" قراءتان، وعلى الوجهين عطف على معمولي عاملين مختلفين، إلا أن تقول اختلاف عطف على في السماوات، بتقدير: في لا أنه عطف على السماوات، ﴿تِلْكَ﴾: الآيات، ﴿آيَاتُ اللَّهِ﴾: دلائله، ﴿تَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾، حال عاملها معنى الإشارة، ﴿بِالْحَقِّ﴾، متلبسين، أو متلبسة به، ﴿فَبَأَى حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ﴾: أى بعد حديثه، ﴿وَأَيَاتِهِ﴾: دلائله أو كتابه، فيكون العطف لمغايرة الوصفين، أو هو كقولهم: أعجبني زيد وكرمه، أى: أعجبني كرمه، فمعنى بعد الله وآياته بعد آياته، وتقدم اسم الله تعالى للتعظيم، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾^(٢) و﴿لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾: كذاب كثير الإثم، ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾، على كفره، وثم لاستبعاد الإصرار بعد السماع، ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾، عن الانقياد، ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾، أى: كأنه، والجملة حال، أى: يصير مثل غير السميع، ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا﴾، أى: علم شيئاً أنه من الآيات،

(١) ذكر في هذا الموضع ثلاثة مقاطع: أولها: يؤمنون، وثانيها: يوقنون، وثالثها: يعقلون، وأظن أن سبب هذا الترتيب أنه قيل: إن كنتم من المؤمنين فافهموا هذه الدلائل، وإن كنتم لستم من المؤمنين، بل أنتم من طلاب الحق واليقين فافهموا هذه الدلائل وإن كنتم لستم من المؤمنين، ولا من الموقنين، فلا أقل من أن تكونوا من زمرة العاقلين، فاجتهدوا في معرفة هذه الدلائل / ١٢ كبير.

(٢) يعنى إن من لم ينتفع بهذه الآيات فلا شيء بعده يجوز أن ينتفع به، وأبطل بهذا قول من يزعم أن التقليد كاف، وبين أنه يجب على المكلف التأمل في دلائل دين الله / ١٢ كبير.

(٣) ولما قال: " فَبَأَى حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ "، عقبه بذكر عقاب من لا يؤمن بالقرآن فقال: " ويل لكل أفَّاكٍ الآية / ١٢ وحيز .

﴿اتَّخَذَهَا هُزُؤًا^(١)﴾، مقتضى الظاهر ضمير المذكر الراجع إلى شيئاً فأنته لأن الشيء للآية أو لأنه راجع إلى الآيات، بمعنى إذا علم شيئاً أنه من جملة الآيات، تجاوز في الاستهزاء إلى جميع الآيات إجمالاً، ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ مِنْ وَرَائِهِمْ^(٢)﴾: من خلفهم، ﴿جَهَنَّمَ﴾، فإنه بعد آجالهم، أو من أمامهم، ﴿وَلَا يُعْنِي﴾: لا يدفع، ﴿عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا﴾، من العذاب، ﴿وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولِيَاءَ﴾، أى: الأصنام، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ هَذَا﴾: القرآن، ﴿هُدًى﴾: كامل فى الهداية، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ﴾: هو أشد العذاب، ﴿أَلِيمٌ﴾.

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِىٰ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

(١) قيل: نزلت فى الضر بن الحارث، وما كان يشتري من أحاديث الأعاجم ويشغل بها الناس

عن استماع القرآن، والآية عامة فى كل من كان موصوفاً بالصفة المذكورة ١٢/ كبير .

(٢) الورى: ما يوارى من خلف وأمام / ١٢ وجيز .

﴿١٥﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٦﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١٧﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٨﴾

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ فِيهِ فَلَئِكَ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾: بتسخيـره، ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾، بالتجارة وغيرها^(١)، ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، هذه النعم، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، مسخران لنا من حيث أنا ننتفع بهما، ﴿جَمِيعًا مِّنْهُ﴾، منه حال من ما، أى: كائنا من الله تعالى، وجميعًا حال من فاعل منه، أو تقديره هى من الله جميعًا، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾، حذف القول لدلالة الجواب عليه، أى: قل لهم: اغفروا، إن تقل لهم: اغفروا يغفروا أى: يغفوا، ﴿لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾، لا يخافون وقائعه ونقمتـه، كانوا فى الابتداء مأمورين بالصبر على أذى المشركين، ثم نزلت آية القتال، وعن بعضهم: أنها نزلت فى عمر رضى الله عنه، حين هم أن يبطش من شتمه بمكة وأمر بالعفو، فعلى هذا لم تكن الآية منسوخة، ﴿لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾، أى: اعفوا أتم عنهم ليجزيهم الله تعالى سوء أعمالهم، ويكون تنكير قومًا للتحقير، وقيل: المراد من القوم المؤمنون الذين صبروا حيثئذ، المراد بما كانوا يكسبون: المغفرة والعفو، فالتنكير للتعظيم، ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾، فيجازيكم، ﴿وَلَقَدْ^(٢) آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ،

(١) كالغوص والصيد / ١٢ وحيز .

(٢) ولما كان من أول السورة بيان أنه تعالى أنزل كتابًا ليس بعده كتاب، وبعد ما أنزل هذا الذى هو هدى، أضل أكثرهم والله يقضى بينهم بالجزاء، ذكر حال بنى إسرائيل، فإنهم مثلهم حذو النعل بالنعل، فقال: " ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب " الآية / ١٢ وحيز .

أو فصل^(١) الخصومات، «وَالثَّبُوءَ»، إذ فيهم كثير من الأنبياء، «وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ»: كالمن والسلوى، «وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ»، عالمى زمانهم، «وَأَتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ»، أدلة من أمر الدين، «فَمَا اخْتَلَفُوا»: فى الأمر، «إِلَّا مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ»، الموجب لزوال الخلاف، «بَغْيًا»: حسداً أو عداوة، «بَيْنَهُمْ»، وعن بعض: معناه آتيناهم أدلة على مبعث محمد عليه السلام، فما اختلفوا إلا بعد القرآن حسداً، «إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ»^(٢) ثُمَّ جَعَلْنَاكَ: يا محمد، «عَلَىٰ شَرِيعَةٍ»: سنة وطريقة، «مِّنَ الْأَمْرِ»: من الدين، «فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ»: آراء، «الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا»: يدفعوا، «عَنكَ مِنَ اللَّهِ»: من عذابه، «شَيْئًا»، إن اتبعتهم، «وَأَنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ^(٣) بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلَىٰ الْمُتَّقِينَ»، لا توالهم، فإنما يوالى الظالمين من هو مثلهم، وأما المتقون فوليهم الله تعالى وهم موالوه، «هَٰذَا»: القرآن، «بَصَائِرُ

(١) لأن الملك كان فيهم / ١٢ وحيز .

(٢) والمراد أنه لا ينبغي أن يغتر المبطل بنعم الدنيا، فإنها وإن ساوت نعم الحق، أو زادت عليها، فإنه سبى فى الآخرة ما يسوءه، وذلك كالزجر لهم، ولما بين تعالى أنهم أعرضوا عن الحق لأجل البغى والحسد، أمر رسوله بأن يعدل عن تلك الطريقة وأن يتمسك بالحق، وأن لا يكون له غرض سوى إظهار الحق وتقرير الصدق، فقال تعالى: " ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ " الآية / ١٢ كبير .

(٣) بين تعالى أن الظالمين يتولى بعضهم بعضاً فى الدنيا وفى الآخرة لا ولى لهم ينفعهم فى إيصال الثواب، وإزالة العقاب، وأما المتقون المهتدون فالله وليهم وناصرهم وهم موالوه، وما أبين الفرق بين الولايتين، ولما بين الله تعالى هذه البيانات الباقية النافعة، قال: " هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون " وبين الفرق بين المتقين والظالمين بوجه آخر، فقال: " أم حسب الذين " الآية / ١٢ كبير .

لِلنَّاسِ: يَبْصِرُهُمْ رَشْدَهُمْ، ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوفُونَ﴾: يَطْلُبُونَ الْيَقِينَ، ﴿أَمْ حَسِبَ﴾: بَلْ أَحْسَبُ، فَالْهَمْزَةُ لِانْكَارِ الْحِسَابِ، ﴿الَّذِينَ اجْتَرَحُوا﴾: اِكْتَسَبُوا، ﴿السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ﴾: نَصِيرَهُمْ، ﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، أَيْ: مِثْلَهُمْ، ﴿سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ﴾، بَدَلَ مِنْ ثَانِي مَفْعُولٍ نَجْعَلُ، وَالضَّمِيرُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَمَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ مَرْفُوعٌ عَلَى الْفَاعِلِيَّةِ، أَيْ: مُسْتَوِيًّا مَحْيَا الْمُسْلِمِينَ وَمَمَاتُهُمْ، وَمَحْيَاهُمْ رَغْدٌ وَمَمَاتُهُمْ نَكْدٌ، أَوِ الضَّمِيرُ لَهُمُ وَلِلْمُحْسِنِينَ، أَيْ: مُسْتَوِيًّا مَحْيَا الْفَرِيقَيْنِ، وَهُمْ فِي طَاعَةِ وَهَوَاءٍ فِي مَعْصِيَةِ وَمَمَاتُهُمْ وَهُمْ فِي الْبُشْرَى بِالرَّحْمَةِ، وَهَوَاءٍ فِي الْيَأْسِ مِنْهَا، فَهُمْ أَكْرَمُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَوِ مَنْصُوبٌ بِتَقْدِيرِ أَعْنَى، وَقِيلَ حَالٌ مِنَ الْمَفْعُولِ الْأَوَّلِ، أَيْ: مُسْتَوِيًّا فِي الْبَعْدِ عَنِ الرَّحْمَةِ، أَوِ مِنَ الْمَفْعُولِ الثَّانِي، أَيْ: مُسْتَوِيًّا فِي الْقَرَبِ عَنِ الرَّحْمَةِ، وَمَنْ قَرَأَ بِرَفْعٍ سِوَاهُ فَالْجُمْلَةُ بَدَلَ أَيْضًا كَمَا تَقُولُ: حَسِبْتُ زَيْدًا أَبُوهُ مُنْطَلَقٌ، ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾، أَيْ: بِئْسَ حُكْمُهُمْ هَذَا.

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ١١٠ أَفَرَأَيْتَ مَنْ آتَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١١١ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ١١٢ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا بَنَاءَنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١١٣ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ١١٤﴾

﴿وَخَلَقَ^(١) اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾، أى: كيف يستوى، وقد خلقهما بالحق المقتضى للعدل، ﴿وَلَتَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾، عطف على معنى بالحق، فإنه بمعنى خلقهما للعدل والصواب لا للبعث، أو عطف على علة محذوفة، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، فإذا استوى المسيء والحسن فلا يكون للعدل والجزاء، ويكون المحسن مظلوماً، ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ^(٢)﴾، من لا يطاوع ربه، بل يطاوع هواه فهو الهواه ربه، ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ﴾، حال من الفاعل، أى: عالماً بضلاله فى الأزل، أو من المفعول، أى: بعد بلوغ العلم وقيام الحجة عليه، ﴿وَوَخَّتُمْ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾، فلا يتعظ، ولا ينظر بعين الاعتبار، ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾، من بعد إضلاله، أو من غير الله تعالى، ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَقَالُوا مَا هِيَ﴾، الحياة، ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾، أى: يموت بعضنا ويحيا بعض، أو المراد نفى الحى والميت، وعلى هذا يكون قوله: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾، مبین له أى: لا نموت إلا بطول العمر ومر الزمان، وقيل: هذا إثبات التناسخ، فإنه عقيدة أكثرهم، ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾: الذى يقولون، ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾، إذ لا دليل لهم

(١) لما بين أن المؤمن لا يساوى الكافر، أتبعه بالدلالة الظاهرة على صحة هذه الفتوى، فقال: "وخلق الله السموات والأرض" الآية / ١٢ كبير .

(٢) أخرج الحاكم من طريق سعيد بن جبیر عن ابن عباس: كان الرجل من العرب يعبد الحجر، فإذا وجد أحسن منه أخذه وألقى الآخر، فأنزل الله عز وجل هذه الآية انتهى .

قال سعيد بن جبیر: كان العرب يعبدون الحجاره والذهب والفضة، فإذا وجدوا حجراً أحسن من الأول رموه وكسروه، وعبدوا الآخر، قال الشعبي: إنما سمى الهوى لأنه يهوى صاحبه فى النار، وعن ابن عباس والحسن وذلك الكافر اتخذ دينه ما هواه، فلا يهوى شيئاً إلا ركبته لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما حرم عليه/ ١٢ كمالين.

بوجه، ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾، التي تدل على خلاف معتقدهم، ﴿بَيِّنَاتٍ﴾: واضحات الدلالة، ﴿مَا كَانَ أَحْجَبَتْهُمْ﴾، متشبهتهم في المعارضة، ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبِعُوا بَابَانَا﴾، الأموات، حتى نستدل بالبعث، أو حتى يشهدوا، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾، من العدم، ﴿ثُمَّ يُمَيِّنُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ﴾، في القبر، ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: في يوم القيامة، فإن من قدر على الإيجاد من العدم - الذي هم مَقْرُون به، أو هو جلي ظاهر لا ينكره إلا غي - قدر على الإعادة بطريق الأولى، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، لقصور نظرهم.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ ﴿١٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِئَةٍ كُلِّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٢١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُتَّقِينَ ﴿٢٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَانُكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٤﴾ ذَلِكُمْ بِأَنكُمُ اتَّخَذْتُمْ ءَايَتِ اللَّهِ هُزُوءًا وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٢٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾: القيامة، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، تأكيد للأول، ﴿يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةً﴾: باركة على الركب، حتى إبراهيم عليه السلام لشدة اليوم، أو مجتمعة للحساب، ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾: الذى فيه أعمالها، ومن قرأ بنصب كل فهو بدل من الأول، ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، أى: يقال لهم ذلك، ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾، أى: ديوان الحفظة الذى كتبوا بأمرنا، ﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾: يشهد عليكم بلا زيادة، ولا نقصان، ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ﴾: نأمر الملائكة بنسخ، ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، عن ابن عباس -رضى الله عنه- وغيره -رضى الله عنهم- إذا صعد الملائكة بالأعمال إلى السماء يؤمرون بالمقابلة على ما فى اللوح فلا يزيد ولا ينقص، ثم قرأ "إنا كنا نستنسخ" الآية، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ عَظْفَ عَلَى مَحْذُوفٍ، أى: فىقال لهم ألم تأتكم رسلى فلم تكن ﴿آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ وَإِذَا قِيلَ﴾، أى: لكم، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾، أى: موعوده كائن، أو متعلق الوعد كائن، ﴿وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ﴾، أى شيء هى، ﴿إِنْ نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا﴾، أى: ما نظن إلا ظناً حقيراً، أو ما نعتقد إلا ظناً لا علماً، ونحوه، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُستَقِينَ﴾، أى: كائنة، وأما جزمهم فى إنكارها فلعله حين عتوهم فى العناد، أو هذا كلام بعضهم، ﴿وَبَدَأَ﴾: ظهر، ﴿لَهُمْ سَيِّئَاتٌ﴾، أى: قبائح، ﴿مَا عَمِلُوا﴾: أو جزاء سيئات أعمالهم، ﴿وَحَاقَ﴾: أحاط، ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، أى: جزاؤه، ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ﴾: نعاملكم معاملة الناسى، فنترككم فى العذاب، ﴿كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾، أى: لقاء ما فيه من الجزاء وتركتم العمل له، جعل الظرف مجرى المفعول به وأضاف اللقاء إليه، ﴿وَمَا أَوَّاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ ذَلِكَُم بِأَنكُم اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾، فنسيتم حياة الآخرة،

﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾: من النار، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: لا يطلب منهم أن يرضوا بهم ويزيلوا العتب، ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَهُ الْكِبَرِيَاءُ^(١)﴾: العظمة، ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾: الغالب، ﴿الْحَكِيمُ﴾، فيما أراد وقضى، وهذا الإخبار كأنه كناية أو مجاز عن الأمر بالحمد.

فله الحمد والثناء والعظمة والكبرياء .

(١) عن أبي هريرة رضى الله عنه، "عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: يقول الله تبارك وتعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار" أخرجه ابن أبي شيبة ومسلم، وأبو داود وابن ماجه والبيهقي / ١٢ فتح .

سورة الأحقاف مكية

وهي أربع أو خمس وثلاثون آية وأربع ركوعات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿حَم﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا
مُعْرِضُونَ ﴿٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ
الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ
عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا
يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ
كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٥﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا
بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ
أَفْتَرَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ
كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٧﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا
مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا
إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ
مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَمَأْمَنَ وَاسْتَكَبَرْتُمْ إِيَّاهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٩﴾

﴿حَمَّ تَرْيِلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾، قد مر تفسيرها في التي قبلها،
﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾، أي: إلا
خلقاً متلبساً بما يقتضيه الحكمة، وبتقدير مدة معينة تنتهي إليها السماوات والأرض،
وهو إشارة إلى فنائها وقيل: خلقها بمدة معينة وهى قوله: "في ستة أيام"
[الأعراف: ٥٤]، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا﴾، من هول ذلك اليوم، ﴿مُعْرِضُونَ
قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُرُونِي﴾، بدل من رأيتم، ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ
الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾، أي: أخبروني عما تدعون من دون الله
وتجعلون له شريكاً، أخبروني أى جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله تعالى؟!
أم لهم مع الله تعالى شركة في خلق السماوات؟! ﴿أَتُؤْنِنِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا﴾،
الإشارة إلى القرآن^(١)، ﴿أَوْ آثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾: بقية من علم بقيت من علوم الأولين تدل
على صحة ما أنتم عليه من الشرك، ﴿إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، في دعواكم، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ
مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ^(٢) لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ^(٣)﴾، أي: لا أضل

(١) يعنى القرآن المعجز ناطق بالتوحيد، وكذلك جميع كتب الله، فطلب منهم إتيان كتاب
واحد يشهد بصحة دينهم، أو بقية من علوم الأولين الراسخين والآثار مستعملة في بقية
الشرف، يقال: لبنى فلان أثارة من شرف، إذا كانت عندهم شواهد قديمة/ ١٢ وجيز.

(٢) أي: لا أحد أضل منه ولا أجهل، فإنه دعى من لا يسمع، فكيف يطمع في الإجابة؟!
فضلاً عن جلب نفع أو دفع ضرر، فتبين بهذا أنه أجهل الجاهلين وأضل الضالين،
والاستفهام للتوبيخ والتقريع / ١٢ فتح، وقال القاضى البيضاوى إنكار أن يكون أحد
أضل من المشركين، حيث تركوا عبادة السميع المجيب القادر الخبير إلى عبادة من لا
يستجيب لهم لو سمع دعاءهم فضلاً أن يعلم سرائرهم ويراعى مصالحهم/ ١٢ .

(٣) أي: أبداً فهذا كناية عن التأييد، قال تعالى: " لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما
استجابوا لكم" (فاطر: ١٤) / ١٢ وجيز .

ممن يعبد من لا يستجيب له لو سمع دعاءه أبدًا، ويتجاوز عن عبادة سميع مجيب خبير، ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ^(١) غَافِلُونَ﴾، لأهم جمادات صم لا تبصر ولا تعقل، ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً﴾، أي: كان الناس للمعبودين أعداء، لأهم بسببها وقعوا في الهلكة، ﴿وَكَانُوا﴾، أي: العابدون، ﴿بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾: جاحدين، يقولون: "والله ربنا ما كنا مشركين" (الأنعام: ٢٣)، أو كان المعبدون للناس أعداء، وكانوا جاحدين لعبادتهم يقولون: "نرانا إليك ما كانوا إيانا يعبدون"، ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٌ^(٢) قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾، أي: قالوا لأجل الآيات الواضحات وفي شأها، ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾، من غير تأمل، ﴿هَذَا سِحْرٌ^(٣) مُّبِينٌ أَمْ يَقُولُونَ﴾: بل يقولون، ﴿افْتَرَاهُ﴾، إضراب عن ذكر تسميتهم إياه سحرًا إلى ما هو أشنع، فالهمزة للإنكار والتعجب، ﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ﴾، على الفرض، ﴿فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: لا تقدرون على دفع^(٤) عقاب الافتراء، فكيف اجترأ عليه من أجلكم؟! ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ﴾: تخوضون، ﴿فِيهِ﴾، من القدح^(٥)، ﴿كَفَىٰ بِهِ﴾: كفى بالله، ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾: يشهد بصدقي وبلاغي، وبكذبكم وإنكاركم، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾،

(١) لأهم إما جمادات، وإما عباد مسخرون مشغولون بأحوالهم / ١٢ بيضاوى .

(٢) واضحات المعاني ظاهرات الدلالات / ١٢ فتح .

(٣) لما رأوه شيئًا خارقًا للعادة وليست لهم عبادة نسبوها إلى السحر / ١٢ وجيز .

(٤) في صفة الله، وفي رسوله / ١٢ .

(٥) لما حكى عنهم أنهم طعنوا في كون القرآن معجزًا، بأن قالوا: يختلقه من عند نفسه، ثم

ينسبه إلى أنه كلام الله على سبيل الفرية، حكى عنهم نوعًا آخر من الشبهات، وهو

أنهم يقترحون منه معجزات عجيبة ويطالبونه بأن يخبرهم عن المغيبات فأجاب تعالى عنه

بأن قال: "قل ما كنت بدعًا من الرسل" الآية / ١٢ كبير .

لمن تاب وآمن فلا إقناط من رحمته، ﴿قُلْ﴾^(١) مَا كُنْتُ بِدَعَا مِّنَ الرُّسُلِ: بديعاً غريباً
 آمركم بما لا يأمرون به، ﴿وَمَا أَدْرِ مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾: لا أدري إلى ما يصير
 أمرى وأمركم في الدنيا وعن بعض: معناه لا أدري حالى وحالكم في الآخرة، ثم نزل بعده
 "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" (الفتح: ٢) فقالت الصحابة: هنيئاً لك، وعلمنا
 ما يفعل الله تعالى بك فماذا يفعل بنا؟ فأُنزل الله تعالى: "ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات
 " (الآية (الفتح: ٥)، وعن بعضهم معناه: لا أدري بماذا تؤمر وبماذا تنهى بعد ذلك؟ أو لا
 أدري حالى وحالكم في الدارين على التفصيل إذ لا أدعى علم الغيب، ﴿إِنِ اتَّبَعُ إِلَّا مَا
 يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾، لا أبتدع من عندى شيئاً، ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾، قيل: هو جواب عن
 اقتراحهم الإخبار عن الغيب، أو عن استعجال المسلمين أن يتخلصوا من أذى المشركين،
 ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ: القرآن، ﴿مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي
 إِسْرَآئِيلَ﴾، هو عبدالله بن سلام، صرح به جماعة لا يحصى من السلف، وعليه حديث
 البخارى ومسلم، فهذه الآية مستثناة من كون السورة مكية، كما صرح به في تفسير
 الكواشى وقد يأول بأن المراد، ويشهد شاهد فيكون على طريقة "ونادى أصحاب
 الأعراف" (الأعراف: ٤٨) فالآية في حقه الحكم بأنه يشهد بعد ذلك، ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾، أي:
 على مثل ما أُنحى القرآن به، وقيل: المثل صلة، ﴿فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾، فعطف كفرتم على
 كان، وعطف واستكبرتم على شهد، وعطف جملة شهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله،
 فآمن واستكبرتم على جملة كان من عند الله وكفرتم وجواب الشرط محذوف، أي: ألستم
 ظالمين؟ ويدل عليه قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا
 بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا أَفْلُكُ قَدِيمٌ ۖ وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً

(١) أقتل أم أخرج؟ وأتخسفون أم ترمون بالحجارة؟ / ١٢ وحيز .

وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُبَشِّرَ
لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَلُّوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿١٢﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾
وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا
وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ
أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا
تَرْضَاهُ وَأَصْلَحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنَّي تَبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٤﴾
أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ
الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِينَ كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٥﴾ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَ أَفِ لَكُمْ مَا
أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَكْبِرَانِ اللَّهُ وَبِكَ ءَامِنٌ
إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ
عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا
خَاسِرِينَ ﴿١٧﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوفيَهُمْ أَعْمَلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ
﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا
وَأَسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ
بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿١٩﴾ *

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، أي: لأجلهم، ﴿لَوْ كَان﴾، أي: بالإيمان،
﴿خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾، فإنهم فقراء، وعبيد، وإماء، ونحن أشرف والأشرف
للأشرف، ﴿وَأِذَا لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ﴾، أي: بالإيمان، ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾، كما

قالوا: أساطير الأولين والعامل في إذ محذوف^(١)، والفاء مسبب عنه، أي: ظهر عنادهم فيقولون، وقيل: السين لجرد التأكيد، والمضارع للاستقرار أو بحيث يتناول الماضي فلا حاجة إلى تقدير، ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾، أي: قبل القرآن، ﴿كِتَابُ مُوسَى﴾، مبتدأ، وخبر، ﴿إِمَامًا^(٢) وَرَحْمَةً^(٣)﴾، نصب على الحال، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ﴾، للكتب السماوية، ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾، نصب على الحال، ﴿لِنَذِيرٍ﴾، النبي، أو الكتاب علة مصدق، ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشِّرَى لِّلْمُحْسِنِينَ﴾، عطف على محل لينذر، ﴿إِنَّ^(٤) الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾: أقرؤا بواحدانيته ثم استقاموا على التوحيد، وثم لتراخي مرتبة الاستقامة، فإن لها الشأن كله، ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، مما يستقبلون، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، على ما خلفوا، ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً﴾، أي: جُوزوا جزاء، ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾، لما ذكر التوحيد عطف عليه بالوصية بالوالدين كقوله تعالى: "وقضى ربك أن لا تعبدوا" الآية (الإسراء: ٢٣)، وقوله: "أن اشكر لي ولوالديك" (لقمان: ١٤)، ﴿إِحْسَانًا﴾، منصوب بوصينا بأنه بمعنى ألزمنه الحسن في أبيه، ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا

(١) لأن إذ للماضي، والسين للاستقبال، فلا يكون مدخولها العامل في إذ، فيقدر عامله/١٢

وحيز .

(٢) يُهْتَدَى به، وفيه البشارة بمبعث خاتم النبيين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم

أجمعين/١٢ وحيز .

(٣) على الخلق لأنه سبب الهداية، أي: كتاب موسى كائن من قبل القرآن في حال كونه

إمامًا ورحمة، فإنهم لما طعنوا في القرآن، قيل لهم: أنزل الله قبل القرآن التوراة وأنتم لا

تنازعون فيه، فما بالكم في شأن القرآن / ١٢ وحيز .

(٤) لما قرر دلائل التوحيد، والنبوة، وذكر شبهات المنكرين وأجاب عنها ذكر بعد ذلك

طريق المحققين والمحققين فقال: "إن الذين قالوا ربنا الله" الآية / ١٢ كبير .

وَوَضَعَتْهُ^(١) كُرْهًا، نصب على الحال، أي: ذات كره، أو صفة لمصدر، أي: حملاً ذا كره ومشقة، ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ﴾، أي: مدتهما، والفصال: الفطام، ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾، فأقل مدة الحمل ستة أشهر لأنه إذا حط عنه حولان كاملان لمن أراد أن يتم الرضاعة بقى ذلك، وفي سورة لقمان "وفصاله في عامين" (لقمان: ١٤) وعن ابن عباس رضى الله عنهما: إذا وضعت بعد تسعة أرضعت إحدى وعشرين، وإذا وضعت بعد ستة أرضعت أربعة وعشرين، ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾: استحکم قواه واكتهل، قيل: هو ما بين ثمانى عشر إلى أربعين، وقيل: ثلاث وثلاثون إلى أربعين، وهو غايته، ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ^(٢) سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾: ألهمني، ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾، والنعمة: الهداية والإسلام، ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا^(٣) تَرْضَاهُ وَأَصْلِحَ^(٤) لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾، اجعل لى الصلاح ساريًا فيهم، ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، قيل: نزلت في أبى بكر رضى الله عنه، اجتمع له إسلام أبويه وأولاده

(١) ولما كان الاهتمام في شأن الأم لضعفها وكثرة احتياجها إلى الإحسان، ذكرما للأُم من الحقوق / ١٢ وحيز .

(٢) أي: المحسن في سن كمال العقل / ١٢ .

(٣) وفي هذه الآية دليل على أنه ينبغي لمن بلغ عمره أربعين سنة، أن يستكثر من هذه الدعوات / ١٢ فتح .

(٤) اعلم أن مراتب السعادات ثلاثة: أكملها النفسانية، وأوسطها البدنية، وأدونها الخارجية، والسعادات النفسانية: هو اشتغال القلب بشكر آلاء الله ونعمائه، والسعادات البدنية: هي اشتغال البدن بالطاعة والخدمة، والسعادات الخارجية: هي سعادة الأهل والولد، فلما كانت المراتب محصورة في هذه الثلاثة لا جرم رتبها الله تعالى على هذا الوجه / ١٢ كبير .

جميعاً، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة، وهذا إرشاد لمن بلغ الأربعين أن يجدد الإنابة إلى الله تعالى: فقد ورد "من بلغ الأربعين، ولم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار" (*)، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ أي: طاعاتهم فإنها أحسن من المباح، ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾: كائنين معدودين فيهم، ﴿وَعَدَ الصِّدِّيقُ﴾، مصدر مؤكد لأن يتقبل ويتجاوز وعد، ﴿الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾، بلسان الأنبياء، وعن علي رضي الله عنه من الذين قال الله تعالى فيهم: " أولئك الذين نتقبل عنهم " الآية قال: والله عثمان وأصحاب عثمان قالها ثلاثاً، ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهُهُ أَفْ لَكُمْ﴾، هو صوت يعلم منه أن قائله متضجر، واللام للبيان أي: هذا التأفيف لكما خاصة، لما ذكر تعالى حال البارئين هما عقب بحال العاقين لهما، ﴿أَتَعِدَّانِي أَنْ أُخْرَجَ﴾، من قبري حيّاً، ﴿وَقَدْ خَلْتُ﴾: مضت، ﴿الْقُرُونُ مِن قَبْلِي﴾، ولم يبعث منهم أحد، ﴿وَهُمَا﴾: الوالدان، ﴿يَسْتَعِينَانِ اللَّهَ﴾: يسألانه أن يعينه بالهداية، وقيل: الغياث بالله منك، ﴿وَيْلَكَ آمِنْ﴾: يقولان له ذلك دعاء عليه بالهلاك، والمقصود التحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك نصب على المصدر، ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ﴾، الولد: ﴿مَا هَذَا﴾، الذي تدعونني إليه، ﴿إِلَّا أَصَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾: أباطيلهم التي كتبوها، ﴿أُولَئِكَ﴾، خبر لقوله: "والذي قال"، فالمراد "بالذي" الجنس القائل ذلك القول حتى جاز أن يكون خيره مجموعاً، ﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾: كلمة العذاب وأنهم أهل النار، ﴿فِي أُمَمٍ﴾، كائنين معدودين فيهم، ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾، في الدنيا، والآية في كل كافر عاق، وفي الآية أدلة على ضعف قول من قال: إنها في شأن عبد الرحمن بن أبي بكر قبل

(*) "موضوع" ذكره ابن الجوزي في "الموضوعات"، (١٧٨/١)، والسيوطي في "الآلئ المصنوعة"، (٧١/١).

إسلامه^(*)، وفي النسائي لما بايع معاوية لابنه قال مروان: سنة أبي بكر وعمر، فقال عبد الرحمن: سنة هرقل وقيصر، فقال مروان: هذا الذي أنزل الله تعالى فيه: "والذي قال لوالديه" الآية، فبلغ عائشة رضى الله عنها فقالت: والله ما هو به، ولو شئت أن أسمى الذي أنزل الله فيه لسميته^(١)، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروان في صلبه فمروان فضض^(٢) من لعنة الله تعالى^(**)، ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾: مراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر، وتسمية الدرجات درجات للتغليب، ﴿وَلِيُوفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾، أي: جزاءها، ومعلله محذوف، أي: وقدّر لهم درجات ليوفّيهم، ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾: بزيادة عقاب ونقص ثواب، ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ^(٣) الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾، من باب القلب للمبالغة، أي: يعرض النار عليهم، أو معناه يعذبون عليها، ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾، أي: يقال لهم يوم القيامة ذلك، ﴿طَيِّبَاتِكُمْ﴾: لذائذكم، ﴿فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا﴾، فلم يبق لكم منها

(٥) قال الحافظ ابن كثير في "التفسير"، (١٥٨/٤): "هذا عام في كل من قال هذا، ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر رضى الله عنهما فقولوه ضعيف، لأن عبد الرحمن أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من خيار أهل زمانه".

(١) وهذا منها رضى الله عنها دال على أن الآية في معين / ١٢ وجيز .

(٢) فضض - بفتح حين -: ما انتشر من الماء عند الاغتسال به، أو كل متفرق ومنتشر /

(**) أخرجه النسائي في "التفسير"، من طريق شعبة عن محمد بن زياد: فذكره عن عائشة، وهو ضعيف لانقطاعه، فإن محمد لم يسمع عائشة، ولذا قال الذهبي متعقباً الحاكم لما صححه في المستدرک (٤٨١/٤): "محمد لم يسمع من عائشة".

(٣) من عرض فلان على السيف إذا قتل به، والعرض: المباشرة، كما تقول: عرضت العود على النار، وأيضاً في الكتاب والسنة ما يدل على أن لجهنم عيناً وكلاماً وعلى الوجهين لا يكون الآية من باب القلب القليل الترر / ١٢ وجيز .

شيء، ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾: الذل، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، فإن التكبر يمكن أن يكون بحق، ﴿وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾، رأى (١) عمر رضي الله عنه في يد جابر لحماً فقال: ما هذا؟ فقال: لحماً اشتهيته، فقال: أو كل ما اشتهيته اشتريت، أما تخاف هذه الآية "أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا".

﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ الْبُيُوتُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١٦﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّطِيرٌ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩﴾ تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّا لَهُمْ فِيهَا مَكَنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَابْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَأَذْكُرْ﴾ (٢) أَخَا عَادٍ، أي: هوداً، ﴿إِذْ أَنْذَرَ﴾، بدل من أخا عاد، ﴿قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾: منازلهم فهم ساكنون بين رمال، جمع حقف، وهو الرمل الكثير، ﴿وَقَدْ

(١) أخرجه أحمد في الزهد / ١٢ در منشور. [أخرجه أحمد في الزهد عن الأعمش، وهو منقطع؛ لأن الأعمش لم يدرك عمر].

(٢) ولما هدد بالعقوبات الأخروية، أعقبه بالعقوبات الدنيوية التي وقعت على قوم في جزيرة العرب معروفين بالقوة الغالبة والاستكبار والبيان، الذي ليس له نظير

خَلَّتِ التُّذُرُ، حال من مفعول اذكر، أو معترضة بين أنذر وبين أن لا تعبدوا، ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾: قبله، ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾^(١): بعده فأنذروا كما أنذر، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾، أن مفسرة، أو بالأ تعبدوا، فإن النهى عن شيء إنذار عن مضرتة، ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَأَفَّكُنَا﴾: تصرفنا، ﴿عَنِ الْهَيْتِ فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾، من العذاب، ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾، هو يعلم متى يأتيكم العذاب، ولا مدخل لى فى الاستعجال، ﴿وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾: فما على الرسول إلا البلاغ، ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾، لأنكم تستعجلون بعذاب يحتمل الوقوع، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾، الضمير مبهم يفسره قوله: ﴿عَارِضًا﴾، وهو إما تمييز، أو حال، أو الضمير لما طلبوا إتيانه يعنى سحابًا عرض فى أفق السماء، ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾: متوجه أوديتهم، والإضافة لفظية، ولذا وقع صفة لنكرة، ﴿قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾، وكذا هذه الإضافة لفظية، استبشروا لأنه قد حبس عنهم المطر، ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾، من العذاب، أي: قال هود بل هو، أو الإضراب من الله تعالى، ولا قول ثمة، بل هو عبارة عن سرعة استئصالهم كقوله تعالى: " فقال لهم الله موتوا " بعد قوله: " ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم " (البقرة: ٢٤٣) فإن معناه فأماهم الله، ﴿رِيحٌ﴾، أي: هى ريح، ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدْمِرُ﴾^(٢): تهلك، ﴿كُلَّ

= فى الدنيا، ولقریش معرفتهم بالأخبار ورؤية آثارهم فقال: "واذكر أحبا عاد" ١٢/ وجيز .

(١) عطف "من خلفه" على "من بين يديه" أما تتريل* الآتى منزلة الماضي، على طريقة "ونادى أصحاب الأعراف" (الأعراف: ٤٨) وإما على تقدير: ويأتى من خلفه على طريقة: علفته تبنا وماء باردًا ١٢/ منه .

(٢) أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعًا ضاحكًا حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسّم، وكان إذا =

شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى، أي: جاءهم الريح ودمرتهم، فأصبحوا بحيث لو حضركم لا ترى، ﴿إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾، قيل: كانوا تحت الرمال ثمانية أيام ولهم أنين، ثم قذفتهم الريح في البحر، ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ﴾، أي: في الذي ما مكناكم فيه من المال والقوة والعمر، فإن نافية، وقيل: شرطية محذوفة الجواب، أي: في شيء إن مكناكم فيه كان بغيكم أكثر، وقيل: صلة، ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾: شيئًا من الإغناء، أو مادفع عنهم شيئًا من العذاب، ﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾، ظرف جرى مجرى التعليل، ﴿وَوَحَاقٍ﴾: أحاط، ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(١)، أي: العذاب، فإنهم استهزءوا به.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْكَرَىٰ وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢)
 فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكِ

= رأى غيمًا أو ريحًا عرف ذلك في وجهه، قلت يا رسول الله: إذا رأوا الغيم فرحوا أن فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرفت في وجهك الكراهية؟ قال: (يا عائشة وما يؤمنى أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا) وأخرج مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عصفت الريح قال: (اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به) فإذا تحيلت السماء تغير لونه، وخرج ودخل وأقبل وأدبر، فإذا أمطرت سرى عنه فسألته، فقال: (لا أدري لعله كما قال قوم عاد: " هذا عارض ممطرنا ") / ١٢ فتح .

(١) ولما تم حكاية قوم عاد، هدد قريشًا بغيرهم من الأمم المجرمين، فقال: " ولقد أهلكنا ما حولكم " الآية / ١٢ وجيز .

إِنْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَقْتِرُونَ ﴿١٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ
 الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿١٩﴾
 قَالُوا يَلْقَوْنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
 يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٠﴾ يَلْقَوْنَآ أَجْبِيَا دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامِنُوا
 بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ
 دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي
 ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ
 بِخَلْقِهِنَّ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٣﴾
 وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ
 فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِّن
 الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً
 مِّن نَّهَارٍ بَلَّغَ فَبَلَّ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٥﴾

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ﴾، يا أهل مكة، ﴿مِّنَ الْقُرَى﴾، كحجر ثمود، وقرى قوم
 لوط، ﴿وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ﴾: بينها مكرراً، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾، عن ضلالتهم،
 ﴿فَلَوْلَا﴾: فهلا، ﴿نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾، أي: الذين
 اتخذوهم متجاوزين الله تعالى آلهة متقرباً بهم، كما قالوا: "هؤلاء شفعاؤنا
 " (يونس: ١٨) فقربانا حال من المفعول الثاني، أي: آلهة، أو مفعول له، ﴿بَلْ ضَلُّوا
 عَنْهُمْ﴾، لم ينفعهم عند نزول العذاب، ﴿وَذَٰلِكَ﴾، أي: ضلالتهم عنهم، ﴿إِنْكُهُمْ﴾،

أي: أثر صرفهم عن الحق، ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾^(١)، وإفرائهم، وهذا كمن أدب أحدا فلم يتأدب، وظهر منه سوء أدب، فيقال له تقرّبا: هذا تأديبك، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا﴾: أملنا، ﴿إِلَيْكَ نَفْرًا﴾، هوما دون العشرة، ﴿مَنْ الْجِنُّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾^(٢)، وهو عطف على قوله: "أخا عاد"، أي: واذكر إذ صرفنا، ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾: القرآن أو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ﴿قَالُوا﴾: بعضهم لبعض: ﴿انصِتُوا﴾: نستمع القرآن، ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾: فرغ عن قراءته، ﴿وَلَوْ﴾: رجعوا، ﴿إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾، إياهم بما سمعوا، والأحاديث الصحاح والحسان بطرق مختلفة، تدل على أنه عليه السلام ذهب إل الجن قصدا فتلا عليهم، والأظهر كما قاله كثير من العلماء: أن استماعهم القرآن ليس مرة واحدة ولا يمكن توفيق الأحاديث المتضادة إلا بذلك، فمرة في طريق الطائف،

(١) ولما ذكر صريحا وكناية عناد قريش، وبخهم بعذاب دنيوى وأخروي، أعقب ذلك تقرّبا لهم من هو أنقى قلبا وأبعد سحيا وطبعًا، فقال: "وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن" الآية / ١٢ وجيز.

(٢) أخرج البخارى ومسلم وغيرهما، عن مسروق قال: سألت ابن مسعود رضى الله عنه من أذن النبی صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا القرآن؟ قال: آذنته بهم الشجرة، وأخرج أحمد ومسلم، والترمذى عن علقمة قال: قلت لابن مسعود هل صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم منكم أحد ليلة الجن؟ قال: ما صحبه منا أحد، ولكننا فقدناه ذات ليلة، فقلنا: اغتيل استطير ما فعل، قال: فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما كلان في وجه الصبح، إذا نحن به يجيء من قبل حراء، فأخبرناه، فقال: (إنه أتانى داعى الجن، فأتيتهم فقرأت عليهم القرآن) فانطلق فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، وقد وردت أحاديث كثيرة أن الجن بعد هذا وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم - مرة بعد مرة، وأخذوا عنه الشرائع/١٢فتح.

ومرة في شعاب مكة، ومرة في بوادي المدينة، ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾، لم يذكروا عيسى لأن الإنجيل فيه مواعظ، وقليل نادر من الأحكام، فهو كالتمتم للتوراة، وقيل: لأنهم كانوا يهوداً، ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾، من كتب الله، ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾، أي: بعضها، فإن المظالم لا تغفر في حق الدمى بالإيمان بخلاف الحربي، فإنه لا تبقى عليه تبعة^(١)، ﴿وَيَجْزِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ وَمَنْ لَا يُجِيبِ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾، لا يعجز الله تعالى فيفوته، ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾، ينصروهم، ﴿أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ أَوْ لَمْ^(٢) يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغَيَّرْهُ لَمْ يَخْلُقْهُنَّ﴾، ولم يضعف عن إبداعهن، ﴿بِقَادِرٍ﴾، خبر أن، والباء لاشتمال النفي على أن وما في حيزها كأنه قال: "أليس الله بقادر^(٣)"، ﴿عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى﴾، مقرر للقدرة الواقعة بعد ليس تقدير^(٤)، ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَيَوْمَ^(٥) يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾: يعذبون عليها، ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾، أي: قال لهم في ذلك اليوم أليس هذا، تقرّيعاً،

(١) أي: الحرب تسقط عنه القتل والغصب / ١٢ كمالين .

(٢) الأظهر أن قوله: " أو لم يروا " كلام الله لا حكاية كلام الجن / ١٢ وجيز .

(٣) إنما جاز إدخال الباء على خبر أن، لدخول حرف النفي على أن وما يتعلق بها، فكأنه

قيل: أليس الله بقادر قال الزجاج: لو قلت: ما ظننت أن زيداً بقاتم جاز، ولا يجوز

ظننت أن زيداً بقاتم، والله أعلم / ١٢ كبير .

(٤) لا للرؤية الواقعة بعد لم تحقيقاً / ١٢ وجيز .

(٥) واعلم أنه تعالى لما أقام الدلالة على صحة القول بالحشر والنشر، ذكر بعض أحوال

الكفار، فقال: " ويوم عرض الذين كفروا على النار " الآية / ١٢ كبير .

﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾^(١) قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ^(٢)﴾: بـسـيـه،
﴿فَاصْبِرْ﴾^(٣)، يا محمد، ﴿كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعِزِّ﴾، أي: أولو الثبات والجد منهم،
والأشهر أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم النبيين عليهم الصلاة والسلام،
﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾، حال، ومن للتبعض وعن بعضهم: إن جميع الأنبياء أولو العزم، فمن
للتبيين، ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ﴾، بالعذاب، ﴿لَّهُمْ﴾: لقريش، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا
يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾، أي: يحسبون يوم القيامة أن مدة لبثهم في
الدنيا ساعة فإنه نازل بهم لا محالة، ﴿بَلَاغٌ﴾، أي: هذا يعنى القرآن، أو ما وعظمت به
بلاغ كفاية، أو تبليغ من الرسول، ﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾: الخارجون
عن الاتعاظ^(٤) والطاعة.

(١) إن كان المراد من الحق العدل، فحلفهم بقوله: " وربنا " ظاهر موقعه، وإن كان المراد
الوقوع فحلفهم جبر لمبالغتهم في الدنيا في نفيه / ١٢ وجيز .
(٢) واعلم أنه تعالى لما قرر المطالب الثلاثة، وهي: التوحيد والنبوة والمعاد، وأجاب عن
الشبهات، أردفه بما يجرى مجرى الوعظ والنصيحة للرسول صلى الله عليه وسلم وذلك
لأن الكفار كانوا يؤذونه ويوجسون صدره، فقال تعالى: "فاصبر كما صبر أولوا العزم
من الرسل" / ١٢ كبير .

(٣) أي: لما عرفت أن هذا حال من لم يؤمن بالله فاصبر / ١٢ وجيز .

(٤) اللهم لا تجعلنا منهم / ١٢ .

سورة محمد مدنية وقيل مكة

وهي ثمانى أو تسع وثلاثون آية وأربع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ ١ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ
 وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا
 الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ٣ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فِأَمَّا مَتَا بَعْدُ فِيمَا فِدَاءٌ حَتَّىٰ
 تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ
 بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ
 ٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ ٦ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَنَصَرُوا اللَّهُ يَنْصُرَكُمْ
 وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
 كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ٩ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ
 كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ١٠ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ
 مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ١١

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾: أعرضوا، أو منعوا الناس، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾: عن الدخول
 في الإسلام، ﴿أَضَلَّ﴾ (١) أَعْمَالَهُمْ: أبطلها، وما جعل لها ثواباً كتصدقهم وصلة

(١) فهو من ضل عني إذا ضاع لا من الإضلال المقابل للهداية/١٢ وحيز.

أرحامهم، ﴿وَالَّذِينَ﴾^(١) آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﴿تَخْصِيصٌ بَعْدَ التَّعْميمِ تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ، وَأَكْدَهُ بِالْجُمْلَةِ الْاِعْتَرَاضِيَّةِ يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾، الظَّرْفُ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ الْحَقِّ، ﴿كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾: حَالُهُمْ وَأَمْرُهُمْ، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الإِضْلالُ وَالتَّكْفِيرُ، ﴿بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾: الشَّيْطَانُ، ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾: الْقُرْآنُ، ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾، حَالٌ مِنَ الْحَقِّ، ﴿كَذَلِكَ﴾^(٢): مِثْلُ ذَلِكَ الضَّرْبِ، ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ﴾^(٣) أَمْثَالَهُمْ أي: لِأَجْلِ النَّاسِ أَمْثَالَ الْفَرِيقَيْنِ، أَوْ أَمْثَالَ النَّاسِ لِلنَّاسِ بِأَنْ جَعَلَ اتِّبَاعَ الْبَاطِلِ وَالْإِضْلالِ مِثْلًا لِلْكَفَّارِ، وَاتِّبَاعَ الْحَقِّ وَالتَّكْفِيرِ مِثْلًا لِلْمُؤْمِنِينَ^(٤)، ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: حَارَبْتُمُوهُمْ، ﴿فَضْرَبَ الرَّقَابَ﴾ أي: فَاضْرِبُوا رِقَابَهُمْ ضَرْبًا قَدَمَ الْمَصْدَرِ مُضَافًا إِلَى الْمَفْعُولِ بَعْدَ حَذْفِ فَعْلِهِ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ الْقَتْلُ بِأَيِّ وَجْهِ كَانَ، ﴿حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ﴾: أَغْلَظْتُمْ قَتْلَهُمْ، وَجَعَلْتُمُوهُ كَثِيرًا كَثِيفًا قَالَ تَعَالَى: "مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَّخِذَ فِي الْأَرْضِ" [الْأَنْفَال: ٦٧] ﴿فَشُدُّوا الْوُثَاقَ﴾ أي: فَاسْرُوهُمْ، وَالْوُثَاقُ مَا يُوَثَّقُ بِهِ، ﴿فَإِمَّا مَنَّا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ أي: تَمْنُونَ مِنَّا بَعْدَ الْأَسْرِ، أَوْ يَفْدُونَ فِدَاءً أَرَادَ التَّخْيِيرَ بَيْنَ الْإِطْلَاقِ بِلا عَوْضٍ وَبَيْنَ الْعَوْضِ، وَعِنْدَ بَعْضِ السَّلَفِ أَمْثَالُهُ مَنَسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ "فَاقْتُلُوا

(١) لما بين حال الكفار بين حال المؤمنين، فقال: "والذين آمنوا" الآية/١٢ كبير.

(٢) قوله: "كذلك" لا يستدعي أن يكون هناك مثل مضروب، بل معناه أنه تعالى لما بين حال الكافر وإضلال أفعاله، وحال المؤمن وتكفير سيئاته، وبين السبب فيهما كان ذلك غاية الإيضاح، فقال: "كذلك" أي: مثل هذا البيان يضرب الله للناس أمثالهم ويبين لهم أحوالهم/١٢ كبير.

(٣) ولما بين سبحانه حال الفريقين أمر بجهد الكفار فقال: "فإذا لقيتم" الآية/١٢ فتح.

(٤) فالشار إليه في ذلك لا يقتضي مشاراً إليه مغايراً لمضمون يضرب الله للناس أمثالهم، لكن لا بد من ضرب مثل في الجملة/١٢ وجيز.

المشركين حيث وجدتموهم" الآية [التوبة: ٥]، والأكثر من على أنها محكمة، ثم قال بعضهم التخيير بين القسمين فلا يجوز قتله، والأكثر من منهم وهو قول أكثر السلف على التخيير بين المن والمفاداة والقتل والاسترقاق، ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾: أنقلها وآلاتها أي: لا يبقى حرب، وهو بأن لا يبقى كافر، "وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله" [الأنفال: ٣٩] قيل: حتى تضع الحرب أثام أهلها بأن يتوبوا، أو شرك أهلها وقبائحهم، ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر ذلك، ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ﴾: لانتقم، ﴿مِنْهُمْ﴾: بأن أهلكهم من غير قتال، ﴿وَلَكِنْ﴾ شرع لكم الجهاد، ﴿لِيُنْزِلَ﴾: الله تعالى، ﴿بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾: فيمحص ويخلص المؤمنين بالجهاد، ويمحق الكافرين فهو من البلية، أو من الابتلاء أي: الاختبار قال تعالى: "أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله" الآية [آل عمران: ١٤٢]، ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾^(١): جاهدوا، ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ﴾: يضيع، ﴿أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ﴾: إلى سبل السلام، ﴿وَيُصْلِحْ بَالَهُمْ﴾: حالهم فيما بقى من عمرهم، وفي الآخرة، ﴿وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾: بينها لهم فكل منهم يعرف منزله، وفي البخاري "والذي نفس محمد بيده إن أحدهم بمثله في الجنة أهدى منه بمثله كان في الدنيا" وعن بعض: طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة^(*) قيل: عرفها لهم في الدنيا حتى اشتاقوا إليها، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ﴾

(١) قرأ الجمهور "قاتلوا" مبينا للفاعل، وقرئ "قتلوا" مخففا ومشدداً مبيناً للمفعول، وقرئ قتلوا على البناء للفاعل مع التخفيف من غير ألف، والمعنى على الأولى والرابعة أن المجاهدين في سبيل الله ثوابهم غير ضائع، وعلى الثانية والثالثة أن المقتولين في سبيل الله كذلك لا يضيع الله سبحانه أجرهم/٢١ فتح.

(٥) ومنه قوله -صلى الله عليه وسلم: "من تعلم علماً مما يبغي به وجهه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" يعني: ربحها. أخرجه أبو داود وابن ماجه وغيرهما، وانظر صحيح سنن ابن ماجه .

أي: في دينه، «يَنْصُرُكُمْ»: على عدوكم، «وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ»: في الجهاد والطاعات، «وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ»، مفعول مطلق وجب حذف فعله أي: تعس أو أتعسه الله تعالى تعسا أي: أهلكه إهلاكاً، والجملة خبر الذين كفروا كأنه قال والذين كفروا أهلكهم ^(١) الله «وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ» ^(٢)، عطف على ناصب تعسا، «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ»: القرآن، «فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أَفَلَمْ يَسِيرُوا» ^(٣) في الأرض فيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَرًا: استأصل، «اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا» أي: ولطلق الكافرين أمثال تلك العاقبة، فيه وعيد لقريش، «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى: ناصر، «الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ»: لا ناصر لهم، ولكن هو مولاهم بمعنى مالِكهم ^(٤).

«إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ ۖ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكَنَاهُمْ

(١) فهذا مجاز عن الإهلاك، ولا قول هناك ولا دعاء، ولذلك جاز أن يكون خبراً للمبتدأ من غير حاجة إلى تقدير قول، فإن حقيقة الجملة خبرية، وإن كان لفظها دعائية إنشائية، وعلى هذا قوله "وأضل أعمالهم" جاز عطفه، وهو خبر على الإنشاء صورة/١٢ وحيز.

(٢) كصديقتهم، وصلة أرحامهم/١٢.

(٣) تعجيب وتحضيض على السير والتأمل/١٢.

(٤) فلا تناقض بين تلك الآية، وقوله تعالى في الكفار: "وردوا إلى الله مولاهم الحق" [يونس: ٣٠]؛ لأن المراد من المولى في تلك الآية الناصر، وفي هذه الآية المالك/١٢ منه.

فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٢﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ
وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٣﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ
ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّن
عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَن هُوَ خَالِدٌ فِي
النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٤﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا
خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ
تَقْوَاهُمْ ﴿١٦﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى
لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٧﴾ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرَ لِذَنْبِكَ
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٨﴾

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ﴾: في الدنيا بها، ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾: لا يهتمون
بالحل، والحرمة، ولا بالقلة والكثرة لا شكر ولا حمد^(١)، ﴿وَالنَّارُ مَشْوًى﴾: منزل،
﴿لَهُمْ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي: وكم من أهل قرية، ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ﴾:
مكة، أي: من أهلها، ﴿الَّتِي أَخْرَجْتَكَ﴾: كانوا سبب خروجك، ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾:
بأنواع العذاب، ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾، معناه على المضي أي: لم يكن لهم ناصر فهو
كالحال المحكية نزلت حين قال -عليه السلام- في الغار ملتفتاً إلى مكة: "أنت أحبُّ
بلاد الله إلى الله وأحبُّ بلاد الله إلى ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك"،

(١) في آخره ولا بسملة في أوله/١٢ وحيز.

فأعدى الأعداء من عدا على الله في حرمه، أو قتل غير قاتله^(*)، ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾: حجة، ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾: كالقرآن والدلائل، ﴿كَمْ مِنْ زُيْنٍ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا﴾، جمع الضمير باعتبار المعنى، ﴿أَهْوَأَهُمْ﴾: لا حجة لهم أصلاً، ﴿مِثْلُ^(١) الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ أي: وعدا، ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾: غير متغير طعمه ولا ركه، ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾: لم يصر حامضاً ولا قارصاً، ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾: طيبة الطعم والرائحة لا فيها غول، وهي تأنيث لَدٌ، وهو اللذيذ أو مصدر وصف به للمبالغة، ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى^(٢)﴾: من الشمع والوسخ، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ أي: بعضه، ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾، عطف على معنى من كل الثمرات، ﴿مِنْ رَبِّهِمْ كَمْ مِنْ خَالِدٍ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾: من شدة الحرارة، واعلم أن "مثل الجنة" مبتدأ خبره "كمن هو خالد" بتقدير في الخبر والمبتدأ على حاله أي: كمثل جزاء من هو خالد أو في المبتدأ، أو الخبر على حاله أي: مثل أهل الجنة كمن هو خالد وقوله "فيها أنهار" إما صلة لا بعد صلة، أو استئناف، أو مثل مبتدأ، وفيها أنهار خبره من غير احتياج بتقدير أي: صفتها هذه،

(*) ذكره ابن كثير في "التفسير" (١٧٥/٤) من طريق ابن أبي حاتم بإسناد رجاله ثقات خلا حنش فإنه لا بأس به، وفي الصحيح ما يشهد له.

(١) ولما بين سبحانه الفرق بين الفريقين في الاهتداء والضلال بين الفرق بين مرجعهما ومآلهما، فقال: "مثل الجنة التي وعد المتقون" الآية ١٢/فتح.

(٢) عن معاوية بن حيدة قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "في الجنة بحر اللبن، وبحر الماء، وبحر العسل، وبحر الخمر لم تشقق الأنهار منها بعد" أخرجه أحمد، والترمذي وصححه، وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في البعث [صحيح، انظر صحيح الجامع (٢١٢٢)/١٢/فتح.

أو مبتدأ خبره محذوف أي: فيما قصصنا عليكم مثل الجنة ثم أخذ بين، وعلى هذين الوجهين كمن هو خالد خبر محذوف أي: المنفى الذى له تلك الجنة كمن هو خالد، والقرينة وعد المتقون، ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾: المنافقون يحضرون ويسمعون كلامه الأشرف، ﴿حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: علماء الصحابة، ﴿مَاذَا قَالَ﴾: محمد، ﴿آنفًا﴾: الساعة استهزاء وإعلامًا بأننا ما كنا ملتفتين إليه مستمعين له، وآنفًا ظرف بمعنى أول وقت يقرب منا، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾: ختم عليها فلا يدخل فيها الهدى، ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ﴾: الله، أو قول الرسول، ﴿هُدًى﴾: وفقهم على تكثير الحسنات وتقليل السيئات، ﴿وَأَتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾^(١): أعانهم على التقوى أو أعطاهم ثواب التقوى أو بين لهم ما يتقون، ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾: ينتظرون، ﴿إِلَّا السَّاعَةَ﴾ أي: لا يؤخرون الإيمان إلا لانتظار^(٢) القيامة، ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾، بدل اشتغال من الساعة، ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ كالعلة كأنه قال لا ينتظرون إلا إتيانها بغتة؛ لأنه قد جاء أشراطها، وبعد مجيء الأشرار لابد من وقوع الساعة، ومن أشراطها مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾: فمن أين لهم التذكر والاعتاظ إذا جاءتهم الساعة؟ يعنى حينئذ لا تنفعهم، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: إذا علمت حال الفريقين فاثبت على التوحيد، ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾، ذكره

(١) ولما ذكر حال المنافقين، والكلام فى شأنهم وقوله: "والذين اهتدوا" فى البين للمقابلة كما هو طور القرآن رجع إلى الكلام فى أمرهم فقال: "فهل ينظرون" الآية ١٢/ وجيز.

(٢) حاصله أنهم، وإن لم يؤمنوا بالقيامة، ولم ينظروها، لكن لما كانت القيامة متحققة الوقوع وهم يؤخرون الإيمان فكأنهم ينتظرون القيامة ١٢/ منه.

للتوطئة والتمهيد لقوله: ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(١)، فالمقصود الاستغفار لهم، وأمره به لتستن به أمته، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ﴾: متصرفكم بالنهار، ﴿وَمَثُواكُمْ﴾:

(١) قال شيخ الإسلام أبو العباس الحارثي - في شرح دعاء ذى النون عليه السلام: إن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه، كما قال تعالى: "قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا" الآية [البقرة: ١٣٦]، بخلاف غير الأنبياء، فإنهم ليسوا بمعصومين كما عصم الأنبياء، ولو كانوا أولياء الله، ولهذا من سب نبياً من الأنبياء قتل باتفاق الفقهاء، ومن سب غيرهم لم يقتل، وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي بها يحصل مقصود النبوة والرسالة، فإن النبي هو المنبئ عن الله، والرسول هو الذي أرسله الله تعالى، وكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا، والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة فلا تستقر في ذلك خطأ باتفاق المسلمين، ثم أطال الكلام إلى أن قال: وأما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع هل هو ثابت بالعقل، أو بالسمع، ويتنازعون في العصمة من الكبائر والصغائر، أو من بعضها أم هل العصمة إنما هي في الإقرار عليها في فعلها أم لا يجب القول بالعصمة إلا في التبليغ فقط، وهل تجب العصمة من الكفر والذنوب قبل البعثة أم لا والكلام على هذا مبسوط في غير هذا الموضوع، والقول الذي عليه جمهور الناس، وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف فيقع في الكفر بهم [كذا بالأصل] إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقاً، والرد على من يقول: إنه يجوز إقرارهم عليها، وحجج القائلين بالعصمة إذا حررت إنما تدل على هذا القول إلى أن قال: ونصوص الكتاب والسنة في هذا الباب كثيرة متظاهرة، والآثار في ذلك عن الصحابة والتابعين، وعلماء المسلمين كثيرة لكن المنازعون يتأولون هذه النصوص من جنس تأويلات الجهمية والباطنية كما فعل ذلك من صنف في هذا الباب وتأويلهم تتبين لمن تدبرها أنها فاسدة من باب تحريف الكلام عن مواضعه، وهؤلاء يقصد أحدهم تعظيم الأنبياء فيقع في تكذيبهم، ويريد الإيمان بهم، وقال في بحث: إن الاعتبار بكمال النهاية لا بما جرى في البداية والأعمال بخواتيمها، وساق الدلائل في ذلك إلى أن قال: وبهذا يظهر جواب شبهة من يقول: إن الله لا يبعث نبياً

مستقركم^(١) في الليل، أو متقلبكم في الدنيا ومثواكم في الآخرة، أو متقلبكم من ظهر إلى بطن، ومثواكم مقامكم في الأرض أو في القبور.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ ۖ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ

= إلا من كان معصوماً قبل النبوة، كما يقول ذلك طائفة من الرافضة وغيرهم، وكذلك من قال: إنه لا يبعث نبياً إلا من كان مؤمناً قبل النبوة، فإن هؤلاء توهّموا أن الذنوب تكون نقصاً وإن تاب التائب منها، وهذا منشأ غلطهم، فمن ظن أن صاحب الذنوب مع التوبة النصح يكون ناقصاً فهو غلط غلطاً عظيماً، فإن الدم والعقاب الذي يلحق أهل الذنوب لا يلحق التائب منها شيء أصلاً، لكن إن قدم التوبة لم يلحقه شيء وإن أخر التوبة فقد يلحقه ما بين الذنوب والتوبة من الدم، والعقاب ما يناسب حاله، والأنبياء -صلوات الله عليهم وسلامه- كانوا لا يؤخرون التوبة؛ بل يسارعون ويسابقون إليها لا يؤخرون ولا يصرون على الذنب؛ بل هم معصومون من ذلك ومن أخر ذلك زمناً قليلاً كفر الله ذلك بما يتلى به كما فعل بذي النون -عليه السلام- هذا هو المشهور أن إلقاءه كان بعد النبوة، وأما من قال: إن إلقاءه كان قبل النبوة، فلا يحتاج إلى هذا، والتائب من الكفر والذنوب قد يكون أفضل ممن لم يقع في الكفر والذنوب، وإذا كان قد يكون أفضل حالاً [في الأصل: مالا، وما ذكرناه أقرب للمعنى] فضل أحق بالنبوة من ليس مثله في الفضيلة انتهى ملتقطاً/ ١٢.

(١) هو على العموم في كل متقلب ومثوى أي: موضع سكوت، ولما قال: "والله يعلم متقلبكم ومثواكم" عطف عليه ما هو من المعلومات فقال: "ويقول الذين آمنوا" ١٢/ وجيز.

﴿١١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴿١٢﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ
الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿١٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا
تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴿١٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا
لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿١٥﴾
فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴿١٧﴾

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا^(١) لَوْلَا﴾: هلا، ﴿نَزَلَتْ سُورَةٌ﴾: تأمرنا بالجهاد، ﴿فَإِذَا
أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾: غير منسوخة^(٢)، ﴿وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾: الأمر به، ﴿وَرَأَيْتَ
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: من^(٣) كان له ضعف دين، ﴿يَنْتَظِرُونَ إِلَيْكَ﴾: عند
الموت، ﴿نَظَرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: كنظر من أصابته الغشية عند الموت
من رعبهم وجبنهم، ﴿فَأَوَّلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ أي: كان الأولى^(٤) بهم
طاعة الله، وقول معروف^(٥) بالإجابة، أو معناه فالويل لهم^(٦) من الولي، وأصله أولاه الله
ما يكرهه، واللام مزيدة أي: هذا الويل لهم، ثم قال "طاعة" أي: أمرهم طاعة أو طاعة

(١) الظاهر أنهم الموحدون المخلصون/١٢ وجيز.

(٢) وغير متشابه لا يحتمل إلا وجوب القتال/١٢ وجيز.

(٣) وهذا كما قال الله: "ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم" الآية [النساء: ٧٧]/١٢ وجيز.

(٤) إشارة إلى أن اللام في "لهم" بمعنى الباء/١٢.

(٥) رد حسن بالإجابة والسمع والطاعة/١٢ منه، وفي الصحاح، قول العرب: أولى لك :
تهديد، وتوعيد/١٢ منه.

(٦) وهذا هو المحكى أيضاً عن ابن عباس/١٢.

خير لهم، **﴿فَإِذَا عَزَمَ﴾** : جد، **﴿الْأَمْرُ﴾** : وفرض القتال، **﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾** : في الإيمان والطاعة، **﴿لَكَانَ﴾** : الصدق، **﴿خَيْرًا لَهُمْ﴾** ، وعن بعضهم إذا عزم الأمر حضر القتال فلو صدقوا الله: أخلصوا له النية لكان خيراً لهم، **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾** : يتوقع منكم، **﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾** : بمعنى الإعراض أي: أعرضتم عن الدين أو رجعتكم عن الجهاد، **﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾** : أن تعودوا إلى أمر الجاهلية، أو بمعنى الولاية أي: تأمرتم أن تظلموا ولم تعدلوا فدخلت هل على ما يتضمنه عسى من معنى التوقع يعني: هم لضعف دينهم بحيث يتوقع من عرفهم ذلك منهم، ويقول لهم هل عسيتم، **﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ﴾** : فلا يستمعون الحق ولا يهتدون، **﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾** : فيتعظون بمواعظه، **﴿أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾** أي: أم يتدبرون لكن عليها القفل، فلا يدخل فيها الحق، وتنكير قلوب للتهويل كأنه قيل لا يقادر قدرها في القسوة والإقفال، أو لأن المراد قلوب بعض، وإضافة الأقفال للدلالة على أقفال مناسبة لها لا تجانس الأقفال المعهودة، وقيل: أم منقطعة والهمزة للتقرير، **﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾** : رجعوا إلى كفرهم وهم المنافقون، **﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾** : بالمعجزات، أو هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد -عليه الصلاة والسلام- بعد ما عرفوه من كتابهم، **﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ﴾** : زين وسهل، **﴿لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾** : مد لهم في الآمال، أو أمهلهم الله تعالى، وقراءة أملى على فعل المتكلم يدل على الثاني أي: وأنا أمهلهم ولا أعجلهم بالعقوبة، **﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ﴾** : المنافقين، **﴿قَالُوا﴾** : سرًا، **﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَلَ اللَّهُ﴾** ، هم المشركون، أو كفار أهل الكتاب، أو قال كفار أهل الكتاب للمشركين: **﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأُمْرِ﴾** : بعض أموركم في عداوة الإسلام، **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾** : أفشا الله تعالى أسرارهم وأفضحهم، **﴿فَكَيْفَ﴾** : يعملون^(١)، **﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ**

(١) ويحتالون حينئذ/١٢.

وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ: ليستخرجوا أرواحهم بالقهر، ﴿ذَلِكَ﴾: التوفى بالموصوف
 ﴿يَأْتِيهِمْ أَتْبَعُوا مَا اسَّخَطَ﴾ (١) الله: من الكفر وعداوة الإسلام، ﴿وَكَرِهُوا﴾ (٢)
 رضوانه: ما يرضاه، ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾: حسناهم التي عملوا.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنَهُمْ﴾ (١) وَلَوْ
 نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ
 أَعْمَلَكُمْ (٢) وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ
 أَخْبَارَكُمْ (٣) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ
 مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالُهُمْ (٤) * يَأْتِيهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٥) إِنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ (٦) فَلَا
 تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ (٧)
 إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ إِنْ تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلَكُمْ
 أَمْوَالَكُمْ (٨) إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُحْفَفْكُمْ تَبْخُلُوا وَيُخْرِجَ أَضْغَنَكُمْ (٩)
 هَآأَنْتُمْ هَآؤَآءِ تَدْعُونَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ
 فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
 غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ (١٠)

(١) فوجهوا وجوههم إليه فضربوا وجوههم/ ١٢ وجيز.

(٢) فتولوا عنه فضربوا أدبارهم ففي ذلك مقابلة أمرين بأمرين/ ١٢ وجيز.

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: نفاق، ﴿أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ﴾: يبرز ويظهر، ﴿أَضْغَاثُهُمْ﴾: أحقادهم، وأم منقطعة، والهمزة للإنكار، ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾: عرفناهم بأشخاصهم، ﴿فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾: بأن جعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها، لكن لم يفعل سترًا منه على خلقه، وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- ما خفى على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعد نزول هذه الآية أحد من المنافقين يعرفهم بسيماهم، فكانه -رضى الله عنه- حمله على أنه وعد بالوقوع دال على الامتناع فيما سلف، ولام الجواب كررت في المعطوف، ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ هو إزالة الكلام عن جهته^(١) إلى تورية فكان بعد ذلك ما تكلم منافق عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إلا استدل بفحوى كلامه على فساد باطنه، وهو جواب قسم محذوف، والواو لعطف^(٢) القسمية على الشرطية، ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾: نعاملكم معاملة المختبر بالتكاليف، ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾: نرى ونميز، ﴿الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ﴾: على مشاقها، ﴿وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾: نعلم أو تُظهر أحوالكم وأعمالكم أو نختبر أخباركم عن الإيمان أنه عن صدق القلب أو عن اللسان وحده، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا﴾: الناس، ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ﴾: خاصموه، ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾: من المضرة إنما يضرون أنفسهم، ﴿وَسَيُخِطُّ أَعْمَالَهُمْ﴾: ثواب حسناتهم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾: بالردة، والنفاق أو بالرياء والمن والأذى أو بالكبائر،

(١) مثل قولهم: راعنا/١٢ وحيز.

(٢) والواو لعطف القسمية على الشرطية، وقال في الوجيز: ولام فلعرفتهم قسمية بقريضة عطف قوله: "ولتعرفنهم في لحن القول" عليه فإن المضارع سيما مع نون التأكيد ينافى أن يكون جواب لو، وهذه الطريقة التي اخترناها في بيان تلك الآية كأنها ضالة الحكيم، وفوق كل ذي علم عليم/١٢ وحيز.

وعن أبي العالية: كنا معاشر الصحابة نرى أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت "ولا تبطلوا أعمالكم"، فخفنا أن يبطل الذنب العمل، وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قريب منه، «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ»، دل بمفهومه على أنه قد يغفر الذنوب لمن لم يمت على الكفر، «فَلَا تَهِنُوا»: تضعفوا، «وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَغْلَوْنَ»: ولا تدعوهم إلى الصلح حال كونكم الأغلبين، «وَاللَّهُ مَعَكُمْ»: بالنصر، «وَلَنْ يَتَّخِذَكُمْ (١) أَعْمَالُكُمْ»، منصوب بترغ الخافض أي: لن يفردكم الله منها بأن يضيع، أو بالمفعول لتضمن معنى السلب، «إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ»: لا أصل لها ولا ثبات، «وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ»: ثواب أعمالكم، «وَلَا يَسْأَلُكُمْ»: ربحكم، «أَمْوَالُكُمْ» أي: شيئاً منها، فإنه غنى عنها، والأمر بالصدقات لنفعكم ما أريد منهم من رزق، أو جميع أموالكم، بل يسأل شيئاً يسيراً منها، «إِنْ يَسْأَلْكُمْوهَا فَيُخَفِّكُمْ»: يطلب منكم جميعه (٢)، «تَبَخَّلُوا»: فلا تعطوا، «وَيُخْرِجْ»: الله، «أَصْعَانَكُمْ»: عداوتكم على من يطلب منكم، «هَاتِئْتُمْ هَؤُلَاءِ»، مبتدأ وخبر أي: أنتم هؤلاء الموصوفون وحنيفد قوله: «تُدْعُونَ لِنُتْفِقُوا»، استئناف مقرر لذلك، أو هؤلاء موصول، وتدعون صلته، «فِي سَبِيلِ اللَّهِ»: طرق الخير، «فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ»: ضرر البخل راجع إليها، «وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ»: فلا يأمركم إلا بما يسد احتياجكم، «وَإِنْ تَوَلَّوْا»، عطف على وإن تؤمنوا، «يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ»: يقيم مقامكم قوماً آخرين، «ثُمَّ لَا يَكُونُوا

(١) من الوتر وهو الفرد، وقد ورد في الحديث "من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله

وماله" [أخرجه مسلم وغيره] ١٢/١ وجيز.

(٢) من أحفى شاربته: استأصل ١٢/١ وجيز.

أَمْثَالَكُمْ^(١): في التولي؛ بل سامعين طائعين، وفي الحديث "من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا، ثم لا يكونوا أمثالنا، فضرِب عليه السلام يده على كتف سلمان، ثم قال: هذا وقومه، ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس"^(*) وعن الحسن: هم العجم، وعن عكرمة: فارس والروم.

ولله الحمد والمنة.

(١) وقوله: "ثم لا يكونوا أمثالكم" فيه مسألة نحوية يتبين منها فوائد عزيزة، وهي أن النحاة قالوا: يجوز في المعطوف على جواب الشرط بالواو والفاء وثم الجزم والرفع جميعاً قال الله تعالى هاهنا "وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم" بالجزم، وقال في موضع آخر، "وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون" [آل عمران: ١١١] بالرفع بإثبات النون وهو مع الجواز ففيه تدقيق، وهو أن هاهنا لا يكون متعلقاً بالتولي لأنهم إن لم يتولوا يكونون ممن يأتي بهم الله على الطاعة، وإن تولوا لا يكونون مثلهم لكونهم عاصين، وكون من يأتي بهم مطيعين وأما هناك سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا لا ينصرون، فلن يكن للتعليق هناك وجه، فرفع بالابتداء، وهاهنا جزم للتعليق/١٢ كبير.

(٥) "صحيح" أخرجه الترمذى والطبرانى فى الأوسط والبيهقى فى الدلائل وغيرهم، وانظر صحيح سنن الترمذى (٢٥٩٩).

سورة الفتح مدنية

وهي تسع وعشرون آية وأربع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ
وَيُثِمَ نِعَمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾
هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيُلْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ
ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظُلْمَ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ ذَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ
إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ
أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ الفتح: صلح الحديبية^(١)، وما فتح الله تعالى على باطله

(١) وعن الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية اختلط المشركون بالمسلمين،
فسمعوا كلامهم وتمكن الإسلام في قلوبهم، ومن هنا استقبل فتح خبير لم يفتحها إلا

الأشرف، وروى محيى السنة أنه لما نزل قال عمر -رضى الله عنه- أو فتح هو يا رسول الله؟ قال: "نعم، والذي نفسى بيده" (*) وهو صلح بسببه خير الدنيا والآخرة فيه بيعة الرضوان، وظهور الإسلام، وانتشار العلم، وهو سبب لفتح مكة نزلت في طريق الرجوع إلى المدينة، **﴿لِيَعْفَرَ لَكَ اللَّهُ﴾**: لما كان ذلك الفتح متضمناً لأمر عظمى القدر عند الله تعالى كان سبباً للغفران، فجمع له عز الدارين، **﴿مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾**: من يجوز الصغائر على الأنبياء فمعناه ظاهر، وإلا فجميع ما فرط منك، ويفرط وسماه ذنباً تغليظاً، وعن بعض ما تقدم في الجاهلية، وما تأخر مما لم يعمل كما تقول مبالغة: ضرب من لقيه ولم يلقه، وعن بعض ما تقدم أي: ذنوب أبويك آدم وحواء وما تأخر ذنوب أمتك بدعوتك، **﴿وَيْتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾**: يثبتك عليه، أو في تبليغ الرسالة، **﴿وَيَنْصُرْكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾**: فيه عز، **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾**: الطمأنينة والوقار، **﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾**: كما أنزل على الصحابة يوم الحديبية، واطمأنت قلوبهم بالصلح فانقادوا لله تعالى، **﴿لِيَزِدَّادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾**: يقيناً مع يقينهم، وإيماناً بما أمر النبي -عليه السلام- ورآه من المصلحة مقروناً مع إيمانهم بالله ورسوله، **﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**: هو المدبر والمتصرف فيهم، **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾**: فما أمر رسوله من الصلح لمصلحة وحكمة، **﴿لِيُدْخِلَ^(١) الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا**

= أهل الحديبية لم يشاركهم أحد من المخلفين عنها، وهو خير الدنيا والآخرة فيه بيعة الرضوان وظهور الإسلام وانتشار العلم وهو سبب فتح مكة/١٢ وحيز.

(*) أخرجه أحمد (٤٢٠/٣) وغيره.

(١) قوله: "ليدخل" اللام متعلق بما دل عليه الكلام، فإنه لما قال: "ولله جنود السموات والأرض" كان فيه دليل على أنه يتلى بتلك الجنود من شاء، فإن الجند لا يكون إلا لنصرة الموافقين على المخالفين، فكأنه قال ابتلى "ليدخل المؤمنين والمؤمنات" الآية/١٢ وحيز.

الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا»، في الصحيحين "لما نزل "ليغفر لك الله" إلخ قالوا: هنيئاً مريئاً بين الله تعالى ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فتزلت إلى قوله تعالى: "فَوْزاً عَظِيماً" فعلى هذا الظاهر أنه أيضاً علة "لإنا فتحنا"، أو لجميع ما ذكر، وقيل: لما دل عليه "ولله جنود السموات والأرض" من معنى التدبير أي: دبر ما دبر وسكن قلوبهم ليعرفوا نعمه ويشكروها، فيدخلوا الجنة، ويعذب المنافقين والكافرين لما غاظهم من ذلك وكرهوا، ﴿وَيَكْفُر عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً﴾، و"عند" حال من الفوز مقدم، ﴿وَيُعَذِّبُ﴾، عطف على يدخل، ﴿الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنٍّ^(١) السَّوِّءِ﴾: يظنون أن لن ينصر الموحدين أي: ظن

(١) قال الإمام المقرئ في كتاب "تجريد التوحيد" بعد ذكر إساءة ظن المشركين برب العالمين قال: وبالجملة فأعظم الذنوب عند الله تعالى إساءة الظن به، ولهذا يتوعدهم في كتابه على إساءة الظن به أعظم وعيد كما قال تعالى: "الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنٍّ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوِّءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا" وقال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: "أَتَفَكَّرَا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ" [الصافات: ٨٦-٨٧] أي: فما ظنكم أن يجازيكم إذا عبدتم معه غيره، وظننتم أنه يحتاج في الاطلاع على ضرورات عبادته لمن يكون باباً للحوائج إليه ونحو ذلك، وهذا بخلاف الملوك فإنهم محتاجون إلى الوسائط لضرورة حاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم عن إدراك حوائج المضطرين فأما من لا يشغله سمع عن سمع، وسبقت رحمته غضبه، وكتب على نفسه الرحمة فما تصنع الوسائط عنده، فمن اتخذ واسطة بينه وبين الله تعالى فقد ظن به أقبح الظن، ومستحيل أن يشرعه لعباده؛ بل ذلك ممتنع في العقول، والفطر.

واعلم أن الخضوع والتأله الذي يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح في نفسه كما قررناه لاسيما إذا كان المحعول له ذلك عبداً للملك العظيم الرحيم القريب المحيى مملوكاً له كما قال تعالى: "ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيماكم من شركاء

الشيء السوء، **«عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ»** أي: عليهم خاصة ما يظنونه بالمؤمنين يحيط بهم إحاطة الدائرة بما فيها، والإضافة بمعنى من، **«وَعَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا»**: جهنم، **«وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا»^(١)**: فلا أحد يمنع من الانتقام الذي فيه الحكم، **«إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا»**: على أمتك في القيامة، **«وَمُبَشِّرًا»**: للمؤمنين، **«وَنَذِيرًا»^(٢)**: للكافرين، **«لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ»**، الضمير للأمة على أن جعل خطابه في "إنا أرسلناك" مثلاً منزلة خطاهم، **«وَتُعْزَّرُوهُ»**: تعظموه، **«وَتُوقَّرُوهُ»**: تجلوه، **«وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا»**: تترهوه غدوة وعشيًا، **«إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ»^(٣)**: في الحديبية، وهي بيعة

= في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم" أي: إذا كان أحدهم يأنف أن يكون مملوكه شريكه في رزقه، فيكيف تجعلون لي من عبيدي شريك فيما أنا منفرد به، وهو الإلهية التي لا تنبغي لغيري، ولا تصلح لسوائي فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدري، ولا عظمى حق تعظيمي إلى أن قال: واعلم أنك إذا تأملت جميع طوائف الضلال، والبدع وجدت أضل ضلالهم راجعاً إلى شيئين أحدهما: ظنهم بالله ظن السوء، والثاني: أنهم لم يقدرُوا الرب حق قدره انتهى مختصراً، ومن شاء الاطلاع على تفاصيل ظن السوء وأصناف المسيئين الظن بالله فليرجع إلى كتاب الإمام شمس الدين ابن القيم زاد المعاد في هدى خير العباد في فضل غزوة أحد تحت قوله تعالى: "وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية" [آل عمران: ١٥٤] وقد مر بعض ذلك في سورة الأحزاب تحت قوله: "وتظنون بالله الظنونا" [الأحزاب: ١٠] فتذكر/١٢.

(١) ولما قال: "إنا فتحنا لك" وبين أمة الإجابة ومدحهم، وأمة الدعوة وذمهم ذكر إرساله إلى الجميع فقال: "إنا أرسلناك شاهداً" الآية/١٢ وجيز.

(٢) هذه الأحوال الثلاثة مقدر كما لا يخفى/١٢ منه.

(٣) أرسل - عليه الصلاة والسلام - عثمان بن عفان إلى قريش يخبرهم أنهم جاءوا معتمرين لا محاربين، فأرادوا قتل عثمان فبايع رسول الله - صلى الله عليه =

الرضوان، ﴿إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾، نحو "من يطع الرسول فقد أطاع" ^(١) الله [النساء: ٨٠] **يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ^(٢) استئناف مؤكد له على سبيل التخييل يعني: يد رسوله يده، وعن بعض: نعمة الله تعالى عليهم بالهداية فوق ما صنعوا من البيعة، أو كناية عن أن كمال القدرة والقوة لله تعالى فيكون مقدمة لقوله: ﴿فَمَنْ تَكَثَّرَ﴾: نقض العهد، ﴿فَإِنَّمَا يَنْتَكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾: عليه وباله، ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ﴾ ^(٣) الله فسيؤتيه أجراً عظيماً.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنًّا سَوْئًا وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا رَحِيمًا ﴿٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ

= وسلم- المؤمنون على الصبر إلى أقصى الجهد، ولذلك قالوا: بايعنا على الموت/ ١٢ وجيز.

- (١) يعني: إن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما/ ١٢ منه.
 (٢) الأصوب عدم التأويل بأن يقال إنه تمثيل فلله سبحانه يد لائقة لذاته الأقدس/ ١٢ وجيز.
 (٣) وقراءة "عليه" [لأن تفخيم لفظ الجلالة يرتبط بالعهد، فيوقع في نفوسهم الخوف والرحبة من نقض ذلك العهد] بضم الهاء ليبقى تفخيم لفظ الله على حاله/ ١٢ وجيز.

تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونُنَّ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سِتْرُكَمُ إِلَى قَوْمِ أُولَى بِأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٦١﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٦٢﴾ * ﴿٦٣﴾

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾: الذين وعدوا أن يرافقوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى مكة عام الحديبية فتناقلوا وأخلفوا الوعد، ﴿شَعَلْنَا﴾: عن الوفاء بالوعد، ﴿أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾: إذ ليس لنا من يقوم بأمرهم إذا خرجنا، ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾: على التخلف، ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾: تكذيب لهم من الله تعالى، ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ أي: لا أحد يدفع ضرره ولا نفعه فليس الشغل بالأهل والمال عذرًا، فلا ذاك يدفع الضر إن أرادوه، ولا ملاقة العدو تمنع النفع إن أراد بكم نفعًا، واللام في لكم للبيان أو للصلة، ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾: فيعلم قصدكم في التخلف، ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾: قالوا: هم أكلة رأس لقريش^(١)، فهم يستأصلوهم، ﴿وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ أي: إثم أكلة رأس، ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾^(٢): هالكين عند الله تعالى أو فاسدين لسوء العقيدة، ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: لهم، ﴿سَعِيرًا﴾،

(١) أي: هم قليل يشبههم رأس واحد، وهو جمع أكل/١٢ منه.

(٢) الظاهر أنه مصدر كاهلك قيل: جمع بائر، كحائل وحول/١٢ وحيز.

التكبر للتهويل، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: له الاختيار المطلق في الأشياء، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾: لا يجب عليه شيء، ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾: لمن تاب وآمن فالغفران من دأبه، ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾: المذكورون، ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾ أي: غنائم خيبر، ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾^(١): إلى خيبر، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾: فإن الله تعالى وعد أهل الحديبية أن ييسر لهم الخير، ويعوضهم من مكة مغام خيبر لا شريك لهم فيها، ﴿قُلْ لَن تَتَّبِعُونَا﴾: في خيبر، نفى بمعنى النهي، ﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: من قبل أن تسألوا الخروج معهم، فإنه حكم بأن تكون غنيمته لأهل الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب، ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾: في أن نصيب الغنائم، وليس أمرًا من الله تعالى، ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: إلا فهمًا قليلًا، وهو فهمهم لبعض أمر دينهم، رد من الله تعالى لهم، ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ﴾^(٢) *مِنَ الْأَعْرَابِ*، كرر تسميتهم بهذا الاسم للشناعة^(٣)، ﴿سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأْسٍ شَدِيدٍ﴾: هوازن وثقيف، وذلك في عهد النبی -صلى الله عليه وسلم- أو بنى حنیفة وأصحاب مسیلمة، وذلك في خلافة أبی بكر -رضی الله عنه- أو أهل فارس، وذلك في خلافة عمر -رضی الله عنه- ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ أي: أحد الأمرين إما المقاتلة أو الإسلام جملة مستأنفة للتعليل والأصح أن لا تقبل الجزية من

(١) وأصل القصة أنه لما انصرف النبی -صلى الله عليه وسلم- ومن معه من المسلمین إلى الحديبية في ذی الحجة من سنة ست أقام بالمدينة بقیة وأوائل الحرم من سنة سبع، وعدهم الله فتح خيبر وخص لغنائمها من شهد الحديبية، فلما انطلقوا إليها قال هؤلاء المخلفون: ذرونا تتبعكم/١٢فتح.

(٢) ولما بین أنهم مطرودون لتخلفهم وقع في النفوس أن طردهم هل هو أبدي، فقال: "قل للمخلفين" الآية/١٢ وحيز.

(٣) ينادى بجهلهم "الأعراب أشد كفرًا" [التوبة: ٩٧] الآية/١٢ وحيز.

المشركين، وقيل الإسلام الانقياد، فيشمل الجزية، ﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾: عام الحديبية، ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾^(١) وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ، لما أوعد على التخلف نفى الحرج عن هؤلاء، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٢).

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ﴿٥﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٦﴾ وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٧﴾ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٨﴾ وَلَوْ قَتَلْتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَذْبَرُثَمَ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٩﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿١٠﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١١﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حُلَّةٌ وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيكُم مِّنْهُمْ مَّعَرَّةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِّيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ

(١) وإن وجد المركب لقصوره في التردد، والسفر/١٢ وحيز.

(٢) ولما وعد المطيع، وأوعد العاصي أعقب بيان ما للمطيع، فقال: "لقد رضى الله"

الآية/١٢ وحيز.

يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢﴾

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، وهم ألف وأربعمائة على الأصح، ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾: بالحديبية على أن يكونوا متفقين على قتال قريش، فإنهم هموا قتل عثمان -رضى الله عنه- وهو رسول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إليهم ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، أي: سمره^(٢) ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾: من الإخلاص، ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾: الطمأنينة، ﴿عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ﴾: جازاهم، ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾، هو الصلح، وما هو سبب له من فتح خيبر ومكة ثم فتح سائر البلاد، ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾: عقار خيبر وأموالها، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾: غالبًا، ﴿حَكِيمًا﴾: مراعيًا للحكمة، ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾، هي الفتوح إلى يوم القيامة ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ

(١) وكفاهم فخرًا ١٢/وجيز.

(٢) وكانت البيعة على أن يقاتلوا قريشًا، ولا يفروا وروى أنه بايعهم على الموت والسمره من شجر الطلح، وجمهور المفسرين على أنه المراد بالطلح في القرآن الموز، وفي الصحيح عن ابن عمر أن الشجرة أخفيت، والحكمة في ذلك أن لا يحصل الافتتان بها لما وقع تحتها من الخير، فلو بقيت لما أمن تعظيم الجاهل لها حتى ربما اعتقدوا أن لها قوة نفع أو ضرر كما نشاهد الآن فيما دونها، ولذلك أشار ابن عمر بقوله: كان خفائها رحمة من الله كذا في الفتوح، وشرح المواهب وعن نافع قال: بلغ عمر بن الخطاب أن ناسًا يأتون الشجرة التي بويح تحتها، فأمر بها فقطعت، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ١٢/فتح البيان في مقاصد القرآن.

هَذِهِ: غنمة خيبر، أو صلح الحديبية، «وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ»، هم لما خرجوا إلى خيبر همت اليهود أن يغيروا على عيال المسلمين بالمدينة، فقذف الله تعالى في قلوبهم الرعب، أو المراد أيدى قريش، لأجل صلح حديبية، «وَلَتَكُونَنَّ»: هذه الكفة وسلامة عيالكم والغنمة المعجلة، «آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ»: على صدقك، عطف على محذوف أي: لتكون سبباً للشكر، ولتكون آية، «وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا»: التوكل وتفويض الأمور إليه، «وَأُخْرَى»، عطف على هذه، وهى مكة أو فارس والروم، أو خيبر، وهذا على قول من فسر "عجل لكم هذه" بصلح حديبية، «لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا»: لشوكتهم، «قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا»: استولى، ففتحها لكم، وجاز أن يكون أخرى مبتدأ، ولم تقدروا صفتها، وقد أحاط خبرها، «وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا»: من أهل مكة عام الحديبية، «لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ»: لاهزموا، «ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا»: يحرسهم وينصرهم، «سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ» أي: سن الله تعالى سنة الأنبياء المتقدمين أن عاقبة أعدائهم الخزي والهزيمة، «وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ»: كفار مكة، «عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ^(١) عَلَيْهِمْ»: من الله تعالى بصلح الحديبية، وحفظ المسلمين عن أيدى الكافرين، وعن القتال بمكة، وهتك حرمة مسجد الحرام، وأما ظفرهم على المشركين فهو أن سبعين أو ثمانين^(٢) أو ثلاثين رجلاً متسلحين هبطوا من جبل التنعيم يريدون غرة النبي -عليه الصلاة والسلام- فدعا عليهم فأخذوا، وعفا

(١) وأما ما قيل المراد به فتح مكة، فهو ضعيف فإن السورة مدنية نزلت قبل الفتح، والحمل على أن الماضي أعني "كف" إلى آخره للتحقق، وهو بمعنى المضارع، فيكون وعداً من الله، فبعد جدّاً/١٢ وجيز.

(٢) كما في مسلم والنسائي وغيرهما/١٢ وجيز.

عنهم^(١) فأطلقوا، وأما ما ذكر أن ابن أبي جهل خرج في عسكر يوم الحديبية، فبعث خالد بن الوليد، فhezهم حتى أدخلهم حيطان مكة، ففيه شيء، وكيف لا وخالد بن الوليد لم يكن أسلم؛ بل كان طليعة للمشركين يومئذ كما ثبت في صحيح البخاري وغيره، «وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا»: فيجازيكم، «هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ»: منعوكم عن الزيارة ومنعوا الهدى، وهي سبعون بدنة «مَعْكُوفًا»: محبوسًا، «أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ»: مكانه^(٢) الذي يحل فيه نحره، «وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ» أي: المستضعفون بمكة، «لَمْ تَعْلَمُوهُمْ»: لم تعرفوهم لاختلاطهم بالمشركين، «أَنْ تَطْئُوهُمْ»: أن توقعوا بهم وتقتلوهم في أثناء القتال بدل اشتغال من رجال ونساء، أو من مفعول لم تعلموهم، «فَتَصِيْبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ»: مكروه كوجوب الدية، والتأسف عليهم، وتغيير الكفار بأنهم قتلوا أهل دينهم، «بِغَيْرِ عِلْمٍ» أي: تطئوهم غير عالمين بهم، وجواب لولا محذوف، والمعنى: لولا مؤمنون لم تعلموا وطأهم وإهلاكهم وأنتم غير عالمين بإيمانهم، لما كف أيديكم عنهم، والفعل هم ما لا يدخل تحت الوصف ولا يقاس، أو معناه معرة حاصلة من غير سبق علم وتوجه ذهن، «لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ» أي: تأخر العقوبة، وكف أيديكم عنهم ليخلص من بين أظهرهم المؤمنين، وليرجع كثير منهم إلى الإسلام، ثم قال: «لَوْ تَزَيَّلُوا»: لو تميز الكفار من المؤمنين الذين بين أظهرهم، «لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» قيل: هذا جواب لولا، و"لو

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد، ومسلم، وأبو داود، والنسائي والترمذي، وغيرهم/١٢ فتح.

(٢) قال ابن عباس: نحرُوا يوم الحديبية سبعين بدنة فلما صدت عن البيت حنت كما تحن إلى أولادها ورخص الله سبحانه لهم يجعل ذلك الموضع الذى وصلوا عليه، وهو الحديبية محلا للنحر، فلا ينتهض حجة للحنفية على أن مذبح هدى المحصر هو الحرم/١٢ فتح.

تزيلوا" كالتكرير لـ "لولا رجال"؛ لأن مرجعهما واحد، ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
 ظرف لعذينا، أو صدوكم، ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةُ﴾: الأنفة، ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾^(١)؛
 التي تمنع قبول الحق، ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾: وقاره، ﴿عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ﴾: حتى صالحوهم، فلم يدخلهم ما دخلهم من الحمية، فيعصوا الله تعالى في
 قتالهم، فإنه قد هم المؤمنون أن يأبوا كلام رسول الله في الصلح، ودخلوا من ذلك في
 أمر عظيم كادوا أن يهلكوا، ويدخل الشك في قلوب بعضهم^(٢) حتى إنه قال -عليه
 السلام- ثلاث مرات: قوموا وانحروا، ثم احلقوا، وما قام منهم رجل ثم أنزل الله تعالى
 السكينة عليهم فاطمأنوا، ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾^(٣)؛ اختار كلمة الشهادة^(٤) لهم،
 أو بسم الله الرحمن الرحيم، فإنه لما أمر -عليه الصلاة والسلام- عليًا -رضي الله عنه-
 أن يكتب في كتاب الصلح "بسم الله الرحمن الرحيم" قالوا: لا نعرف هذا اكتب باسمك

(١) قال مقاتل بن سليمان: قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا، ويدخلون علينا في
 منازلنا، فتحدث العرب أنهم قد دخلوا علينا على رغم أنفسنا، واللات والعزى لا
 يدخلونها علينا، فهذه الحمية هي حمية الجاهلية التي دخلت في قلوبهم ١٢/.

(٢) قالوا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم: ألسنت كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت؟ نظوف
 به؟ قال: بلى، لكن هل أخبرتكم أنا نأتية العام؟ قالوا: لا، قال: فلإنكم تأتونهم،
 وتظوفون به، والحاصل أنه -عليه السلام- وعدهم دخول مكة، وتوجه فحسبوا الو
 منعوا هذه المرة من الدخول يكون فيه خلف وعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-،
 فلما منعوا دخل الشك في قلوب بعض فأزاح الله بفضل الشك عنهم، وتفضل
 عليهم ١٢/ منه.

(٣) المراد من كلمة التقوى الشهادة صرح بذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-
 كما رواه الترمذي، وغيره [صحيح، انظر صحيح سنن أبي داود (٢٦٠٣)/ ١٢/

منه.

(٤) فهو إلزام تشريف وإكرام ١٢/فتح.

اللهم، ﴿وَكَاثُوا أَحَقَّ بِهَا﴾: من غيرهم، ﴿وَأَهْلَهَا﴾: وكانوا أهلها في علم الله تعالى، ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٧﴾﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٨﴾﴾ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَكَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٩﴾﴾

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا﴾ أي: في رؤياه، فهو من نزع الخافض، وذلك أنه - عليه الصلاة والسلام - رأى في المنام قبل الحديبية أنه وأصحابه يدخلون المسجد الحرام آمنين محلّقين رءوسهم ومقصرين غير خائفين، فأخبر أصحابه ففرحوا فلما صدوا عن البيت شق ذلك عليهم فزلت، ﴿بِالْحَقِّ﴾، حال من الرؤيا أي: متلبسة بالحق، فإنها كائنة لا محالة، وتحقيقها في العام المقبل، ﴿لَتَدْخُلَنَّ﴾، جواب قسم محذوف، ﴿الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾، الاستثناء، لأجل تعليم العباد لا للشك، ﴿ءَامِنِينَ﴾، حال، والشرط معترض، ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾^(١) أي: محلّقًا بعضكم،

(١) والخلق والتقصير خاص بالرجال، والخلق أفضل من التقصير كما يدل على ذلك الحديث الصحيح في استغفاره - صلى الله عليه وسلم - للمحلّقين في المرة الأولى،

ومقصراً آخرون حال مقدرة لأن الدخول ما كان في حال الخلق، ﴿لَا تَخَافُون﴾، حال مؤكدة، ﴿فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾: من الحكم والمصالح، ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: من دون دخولكم المسجد، ﴿فَتَحًّا قَرِيبًا﴾^(١) هو الصلح الحديبية على الأصح كما ذكرنا في أول السورة، أو هو فتح خيبر، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى﴾: متلبساً بالعلم النافع، ﴿وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾: ليعليه، ﴿عَلَى الدِّينِ﴾: على جنسه، ﴿كُلَّهُ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾: إنك مرسل بالحق، أو إن ما وعده كائن، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾، جملة تامة مبينة للمشهود به، أو تقديره هو محمد، ويكون قوله: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾: الصحابة، ﴿أَشِدَّاءُ﴾^(٢) عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، جملة معطوفة على جملة، أو محمد مبتدأ، أو رسول الله عطف بيان، والذين معه عطف على محمد، و"أشداء" إلخ خبرهما، أي: يغلظون على المخالفين يتراحمون فيما بينهم، ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ أي: علامتهم في وجوههم، و"من أثر" إما حال من ضمير في الخير، أو بيان

= والثانية، والقاتل يقول له: وللمقصرين، فقال في الثالثة: "وللمقصرين" وقد ورد في الدعاء للمحلقين، والمقصرين في البخارى ومسلم وغيرهما منها أحاديث ما قدمنا الإشارة إليه، وهو من حديث ابن عمر، وفيهما من حديث أبى هريرة أيضاً/٢١ فتح.

(١) ولما أخبر بهذه الأمور الجليلة الدالة على إحاطة علمه وشرف رسوله، فقال: "هو الذى أرسل رسوله" الآية/١٢ وجيز.

(٢) قال الحسن: بلغ من تشديدهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثياهم أن تلتزق بثياهم وتمسها، ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وتلتزق بها، وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمناً إلا صافحه وعانقه، ومن حق المسلم في كل زمان أن يراعوا هذا التذليل وهذا التعطف فيشددوا على من ليس من دينهم، ويعاشروا إخوانهم المؤمنين في الإسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الأذى والاحتمال عنهم/١٢ فتح.

لسيما أي: يوم القيامة يكونون منورى الوجوه، أو المراد خشوعهم وتواضعهم، أو صفائهم أو صفرة اللون من السهر أو أثر التراب على الجباه فإنهم كانوا يسجدون على الأرض من غير حائل، **﴿ذَلِكَ﴾**: المذكور، **﴿مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾** أي: صفتهم العجيبة في الكتابين، **﴿كَزَّرَع﴾** أي: هم كزرع أو "مثلهم في الإنجيل" مبتدأ وهو خبره^(١) أو ذلك إشارة مبهمة، وهو تفسيرها، **﴿أَخْرَجَ شَطْنَهُ﴾**: فراخه، **﴿فَازَرَهُ﴾**: قواه، **﴿فَاسْتَعْلَظَ﴾**: صار من الدقة إلى الغلظ، أو المراد المبالغة في الغلظ كما في استعصم، ونظائره، **﴿فَاسْتَوَى﴾**: فاستقام، **﴿عَلَى سَوْفِهِ﴾**: على قصبه، **﴿يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ﴾**^(٢): لحسن منظره، وعن قتادة: مثل أصحابه في الإنجيل أنهم يكونون قليلا، ثم يزدادون، وعن بعض: إن أصل الزرع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والشطاء الصحابة - رضى الله عنهم - **﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾**، علة للتشبيه، أو تقديره قواهم ليغيط، وقيل: علة لقوله: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾** أي: من الصحابة، ومن للبيان، **﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾**.

والحمد لله رب العالمين.

(١) عطف جملة على جملة/١٢.

(٢) الذين يعرفون حال الزرع، فكيف من لم يعرف حال الزرع/١٢/١ وحيز.

سورة الحجرات مدنية

وهي ثمانى عشر آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضَلَّا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أي: لا تتقدموا بين يدي أمرهما ونهيهما، ولا تقطعوا أمراً قبل حكمهما به؛ بل كونوا تابعين لأمر الله تعالى، ورسوله، يقال: تقدم بين يدي أمه وأبيه أي: عجل بالأمر والنهي دونهما، فهو لازم، وقراءة "لا تقدموا" بفتح التاء يؤيده، أو المفعول محذوف أي: أمراً عن ابن عباس - رضى الله عنهما - لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: في التقدم، ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: لأقوالكم، ﴿عَلِيمٌ﴾: بأحوالكم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾: لا تجاوزوا أصواتكم عن صوته، ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾: جهرًا، ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾، بل اجعلوا أصواتكم معه أخفض من أصوات بعضكم من بعض، أو لا تخاطبوه باسمه وكنيته، بل خاطبوه بالنبي والرسول، كقوله " لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً" [النور: ٦٣] نزلت في أبي بكر وعمر - رضى الله عنهما - حين ثاريا في محضر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى ارتفعت أصواتهما؛ فكان أبو بكر وعمر بعد ذلك يُسرَّانه (*). ﴿أَنْ تَجْطَطَ﴾ (٢)

(١) لم ينهوا عن الجهر مطلقاً حتى لا يسوغ لهم إلا أن يكلموه بالهمس والمخافة، وإنما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة، أعنى الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه فيما بينهم، وهو الخلو من مراعاة أئمة - وتأبه الرجل أي: تكبر/ ١٢ صراح - النبوة وجلال مقدارها/ ١٢ منه.

(*) أخرجه البخارى وغيره.

(٢) فقوله: "أن تجطط" مفعول له للا تجهروا بتقدير مضاف، والفعل المنهى معلل، وجاز أن يكون بعض المعاصي محبطاً للطاعات، وأما عند المعتزلة، فجميع الكبائر محبط كالكفر، والعلماء صرحوا بكراهة رفع الصوت عند قبره الأطهر/ ١٢ وجيز.

وفي المنهية يعنى العلة الباعثة في عدم الجهر كراهة الحبطة أو خشيتها، وقيل: معناه الجهر الذى غايته الحبطة لا يصدر عنكم فعلى هذا الفعل المعلل منهى، وعلى ما فى الكتب الفعل المنهى معلل/ ١٢.

أي: كراهة أو خشية أن تحبط، «أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ»: بحبطها، وفي الصحيح "إن الرجل ليتكم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يَكُفُّ بها في النار أبعد ما بين السماء والأرض" (*) وقد مر، «إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ»: يَغُضُّونَ، «أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى»: أخلصها، فلم يبق لغير التقوى فيها حق يقال: امتحن الذهب إذا أذابه وأخرج خبثه، أو ضرب الله قلوبهم بأنواع الحن لأجل حصول التقوى، أو كناية عن صبرهم، وثباتهم على التقوى التي جَرَّها ومرَّها عليها، «لَهُمْ مَغْفِرَةٌ»: عظيمة، «وَأَجْرٌ عَظِيمٌ»، الجملة خبر ثان لأن أو استئناف، «إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ^(١)»: أي: من جهة وراء حجرات نسائه، «أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ^(٢)»: إذ العقل يقتضى الأدب سيما مع مثله، «وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا»: لو ثبت صبرهم، «حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ»: الصبر، «خَيْرًا لَهُمْ»: من الاستعجال، «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»، حيث يقتصر على النصيح لمسيء الأدب، ولو تاب ليغفره نزلت في وفد بني تميم أتوا وقت الظهيرة، ونادوا على الباب حتى استيقظوه، وقالوا: يا محمد اخرج إلينا، فإن مدحنا زين، وذمنا شين (**)، أو

(*) أخرجه البخارى وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(١) أنكر عليهم أنهم نادوه من البر، والخارج مناداة الأجلاف بعضهم لبعض من غير قصد إلى جهة دون جهة ١٢/ منه.

(٢) وفيه دليل أن فيهم عقلاء قال صاحب البحر: ونعم ما قال كلام من قال القلة تقع موقع النفي في كلامهم، فيمكن أن يكون القصد نفي أن يكون فيهم من يعقل نحو "قليل من عبادى الشكور" [سبأ: ١٣] ليس بشيء فإن الحكم بقلة العقلاء مفهوم الآية لا منطوقها، والنفي المحض إما هو من صريح لفظ التقليل لا من المفهوم، فلا يحتمل قوله: "ولكن أكثر الناس لا يشكرون" [البقرة: ٢٤٣] على النفي المحض للشكر ١٢/ وحيز.

(**) أخرجه بنحوه الترمذى عن البراء بن عازب مرفوعاً، وانظر صحيح سننه (٢٦٠٥).

في وفد بنى العنبر حين سبيت ذراريهم، وأتى هم فجاء رجلاهم يفسدون الذراري،
وقدموا وقت الظهيرة، فجعلوا يصيحون، وينادون: يا محمد اخرج إلينا حتى أيقظوه،
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾: تفحصوا صدقه، وقراءة
"فتثبتوا" معناه توقفوا إلى أن يتبين الأمر ﴿أَنْ تُصِيبُوا﴾ أي: كراهة إصابتكم،
﴿قَوْمًا﴾: بُرَاء، ﴿بِجَهَالَةٍ﴾: جاهلين بجاهلهم، ﴿فَتَصَبَّحُوا﴾^(١) عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ،
نزلت في الوليد بن عقبة بعث إلى بنى المصطلق لأخذ زكاتهم، فرجع من الطريق لخوف
منهم للعداوة التي بينه وبينهم في الجاهلية، وقال: إني منعوا الصدقة وهما يقتلي، فقص
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يغزوهم فجاء وفد منهم وكذبوه^(*)، ﴿وَأَعْلَمُوا
أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ﴾^(٢) أي: واعلموا أن
فيكم لا في غيركم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على حال لو أطاعكم في كثير
من أرائكم لوقعتم في جهد ومصيبة نزلهم منزلة من لا يعلم أنه بين أظهرهم، وجملة "لو
يطيعكم" حال إما من الضمير المستتر، أو البارز في "فيكم" ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ
إِلَيْكُمْ الْإِيمَانُ وَزَيْنُهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ﴾^(٣) وَالْعِصْيَانَ^(٤)،

(١) أي: تصيروا اعتبر بالإصباح، لأن أشنع الذم ما استقبل في الصباح/١٢ وحيز.

(٥) ذكره الهيثمي في "المجمع" (١٠٨/٧-١٠٩) وقال: "رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد ثقات". وجود إسناده السيوطي كما في الدر المنثور (٩١/٦).

(٢) عن أبي سعيد الخدري أنه قرأ هذه الآية، وقال: هذا نبيكم يوحى إليه، وخيار أئمتكم لو
أطاعهم في كثير من الأمر لعنتوا، فكيف بكم اليوم؟ أخرجه الترمذي: وقال حديث
حسن صحيح غريب [صحيح الإسناد، انظر صحيح سنن الترمذي (٢٦٠٧)/١٢ فتح.
(٣) كما تقول زيد لو يطيعك لما كان عالماً؛ لكن هو رجل ذو لب عليم، فعلى هذا قوله
ولكن استدراك وقع موقعه/١٢ وحيز ومنه.

(٤) الكبائر/١٢ وحيز.

(٥) الصغائر/١٢ وحيز.

ولذلك تطيعونه أتم لا هو يطيعكم، فلا تُوقعون في عنت، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾، وعن بعض المفسرين: إن قوله "ولكن الله" استثناء لقوم آخرين صفتهم غير صفتهم، كأنه قال فيكم الرسول على حال يجب تغييرها، وهى إرادتكم أن يتبعكم، ولو فعل لعنتم، ولكن بعضهم الموصوفين بأن الله تعالى زين الإيمان في قلوبهم لا يريدون أن يتبعهم أولئك هم الذين أصابوا طريق السوى، وعن بعضهم: إن معناه إن فيكم الرسول فعظموه، ولا تقولوا له باطلا، ثم لما قال ما دل على أنهم جاهلون بمكانه مفرطون فيما يجب من تعظيم شأنه اتجه لهم أن يسألوا ماذا فعلنا حتى نسبنا إلى التفریط، وماذا ينتج من المضرة فأجاب إنكم تريدون أن يتبعكم، ولو اتبعكم لعنتم، فعلى هذا جملة "لو يطيعكم" استثنائية، ﴿فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ نصب على أنه مفعول له لحب، أو لكره أو مفعول مطلق لهما فإن التحبيب فضل، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ وَإِنْ طَائِفَتَانِ^(١) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا^(٢)﴾: تقاتلوا، ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾: بالنصح نزلت حين قال رجل من الأنصار^(٣): والله لحمار رسول الله أطيب ريحاً منك، في جواب عبد الله بن أبي حين قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو راكب الحمار: إليك عني، والله لقد آذاني نثن حمارك، فاستبأ، فتقاتل الصحابة قوم ابن أبي، بالجريد، والنعال، أو في الأوس، والخزرج لما بينهما من القتال بالسيف^(٤) أو في رجلين من الأنصار تقاتلا بالنعال، ﴿فَإِنْ بَغَتْ﴾: تعدت، ﴿إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾: الطائفة التي

(١) ولما كانت النيمة ونقل الأخبار الباطلة ربما جرت فتنا أوصلة إلى القتال أعقب طريق الحكمة في رفعه، فقال: "وإن طائفتان" الآية/١٢ وحيز.

(٢) لما كانت الطائفتان في معنى القوم، والناس جمع الضمير، وقال: اقتتلوا، والقياس اقتتلتا، فهو محمول على المعنى/١٢ منه.

(٣) كما رواه البخارى ومسلم وغيرهما/١٢ فتح.

(٤) لا بالسيف قيل: ابن سلول أوسي، وذلك الصحابي خزرجي، فهذه هى الأولى لا أنه سبب آخر للزول/١٢ منه.

صدرت منها البغي، ﴿حَتَّى تَقِيَّءَ﴾: ترجع، ﴿إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾: حكمه، ﴿فَإِنْ فَاعَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾، قيد بالعدل هاهنا لأنه مظنة الحيف لما أنه بعد المقابلة^(١)، ﴿وَأَقْسِطُوا﴾^(٢): اعدلوا في الأمور، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾: من حيث الدين، ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، عدل من بينهم إلى بين أخويكم للدلالة على أن المصالحة بين الجماعة أوكد وأوجب إذا لزم بين الأقل، فبين الأكثر ألزم، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّغْلِيبِ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ فَالتَّقْوَىٰ عُقُوبَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ أَفَلَا يَتَذَكَّرُ أَلَّا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَيُمْسِكُ الْمَوْتَءَاتِ﴾^(١) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَEْعُضُكُم بَEْعًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٣) * قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ

(١) يعنى الناصح المصلح لما تقاتل مع الباغى ربما أثار غضبه، فحين الإصلاح لا يراعى العدل، ويحيف على أحد الطائفتين إن قاتلها، فلهذا قيده هاهنا بالعدل دون الأول/١٢ منه.

(٢) والقسط بفتح القاف الجور، وبكسرهما العدل/١٢ وحيز.

لَا يَلْتَكُم مِّنْ أَعْمَلِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّدِيقُونَ ﴿٦﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ﴾، القوم للرجال خاصة^(١)، ﴿عَسَى أَنْ يَكُونُوا﴾: المسخور بهم، ﴿خَيْرًا مِنْهُمْ﴾: من الساخرين استئناف علة للنهي، واكتفى "عسى" بالاسم عن الخبر، ﴿وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ﴾: عند الله، ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾: لا يعيب بعضكم بعضاً، وإن عيب أخيه عيب نفسه، أو لأن المؤمنين كنفس واحدة، واللمز الطعن باللسان، ﴿وَلَا تَنَابَزُوا﴾^(٢) بِالْأَلْقَابِ: لا يدعوا بعضكم بعضاً باللقب السوء والنبز مختص باللقب السوء عرفاً، ﴿بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ يعني: إن السخرية واللمز والتنازع فسوق، وبئس الذكر الذى هو الفسوق بعد الإيمان يعني: لا ينبغي أن يجتمعا، فإن الإيمان يأبى الفسوق، أو كان فى شتائمهم: يا يهودي، يا فاسق، لمن أسلم فهو عنه، وقال: بئس تشهير الناس بفسوق كانوا فيه بعدما اتصفوا بضده، ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ﴾: عما هى عنه، ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ

(١) كما قال زهير:

أقوم آل حصن أم نساء؟/ منه.

(٢) والتنازع بالألقاب عادات أهل الجاهلية، وبئس الصفة، والذكر الذى هو الفسوق بعد الإيمان يقال: طار اسمه فى الناس أي: ذكره/ منه.

الظَّالِمُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ: وهو ظن السوء بأخيك المسلم، «إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ»: فكونوا على حذر حتى لا توقعوا فيه، «وَلَا تَجَسَّسُوا»: لا تبحثوا عن عورات المسلمين ومعايهم، «وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بَعْضًا»، والغيبة ذكرك أخاك بما يكره، مع أنه فيه، فإن لم يكن فيه، فبهتان، «أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ»، تمثيل لما ينال من عرضه على أفحش وجه، «مَيْتًا»، حال من اللحم، أو الأخ، «فَكَرِهْتُمُوهُ»، الفاء فصيحة^(١) أي: إن عرض عليكم هذا فقد كرهتموه، فهو تقرير وتحقيق للأول، «وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ»: بليغ في قبول التوبة، «رَحِيمٌ»^(٢)، روى الإمام أحمد، والبيهقي أنه قيل: يا رسول الله فلانة وفلانة صائمتان وقد بلغتا الجهد، فقال: "ادعها"، فقال لإحدهما: "قئ"، فقأت لحماً ودماً عبيطاً وقيحاً، وللأخرى مثل ذلك، ثم قال عليه الصلاة والسلام إن هؤلاء^(*) صائمات عما أحل الله، وأفطرتا عما حرم الله عليهما أتت إحدهما للأخرى، فلم تزالا تأكلان لحوم الناس حتى امتلأت أجوافهما قيحاً^(**) «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى»: آدم وحواء فأنتم متساون في النسب، فلا تفاخروا به، «وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا»، الشعب بالفتح رعوس القبائل، والطبقة الأولى، والقبائل تشعبت منه، «وَقَبَائِلَ»، هي دون الشعب

(١) وفي هذا الفاء معنى الشرط نحو: فقد جئنا خراسانا، فلذلك قدرنا الشرط/١٢

منه.

(٢) ولما منع عن الأذى بكل وجه أعقبه بأن الكل متساوون في النسب متشاركون في الجسد

والجدة فالكل كواحد، فقال: "يا أيها الناس إنا خلقناكم" الآية/١٢.

(٥) هكذا بالأصل، وعند الإمام أحمد "إن هاتين".

(٥٥) أخرجه أحمد (٤٣١/٥) بسند فيه مجهول، وانظر الضعيفة.

كتميم من مضر، ﴿لَتَعَارَفُوا﴾: ليعرف بعضكم بعضًا لا للتفاخر، وفي الحديث^(١) "لتعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحاكم، فإن صلة الرحم محبة في الأهل"، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، بين الخصلة^(٢) التي بها فضل الإنسان غيره، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^(٣): ببواطنكم في الحديث^(٤) "ليتهين قوم يفخرون بأبائهم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان" ومن ذلك ذهب من ذهب إلى أن الكفاءة في النكاح لا يشترط سوى الدين، ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾، قيل: نزلت^(٥) في قوم منافقين أظهروا الإيمان لأن يعطوا الصدقة، ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا﴾: يعنى كذبتم^(٦)، ﴿وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾، فإن الإسلام انقياد وإظهار للتوحيد، ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي

(١) رواه الترمذي/١٢ وجيز.

(٢) يعنى إن أكرمكم عند الله مستأنفة كأنه لما قال ليس الشعب والقبائل للتفاخر قيل، فبأى شيء التفاخر ومن الذى يستحق المفخرة؟ فقيل: من هو أتقى الله وأخشى له/١٢ منه.

(٣) ولما أمر الله بإجلال نبيه، ونهى عن أذاه في نفسه وأمتة وأخبر بأنه خير يعلم ما في صدوركم فما الخلاص من سخطه إلا بالتقوى والإخلاص أعقبه بالذى ينجي، وهو التقوى، فقال: "قالت الأعراب آمنا" الآية/١٢ وجيز.

(٤) في مسند أبي بكر البزار [وأخرجه الترمذي أيضًا بنحوه، وانظر صحيح الجامع (٥٤٨٢)/١٢ منه.

(٥) ذكرنا سبب النزول بقيل مع أن البخارى ذهب إلى أن هؤلاء كانوا منافقين، لأن الأكثرين من السلف صرحوا بخلافه كما بينا في آخر الآية/١٢ منه.

(٦) عبر عن كذبتم بقوله: "لم تؤمنوا" لأنه ما أراد أن يكافحهم بنسبة الكذب وفيه تعليم وأدب حسن/١٢ منه.

قُلُوبِكُمْ»، حال من فاعل قولوا كأنه قال، لا تقولوا آمنا؛ بل قولوا حال كون قلوبكم لم يواطئ ألسنتكم أسلمنا، وزيادة ما في لم لمعنى التوقع، فإن هؤلاء قد آمنوا بعد، **﴿وَأِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾**: سرًّا وعلانية، **﴿لَا يَلْتَكُمُ﴾**: لا ينفصمكم، **﴿مِنْ أَعْمَالِكُمْ﴾**: من جزائها، **﴿شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾**، وعن ابن عباس، والنخعي، وقتادة، واختاره ابن جرير: إن هؤلاء الأعراب ليسوا منافقين، لكن مسلمون ادعوا لأنفسهم أول ما دخلوا في الإسلام مقام الإيمان الذى هو أعلى من الإسلام، ولم يتمكن الإيمان في قلوبهم، فأدبهم الله، وأعلمهم أن ذلك مرتبة تتوقع منهم، ولم يصلوا إليها بعد، **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾**^(١): لم يشكوا في الرسالة، وثم للتراخي الزمان أي: آمنوا، ثم لم تحدث ريبة كما تحدث للضعفاء بعد زمان، أو للتراخي الرتبة، **﴿وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾**: في ادعاء الإيمان، **﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾**: أخبرون الله به بقولكم: "آمنا"، **﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾** أي: بأن أسلموا نزلت^(٢) في بني أسد حين قالوا: يا رسول الله أسلمنا، وقاتلتك العرب ولم نقاتلك، **﴿قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمُ﴾** أي: بإسلامكم، فترع الخافض، أو منصوب بتضمين الاعتداد أي: لا تعتدوا على إسلامكم، **﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾**: في ادعاء الإيمان أولا نفى الإيمان عنهم وأثبت الإسلام، وأنكر متهم عليه بالإسلام، ثم قال: بل لو صح

(١) بتشكيك مشكك من إنس وجن ١٢/وجيز.

(٢) ذكره الحافظ أبو بكر البزار [وكذا ذكره الهيثمي في "المجمع" (١١٢/٧)] وقال: "رواه

الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه الحجاج بن أرطاة وهو ثقة ولكنه مدلس وبقية رجاله

رجال الصحيح" [١٢/منه.

ادعائهم الإيمان الذين هو أعلى من الإسلام فله المنّة عليهم بالهداية^(١) له، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: ما غاب فيهما، ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾: فكيف يخفى عليه دينكم؟!.

والحمد لله والمنّة.

(١) اعلم أن هذا التوجيه يصح إذا كان قائل آمنا والمأن على رسول الله إسلامه قومًا واحدًا، وهو كذلك، فإن الشيخ أبا الفداء عماد الدين بن كثير نقل في تفسيره عن مجاهد أن الأعراب الذين قالوا آمنا بنو أسد، وقوله: "يؤمنون عليك أن أسلموا" أنزل فيهم، وقد ذهب البخاري، وبعض المفسرين: إن هؤلاء الأعراب منافقون/١٢ وحيز، وكذا في المنهية.

سورة ق مكية

وهي خمس وأربعون آية وثلاث ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ أَوَدَّ آمَنَّا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۝ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ ثُعَلٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝ أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝﴾

﴿ق﴾، مثل ص، وقد مر وقيل: من أسماء الله تعالى، أو معناه: قضى الأمر، أو مفتاح أسماء الله تعالى التي في أوائلها "ق" كالقدير^(١)، وغيره^(٢)، «وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ»: ذي

(١) وقيل غير ذلك مما هو أضعف منه وأبطل، والحق أنه من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس أثرا طويلا في بيان جبل "ق" قال ابن كثير: لا يصح سنده عنه، وفيه أيضا انقطاع/١٢ فتح.

(٢) كالقابض، والقاهر، والقدوس/١٢ منه.

المجد والشرف، وجواب القسم مثل ما مر في ص، «بَلْ عَجِبُوا^(١)»: الكافرون، «أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ» إنكار لتعجبهم مما ليس بعجب، فإنهم قالوا: الرسول إما ملك، أو من معه ملك، أو بشر لا يحتاج إلى كسب المعاش، «فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ»، وضع الظاهر موضع المضمحل للشهادة على أنهم في هذا القول مقدمون على الكفر، وهذا إشارة إلى مبهم يفسره ما بعده، وهو قوله: «أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا» أي: أنرجع حين نموت وغلي؟! «ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ»: عن العادة والإمكان، «قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ^(٢)»: ما تأكل الأرض من أجساد موتاهم، ومن كان كذلك فهو قادر على رجوعهم، «وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيزٌ»: حافظ لتفاصيل كل شيء، أو محفوظ من التغيير، وهو اللوح المحفوظ، «بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ»: القرآن، «لَمَّا جَاءَهُمْ» كأنه قال، بل جاءوا بما هو أظنع من تعجبهم، وهو إنكار القرآن من غير تأمل وتوقف، «فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ»: مضطرب، فمرة قالوا: شعر ومرة: سحر، «أَفَلَمْ يَنْظُرُوا»: حين أنكروا البعث، «إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ» أي: كائنة فوقهم، «كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا»: بالكواكب، «وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ»: من فتوح، بل ملساء لا فتق فيها ولا خلل، «وَالْأَرْضِ»، عطف على محل السماء، أو نصب بما أضمر عامله وتقديره، ومددنا الأرض فليظنوا إليها، «مَدَدْنَاهَا»: بسطناها، ووسعناها قيل: فيه إشعار بأنها غير كُرِيَّة، «وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ»: جبالا ثوابت، «وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ»: صنف، «بِهَيْجٍ»: حسن، «تَبْصِرَةً وَذِكْرَى»، مفعول له للأفعال المذكورة كأنه قال جمعت بين ذلك تبصرة، «لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ»: راجع إلى ربه متفكر في بدائع،

(١) إضراب عما يتضمنه الكلام من وجوب القبول والإذعان/١٢ منه.

(٢) وفي الخبر الثابت: "إن الأرض تأكل ابن آدم إلا عجب الذنب" [أخرجاه في

الصحيحين]، وهو عظم صغير جدا منه يركب ابن آدم/١٢ وجيز.

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾: أشجاراً، ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾: حب الزرع الذى يحصد كالحنطة والشعير، ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾: طوالا شاهقات، حال مقدرة، ﴿لَهَا طَلْعٌ﴾ هو أول ما يظهر قبل أن ينشق، ﴿نَضِيدٌ﴾: منضود بعضه على بعض فى أكمامه، والمراد كثرة ما فيه من الثمر، ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾، مفعول له لأنبتنا، ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾: بالماء، ﴿بِلَدَّةٍ مِّيتًا﴾: أرضاً لا نماء فيها، ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾^(١): من القبور، ﴿كَذَّبَتْ﴾^(٢) قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ، أراد قومهم، ﴿وَأِخْوَانُ لُوطٍ﴾ أي: قومهم، وسماهم إخوانه لقربته القريبة، ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾، سبق فى الدخان، ﴿كُلٌّ﴾ أي: كل واحد من هؤلاء، ﴿كَذَّبَ الرَّسُلُ﴾: من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل، ﴿فَحَقُّ وَعِيدٍ﴾: وجب عليهم عذابي، ﴿أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ أي: إنا لم نعجز كما علموا عن بدء الخلق حتى نعجز عن الإعادة، ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي: هم لا ينكرون قدرتنا، بل هم فى شبهة من البعث.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبَلٍ أَلْوَيْدٍ ۖ﴾ إِذْ يَتَلَفَّى الْمَتَلَفِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ

(١) من القبور، وهذه كلها أمثلة وأدلة على البعث ذكر فى السماء ثلاثة البناء والتزيين ونفى الفروج، وفى الأرض ثلاثة المد مقابلاً للبناء لأن البناء رفع، والمد وضع، وإلقاء الرواسى بالتزيين لارتكاز كل منهما والإنبات المترتب على الشق بانتفاء الفروج، ونبه فيما تعلق به الإنبات فيما يقطف، ويبقى أصله على طريقة البعث وكيفيته/١٢ وجيز.

(٢) ولما ذكر قوله: "بل كذبوا بالحق" أعقبه من كذب الأنبياء وتسليية لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: "كذبت قبلهم" الآية/١٢ وجيز.

مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ
 مِنْهُ تُحِيدُ ﴿١٩﴾ وَتُفْخِ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا
 سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ
 الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَىٰ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلَقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ
 عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ
 فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ
 بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىٰ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ
 الْقَوْلُ لَدَىٰ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾: ما يخطر بضميره، "ما" موصولة والباء صلة لتوسوس أي: الذي تحدث نفسه به أو مصدرية، والباء للتعديّة والضمير للإنسان، ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ^(١) إِلَيْهِ﴾ المراد قرب علمه منه فتجوز بقرب الذات،

(١) قال شيخ الإسلام - أبو العباس أحمد بن عبدالحليم رحمه الله في شرح حديث الترمذ: وجميع ما وصف به الرب عز وجل نفسه من القرب فليس فيه ما هو عام لجميع المخلوقات كما في المعية، فإن المعية وصف نفسه فيها بعموم وخصوص وأما قربه ما يقرب منه فهو خاص لمن يقرب منه كالداعي والعابد، وكقربه عشية عرفة ودنوه إلى السماء الدنيا لأجل الحاج، ثم أطال الكلام في ذلك إلى أن قال: وليس في القرآن وصف الرب تعالى بالقرب من كل شيء أصلاً، بل قربه الذي في القرآن خاص لا علم بكفوله تعالى: "وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان" [البقرة: ١٨٦] فهو سبحانه قريب ممن دعاه إلى أن قال: أما قوله تعالى: "ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" وقوله:

لأنه سبب أو المراد قرب الملائكة منه، «مِنْ حَبْلِ»: عرق، «الْوَرِيدِ»: عرق العنق،

"قلولا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حيثئذ تنظرون، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون" [الواقعة: ٨٢-٨٥] فالمراد به قربه إليه بالملائكة، وهذا هو المعروف عن المفسرين المتقدمين من السلف قالوا: ملك الموت أدنى إليه من أهله، ولكن لا تبصرون الملائكة، وقد قال طائفة: ونحن أقرب إليه بالعلم، وقال بعضهم: بالعلم والقدرة والرؤية، وهذه الأقوال ضعيفة فإنه ليس في الكتاب والسنة وصفه بقرب عام من كل موجود حتى يحتاجوا إلى أن يقولوا بالعلم والقدرة، ولكن بعض الناس لما ظنوا أنه يوصف بالقرب من كل شيء تأولوا ذلك بأنه عالم بكل شيء قادر على كل شيء، وكأنهم ظنوا أن لفظ القرب مثل لفظ المعية إلى أن قال: وقد ثبت عن السلف أنهم قالوا: هو معهم بعلمه، وقد ذكر ابن عبد البر وغيره أن هذا إجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولم يخالفهم فيه أحد يعتد بقوله، وهو مأثور عن ابن عباس، والضحاك، ومقاتل بن حيان وسفيان الثوري، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، ثم أطال الكلام في معية القرب إلى أن قال: ومما يدل على أن القرب ليس المراد به العلم لأنه قال: "ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد" فأخبر أنه يعلم ما توسوس به نفسه، ثم قال: "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" فأثبت العلم، وأثبت القرب، وجعلهما شيئين فلا يجعل أحدهما هو الآخر، وقيد القرب بقوله: "إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" وأما من آمن أن المراد بذلك قرب ذات الرب من حبل الوريد، وأن ذاته أقرب إلى الميت من أهله، فهذا من غاية الضعف إلى قوله: وسياق الآيتين يدل على أن المراد الملائكة، فإنه قال: "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" فقيد القرب بهذا الزمان وهو زمان تلقى المتلقيان عن اليمين، وقعيد عن الشمال، وهما الملاك الحافظان اللذان يكتبان كما قال: "ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" إلى آخر ما قال رحمه الله.

والإضافة بيانية، **﴿إِذْ يَتَلَقَّى﴾** : يتلقن بالحفظ، **﴿الْمُتَلَقِّيَانِ﴾** : الملكان الحفيظان، إذ ظرف لأقرب، وفيه إشعار بأنه تعالى غني عن استحفاظ الملكين لكن إقامتهما لحكمة، أو إذ تعليل لقرب الملائكة، **﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾** : قعيد، **﴿وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ﴾**، حذف المبتدأ من الأول لدلالة الثاني عليه، وقيل: الفعيل للواحد والجمع، **﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ﴾** : لدى القول، أو الإنسان، **﴿رَقِيبٌ﴾** : ملك يرقبه، **﴿عَتِيدٌ﴾** : حاضر، وهل يكتب كل شيء؟ فيثبت في القيامة ما كان فيه من خير أو شر وألقى سائره، أو لا يكتب إلا الخير والشر؟ فيه خلاف بين السلف، والقرآن يشعر بالأول، ولو قيل: المراد من قوله إلا لديه ^(١) رقيب ملك يسمعه لا يحفظه، ويكتبه فقلنا: فللمناسب رقيبان، لأن السماع لا يختص بواحد، **﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾** : شدته، **﴿بِالْحَقِّ﴾**، الباء للتعدي أي: أتت بحقيقة الأمر الذي كنت تتمرى فيه، **﴿ذَلِكَ﴾** : الحق، **﴿مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾** : تميل فلم تقربه، لما ذكر إنكارهم البعث، واحتج عليهم بشمول علمه وقدرته أعلمهم أن ما أنكروه يلاقون عن قريب فنبه على الاقتراب بلفظ الماضي، أو معناه جاءت سكرته متلبسة بالحكمة ذلك الموت ما كنت تفر منه، **﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾** أي: نفخة البعث، **﴿ذَلِكَ﴾** : النفخ أي: وقته، **﴿يَوْمَ الْوَعِيدِ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ﴾** : من الملك يسوقه إلى الله تعالى، **﴿وَشَهِيدٌ﴾** : منه يشهد عليه بأعماله فمعه ملكان، وعن بعض المراد من الشهيد ^(٢) جوارحه، وكل نفس وإن كان نكرة صورة، لكن معرفة معنى، لأنه بمعنى النفوس فجاز أن يكون ذا الحال، **﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾** أي: يقال لكل نفس، فإن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا يقظة، **﴿فَكَشَفْنَا**

(١) يعني لو قال قائل: لا نسلم أن هذه الآية مشعرة بالأول لأن الآية بيان لأن عند كل كلمة ملك، وهذا لا يدل على أنه يكتبها فأجاب بما أجاب فتأمل فإنه دقيق/١٢ منه.

(٢) روى ذلك عن ابن عباس والضحاك/١٢ منه.

عَنْكَ غِطَاعَكَ: حتى عاينته، ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾: نافذ لزوال الحاجب، وعن بعض الخطباء^(١) للكفار، والمراد من الغفلة الإنكار، ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَى عَتِيدٍ﴾ أي: قال الملك -الموكل عليه: هذا ما لدى من كتاب أعماله حاضرًا، وقال ملك - يسوقه: هذا شخص لدى حاضر قيل: القرين الشيطان^(٢)، ومعناه هذا شيء عندي، وفي ملكتي عتيد لجهنم هيأته بإغوائى لها، وعتيد خير بعد خبر إن جعلت ما موصولة وصفة لما إن جعلتها موصوفة، قيل: هذا إشارة إلى مبهم يفسره جملة "ما لدى عتيد" ﴿أَلْقِيَا﴾: يا أيها السائق، والشهيد، وقيل: الخطاب للملكين من خزنة النار، ومن قال: الشهيد جوارحه يقول: هو خطاب الواحد بلفظ التثنية على عادة العرب خليلي صاحبي، ﴿فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾: معاند، ﴿مَتَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾: لما يجب عليه من الزكاة، أو لجنس الخير أن يصل إلى أهله، ﴿مُعْتَدٍ﴾: ظالم، ﴿مُرِيبٍ﴾: شاك في التوحيد، ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ "الذي مبتدأ، أو "فألقياه" خبره أو بدل من "كل كفّار" والعذاب الشديد نوع من عذاب جهنم، فكان من باب عطف الخاص على العام، ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾: الشيطان الذي قبض له، ﴿رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ﴾: ما أضللتته، هذا جواب لقول الكافر^(٣)، هو أطعاني، ﴿وَلَكِنْ

(١) هو قول الضحاك وصالح بن كيسان/١٢ منه:

(٢) ذكر الزمخشري أن المراد من القرين الشيطان الذى قبضَ هذا شيء لدى، وفي ملكتي عتيد لجهنم هيأته لها بأن أغويته، وقال: قوله بعد ذلك "وقال قرينه ربنا ما أطعته" يدل عليه، وهو الذى قاله ليس ببعيد لكن السلف صرحوا على خلاف ذلك، ولذلك ما تعرضنا عليه فى الأصل إلا بصيغة التمرىض/١٢ منه.

(٣) ولذلك استؤنفت الجملة وأخلت من الواو، وأما قوله: "وقال قرينه" بالواو فللدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها فى الحصول، أعنى مجيء كل نفس مع الملكين، وقول قرينه ما قاله له/١٢ وحيز.

كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ: عن الحق يتبرأ منه شيطانه كما قال تعالى حكاية عنه: "وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلومني ولوموا أنفسكم" [إبراهيم: ٢٢] ﴿قَالَ﴾ الله تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾، الواو للحال أي: لا تختصموا عالمين^(١) بأن أوعدتكم على الطغيان بلسان رسلي، والباء مزيدة، أو للتعدية على أن قدم بمعنى تقدم، ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾: لا تبديل ولا خلف لقولي، وقيل: لا يغير القول على وجهه، ولا يمكن الكذب عندي وإني أعلم الغيب، ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾: فأعذهم بغير جرم، قيل: جملة "ما يبدل" مفعول قدمت، و"بالوعيد" حال أي: قدمت إليكم هذا موعدًا لكم.

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ ﴿٢٣﴾ وَأَزَلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمِثْقَلِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٢٤﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٢٥﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٢٦﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٢٧﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٢٨﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣١﴾ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٢﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ

(١) لتصح على ما فسرنا جواز كون "وقد قدمت" حالا من "ولا تختصموا" واندفع إشكال أن التقديم بالوعيد في الدنيا، والخصومة في الآخرة فكيف يمكن أن يكون حالا، وقيد أمه، وله واجتماعهما في زمان واحد واجب/١٢ منه.

وَأَذْبَرَ السَّجُودَ ﴿٤٤﴾ وَأَسْمَعَ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٦﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سَرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ ﴿٤٨﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكَرَ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٩﴾

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ﴾، نصبه بتقدير نحو: اذكر، أو بظلام، ﴿هَلِ امْتَلأتِ وَتَقُولُ﴾ جهنم: ﴿هَلِ مِنْ مَزِيدٍ﴾، تطلب المزيد، وفي الصحيح لا تزال جهنم يلقى فيها، وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيتروى بعضها إلى بعض، فتقول: قط"(*)، أو تستبعد الزيادة لفرط كثرتهم^(١) فلاستفهام حينئذ للإنكار، أي: قد امتلأت، وعلى هذا إنما هو بعد ما يضع الرب فيها قدمه فيتروى، والسؤال والجواب على حقيقته^(٢)، ﴿وَأَزَلَّتْ﴾: قربت، ﴿الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾، نصب على الظرف أي: مكانًا غير بعيد. يرى منهم بين يديهم أو حال، ومعناه التوكيد كعزيز غير ذليل، والتذكير لأن البعيد على زنة المصدر، أو لأن الجنة بمعنى البستان، ﴿هَذَا﴾ أي: يقال لهم هذا، ﴿مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾: رجاع إلى الله تعالى، ﴿حَفِيطٍ﴾: حافظ لأمر الله تعالى ولكل بدل من للمتقين ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ﴾، بدل بعد بدل أو بتقدير أعنى أو

(٥) أخرجه في الصحيحين من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(١) أي: لفرط كثرة أصحابها، فلاستفهام للإنكار نحو: هل ترك لنا عقيل من دار" [لفظ حديث أخرجه في الصحيحين]، أي: ما ترك، وعلى هذا يكون القول منهما بعد وضع الرب قدمه فيها/١٢ وجيز.

(٢) ولا حاجة إلى أن نقول أنه من باب التمثيل والتخييل فنعدل عن الظاهر الدال عليه أحاديث الصحاح/١٢ منه.

هم، **﴿بِالْغَيْبِ﴾**: غائبًا عن الأعين أي: خاف الله تعالى في سره أو غائبًا عن عقابه لم يراء أو حال من المفعول أي: خشى عقابه حال كون العقاب غائبًا، **﴿وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾**: راجع إلى الله تعالى خاشع، **﴿ادْخُلُوهَا﴾** أي: يقال لهم ذلك، **﴿بِسَلَامٍ﴾**: سالمين من المكاره، أو مسلمين من الله تعالى وملائكته، **﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾**: يوم تقدير^(١) الخلود، **﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا﴾**: مما لم يخطر ببالهم، **﴿مَزِيدٌ وَكَمْ أَهْلَكْنَا﴾**^(٢) **﴿قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾**: جماعة من الناس، **﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾**: قوة، **﴿فَنَقَّبُوا﴾**: تصرفوا، **﴿فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾**: مفر لهم من قضاء الله تعالى وهل نفعتهم القوة فأنتم أيضًا لا مفر لكم، أو معناه: فبحثوا وطلبوا، وفتشوا في البلاد هل من محيص من الموت، فلم يجدوا قيل: معناه فنقبوا وساروا أي: أهل مكة في أسفارهم في بلاد القرون، فهل رأوا لهم محيصًا حتى يتوقعوا لأنفسهم، وقراءة الشاذة "فنقبوا" بصيغة الأمر تدل على هذا الوجه **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾**: المذكور في هذه السورة، **﴿لَذِكْرَى﴾**: تذكرة^(٣)، **﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾**: واع متفكر فإن من لا يعي فكأنه لا

(١) قيدنا التقدير، لأن ذلك إشارة إلى زمان الدخول، فهو كقوله: "ادخلوها خالدين" [الزمر: ٧٣] فإنه حال مقدرة، قال صاحب الكشف: لا نقدر شيئًا لأن ابتداء الخلود من ذلك الزمان كما تقول: زمان الرمي يوم العيد، والحاصل أن ملابسة اليوم للخلود، وللدخول كافية في اتحاد زمانيهما لكن فيه توسع فاش على أنه جاز أن يكون من باب هذا آخرك فلا يكون إشارة إلى سابق، ويوم الخلود على حقيقته لأن جميع الأبد الذي هم فيه يوم واحد/١٢ منه.

(٢) ولما أثبت لكل من الكافرين والمؤمنين ما يليق بهم هدد الكافرين لتلا يكونوا من أهل المزيد في جهنم فقال: "وكم أهلكنا" الآية/١٢ وجيز.

(٣) أى: تذكرة لإحدى الطائفتين: من له قلب يفقه عن الله، ومن له سمع مصغى من ذهن حاضر، أى: لمن له استعداد القبول عن الفقيه وإن لم يكن فقيها في نفسه/١٢ منه.

قلب له، ﴿أَوَ أَلْقَى السَّمْعَ﴾: أصغى القرآن، ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾: حاضر بذهنه، فإن من لا يحضر ذهنه فكأنه غائب، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، مر تفسيره، ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾: تعب وإعياء، وهذا رد قول اليهود: إن الله تعالى فرغ من الخلق يوم الجمعة واستراح يوم السبت، ويسمونه يوم الراحة، ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾: المكذبون، ﴿وَسَبِّحْ﴾: نزهه، ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾: متلبسًا بحمده، ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ يعني: الفجر والعصر فإنهما وقتان فاضلان، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ^(١) السُّجُودِ﴾: أعقاب الصلاة، والمراد التسبيح دبر الصلوات، أو المراد صلاة الفجر وصلاة العصر، وصلاة التهجد، وفي بدء الإسلام قبل الإسراء الفرائض هذه الثلاثة، ثم نسخت بخمس صلوات في ليلة الإسراء، والمراد من أدبار السجود الركعتان بعد المغرب، وعليه عمر، وعلي، والحسن، وابن عباس، وغيرهم -رضى الله عنهم- ﴿وَاسْتَمِعْ﴾: يا محمد لما أخبرك به من أحوال يوم القيامة، ﴿يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ﴾: إسرافيل، ﴿مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: من السماء، وهى صخرة بيت المقدس أقرب أجزاء الأرض من السماء ينادي: أيتها العظام البالية، واللحوم المتمزقة إن الله تعالى يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء، ونصب يوم بمقدار، أي: يخرجون من القبور، والدال عليه ذلك يوم الخروج، ويمكن أن يكون "واستمع" عطفًا على اصبر، أي: اصبر اليوم على مقالاتهم، واستمع يوم القيامة عجزهم وندامتهم، ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ﴾، بدل من "يناد"، ﴿الصَّيْحَةَ﴾: نفخة البعث، ﴿بِالْحَقِّ﴾، متعلق بالصيحف، ﴿ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾: من القبور بدل بعد بدل ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَكُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾: للجزاء، ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ﴾ أي: تشقق بدل بعد بدل، أو ظرف للمصير، ﴿الْأَرْضُ عَنْهُمْ سَرَاعًا﴾: مسرعين، ﴿ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا﴾: لا على غيرنا، ﴿يَسِيرٌ﴾:

(١) والأدبار جمع دبر، والإدبار بالكسر الانقضاء أي: وقت القضاء السجود ١٢/ منه.

فإنه لا يتيسر لغير من هو كامل القدرة، «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ»، تهديد للكفار، وتسلية له - عليه الصلاة والسلام «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ»^(١): فتجبرهم على الهداية^(٢) إنما أنت منذر، «فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ»: فإن من أصر على الكفر لا ينتفع به.

اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعودك.

(١) لا يجوز أن يكون عليهم خبراً ويجبار خبراً ثانياً تمنع دخول الباء على الخبر حيثئذ فلا يجوز ما أنت واليا يجبار، فافهم/١٢ منه.

(٢) على ما فسرنا جاز أن يكون الجبار بمعنى المسلط، وهو الأولى، وجاز أن يكون من جبر فلان فلانا بمعنى أجبره، ويكون "عليهم" حالا مقدماً أي: واليا عليهم/١٢ منه.

سورة الذاريات مكية

وهي ستون آية وثلاث ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُورًا﴾ ١ ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ ٢ ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ ٣ ﴿فَالْمَقْسِمَاتِ﴾ ٤
 أَمْرًا ٥ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ ٦ ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ ٧ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ ٨
 ٩ ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ ١٠ ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ مَنْ أَفَكَ﴾ ١١ ﴿قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ ١٢
 ١٣ ﴿الدِّينَ هُمْ فِي عَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ ١٤ ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ ١٥ ﴿يَوْمَ﴾ ١٦
 هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ١٧ ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهٖ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ ١٨
 ١٩ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ ٢٠ ﴿ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ﴾ ٢١
 ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ٢٢ ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ النَّاسِ﴾ ٢٣ ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ﴾ ٢٤
 يَسْتَغْفِرُونَ ٢٥ ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ ٢٦ ﴿وَفِي الْأَرْضِ ءَايَاتٌ﴾ ٢٧
 لِّلْمُوقِنِينَ ٢٨ ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ٢٩ ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ٣٠
 ٣١ ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ ٣٢ ﴿

﴿وَالذَّارِيَاتِ﴾ أي: الرياح، فإنها تذرر التراب، وغيره، ﴿ذُرُورًا﴾ (١) ﴿فَالْحَامِلَاتِ﴾:
 السحاب، فإنها تحمل المطر، ﴿وَقَرًا﴾ (٢): حملا، ﴿فَالْجَارِيَاتِ﴾: السفن التي تجري في

(١) مفعول مطلق لقوله: "والذاريات" لأن معناه الذي تذرر ذرورًا، وكذا وقرًا، وأما أمرًا في قوله:

"فالمقسمات أمرًا" فهو مفعول به للمقسمات، وهي تعمل لاعتمادها على الألف واللام/ ١٢ منه.

(٢) الفاء لترتيب الإقسام بها باعتبار ما بينهما من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة كما

مر في سورة "والصافات" ١٢/ منه.

البحر، **﴿يَسْرًا﴾** أي: جريًا ذا يسرٍ، أي: ذا سهولة، وعن بعض هي النجوم تجري بسهولة في أفلاكها، **﴿فَالْمُقَسَّمَاتِ﴾**: الملائكة، **﴿أَمْرًا﴾**: يقسمون الأمور بين الخلائق^(١)، **﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾** أي: البعث جواب للقسم، وما مصدرية، أو موصولة، **﴿لَصَادِقٌ﴾**، هو كعيشة راضية، **﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾**: الجزاء، **﴿لَوَاقِعٌ﴾**: حاصل، **﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾**^(٢): الحسن والبهاء^(٣)، أو لها حبك كحبك الرمل إذا ضربته الريح، وحبك شعر الجعد، ولكنها لا يرى لبعدها، أو ذات الشدة، أو الصفاقة، أو النجوم، **﴿إِنَّكُمْ﴾**: أيها المشركون، **﴿لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾**: مضطرب لا يلتئم ولا يجتمع في أمر الدين جواب للقسم، **﴿يُؤَفِّكُ﴾**: يصرف، **﴿عَنَّهُ﴾**: عن الدين، أو عن ما توعدون، **﴿مَنْ أَفَكٌ﴾**: من صرف أي: يصرف عنه من صرف الصرف الذي لا أشد منه، والمبالغة من إسناد الفعل إلى من وصف به، وهو قريب من قوله: "فغشيه من اليم ما غشيه [طه: ٧٨] أو يصرف عن الهداية بسبب قول مختلف من صرف، فعن بمعنى السبب، والأجل، والضمير للقول، فإنهم كانوا يتلقون من يريد الإيمان يقولون: إنه ساحر مجنون كذا وكذا، فيصرفونه عن الإيمان، **﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾**: الكذابون ممن يختلف قولهم، والمراد من هذا الدعاء اللعن، **﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ﴾**: جهل يغمرهم، **﴿سَاهُونَ﴾**: غافلون، **﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾** أي: متى وقوع يوم

(١) اتفق على ما فسرنا جمع من السلف كابن عباس، وابن عمر، وسعيد بن جبير، وقتادة، وهو المنقول بروايات متعددة عن علي بن أبي طالب، وروى الحافظ أبو بكر الرازي على ذلك حديثًا مرفوعًا/١٢ منه.

(٢) الحبك: تكسر كل شيء كالرمل والماء من هبوب الريح عليه، أو ذات الشدة، أو ذات الطرق/١٢ وجيز.

(٣) وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وكثير من السلف/١٢ منه.

الجزء^(١)، ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾: يحرقون، ونصب يوم على الظرف أي: يقع يوم، ﴿ذُوقُوا﴾ أي: يقال لهم ذلك، ﴿فَتَنَّاكُمْ﴾: عذابكم، ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أي: تستعجلون به في الدنيا سخرية.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾: من النعيم راضين به، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ أي: في الدنيا، ﴿مُحْسِنِينَ﴾: قد أحسنوا أعمالهم، ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾^(٢): ينامون، فما زائدة، ويهجعون خبر كان، وقليلًا إما ظرف أي: زمانًا قليلًا، ومن الليل إما صفة، أو متعلق يهجعون، وإما مفعول مطلق أي: هجوعًا قليلًا، ولو جعلت ما مصدرية فما يهجعون فاعل قليلًا ومن الليل بيان، أو حال من المصدر، ومن للابتداء، وأما جعلها نافية^(٣) أي: الهجوع في قليل من الليل منتف. بمعنى إن عادتهم إحياء جميع أجزاء الليل، فلا نوم لهم أصلاً، أو إن عادتهم التهجد في جميع الليالي، فلا يمكن أن يناموا جميع ليل واحد فجائز عند من يجوز تقديم معمول ما النافية إذا كان ظرفاً، ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ﴾^(٤): نصيب، ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾: هو من ليس له في بيت المال سهم، ولا كسب له ولا

(١) قدرنا المضاف في: "أيان يوم الدين"، لأنه لا يسأل بأيان إلا عن الحدث كما تقول: أيان

القدوم؟ فيقال: يوم كذا، والسؤال سؤال تكذيب واستهزاء/١٢ منه مع الوجيز.

(٢) لما ذكر الله تعظيم نفسه أشار إلى الشفقة على خلقه، فقال: "وفي أموالهم" الآية/١٢ كبير.

(٣) كلام ابن عباس وقتادة ومجاهد وأنس بن مالك وأبي العالية على أن ما نافية، والأول قول الحسن البصري/١٢ منه.

(٤) والظاهر أنهم جعلوا من أموالهم للفقراء، فالمراد صدقة التطوع مع أنه في سلك غير الواجب، ولما ذكر في البين أحوال المصدقين عاد إلى ما كان فيه من إثبات البعث فقال: "وفي الأرض آيات" الآية/١٢ وجيز.

حرفة، أو من لا يسأل الناس فيحسب غنياً، أو المصاب ماله، ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾: دلائل على قدرته وصنعه لا يدركها إلا من يطلب اليقين، لما ذكر في البين أحوال المصدقين بالبعث وأوصافهم عاد إلى ما كان فيه من إثبات القيامة والبعث، ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾^(١): آيات هي عجائب ما في الآدمي^(٢)، ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾: بنظر الاعتبار، ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾: المطر الذي هو سبب الرزق من جانب السماء، ﴿وَمَا تَوْعَدُونَ﴾: الجنة، وقيل: الرزق في الدنيا والثواب في العقي كله مقدر في السماء، ﴿فَوَرَبُّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ﴾ أي: ما توعدون، أو المذكور من الآيات والرزق وغيرهما، ﴿لَحَقٌّ﴾: واقع، ﴿مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ﴾^(٣) أي: مثل نطقكم، صفة لحق، ومن نصب مثل أراد حقاً مثل نطقكم فكما أن نطقكم متحقق فهذا أيضاً كذلك.

(١) وهذا كقوله: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم" [فصلت: ٥٣] أي: سنواتر عليهم الآيات معرضة لأي عين من نحو ما قد كررنا في أنفسهم من كيفية الخلق، ومنح السمع والبصر، والفؤاد، وحفظها، وسائر أحوالهم الخاصة وعوارضهم، وفي الآفاق من آيات السماء والأرض وما بينهما من الرعد والبرق، والسحاب والمطر، والنجوم والنبات، وغير ذلك من معتاد مستمر، وخارق ونادر حتى تزول الشبه بلا كثير نظر، وكد وكد مكره حتى لا يهلك على الله إلا هالك، وشارد شراد البعير. صدق الله العظيم، ونشهد له بذلك، وننكر قول أفراد من مقلدي المتكلمين: إن ذلك إنما يفيد الظن كما ذكره التفتازاني/١٢.

(٢) في ظاهره وباطنه من صغره إلى كبره/١٢.

(٣) ولما ذكر أن في السماء والأرض والأنفس آيات أعقبه بقرص مذكورة لأن من السماء رجعهم، ومن الأرض خسفهم، ومن البحر غرقهم، وفي ذلك تهديد وموعظة وتسليية فقال: "هل أتاك حديث ضيف إبراهيم" الآية.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ ١١٠ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ١١١ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ١١٢ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ١١٣ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ١١٤ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ١١٥ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ١١٦ * قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ١١٧ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ١١٨ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ١١٩ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ١٢٠ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ١٢١ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ١٢٢ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ١٢٣ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ١٢٤ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَحَرُ أَوْ أَتُحْنُونَ ١٢٥ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ١٢٦ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ١٢٧ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالْزَرِيمِ ١٢٨ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ١٢٩ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ١٣٠ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَنْصِرِينَ ١٣١ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ١٣٢ ﴿

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾، فيه تعظيم لشأن الحديث، وتنبية على أنه إنما عرفه بالوحي، ﴿الْمُكْرَمِينَ﴾: عند الله تعالى، وعند إبراهيم -عليه السلام- والضيف للواحد، والجمع؛ لأنه في الأصل مصدر والحكاية قد تقدمت في سورة "هود"، و"الحجر" ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾، ظرف للحديث، أو بتقدير اذكر، ﴿فَقَالُوا سَلَامًا﴾:

نسلم عليكم سلامًا، **﴿قَالَ سَلَامٌ﴾** أي: عليكم سلام عدل إلى الرفع، ليدل على الثبات، فعمل بقوله تعالى: "فحيوا بأحسن منها" [النساء: ٨٦]، **﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾** أي: أنتم قوم لا نعرفكم، **﴿فَرَاغَ﴾**: ذهب، **﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾**: بخفية، فمن أدب المضيف أن يخفى إتيانه بالضيافة عن الضيف، **﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ﴾**: مشوي، **﴿سَمِينَ قَرَبَةٍ﴾** (١) **﴿إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾**: منه، ذكره بصيغة العرض تطفًا في العبارة، **﴿فَأَوْجَسَ﴾**: أضمر، **﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾**: خوفًا، لما رأى أنهم لا يأكلون **﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾**: إنا رسل الله تعالى، **﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾**، هو إسحاق (٢)، **﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صِرَةٍ﴾** أي: جاءت صارة صائحة، أو أخذت في الصيحة كقولك: أقبل يشتمني، ولا إقبال ولا إدبار، **﴿فَصَكَّتْ﴾**: لطمت، **﴿وَجْهَهَا﴾**: تعجبًا كما هو عادة النساء من الأمر الغريب، **﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾** أي: أنا **﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ﴾** أي: قال الله مثل ما بشرناه فواقع البتة، فكذلك مفعول قال، **﴿إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ قَالَ﴾** إبراهيم: **﴿فَمَا خَطْبُكُمْ﴾**: ما شأنكم؟ **﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾**: قوم لوط، **﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾** أي: السجيل، **﴿مُسَوَّمَةً﴾**: معلمة مكتوبًا على كل حجر اسم من يهلك به، **﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾**: في قرى قوم لوط، **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**: بلوط، **﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ﴾**: أهل بيت، **﴿مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** هم لوط، وأهل بيته إلا امرأته، ولو قلنا إن كل مؤمن مسلم من غير عكس لصح معنى الآية، فلا يستدل عليها باتحاد مفهوميهما (٣)، **﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾**: في القرى، **﴿آيَةً﴾**: علامة، **﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ﴾**

(١) فيه أدب الضيف، وفيه العرض على الأكل تأنيسًا/١٢ وحيز. حاشية صـ ٣١٠.

(٢) وفيه بشارتان أحدهما أنه ذكر، والأخرى أنه كامل/١٢ وحيز.

(٣) كما استدل الزمخشري/١٢ وحيز.

الْعَذَابِ الْأَلِيمِ: وقد بقي فيها آثار العذاب، ﴿وَفِي مُوسَى﴾ عطف^(١) على فيها أي: وجعلنا في موسى آية، فهو من قبيل علفتها تبنًا وماءً باردًا وقيل^(٢): عطف على وفي الأرض، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: معجزة ظاهرة، ﴿فَتَوَلَّى﴾: أعرض، ﴿بِرُكْنِهِ﴾، الباء للتعدية، أي: أعرض به نحو: نأى بجانبه، أو للسببية أي: بسبب جنوده وملكه، ﴿وَقَالَ سَاحِرٌ﴾: هو ساحر لما يظهر منه خارق العادة، ﴿أَوْ مَجْنُونٌ﴾: لما يدعي خلاف العقل، ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ﴾: طرحناهم، ﴿فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾: حال كونه آت بما يلام عليه من الكفر والفجور، ﴿وَفِي عَادٍ﴾^(٣): آية، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾: المفسدة التي لا تنتج نفعًا، ﴿مَا تَذُرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ﴾: مرت، ﴿عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالرِّمِيمِ﴾: كالشيء البالي المتفتت، ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾: آية، ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا﴾^(٤) حَتَّىٰ حِينٍ، وذلك حين عقروا الناقة قيل لهم: "تمتعوا في داركم ثلاثة أيام" [هود: ٦٥] وعلى هذا فالفاء في قوله: ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ مرتب على تمام القصة، كأنه قيل: وجعلنا في ذلك الزمان آية، ثم أخذ في بيانه، فقال: "فعتوا". فلا يرد أن ما قيل لهم: تمتعوا، مؤخر عن استكبارهم، أو المراد من قوله: "إذ قيل لهم" إلخ فيهم آية، إذ متعناهم في الدنيا مدة وهديناهم، فعصوا واستحبوا العمى على الهدى ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ بعد ثلاثة أيام ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾: إليها عيانًا، ﴿فَمَا

(١) الأولى أن يكون عطفًا على فيها في قوله: "وتركنا فيها" أي: في قصة موسى آية ولا حاجة إلى جعله من باب:

علفته تبنًا وماءً باردًا/١٢ وحيز.

(٢) ذكره بصيغة التمریض لأنه بعيد لفظًا/١٢ منه.

(٣) عطف على موسى/١٢.

(٤) لما بعث إليهم صالح أمروا بالإيمان، والتمتع بدنياهم إلى آجالهم المقدرة لئلا يعجلهم عذاب الله/١٢ وحيز.

اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ^(١) فيهربوا من عذاب الله تعالى، ﴿وَمَا كَانُوا مُتَتَّبِعِينَ﴾: متنعين منه، ﴿وَقَوْمٌ نُّوحٍ﴾، عطف على محل في عاد، وقراءة الجر يؤيده، أو نصب بمقدر أي: أهلكنا، أو اذكر، ﴿مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل هؤلاء، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾^(٤٧) وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ^(٤٨) وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ^(٤٩) فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ^(٥٠) وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ^(٥١) كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ^(٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ^(٥٣) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ^(٥٤) وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكَرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ^(٥٥) وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ^(٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ^(٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ^(٥٨) فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ^(٥٩) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ^(٦٠)

﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾: بقوة، ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: لقادرون، أو وسعنا السماء، ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾: بسطناها ومهدناها لعبادي، ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾: نحن، ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: من الأجناس، ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾: نوعين كالسما والأرض، والليل

(١) قيل: هذا من قولهم ما يقوم به إذا عجز ولم يقدر التحمل، وليس المراد القيام المعهود،

"وما كانوا منتصرين": متنعين منه، وهذا التفسير للحسن - رضي الله عنه - وهو تفسير

حسن لا غبار عليه ١٢/ وحيز.

والنهار، والشمس والقمر، والبر والبحر، والموت والحياة^(١)، ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾، مرتب على مجموع بناء السماء وغيره، ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي^(٢): فقل لهم فروا إليه من عقابه بطاعته، ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: ما يجب أن يحذر، أو بين كونه منذراً من الله بالمعجزات، ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، كرر للتأكيد، ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: الأمر مثل ما أخبرتك من تكذيب الأمم رسلهم، ﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا﴾ في شأنه: ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ أي: أوصى بعضهم بعضاً بهذا القول حتى اتفقوا على كلمة واحدة؟ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طََاغُونَ﴾: تشابهت قلوبهم، ولهذا اتفقوا على تلك الكلمة لا لتواصيهم، ﴿فَقُولْ﴾: أعرض، ﴿عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾: على الإعراض بعد ما بلغت رسالتك، ﴿وَذَكِّرْ﴾: لا تدع الموعدة، ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) أي: من هو مؤمن في علم الله تعالى أو من آمن بزيادة بصيرته، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٤) أي: إلا لأجل العبادة فإنهم خلقوا بحيث يتأتى منهم العبادة، وهدوا إليها، فهذه غاية كمالية

(١) والسود والبياض، والكفر والإيمان، وقيل: المراد من كل شيء من الحيوان خلقنا ذكراً وأنثى/١٢ منه

(٢) وفي الحديث "لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك" ١٢/ وحيز.

(٣) قدرنا قل لهم بدليل قول: "إني لكم منه نذير" ١٢/ منه.

(٤) والظاهر أن الأمر بالإعراض منسوخ بآية السيف، وعن علي بن أبي طالب: لما نزل حزن المؤمنون، فظنوا أنه مأمور بالتولي عن الجميع، وأن الوحي قد انقطع حتى نزل فسروا/١٢ وحيز.

(٥) وقد ورد في بعض الكتب يقول الله تعالى: "يا ابن آدم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وتكفلت برزقك فلا تتعب واطلبي تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فترك فاتك كل شيء، وأنا أحب إليك من كل شيء" ١٢/ منه.

لخلقهم وتعوق البعض عن الوصال إليها لا يمنع كون الغاية غاية، وأما قوله: "ذرأنا
لجهنم" [الأعراف: ١٧٩] فلام العاقبة نحو: لدوا للموت، أو إلّا لنأمرهم بالعبادة، أو
ليقروا بي طوعاً^(١) أو كرهاً أو المراد منهم المؤمنون، ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا
أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ أي: يطعموني أي: ليس شأني مع عبادي كشأن السادة مع العبيد،
وقيل إن يرزقوا أنفسهم، أو أحداً من خلقي وإسناد الإطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيال
الله تعالى وإطعام العيال إطعامه، وفي الحديث القدسي "استطعمته فلم يطعمني" (*) ﴿إِنَّ
اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾: لجميع خلقه، ﴿ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾: المتين المبالغ في القوة، ﴿فَإِنَّ
لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا﴾: نصيباً من العذاب، ﴿مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾: من الأمم
السوافة، ﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾، كما قالوا: "متى هذا الوعد إن كنتم صادقين" [يونس:
٤٨] ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾: يوم القيامة.

والحمد لله على الهداية.

(١) القول الثالث قول ابن عباس واختاره ابن جرير وقال السدي: من العبادة ما ينفع ومنها
ما لا ينفع، "ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله" هذا منهم عبادة،
وليس ينفعهم مع الشرك، وفي قراءة ابن عباس "وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا
ليعبدون" كما نقله البغوي/١٢ منه.

(*) جزء من حديث أخرجه مسلم وغيره.

سورة الطور مكية

وهي تسع وأربعون آية وفيها مراكوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالطُّورِ ١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ٢ ﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ٤
وَالسَّكْفِ الْمَرْفُوعِ ٥ ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ٧ ﴿مَا
لَهُ مِنْ دَافِعٍ ٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ٩ ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ١٠﴾ فَوَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ١١ ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ١٢﴾ يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارٍ
جَهَنَّمَ دَعَاً ١٣ ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا
تُبْصِرُونَ ١٥ ﴿أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا
كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ١٧ ﴿فَلَكِهِنَّ بِمَاءٍ أَنْتَهُمْ رُبُّهُمْ
وَوَقْلَهُمْ رُبُّهُمْ عَذَابُ الْجَحِيمِ ١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
١٩ ﴿مُتَكِّينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْصُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ
شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ٢١ ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِفِكَهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ
٢٢﴾ يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَعَوٌ فِيهَا وَلَا تَأْنِيمٌ ٢٣ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ
غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ
٢٥ ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ٢٦﴾ فَمَنْ أَلَّاهُ عَلَيْنَا وَوَقَلْنَا
عَذَابَ السَّمُومِ ٢٧ ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ٢٨﴾

﴿وَالطُّور﴾ أقسم يجبل كلم الله تعالى موسى عليه السلام عليه بالأرض المقدسة، وأرسل منه موسى^(*)، ﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾: مكتوب، ﴿فِي رَقٍ﴾: صحيفة، ﴿مَنْشُورٍ﴾: مبسوط، والمراد اللوح المحفوظ، أو ما كتبه الله تعالى لموسى من الألواح، أو دواوين كرام الكاتبين، والتنكير^(١) للتعظيم، ﴿وَالْبَيْتِ^(٢) الْمَعْمُورِ﴾: بيت في السماء السابعة بخیال الكعبة يطوف به ملائكتها، وفي كل سماء بيت يتعبد فيه أهلها، والذي في السماء الدنيا اسمه بيت العزة، ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ أى: السماء، أو العرش، ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾، هو بحر تحت العرش منه يتزل مطر يحيا^(٣) به الأجساد في قبورها يوم المعاد، أو البحر الذى فى الدنيا، وهو مسجور أى: موقد يصير ناراً يوم القيامة محيطة بأهل الموقف^(٤) أو مملوء، أو ممنوع مكفوف أى: عن الأرض أن يغرق، وفى مسند الإمام أحمد قال -عليه السلام: "ما من ليلة إلا والبحر يشرف ثلاث مرات يستأذن الله تعالى أن ينفضح عليهم فيكفه الله تعالى^(**)، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾: نازل على الكافرين، ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾: من أحد يدفعه، ﴿يَوْمَ تَمُورُ﴾: تضطرب، ﴿السَّمَاءُ مَوْرًا﴾: يعنى لأجل التشقق ظرف لواقع، ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾: فتصير

(*) وفى النسخة ن: عيسى.

(١) فى قوله: "وكتاب مسطور" ١٢/منه.

(٢) وفى الصحيحين وغيرهما أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال -فى حديث الإسراء بعد مجاوزته إلى السماء السابعة: "ثم رفع لى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودن إليه" ١٢/فتح.

(٣) هو قول ربيع بن أنس/ ١٢/منه.

(٤) كذا قال على بن أبى طالب وابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وسعيد بن جبیر

وغيرهم ١٢/منه.

(**) "ضعيف" انظر ضعيف الجامع (٤٩٣٥).

هباءً منبثًا، ﴿فَوَيْلٌ﴾ أى: إذا وقع العذاب فويل، ﴿يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ أى: يلعبون في الخوض في الباطل، أو هم في خوض في الباطل^(١) يلعبون بدينهم، ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ﴾: يدفعون ويساقون، ﴿إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَا﴾: دفعًا بعنف، ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾: يقال لهم ذلك تفرغًا، ﴿أَفَسِحْرٌ﴾ هذا^(٢) أى: يقال لهم ذلك كنتم تقولون للوحى المنذر عن هذه النار هذا سحر، فهذا الذى هو مصداقه سحر أيضًا دخلت الهمزة بين المعطوفين، والمشار إليه النار، وذكر لأنه في تأويل المصداق، ﴿أَمْ﴾^(٣) أنتم لا تبصرون: لهذا كما كنتم لا تبصرون ما يدل عليه، وهذا تمكيم وتقريع، ﴿اصْلَوْهَا﴾: ادخلوها، ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا﴾: فإنه لا محيص ولا مناص، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾، خير محذوف أى: الأمر أن الصبر وعدمه مستو عليكم في عدم النفع، ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أى: لأن الجزاء واقع لا محالة، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ فَاكِهِينَ﴾: متلذذين، ﴿بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾: أعطاهم ﴿وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾، عطف على ما آتاهم بشرط أن تجعل ما مصدرية، وإلا فحال بإضمار قد، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ أى: يقال لهم كلوا أكلا أو طعامًا واشربوا شربًا أو شرابًا هنيئًا لا تنغيص فيه، ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: بدله، أو بسببه، ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾: موضوعة بعضها إلى جنب بعض، ﴿وَزَوْجَتَاهُمْ

(١) على الأول في خوض ظرف ليلعبون، وعلى الثانى خير، ويلعبون إما حال أو خير بعد خير/١٢ منه.

(٢) والتذكير لإرادة المصداق، ودخلت الهمزة بين المعطوفين لأن فسحر عطف على قولهم هذا سحر للوحى، وهذا كما استدل أحد على مدعاه فقال الخصم: هذا باطل، فجاء بدليل أوضح، فقال: أفيأبطل هذا يعيره بالإلزام، وبأن مقالة الأولى كانت باطلة/١٢ منه.

(٣) "أم" جاز أن يكون متصلة، وجاز أن يكون منفصلة، وعلى أى وجه يكون المقام للتقريع والتهكم/١٢ منه.

بِخُورٍ عَيْنٍ»، الباء لمعنى الوصل فى التزويج، «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ»، يخبر تعالى عن كمال إحسانه إلى المؤمنين بأن الأولاد إذا اتبعوا آباءهم فى الإيمان يلحقهم بآبائهم فى المترلة، وإن لم يبلغوا عملهم لتقر أعينهم بهم، فيجمع بينهم بأن يرفع ناقص العمل بالكامل لا ينقص ذلك من عمله، ومترلته ليساوى بينه وبين ذلك، ولهذا قال: «وَمَا أَلْتَنَاهُمْ»: نقصانهم، «مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ»: شيئاً من النقص، وفى الطبرانى قال - صلى الله عليه وسلم: "إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه، وزوجته، وولده فيقال: إثم لم يبلغوا درجتك، فيقول: يا رب قد عملت لى ولهم، فيؤمر بإلحاقهم به" (*) وعن بعض معناه: والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان أى: البالغون ألحقنا بهم ذريتهم الذين لم يبلغوا الإيمان، وماتوا بالصغر بإيمان آبائهم، وفى الحديث: "سألت خديجة عن ولديه ما بالهما فى الجاهلية، فقال - عليه السلام: "فى النار"، قالت: فولدى منك، قال: "فى الجنة"، ثم قال: "إن المؤمنين وأولادهم فى الجنة وإن المشركين وأولادهم فى النار، ثم قرأ "والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم" (***) الآية، فعلى هذا الذين آمنوا مبتدأ وقوله: "ألحقناهم ذريتهم" خبره، «كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ»: مرهون بعمله عند الله تعالى إن عمل صالحاً فكلها، وإلا أهلكها، «وَأَمْدَدْنَاهُمْ»: زدناهم وقتاً بعد وقت، «بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ يَتَنَازَعُونَ»: يتعاطون ويأخذ بعضهم من بعض، «فِيهَا كَأَسَا»: خمرًا، «لَا لَعْوٌ»: لا يتكلمون بلغو الحديث، «فِيهَا»: فى أثناء شربها، «وَلَا تَأْتِيهِمْ»: ولا يفعلون ما يؤثم^(١) به فاعله،

(٥) رواه الطبرانى فى الصغير والكبير، وفيه محمد بن عبدالرحمن بن غزوان وهو ضعيف، كما فى المجموع (١١٤/٧).

(**) ضعيف، أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند (٣٤/١-١٣٥)، وانظر تعليق الشيخ الألبانى عليه فى المشكاة .

(١) أى: ينسب إلى الإثم لو فعله فى الدنيا، كالكذب والفواحش، بل كلامهم حكم كله/١٢ منه.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾: بالخدمة، ﴿عِلْمَانُ لَهُمْ﴾: ممالك لهم، ﴿كَانَهُمْ لَوْلَوْ مَكْنُونٌ﴾: مضمون في الصدف من صفائهم وبياضهم^(١)، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾: عن أحوالهم التي كانت لهم في الدنيا يتذاكرون ويتحدثون بما مضى عليهم، ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا﴾: في الدنيا، ﴿مُشْفِقِينَ﴾: خائفين من عذاب الله تعالى، ﴿فَمَنْ اللَّهَ عَلَيْنَا﴾: بالرحمة، ﴿وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾: حرارة نار جهنم^(٢)، ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾: في الدنيا، ﴿نَدْعُوهُ﴾: نتضرع إليه ونعبده، ﴿إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ﴾: المحسن، ﴿الرَّحِيمُ﴾.

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ ﴿٦٦﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ
نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَبِّهِ الْمُنُونِ ﴿٦٧﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٦٨﴾
أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَعُهُمْ بِهِذًا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا
يُؤْمِنُونَ ﴿٧٠﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ
شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٧٢﴾ أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضُ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٧٣﴾
أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴿٧٤﴾ أَمْ لَهُمْ سُلُمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ
فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٧٦﴾ أَمْ
تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٧٧﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٧٨﴾
أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ
اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ

(١) قيل المكنون: المخزون، ولا يخزن إلا العالى الغالى/١٢ وحيز.

(٢) قال الحسن: السموم من أسماء جهنم/١٢ وجيز.

مَرَكُومٌ ﴿١٢﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّىٰ يُلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿١٣﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٤﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٥﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿١٦﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُومِ ﴿١٧﴾

﴿فَذَكِّرْ﴾: يا محمد، ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ أى بإنعام الله عليك حال من ضمير^(١) ﴿بِكَاهِنٍ﴾: كما يقولون، ﴿وَلَا مَجْنُونٍ﴾^(٢): فلا تبال بكلامهم، ولا تذر عن التذكير ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾، بل أيقولون، والهمزة لإنكار أنه لشاعر، ﴿تَرَبَّصْ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾: حوادث الدهر، فيهلك كما هلك الشعراء قبله فنستريح، والمنون الدهر أو الموت، ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾: انتظروا هلاكي، ﴿فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾: هلاككم، ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ﴾: عقولهم، ﴿بِهَذَا﴾: الذى يقولون فيك من الأقوال الباطلة المتناقضة، ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾: مجاوزون الحد فهو الذى حملهم على ذلك الأقوال، فالهمزة هاهنا للتقرير^(٣)، وفى البواقي كلها للإنكار، ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾: اختلق القرآن من عند نفسه متعمداً، ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾: فينسبونه إلى تلك الأشياء، ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾^(٤): القرآن ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾: إن محمداً تقوله،

(١) لازمة لا منتقلة، فإنه - صلى الله عليه وسلم - لا زال متلبساً بنعمة الله/١٢ وحيز.

(٢) فإحما نقص لكن طريقان لبعض المغيبات وللجن بها ملاسة/١٢.

(٣) وفى البواقي للإنكار أنكر أحلامهم يأمرهم بذلك، بل جهلهم وشقاوتهم يأمرهم بهذا، وفيه تمك، فإن العقل لا يأمر بالأشياء المتناقضة الظاهرة خطأها/١٢ وحيز.

(٤) مثل القرآن فى نظمه ورسخه، ووصفه من البلاغة، والإخبار بالقصص السالفة والمغيبات والحكم/١٢ وحيز.

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾: من غير رب، ومحدث أى: لا خالق لهم، أو من أجل لا شيء أى: عبثاً، ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾: لأنفسهم، فلذلك لا يسمعون كلام خالقهم ولا رسالته، ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾: يشكون حين يقولون الله خلقهن، فإنهم لو أيقنوا لما أعرضوا عنه، ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾: خزائن قدرته، ﴿أَمْ هُمُ الْمُسَيِّطِرُونَ﴾: الغالبون على الأشياء المحاسبون للخلائق، ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ﴾: منصوب إلى السماء، ﴿يَسْتَمِعُونَ﴾ أى: ما يجرى في السماء، ﴿فِيهِ﴾ أى: صاعدين فيه فيعرفون حقيقة ما هم عليه، ﴿فَلَيَاتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾: حجة

(١) قوله تعالى: "أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ" في الصحيحين عن جبير بن مطعم أنه لما قدم في أسارى بدر قال: وجدت النبی -صلى الله عليه وسلم- يقرأ في المغرب بالطور، فلما سمعت هذه الآية "أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ" أحسست بفؤادي قد انصدع، وذلك لأن هذا تقسيم حاضر ذكره الله تعالى بصيغة استفهام الإنكار ليبين هذه المقدمات معلومة بالضرورة لا يمكن حجبها يقول: أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أى: من غير خالق خلقهم، أَمْ هُمُ خَلَقُوا أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ أن كلا النقيضين باطل فتعين أن لهم خالقاً خلقهم سبحانه وتعالى، فإنه يمتنع وجود المحدث بنفسه كما يمتنع أن يخلق الإنسان نفسه، وهذا من أظهر المعارف الضرورية، فإن الإنسان بعد قوته ووجوده لا يقدر أن يزيد في ذاته عضواً ولا قدراً، فلا يقصر الطويل، ولا يطول القصير، ولا يجعل رأسه أكبر مما هو، ولا أصغر، وكذلك أبواه لا يقدران على شيء من ذلك، ومن المعلوم بالضرورة أن الحادث بعد عدمه لا بد له من محدث، وهذه قضية ضرورية معلومة بالفطرة حتى للصبيان فإن الصبي لو ضربه ضارب، وهو غافل لا يبصره لقال: من ضربني؟ فلو قيل له: لم يضربك أحد لم يقبل عقله أن تكون الضربة حدثت من غير حادث، بل: يعلم أنه لابد للحادث من محدث، فإذا قيل: فلان ضربك بكى حتى يضرب ضاربه، وكأن في فطرته الإقرار بالصانع وبالشرع الذى مبناه على العدل، ولهذا قال الله تعالى: "أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ" هذا ما لخصت من كلام شيخ الإسلام أبي العباس بن تيمية في شرح حديث التزول/١٢.

ظاهرة على صحة الاستماع، ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمْ^(١) الْبُنُونَ﴾، فيه تسفيه لأحلامهم على أكد وجه، ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾: على الرسالة، ﴿فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾: يحملون الثقل من التزام غرم، فلذلك لم يتبعوك، والمغرم أن يلتزم ما ليس عليه، ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾: اللوح المحفوظ، ﴿فَهُمْ يَكْتُوبُونَ﴾: ما فيه، ويخبرون به الناس أو علم الغيب، فهم يحفظونه، ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾: مكرًا بك، الهمة هاهنا أيضًا للتقير، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾: من وضع الظاهر موضع المضمر، أو أراد كل الكافرين، ﴿هُمْ الْمَكِيدُونَ﴾: الذين يحيق بهم الكيد ويعود وباله عليهم، ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾: ينصرهم، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا﴾: قطعة، ﴿مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾: لعذابهم، ﴿يَقُولُوا﴾: عنادًا، ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ^(٢)﴾، هذا سحاب تراكم بعضها على بعض، وهذا جواب قولهم "فأسقط علينا كسفاً من السماء" [الشعراء: ١٨٧]، ﴿فَذَرُهُمْ﴾: في غمرهم، ﴿حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾: يوم القيامة عند النفخة الأولى، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾: من الإغناء، ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: من وضع الظاهر موضع المضمر، أو أراد العموم، ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾: دون عذاب الآخرة في الدنيا، ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: "ولنديقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون" [السجدة: ٢١]، لكن لا يعلمون أن المصائب^(٣) للتنبيه، فلا ينيون، ﴿وَاصْبِرْ

(١) وفيه التفات من الغيبة ١٢.

(٢) وهذا كما قال: "ولو فتحنا عليهم بابًا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا" [الحجر: ١٤-١٥/ ١٢] منه.

(٣) وفي الحديث "المنافق إذا مرض وعوفى مثله مثل البعير لا يدرى فيما عقلوه ولا فيما أرسلوه"، وفي أثر إلهي "كم أعصيك، ولا تعاقبي، قال الله: يا عبدى كم عاقبتك وأنت لا تدري" ١٢/ منه ووجيز.

لِحُكْمِ رَبِّكَ: ما قدر لك من وصول المكروه، ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾: بحيث نراك، ونحفظك ونرعاك، وجمع العين لجمع الضمير، ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾: إلى الصلاة، "سبحانك اللهم، وبحمدك، وتبارك اسمك وتعالى جدك" ^(١) أو من نومك أو من كل مجلس ^(٢) ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾: اذكره بالعبادة والصلاة، ﴿وَإِذَا بَرَأَ النَّجُومَ﴾: إذا أدبرت النجوم، والمراد ركعتي الفجر ^(٣).

(١) السنة أن يقول هذا في ابتداء الصلاة كما ورد في مسلم وغيره ١٢/منه.

(٢) روى الترمذى وصححه، وقال: إسناده على شرط مسلم "من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك" إلا غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك [صحيح، انظر صحيح الجامع (٦١٩٢)/١٢/وجيز ومنه.

(٣) صرح على ذلك ابن عباس -رضي الله عنهما- وفيه حديث أيضاً ١٢/منه.

سورة النجم مكية

وهي إحدى أو اثنتان وستون آية وثلاث ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ
الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ
فَأَسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ
قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١
أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ
الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا
زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝١٨ أَفَرَأَيْتُمْ
أَلَّكَ وَالْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنُوءَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝٢٠ أَلَكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝٢١
تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۝٢٢ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ
وَأَبَاؤُكُمْ مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ ۝٢٣ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمْنَىٰ ۝٢٤ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ
وَالْأُولَىٰ ۝٢٥﴾

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ أقسم بالثريا إذا غاب، أو بجنس النجم إذا انقض، ورمى به
الشياطين، أو بالقرآن وقد نزل منجماً إذا نزل من السماء، أو بالنجوم إذا انتشرت يوم
القيامة، وعن السلف: الخالق يقسم بما شاء من خلقه، والمخلوق لا ينبغي أن يقسم إلا
بالخالق، ﴿مَا ضَلَّ﴾: ما عدل عن الطريق المستقيم، ﴿صَاحِبُكُمْ﴾: صلى الله عليه

وسلم، «وَمَا غَوَى»: وما اعتقد باطلا كما تزعمون، «وَمَا يَنْطِقُ»: بالقرآن، «عَنِ الْهَوَى» أو ما يقول قولاً عن هوى وغرض، «إِنْ هُوَ»: ليس ما ينطق به، «إِلَّا وَحْيٌ»: من الله تعالى، «يُوحَى»: إليه، وفي الحديث أنه قال -عليه السلام: "لا أقول إلا حقاً"، «عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى»: جبريل فإنه شديد قواه، «ذُو مِرَّةٍ»: ذو قوة شديدة، ومنظر حسن أو إحكام في العقل، «فَاسْتَوَى»: جبريل واستقام على صورته التي خلقه الله تعالى عليها، وما رآه غيره من الأنبياء على صورته^(١)، «وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى»: أفق السماء قد سد الأفق، وهذا قبل الإسراء، «ثُمَّ دَنَا»: جبريل إلى محمد، وهبط إلى الأرض بعدما رده الله تعالى إلى صورة آدمي، «فَتَدَلَّى»: تعلق به وليس المراد منه الإسراء، وكان هذه الرؤية في أوائل البعثة^(٢) بعد أن جاء إليه في حراء قيل: في "تدلى" إشارة منه إلى أنه ما تجاوز عن مكانه فإنه استرسال مع تعلق كتدلى الثمرة، «فَكَانَ»: جبريل، «قَابٌ»: مقدار، «قَوْسَيْنِ»، يعني مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين، «أَوْ أَدْنَى»: على تقدير كم، والغرض نفى ما زاد عليه، «فَأَوْحَى»: جبريل، «إِلَى عَبْدِهِ»: إلى عبدالله تعالى، «مَا أَوْحَى»: جبريل فيه تفخيم للموحى به، أو المعنى فأوحى الله تعالى إلى عبده ما أوحى بواسطة جبريل، وحاصل المعنى متحد، «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى»: أي: فؤاد محمد -صلى الله عليه وسلم- ما رآه يبصره من صورة جبريل، أو ما كذب الفؤاد ما رآه بفؤاده أي: الله^(٣) تعالى، وفي الحديث "رأيت به فؤادي

-
- (١) كذا ذكره ابن مسعود وابن عباس -رضي الله عنهما- وغير واحد من السلف/١٢ منه.
(٢) وكان ذلك بالأبطح بعد أن نزل عليه صدر سورة اقرأ فرآه في صورته له ستمائة جناح قد سد الأفق فاقتراب منه وأوحى إليه عن الله ما أمره به/١٢ منه.
(٣) يرجع الضمير في عبده إلى الله وإن لم يمر له ذكر لأنه لا يلبس كما في قوله تعالى: "ما ترك على ظهرها من دابة" [فاطر: ٤٥]/١٢ منه.

مرتين^(١) ثم قرأ "ما كذب الفؤاد ما رأى" **﴿أَفْتَمَارُوهُ﴾**: تجادلونه من المراء، **﴿عَلَى مَا يَرَى﴾**: من صورة جبريل، ولتضمينه معنى الغلبة عدى بعلى، **﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾**: جبريل في صورته، **﴿نَزْلَةً أُخْرَى﴾**: مرة أخرى، وعن أبي هريرة -رضى الله عنه- وجم غفير من السلف أنه رأى جبريل في صورته مرتين والمرة الأخيرة ليلة الإسراء نصب بالمفعول فيه، **﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾**: هي شجرة نبق في السماء السابعة عن يمين العرش إليها ينتهي علم الخلائق لا يعلم أحد ما وراءها، **﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى إِذْ يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾**، فيه تعظيم لما يغشاها، وفي الحديث "أنه غشاها نور الرب، وألواناً لا يدرى ما هي، والملائكة مثل الغربان^(٢) يعبدون" ما يغشى فاعل يغشى، وإذ ظرف لرآه أو لما زاغ عند من يجوز تقلد ما بعد ما إذا كان ظرفاً، **﴿مَا زَاغَ﴾**: ما مال، **﴿الْبَصْرُ﴾** أي: بصر النبي -صلى الله عليه وسلم- عما رآه **﴿وَمَا طَغَى﴾**: وما تجاوزه، وهذا وصف أدبه -صلى الله عليه وسلم- **﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ﴾**: بعض عجائبه، **﴿الْكُبْرَى﴾**، صفة^(٤) الآيات، أو هو المفعول ومن آيات ربه حال مقدم، ثم اعلم أنه قد ورد في الصحيحين أن عائشة -رضى الله عنها- قالت: أنا أول من سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن قوله "ولقد رآه بالأفق المبين"، "ولقد رآه نزلة أخرى" فقال: "إنما ذاك جبريل لم يره في صورته إلا مرتين"، وفي مسلم عن أبي ذر -رضى الله عنه- قال: سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هل رأيت ربك؟ قال: نوراً أنى أراه"، وفي

(١) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم، وكذا روى مسلم عن ابن عباس -رضى الله عنه- /وكذا

قال أبو صالح، والسدى وغيرهما: إنه رآه بفؤاده مرتين/١٢ منه.

(٢) الغرباب واحِدٌ "غربان"/١٢ منه.

(٣) وتمكنه -عليه صلوات الله وسلامه، فإنه ما فعل إلا ما أمر به/١٢ منه.

(٤) لما قرر الرسالة ذكر ما ينبغي أن يتدبّر به الرسول، وهو التوحيد ومنع الخلق عن

الإشراك فقال: "أفأرأيتم اللات" الآية/١٢ كبير.

رواية لغير مسلم "رأيت نوراً"، وكان سؤال عائشة بعد الإسراء^(١)، فلا يمكن أن يقال كأن نفى الرؤية قبل الإسراء، وما قيل إنه -عليه الصلاة والسلام- خاطبها على قدر عقلها فخطأ مردود^(٢) قال الشيخ عماد الدين ابن كثير: لا يصح في أنه رأى ربه بصره شيء من الصحابة، وأما ما قال البغوي: ذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو قول أنس والحسن وعكرمة، ففيه نظر^(٣)، والحديث الذى رواه الإمام أحمد عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال: قال عليه الصلاة والسلام: "رأيت ربى عز وجل" (*) فهو مختصر من حديث المنام كما رواه الإمام أحمد أيضاً، وقد ثبت عن كثير من السلف نفى رؤية البصر، والله أعلم، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ﴾ (٤) اللات^(٥): صخرة بيضاء عليها بيت بالطائف لله

(١) كان سؤال عائشة بعد الإسراء بدليل قولها -رضى الله عنها: "أنا أول من سأل عن تلك الآية"، وما كانت هذه الآية إلا بعد الإسراء بلا خلاف من أحد فلا يمكن أن يقال: كان نفى الرؤية قبل الإسراء/١٢ منه.

(٢) فإنه يلزم على ما نقلنا من الصحيحين أنه -عليه الصلاة والسلام- فسر القرآن على ما هو خطأ وكذب فإنه قال إنما ذلك جبريل، ولم يتفوه بذلك مؤمن وأيضاً هى -رضى الله عنها- كاملة مكملة، وليس لإثبات الرؤية ونفيها كثير غموض لا تفهمه النساء، والله أعلم/١٢.

(٣) وقد روى ابن أبى حاتم عن عباد بن منصور أنه قال: لما سألت عكرمة عن قوله: "ما كذب الفؤاد ما رأى" فقال عكرمة: نعم قد رأى ربه، قال: فسألت عنه الحسن فقلل: رأى جلاله وعظمته ورداءه/١٢ منه.

(٥) أخرجه أحمد (٢٨٥/١)، وصحح إسناده الشيخ شاكر في تعليقه على "المسند" (٢٥٨٠).

(٤) أي: أعقيب ما سمعتم من عظمة آيات الله تعالى الكبرى، ونفاذ أمره في الملأ الأعلى "وما تحت الثرى" فانظروا إلى اللات، والعزى تعلموا فساد ما ذهبتم إليه وعولتم عليه/١٢ كبير.

(٥) عن ابن عباس -رضى الله عنهما- في قوله: "اللات والعزى" كان اللات رجلاً يلبس سوق الحاج، رواه البخارى يلبس أي: يبل، وزاد ابن جرير، وابن المنذر وعبدالرزاق عن

سدنة يعظمونه اشتقوا اسمها من لفظ الله يعنون مؤنثه - تعالى الله عن ذلك،
﴿وَالْعُزَّى﴾، من العزيز شجرة عليها بناء وأستار بنحلة بين مكة والطائف^(١)، **﴿وَمَنَاةُ
الثَّالِثَةُ الْآخَرَى﴾**، كانت بين مكة والمدينة يهلون منها للحج أفرد هذه الثلاثة بالذكر
وإن كان في جزيرة العرب طواغيت كثيرة عليها بيوت يعظمونها كتعظيم الكعبة، لأنها
أشهر من غيرها، وأعظم عندهم، والآخرى ذم وهي المتأخرة في الرتبة، و"أفرايتم"
عطف على أقتمارونه، وإدخال الهمزة لزيادة الإنكار يعني: أبعد هذا البيان تستمرون
على المراء فترون اللات والعزى ومناة أولاد الله أحسن أولاد أى الإناث وقوله: **﴿أَلَكُمُ
الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾**، دال على ثان مفعولى أفرايتم، ومعناه أختارون لأنفسكم الذكور
من الأولاد، وتجعلون لله، وتختارون له البنات فإنهم يقولون: الملائكة وهذه الأصنام
بنات الله - تعالى عن ذلك، **﴿تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾**: جائرة، ومن قرأ بالهمزة، فهو
من ضأزه إذا ظلمه، **﴿إِنْ هِيَ﴾**: ما الأصنام، **﴿إِلَّا أَسْمَاءُ﴾**: ليس لها في الحقيقة
مسميات، لأنكم تدعون الألوهية لها، **﴿سَمَّيْتُمُوهَا أَنْثَى وَأَبَاؤُكُمْ﴾**: هواكم، **﴿مَا
أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾**: برهان تتعلقون به، **﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا
الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾**: أنفسهم، **﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾**: الرسول

= مجاهد: فاعتكفوا على قبره، وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن أبي صالح قال: العزى
نخلة كانوا يعلقون عليها السيور، والعلهز(في اللسان: وبر يخلط بدماء الحلم كانت
العرب في الجاهلية تأكله في الجذب)، ومناة حجر بقديد، كذا في الدر المنثور/١٢.
(١) بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليها خالد بن الوليد فقطعها وأخرج منها
شيطانة ناشرة شعرها واضبعة يدها على رأسها تدعو على نفسها بالويل، فضرها
بالسيف حتى قتلها، ورجع فأخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: "تلك
العزى، ولن تعبد أبداً"، هذا ما في الوجيز، وكذا في الدر المنثور، وعزاه فيه إلى النسائي
وابن مردويه [حسن، أخرجه النسائي في التفسير /١٢].

والقرآن فتركوه، ﴿أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى﴾، الهمزة للإنكار أي: بل ليس له كل ما يتمناه كما يتمنون شفاعة الآلهة، ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾: يعطى ما يشاء لمن يشاء.

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ (n) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةً الْأُنثَى (n) وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا (TA) فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (n) ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى (r) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (n) الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى (n) اتَّقَى

﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ^(١) فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي: كثيرًا منهم مع علو رتبته، ﴿لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾: من الإغناء، ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾: في الشفاعة، ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾: من الناس، أو من الملائكة، ﴿وَيَرْضَى﴾: فكيف ترجون شفاعة الأنداد الجماد

(١) هذا جواب كلام كأهم قالوا: لا نشرك بالله شيئًا، وإنما هذه الأصنام شفعاء فإنها صرر

ملائكة مقرين، فقال: "وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئًا"

الآية/١٢ كبير.

عند الله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْآثَى﴾: قلّيلين هم بنات الله، ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ﴾: ما يقولون، ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾: من العلم^(١)، ﴿شَيْئًا^(٢)﴾: فإن العقائد والمعارف اليقينية، لا يدرك بالظن أصلاً، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ تَوَلَّى﴾: أعرض، ﴿عَنْ ذِكْرِنَا﴾: فلم يتدبر، ولم يتأمل، ﴿وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾: ولا تجادله ولا تدعه إلى الهدى، ﴿ذَلِكَ﴾: أمر الدنيا، ﴿مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾: لا يتجاوزونه، وفي الدعاء المأثور "اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا^(٣)" ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾: فلا يجب، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾: فيجب تعليل للأمر بالإعراض، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: خلقاً، ﴿لِيَجْزِيَ﴾، علة لقوله: "ولله ما في السموات وما في الأرض" أي: خلق العالم لهذا أو علة لقوله: "وهو أعلم بمن ضلّ" إلخ، فإن نتيجة العلم بهما جزاءهما، وقوله: "ولله ما في السموات" إلخ معترضة بيان لكمال قدرته، ﴿الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا﴾ أي: بعقابه، أو بسببه، ﴿وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾: بالثوبة الحسنی، أو بسبب الأعمال الحسنی، ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾، هي ما عليه وعيد شديد، ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾: من الكبائر خصوصاً، ﴿إِلَّا

(١) فإنه يدرك الحق الذي هو حقيقة الشيء بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم/

١٢ منه.

(٢) أخرج ابن أبي حاتم عن عمر بن الخطاب قال: "احذروا هذا الرأى على الدين فإنما كان الرأى من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مصيباً لأن الله كان يريه، وإنما هو منّا تكلف، وظن، وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً/١٢ در منشور.

(٣) أخرجه الترمذی مع زیادة وحسنه [حسن، وانظر صحيح الجامع (١٢٦٨)]/١٢ در منشور.

عليه وعيد شديد، ﴿وَالْفَوَاحِشُ﴾: من الكبائر خصوصاً، ﴿إِلَّا اللَّمَمُ﴾^(١) أي: الصغائر، فالاستثناء منقطع أو إلا بمعنى غير صفة وحرف التعريف في الموصوف للجنس، فهو في حكم النكرة، وقد ورد^(٢) أنه قال -عليه الصلاة والسلام: "إن تغفر اللهم اغفر جما فأى عبد لك ما ألما" أو اللمم من الكبائر، والمعنى يجتنبون من الكبائر كلها مطلقاً إلا القليل منها بمعنى أنه يلم بها مرة أو مرتين، فيتوب عن قريب فلا يجعلها عادة، وهو قول كثير من السلف، ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾: فلا تيأسوا بكثرة المعاصي، ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾: في ابتداء خلق أبيكم من تراب، ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَتُمْ﴾، جمع جنين، ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾: لا تدحوها، ولا تنسبوها إلى الطهارة، ولا تعجبوا بطاعاتكم، وفي صحيح مسلم عن ابن

(١) أخرج البخارى ومسلم عن ابن عباس -رضى الله عنهما- قال "ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال: أبو هريرة -رضى الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قل: "إن الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه"، وعن ابن مسعود -رضى الله عنه- في قوله "إلا اللمم" قال: زنا العين النظر، وزنا الشفتين التقبيل، وزنا اليدين البطش، وزنا الرجلين المشي، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه، فإن تقدم بفرجه كان زانياً، وإلا فهو اللمم، ومثله عن أبي هريرة -رضى الله عنه- هذا ما في الفتح، وعزى السيوطى في الدر المنثور ما روى عن ابن مسعود -رضى الله عنه- إلى عبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي، والحاكم قال: صححه الحاكم وعزى ما روى عن أبي هريرة -رضى الله عنه- إلى ابن أبي حاتم وابن جرير ومسدد/١٢.

(٢) أخرجه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح غريب [صحيح، وانظر صحيح سنن الترمذى]/١٢/باب.

عطاء قال: سميت ابنتي برة، فقالت زينب بنت أبي سلمة إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نهي عن هذا الاسم، فقال: "لا تزكوا أنفسكم الله أعلم بأهل البر منكم" ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾^(١): فرما تنسبون أحداً إلى التقوى، والله يعلم أنه ليس كذلك، وكذلك ورد في الحديث الصحيح^(٢) "إذا كان أحدكم مادحاً صاحبه لا بحالة، فليقل: أحسب فلاناً، والله حسيبه، ولا أركى على الله أحداً أحسبه كذا وكذا إن كان يعلم ذلك".

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى ۖ وَاعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى ۚ﴾ ⁽ⁿ⁾ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ۚ ^(r) أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى ۖ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ۚ ^(iv) أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ۚ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ۚ ⁽ⁿ⁾ وَأَنْ سَعْيُهُ سَوْفَ يَرَى ۚ ^(L) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ۚ ^(u) وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ۚ ^(u) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ۚ ^(ir) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۚ ^(u) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۚ ^(u) مِنْ نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ۚ ⁽ⁱⁱ⁾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَى ۚ ^(iv) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ۚ ^(u) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعَرَى ۚ ⁽ⁿ⁾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ۚ ⁽ⁿ⁾ وَثَمُودًا ۖ فَمَا أَبْقَىٰ ۚ ^(u) وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْعَىٰ ۚ ^(ir) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۚ ^(ir) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ۚ ^(u) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۚ ⁽ⁿ⁾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذَرِ الْأُولَىٰ ۚ ⁽ⁿ⁾ أَزِفَتِ الْأَازِفَةُ ۚ ^(w) لَيْسَ لَهَا

(١) ولما قال: "لا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى" أعقبه بمن ظهر منه التقوى والإيمان، وهو في نفس الأمر من أهل الشقاوة فقال: "أفرايت الذي تولى: الآية/١٢".

(٢) كما ورد في الصحيحين/١٢ وحيز.

مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٦﴾ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٧﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٨﴾ وَأَنْتُمْ سَلَمِدُونَ ﴿٩﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿١٠﴾ ﴿أَفَرَأَيْتِ﴾ ^(١) الَّذِي تَوَلَّى: أعرض عن الحق، «وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى»: أنفق قليلاً وبخل بالباقي، «أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ»: بأن إنفاقه ينفد ما في يده، «فَهُوَ يَرَى»: عياناً ويعلم ذلك، «أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ» ^(٢) الَّذِي وَفَّى: أقام بجميع الأوامر، وترك جميع النواهي، وبلغ الرسالة على التمام، والكمال قال تعالى: "وَإِذَا ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ" [البقرة: ١٢٤] وتقدم صحف موسى لأنها أشهر، «أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ» أي: لا تؤاخذ نفس آثمة بماثم نفس أخرى، ولا يحمله عنها أحد وإن خففة من المثقلة بدل ما في صحف، أو تقديره أعنى أن لا تزر، «وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ

(١) قوله: أفرأيت بمعنى أخبرني، والموصول مفعوله الأول، والجملة الاستفهامية التي فيها التهكم مفعوله الثاني/ ١٢ وحيز.

(٢) قيل: خص هذين النبيين، لأن ما بين نوح وإبراهيم كانوا يأخذون الرجل بأبيه وابنه، وعمه وخاله والزوج بامرأته، والعبد بسيده، فأول من خالفهم إبراهيم/ ١٢ وحيز.

(٣) قال شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية -رحمه الله: من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد حرق الإجماع، وذلك باطل من وجوه كثيرة أحدها: أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره، وهو انتفاع بعمل الغير، وثانيها: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يشفع لأهل الموقف في الحساب، ثم لأهل الجنة في دخولها ثالثها: لأهل الكباثر في الخروج من النار، وهذا انتفاع بسعى الغير رابعها: أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض، وذلك منفعة بعمل الغير خامسها: أن الله تعالى يخرج من النار من لم يعمل خيراً قط. محض رحمته، وهذا انتفاع بغير عملهم، سادسها: أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم، وذلك انتفاع بمحض عمل الغير سابعها: قال تعالى في قصة الغلامين اليتيمين: "وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا" [الكهف: ٨٢] فانتفعا بصلاح أبيهما، وليس من سعيهما، ثامنهما: أن الميت ينتفع بالصدقة عنه، وبالعق بنص السنة، والإجماع وهو من عمل الغير تاسعها: أن الحج المفروض

إِلَّا مَا سَعَى^(١): لا يثاب أحد بفعل غيره أيضاً، ومن هذه استنبط الإمام الشافعي أن ثواب القراءة لا تصل إلى الموتى، وأما من سن سنة حسنة، أو سيئة فله أجرها وأجر من

= يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير عاشرها: أن الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير حادى عشرها: المدين قد امتنع -صلى الله عليه وسلم- من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة، وقضى دين الآخر على بن أبي طالب، وانتفع بصلاة النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو من عمل الغير، ثانى عشرها: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال لمن صلى وحده: "ألا رجل يتصدق على هذا فيصلى معه"، فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير ثالث عشرها: أن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الخلق إذا قضاها قاض عنه، وذلك انتفاع بعمل الغير، رابع عشرها: أن من عليها تبعات ومظالم إذا حلل عنها سقطت عنه، وهذا انتفاع بعمل الغير، خامس عشرها: أن الجار الصالح ينفع في الحيا والممات كما جاء في الأثر، وهذا انتفاع بعمل الغير، سادس عشرها: أن جليس أهل الذكر يرحم بهم، وهو لم يكن منهم، ولم يجلس لذلك بل لحاجة عرضت له، فالأعمال بالنيات فقد انتفع بعمل غيره، سابع عشرها: الصلاة على الميت، والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحى عليه، وهو عمل غيره، ثامن عشرها: أن الجمعة تحصل باجتماع العدد كذلك الجماعة بكثرة العدد، وهو انتفاع للبعض ببعض، تاسع عشرها: أن الله تعالى قال لنبيه -صلى الله عليه وسلم- "وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم" [الأنفال: ٣٣] وقال تعالى: "ولولا رجال من مؤمنون ونساء مؤمنات" [الفتح: ٢٥] وقال تعالى: "ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض" [البقرة: ٢٥٠] فقد دفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض، وذلك انتفاع بعمل الغير، عشرونها: إن صدقة الفطر تجب على الصغير، وغيره ممن يعوله الرجل فإنه ينتفع بذلك من يخرج، ولا سعى له فيها، حادى عشرينها: أن الزكاة تجب في مال الصبي، والمجنون ويثاب على ذلك، ولا سعى له، ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمل ما لا يكاد يحصى، فكيف يجوز أن يتناول الآية الكريمة على خلاف صحيح الكتاب والسنة وإجماع الأمة/١٢.

(١) هذا كما يقال: لا أملك إلا ما أكسب، لم يكن ذلك نفيًا للانتفاع بشيء غير كسبه فإنه قد يحصل له أشياء آخر لكن الذى هو ماله، وفي تحت يده واختياره ما كسب/١٢ وحيز.

عمل بها ووزرها، ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة، فلأنه سببها ودل عليها، وفي الصحيح "من دعى إلى هدى كان له من الأجر مثل أجرة من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً"، أو معناه لا يملك شيئاً غير ذلك، وإن كان قد يحصل له بفضل الله، وبدعاء الغير، وصدقته له نفع لكن هو لا يملك ذلك، ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُورَى﴾: في ميزانه، ﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى﴾ أي: يجزى الإنسان سعيه الجزاء الأوفر، فليس له أن يبخل، وينقص العمل، والضمير المرفوع للإنسان والمنصوب للسعي، ونصب الجزاء بأنه مفعول مطلق، أو بترع الخافض أي: بالجزاء الأوفى كما يكون صفة للمجزي يكون صفة للحدث أي: المصدر للملاسته له قيل نزلت في وليد بن مغيرة آمن فعيره المشركون، فقال: أخشى عذاب الله، فضمن أحد من المشركين أن يتحمل عنه العذاب إن أعطاه كذا مالا فارتد وأعطى بعض ما شرط، وبخل بالباقي، ومعنى أعنده علم الغيب، فهو يرى أنه يعلم تمكن الله تعالى إياه عن أن يحمل عنه العذاب وباقي الآية ظاهر الملازمة حينئذ، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ﴾: المرجع، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ﴾: في الدنيا أو الآباء، ﴿وَأَحْيَا﴾: في الآخرة أو الأبناء في الدنيا أيضاً، ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾: تدفق في الرحم، ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ﴾: وفاء بوعده، ﴿النَّشْأَةَ الْآخِرَىٰ﴾: الإحياء بعد الموت، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ﴾: بإعطاء المال، ﴿وَأَقْنَىٰ﴾: أعطى القنية هي أصول مال اتخذ لنفسه لا للبيع أي: ملكهم المال، وجعله عندهم مقيماً لا يحتاجون إلى بيعه، وقيل: أفقر، وكان من أخذ مالا لا للبيع فهو فقير لا يبيع ولا يشتري، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ﴾: كوكب وقاد خلف الجوزاء تعبد في الجاهلية، ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾: قوم هود وعاد الأخرى إرم، ﴿وَوَثْمُودَ﴾، عطف على عاداً، ﴿فَمَا أَبْقَىٰ﴾: أي: الفريقين، ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾: من قبل عاد واثمود، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ﴾: من الفريقين، ﴿وَأَطْعَىٰ وَالْمُوتَفِكَ أَهْوَىٰ﴾ أي: إنه أسقط إلى الأرض القرى المنقلبة، وهي قرى

قوم لوط^(١)، «فَعَشَاهَا مَا غَشَى»: من العذاب كأنه لا يمكن أن يوصف، «فَبَأَى
 آلاءَ رَبِّكَ»: أيها الإنسان، «تَتَمَارَى»: تتشكك، «هَذَا»: الرسول، «نَذِيرٌ»^(٢) مِنْ
 التَّنْذِرِ الْأُولَى: من جنس الأنبياء المتقدمين، أو القرآن إنذار من جنس الإنذارات
 المتقدمة، «أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ»: قربت الموصوفة بالقرب، وهى القيامة، «لَيْسَ لَهَا مِنْ
 دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ»: أي: نفس كاشفة أهوالها إذا غشيت الخلائق أو مبنية متى تقوم لا
 يجليها لوقتها إلا هو، «أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ»: القرآن، «تَعْجَبُونَ»: إنكاراً،
 «وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ»^(٣): لاهون أو مستكبرون أو مغنون
 لتشغلوا الناس عنه، «فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا»: أي: ما عبده دون الآلهة.

والحمد لله على التوحيد.

(١) بإجماع المفسرين وسميت بذلك لأنها انقلبت، ومنه الإفك لأنه قلب الحق كذباً/ ١٢
 وحيز.

(٢) افتتح السورة به واختتم أيضاً/ ١٢ وحيز.

(٣) روى أنه -صلى الله عليه وسلم- لم ير بعد نزولها ضاحكاً فاسجدوا لله واعبدوه دون
 الآلهة الباطلة، وهذه السورة أول سورة أعلن -صلى الله عليه وسلم- بقراءتها في الحرم،
 وفيها سجد وسجد من حضر من مؤمن ومشرِك إلا أن أبا هلب أخذ حفنة من تراب
 إلى جبهته، وقال: هذا يكفي [أخرجه البخارى وغيره]، وسبب نزولها قولهم: محمد يخلق
 بالقرآن/ ١٢ وحيز.

سورة القمر مكية

وهي خمس وخمسون آية وثلاث ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَلِیْغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نَّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۖ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبُّهُ أَنِّیْ مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَلْوَحِ وَدُسِّرَ ﴿١٣﴾ تَجَرَّىٰ بِأَعْيُنِنَا جَزَاءُ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا ءَايَةً فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُّذَكِّرٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(١) انشقاقه من علامات قرب القيامة، وقد انشق^(٢) في عهده -عليه الصلاة والسلام- حين التمسوا آية، وعن بعض أن ذلك وقع مرتين، ﴿وَأَن يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا﴾: عن الإيمان بها، ﴿وَيَقُولُوا﴾: ما شاهدنا، ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾: ما ذهب مضمحل^(٣) باطل، أو محكم، أو مطرد دائم، وذلك لما رأوا تتابع المعجزات، ﴿وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾: الباطلة، ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾: منته^(٤) إلى غاية، فهو تذليل جار مجرى المثل، أو كل أمر من خير وشر يستقر بأهله، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾: في القرآن، ﴿مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾: أخبار الأمم السالفة، ﴿مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾: ازدجار يقال: ازدجرت هيته عن السوء قلبت تاء الافتعال دالا، ﴿حِكْمَةً بَالِغَةً﴾: تامة بلغت الغاية خير محذوف، أو بدل من ما ﴿فَمَا تُغْنِ التُّذُرُ﴾، ما نافية والنذر جمع نذير،

(١) قال ابن كثير: قد كان الانشقاق في زمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كما ثبت ذلك في الأحاديث المتواترة بالأحاديث الصحيحة، قال: وهذا أمر متفق عليه بين العلماء أن انشقاق القمر قد وقع زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- وأنه كان إحدى المعجزات الباهرات، وقال الزجاج: زعم قوم عدلوا عن القصد، وما عليه أهل العلم أن تأويله أن القمر ينشق يوم القيامة، والأمر بين في اللفظ، وإجماع أهل العلم لأن قوله الآتي: "وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر" يدل على أن هذا كان في الدنيا لا في القيامة. انتهى ١٢/فتح.

(٢) قال البيهقي وغيره: قال قريش -حين رأوه منشقاً نصفين ليلة البدر: هذا سحر سحركم به ابن أبي كبشة انتظروا ما يأتاكم به السفار، فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر السفار كلهم، فلما سئل السفار حين قدموا من بعيد قالوا: رأينا ١٢/منه.

(٣) الوجه الأول لمجاهد وقتادة، وغيرهم ١٢/منه.

(٤) من نصر أو خذلان أو سعادة وشقاوة وغيرهما فإن الشيء إذا انتهى إلى غايته ثبت واستقر ١٢/منه.

أو استفهامية للإنكار أي: فأى غناء يغنى المنذرون ﴿فَقَوْلٌ عَنْهُمْ﴾، قيل: منسوخ بآية القتال، ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ﴾ أي: الداعى، وهو إسماعيل، ونصب يوم إما يخرجون، أو بمقدار نحو: انتظر أو اذكر، ﴿إِلَى شَيْءٍ نُكْرٍ﴾: منكر فظيع لم ير مثله هو هول القيامة، ﴿خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ﴾^(١) يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ أي: يخرجون من القبور حال كون أبصارهم ذليلين من الهول، أو حال مقدرة من مفعول يدع المحذوف، ومن قرأ خاشعاً فلأن فاعله ظاهر مؤنث غير حقيقي، ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُتْتَشِرٌ﴾: في الكثرة، والحيرة يقعون كما يقع الجراد، ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين ماضى أعناقهم، ﴿إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ﴾^(٢) عَسِرَ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ: قبل قريش، ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾: نوحاً، ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾: نوحاً تفصيل بعد إجمال قيل: معناه كذبوا فكذبوا أي: ما تركوا التكذيب قرناً بعد قرن، ﴿وَقَالُوا﴾: هو، ﴿مَجْثُونٌ وَازْدُجِرَ﴾: وازدجروه، ومنعوه عن الدعوة، وقالوا: "لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين" [الشعراء: ١١٦] قيل: ازدجرتة الجن، فيكون من جملة المقول، ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ﴾^(٣): فانتقم لى منهم، ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ

(١) وفي الكشف: هذا على لغة أكلوني البراغيث، واعترض عليه صاحب البحر بأن الزمخشري قاس جمع التكسير على جمع السلامة، وليس كذلك فإن مررت بقوم كرام آباؤهم ليس على لغة أكلوني البراغيث كما دل عليه نصوص القوم نعم مررت بقوم كريمين آباؤهم عليها/١٢ وجيز.

خشوع الأبصار كناية عن الذلّة، لأن ذلّة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما/١٢ منه.

(٢) لما يشاهدون من تخايل هوله وما يرتقبون من سوء منقلبهم فيه/١٢ وجيز.

(٣) وإنما دعا عليهم بعد مدة متطاولة يئس من إيمانهم، ورأى منهم زيادة شدتهم في التعدي والكفر/١٢ وجيز.

مُنْهَمِرٌ^(١): منصب، وعن علي -رضي الله عنه- حين سئل عن المجرة هي باب السماء، ومنها فتحت السماء بماء منهمر، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- ماء ذلك من السماء لا من السحاب، ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا^(٢)﴾: جعلناها كلها كأفها عيون تتفجر، ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾: ماء السماء والأرض، ﴿عَلَى أَمْرٍ﴾، حال، ﴿قَدْ قُدِرَ﴾: قضى في الأول، أو على أمر قدره الله تعالى وهو إهلاكهم، ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ﴾: أخشاب عريضة، ﴿وَوُدُورٍ﴾: مسامير جمع دسار، والمراد السفينة، وعن بعض الدسر صدر السفينة، فإنها يدسر، ويرفع الماء، ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾: يمرأى منا، والمراد الحفظ يقال للمودع "عين الله عليك" ﴿جَزَاءً﴾، أي: فعلنا كل ذلك جزاء، ﴿لِمَنْ كَانَ كُفْرًا﴾: لنوح، فإنه نعمة، ورحمة كفروها، ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا﴾: السفينة، أو الفعلة، ﴿آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾: معتر، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾: إنذاري، والاستفهام لتعظيم الوعيد، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ﴾: سهلنا لفظه ومعناه، ﴿لِلذِّكْرِ﴾: للاتعاظ أو للحفظ، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾: متعظ، وعن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- لولا أن الله يسره على لسان آدميين ما استطاع أحد أن يتكلم بكلام الله^(٣)، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾: قوم هود، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾: شديدة البرد، ﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ﴾: شؤم عليهم، ﴿مُستَمِرٍّ﴾: عليهم نحسه فإنه يوم اتصل فيه عذابهم الدنيوى بالأخروي، أو على جميعهم صغيرهم وكبيرهم، ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾: تقلعهم، فترمى بهم على رؤوسهم، ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازٌ﴾: أصول، ﴿نُخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾: منقلع ساقط نقل أن الريح تقلع رؤوسهم من أجسادهم فالمنطروح

(١) منصب عن علي بن أبي طالب حين سئل عن المجرة هي مسرح السماء، ومنها فتحت بماء منهمر/١٢ وحيز.

(٢) أصله فجرنا عيون الأرض، وغير للمبالغة كما تقول: اشتعل بيته نارا/١٢ منه.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي وابن مردويه/١٢ در منشور.

أجساد بلا رءوس كأصول نخل، ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾، التكرار للتسهيل،
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ ﴿١٦﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِثَّنَا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِى ضَلَالٍ
وَسُعْرٍ ﴿١٧﴾ أَلْقَى الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرُّ ﴿١٨﴾ سَيَعْلَمُونَ
غَدًا مَنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ ﴿١٩﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ
﴿٢٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴿٢١﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ
فَتَعَاطَى فَقَرَ ﴿٢٢﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً
وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ
مُدَكِّرٍ ﴿٢٥﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٢٦﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا عَالَ
لُوطٌ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٢٧﴾ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ
أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ
فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣١﴾ فَذُوقُوا
عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٣﴾

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾: بالإنذار الذى جاءهم به صالح، ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا﴾، نصب
بفعل يفسره تتبعه، ﴿مِثَّنَا﴾ من جنسنا، ﴿وَاحِدًا﴾: منفردًا لا تبع له، أو واحدًا من
الآحاد لا من الأشراف، ﴿نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِى ضَلَالٍ وَسُعْرٍ﴾^(١): جنون، أو عذاب،
﴿أَلْقَى الذِّكْرُ﴾: أنزل، ﴿عَلَيْهِ﴾: الوحي، ﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾: وفينا من هو أفضل وأحق،

(١) يقال كأن بها شعر أي: جنونا أو جمع سعيير على إتياعهم إياه ما رتبته على ترك
إتياعهم ١٢ منه.

﴿بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشْرٌ﴾: متكرر يريد الترفع، ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا^(١)﴾ أي: سريعاً، ﴿مَنْ
الْكَذَابُ الْأَشْرُ﴾: أصالح أم من كذبه؟ ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ^(٢)﴾ أي: قلنا لصالح إننا
مخرجوها من الصخرة، ﴿فِتْنَةً﴾: امتحاناً، ﴿لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ﴾: انتظرهم، ﴿وَاصْطَبِرْ﴾: على
أذاهم، ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾: يوم للناقة ويوم لهم، ففيه تغليب، ﴿كُلُّ
شَرِبٍ﴾: نصيب، ﴿مُحْتَضَرٌ﴾: يحضره من كانت نوبته فيتصرف، أو كل شرب من الماء،
واللبن تحضرونه أتم، ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ^(٣)﴾: الذى عقر الناقة اسمه قدار، ﴿فَتَعَاطَى﴾:
الناقة، أو السيف، أو فاجترأ على تعاطى قتلها، ﴿فَعَقَرَ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَكُذْرِي إِنَّا
أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ^(٤) صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: صيحة جبريل، ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمٍ﴾: كشجر اليلبس
المتكسر، ﴿الْمُحْتَظِرِ﴾: الذى يعمل الحظيرة^(٥)، ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا^(٦) الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ

(١) والمراد من الغد الزمان المستقبل القريب/١٢ وجيز.

(٢) لما هددهم بقوله: سيعلمون، وقد ادعوا أنه كاذب قالوا: ما الدليل على صدقك؟ قال
الله إنا مخرجو الناقة من الصخرة/١٢ وجيز.

(٣) حكاية الناقة تقدمت، وهنا مقدر أي: فكانوا على هذه الوتيرة من قسمة الماء فعملوا
وعزموا على عقرها فنادوا/١٢ وجيز.

(٤) فى الإجمال والتفصيل تفخيم العذاب/١٢ وجيز.

(٥) وهى تصنعها العرب للمواشي، والسكنى من الأغصان والشجر المورق والقصب وما
يحتظر به ييس بطول الزمان وتتوطأه البهائم، فيحتطم ويتهشم/١٢ فتح.

(٦) فائدة تكرير هذه الآية أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين إذكارة، واتعاطاً،
وأن يستأنفوا تيقظاً وانتباهاً إذا سمعوا، والحث على ذلك والباعث إليه وكذلك تكرير
الأنباء والقصص فى أنفسها لتكون تلك العبرة حاضرة للقلوب مصورة للأذهان مذكورة
غير منسية فى كل أوان، ثم أخبر سبحانه عن قوم لوط بأنهم كذبوا رسل الله كما كذبهم
غيرهم/١٢ فتح البيان.

مِنْ مُذَكِّرٍ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطٌ بِالنُّذْرِ: ﴿بِالْمَوَاعِظِ﴾، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾: ريحًا
تخصبهم، ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾: في سحر، ﴿نِعْمَةً﴾: إنعامًا، ﴿مِنْ
عِنْدِنَا﴾، علة لنجيننا، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ما أنعمنا على آل لوط، ﴿تَجْزَى مَنْ شَكَرَ﴾:
فأمن، ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾: لوط، ﴿بَطْشَتْنَا﴾: أخذتنا بالعذاب، ﴿فَتَمَارَوْا﴾: كذبوا،
﴿بِالنُّذْرِ﴾: متشاكين، ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ﴾: طلبوا أن يسلم إليهم أضيافه
للفجور، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل في صورة مرد حسان، ﴿فَطَمَسْنَا﴾: مسخنا،
﴿أَعْيُنَهُمْ﴾: صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق، ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾: أى: قلنا
لهم ذلك على ألسنة الملائكة، ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً﴾: أول النهار، ﴿عَذَابٌ
مُسْتَقَرٌّ﴾: ثابت لا يزول عنهم أبدًا، ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذْرِي﴾: ولقد يسرنا القرآن
لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ: كرهه في كل قصة للتنبيه على أن كل واقعة لا بد أن يتأمل
فيها، ويعتبر منها، ولا يغفل عنها.

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ﴾ ١١٠ كَذَبُوا بِبَيِّتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ
مُقْتَدِرٍ ١١١ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ١١٢ أَمْ
يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُتْتَصِرٌ ١١٣ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ١١٤ بَلِ السَّاعَةُ
مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ١١٥ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ١١٦ يَوْمَ
يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ١١٧ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ
١١٨ وَمَا أَمَرْنَا إِلَّا وَاحِدَةً كَلِمَةً بِالْبَصَرِ ١١٩ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ
مُدَكِّرٍ ١٢٠ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ١٢١ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ١٢٢
إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ١٢٣ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ١٢٤

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ﴾: المنذرون أو الإنذار، ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَحْذًا عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾: لا يغالب، ولا يعجزه شيء، ﴿أَكْفَارُكُمْ﴾: يا معشر العرب، ﴿خَيْرٌ﴾: أكثر قوة وعدة، ﴿مِنْ أَوْلَانِكُمْ﴾: الكفار المذكورين، ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ﴾: من عذاب الله تعالى، ﴿فِي الزُّبُرِ﴾: في الكتب المترلة من السماء، ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾: جماعة ينصر بعضها بعضًا، فلا تغالب، ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾: الأدبار أي: ينهزمون، فالإفراد لإرادة^(١) الجنس، وهذا يوم بدر، ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾: للعذاب، ﴿وَالسَّاعَةُ أَدهَى﴾: أشد داهية، وهي نازلة لا يهتدى لدوائها، ﴿وَأَمْرٌ^(٢)﴾: مما نزل عليهم في الدنيا، ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ﴾: في الدنيا، أو في الآخرة لا يهتدون إلى الجنة، ﴿وَسُعْرٌ﴾: نيران في الآخرة، ﴿يَوْمَ يَسْحَبُونَ﴾: يحرون، ﴿فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾، يقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ﴾: حر، ﴿سَقَرٍ﴾: جهنم، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ^(٤)﴾: أى خلقنا كل شيء

(١) وحسن هنا للفاصلة، وهذا عدة من الله بهزيمة قريش فإن السورة مكية/١٢ وجيز.

(٢) في البخارى وغيره عن ابن عباس -رضى الله عنهما- أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال وهو فى قبة له يوم بدر: "أنشدك عهدك، ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً" فأخذ أبو بكر بيده، وقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك، فخرج وهو يثب فى الدرع ويقول: "سيهزم الجمع، ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر" [أخرجه البخارى فى "التفسير" (٤٨٧٥)/١٢ فتح.

(٣) نصب كل بفعل مفسره خلقناه، وقاعدة النحو: إن الرفع فى مثل ذلك هو الأولى، لكن نصبه لأن الرفع موهم خلاف المقصود، إذ خلقناه حيثئذ يحتمل أن يكون صفة كل شيء، فيوهم أن فى المخلوقات ما ليس بقدر، وهو مخلوق لغير الله والله خالق كل شيء/١٢ وجيز.

(٤) القدر على درجتين الدرجة الأولى: الإيمان بأن الله عليم بأعمال الخلق، وأحوالهم من الطاعة والمعصية والرزق والأجل بعلمه القديم، وكتب فى اللوح المحفوظ مقادير الخلق

بتقديرنا، وهو مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾: إلا كلمة واحدة وهى قول "كن" أو مرة واحدة لا يحتاج إلى تكرار وتأکید، ﴿كَلِمَحٍ بِالْبَصْرِ﴾: في اليسر والسرعة وعدم المراجعة قيل: وما أمرنا في مجيء الساعة إلا كلمح البصر نزلت حين خاصم مشركوا قريش في القدر^(١)، ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾: أشباهكم من الكفرة السالفة، ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾: متعظ، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾: مكتوب في كتب الحفظ، ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾: من الأعمال، ﴿مُسْتَطَرٌ﴾^(٢): مكتوب، ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾: أنهار الجنة من حمر ولبن

= وحين خلق الجنين كتب رزقه وأجله وعمله، وشقى أو سعيد، وهذا القدر وقد كان ينكره غلاة القدريّة قديماً، ومنكره اليوم قليل، والدرجة الثانية: هو مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة هو الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وما من حركة وسكون إلا بمشيئة الله، ولا يكون في ملكه ما لا يريد، وهو القادر على الموجودات والمعدومات، وهو خالق كل شيء ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسوله، ونهاهم عن معصية الله وهو يحب التوابين والمنفقين، والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا ولا يحب الكافرين ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد، والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم والعبد هو المؤمن والكافر والبرّ والفاجر، والمصلّى والصائم، وللعباد قدرة على أفعالهم وإرادة، والله خالقهم وخالق قدرهم وإرادتهم، وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدريّة الذين سماهم النبي - صلى الله عليه وسلم - مجوس [حسن، وانظر صحيح الجامع (٤٤٤٢)] هذه الأمة ويغلوا فيها قوم من أهل الإثبات حتى يسلبوا من العبد قدرته واختياره ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حكمها، ومصالحها/١٢ هذا خلاصة ما قاله شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية/١٢.

(١) رواه مسلم والترمذى وابن ماجه/١٢ وحيز.

(٢) ولما فرغ من ذكر حال الأشقياء ذكر حال السعداء، فقال: "إن المتقين" الآية/١٢ افتح.

وماء وعسل اكتفى باسم الجنس لرءوس الآي، وقيل: في سعة وضياء، ﴿فِي مَقْعَدِ
صِدْقٍ﴾: مجلس حق مرضى لا لغو ولا تأثيم، ﴿عِنْدَ مَلِكٍ﴾: مقربين عند ملك
عظيم، ﴿مُقْتَدِرٍ﴾: لا شيء إلا وهو تحت قدرته عن جعفر الصادق -رضي الله عنه-
مدح الله تعالى المكان بالصدق، فلا يقعد فيه إلا أهل الصدق.

اللهم اجعلنا بفضلك منهم.

سورة الرحمن مكية أو مدنية أو متبعة

وهي ثمان وسبعون آية وثلاث ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ۝ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا
وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ۝ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا
تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ۝ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝ فِيهَا فَلَكُهُمُ وَالنَّخْلُ ذَاتُ
الْأَكْمَامِ ۝ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ
۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ۝
فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا
يَبْغِيَانِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ
وَالْمَرْجَانُ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي
الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾: نبيه لا أنه يعلمه بشر، أو علمه عباده بأن يسر
حفظه، وفهمه، ولما كانت السورة في تعداد النعم صدرها بالرحمن، ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ
عَلَّمَهُ الْبَيَانَ^(١)﴾: النطق، والتعبير عما في الضمير، ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾: بجران،

(١) وهو الذي به يمكن قبول التعليم/١٢ وحيز.

﴿بِحُسْبَانٍ^(١)﴾: بحساب مقدر في بروجهما، ومنازلهما يعلم منهما السنون والحساب،
 ﴿وَالْتَجَمَّ﴾: الكواكب أو النبات الذي لا ساق له، ﴿وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾: "ألم تر
 أن الله يسجد له من في السموات، ومن في الأرض، والشمس والقمر، والنجوم والجبال
 والشجر والدواب وكثير من الناس" الآية جرد هاتين الجملتين عن ما يدل على اتصال
 وربط بالرحمن، ولم يقل بحسبانه ويسجدان له، لأن وضوح اتصاله يغني عن البيان،
 وذكر الجمل الأولى على نهج التعديد^(٢)، ثم أدخل العاطف، ورد إلى المنهاج الأصلي،
 ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾: فوق الأرض، ﴿وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾: كل ما يوزن به الأشياء من
 الميزان والمكيال وغيرهما خلقه موضوعًا على الأرض، أو المراد من الميزان العدل كما
 قال تعالى "وأنزلنا معهم الكتاب والميزان" الآية، ﴿أَلَا﴾ أي: لئلا، ﴿تَطْغَوْا فِي
 الْمِيزَانِ﴾: لا تعتدوا فيه، ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ﴾، عطف بحسب المعنى على أن
 لا تطغوا أي: ولأن تقيموه بالعدل، ﴿وَلَا تَخْسَرُوا^(٣)﴾: لا تنقصوا، ﴿الْمِيزَانَ﴾:
 وتكرير الميزان للمبالغة في التوصية، ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾: خفضها مدحوة،
 ﴿لِلْأَنَامِ﴾: للخلق، ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾: أنواع ما يتفكه به، ﴿وَالنَّخْلُ^(٤) ذَاتُ
 الْأَكْمَامِ﴾: أوعية الثمر التي يطلع فيها القنوط، ثم تنشق، أو المراد الليف ﴿وَالْحَبُّ﴾:

(١) لما ذكر ما أنعم به على الإنسان أعقبه بما امتن به من الشمس، والقمر لما فيهما من كثرة
 المنافع أحدهما ظهور الأشياء كالبيان/١٢ وجيز.

(٢) ليفيد أن كل واحد نعمة بخياله لا أن الجميع كواحدة/١٢ وجيز.

(٣) خسر جاء متعديًا: خسروا أنفسهم أمر بالتسوية، ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء،
 وزيادة، وعن الخسران الذي هو تطفيف ونقصان، ولما ذكر السماء ذكر مقابلها فقال:
 "والأرض"/١٢ وجيز.

(٤) خص بين الأشجار لكثرة المنافع من ليف، وسعف، وجريد وجماء، وثمر هو فاكهة
 وطعام/١٢ وجيز.

كالحنطة وغيرها، «ذُو الْعَصْفِ»: هو ورق النبات (*)، «وَالرَّيْحَانُ»: الرزق يقال: خرجت أطلب ريحان الله تعالى، أي: رزقه يعني: الحب ذو علف أنعام، وطعام إنسك، ومن قرأ بالرفع، فعلى تقدير، وذو الريحان بإقامة المضاف إليه مقام المضاف ليوافق القراءتان، وقيل الريحان هو المشموم، «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا^(١)»: أيها الثقلان، «تُكَذِّبَانِ خَلَقَ الْإِنْسَانَ»: آدم، «مِنْ صَلْصَالٍ»: طين يابس له صلصلة، «كَالْفَخَّارِ»: الخزف، «وَخَلَقَ الْجَانَّ»: أبا الجن، قيل هو إبليس، «مِنْ مَّارِجٍ»: من صاف، «مِنْ نَّارِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ»: مشرقى الشتاء والصيف، «وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ»: فإن اختلاف المشارق والمغارب سبب لمصالح العباد، «مَرَجٍ»: أرسل، «الْبَحْرَيْنِ»: العذب والملح،

(٥) وفي نسخة "النبات اليابس".

(١) وكرر سبحانه هذه الآية في هذه السورة في إحدى وثلاثين موضعاً تقريراً للنعمة، وتأكيذاً للتذكير بها على عادة العرب في الاتساع ثمانية منها ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله، وبدائع صنعه، ومبدأ الخلق ومعادهم، ثم سبعة منها عقب آيات فيها ذكر النار، وشدائدها بعدد أبواب جهنم، وحسن ذكر الآلاء عقبها، لأن من جملة الآلاء رفع البلايا، وتأخير العقاب، وبعد هذه السبعة ثمانية في وصف الجنتين وأهلها بعدد أبواب الجنة، وثمانية أخرى بعدها في الجنتين اللتين هما دون الجنتين الأوليين أخذاً من قوله، ومن دونهما جنتان فمن اعتقد الثمانية الأولى، وعمل بموجها استحق هلتين الثمانيتين من الله، وفيه السبعة السابقة أفاده شيخ الإسلام في متشابهة القرآن، والاستفهام فيها للتقرير لما روى الحاكم عن جابر قال: قرأ علينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سورة الرحمن حتى ختمها ثم قال "ما لي أراكم سكوتاً للجن كانوا أحسن منكم رداً ما قرأت عليهم هذه الآية إلا قالوا، ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد" وروى الترمذى بمعناه وقال: حديث غريب [حسن، انظر صحيح سنن الترمذى (٢٦٢٤)، الصحيحة (٢١٥٠)]/١٢ فتح.

﴿يَلْتَقِيَانِ﴾: يتحاوران ويتلاصقان، ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾: حاجر، ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾: لا يبغي أحدهما على الآخر بالممازجة، أو لا يتجاوزان حديهما قد مر بيانه في سورة الفرقان مفصلاً، قيل المراد بحر الروم، وفارس يلتقان في المحيط لأنهما ينشعبان منه، وقيل بحر السماء، والأرض، فإن اللؤلؤ يتولد من ماء السماء، وأصداف بحر الأرض، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾: كبار الدر، وصغاره، أو المرجان الحرز الأحمر يخرجان من المالح، لكن لما كان يلتقيان فيصيران واحداً يصدق أنهما يخرجان منهما، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَلَهُ الْجَوَارِ﴾: السفن، ﴿الْمُنْشآتُ﴾: المرفوعات الشرع، ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾: كالجبال في العظم، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ سَنَفَعُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَمْعَشَرُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝﴾

هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ
 ءَانٍ ﴿١٨﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٩﴾

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾: من على الأرض، ﴿فَإِنْ يَنْتَقَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾: ذاته، ﴿ذُو
 الْجَلَالِ﴾: الاستغناء المطلق، ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾: الفضل الشامل، أو المراد يفنى كل ما في
 الأرض من الأعمال إلا ما هو لوجه الله تعالى، وهو كما قال كل شيء هالك إلا وجهه،
 ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فإن فناء الكل، وبقائه سبحانه مع أنه غني ذو فضل عام
 سبب لإيجاد المعاد، والجزاء بأتم وجه، ﴿يَسْأَلُهُ﴾: الرزق، والمغفرة، والعافية، وكل ما
 يحتاج إليه، ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال -صلى الله عليه
 وسلم- من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً، ويرفع قوماً ويضع آخرين^(١) والمراد من اليوم
 الوقت، وهو ظرف لشأن قيل هو رد لليهود قالوا إن الله لا يقضى يوم السبت شيئاً،
 ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾، تهديد وليس المراد الفراغ عن شغل فإنه
 تعالى لا يشغله شأن عن شأن، فهو مجاز كأنه فرغ عن كل شيء، فلم يبق له شغل غيره
 فيدل على التوفر في النكاية، والانتقام أو لما وعد أهل التقوى، وأوعد غيرهم قال،
 سنقصد لحسابكم، وجزاءكم، وذلك يوم القيامة ﴿أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾^(٢): الإنس، والجن

(١) أخرجه الحسن بن سفيان في مسنده، والبخاري وابن جرير والطبراني، وأبو الشيخ في
 العظمة، وابن مندة، وابن مردويه، وأبو نعيم وابن عساكر [رواه الطبراني في الكبير
 والأوسط والبخاري، وقال الهيثمي في "المجمع" (١١٧/٧): "وفيه من لم أعرفهم"] ١٢/فتح.

(٢) اختلف العلماء في الجن هل لهم ثواب على قولين، فقليل: لا ثواب لهم إلا النجاة من
 النار، ثم يقال لهم كونوا تراباً مثل البهائم، وهو قول أبي حنيفة حكاها ابن حزم، وغيره
 عنه، والقول الثاني: أنهم يثابون على الطاعة، ويعاقبون على المعاصي، وهو قول ابن أبي
 ليلى وهو مذهب الأوزاعي، وأبي يوسف، ومحمد، ونقل عن الشافعي، وأحمد بن حنبل
 وهو قول أصحابهما، وأصحاب مالك، وقال ابن عباس: لهم ثواب، وعليهم عقاب

لثقلهما على الأرض أو لرزاتهما وقدرهما، ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يَا مَعْشَرَ
الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا﴾: أن تخرجوا، ﴿مِنْ أَقْطَارِ﴾: جوانب،
﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: فارين من قضاء الله تعالى، ﴿فَأَنْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ﴾: لا
تقدرون على الخروج، ﴿إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾^(١): بقوة وقهر، ومن أين لكم هذا، أو إلا بأمر
من الله تعالى، وإذن منه، وتقدم الجن، لأنهم أقوى، وهذا في الحشر حين أحاطت الملائكة
بالخلائق سبع صفوف من كل جانب يقول الإنسان يومئذ أين المفر، وعن بعض معناه إن
استطعتم أن تعلموا ما فيهما فاعلموا لكن لا تعملونه إلا ببينة نصبها الله تعالى، ﴿فَبِأَيِّ
آيَةٍ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا﴾: في ذلك اليوم، ﴿شَوَاطِلٌ﴾: هب لا دخان فيه،
﴿مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٍ﴾: دخان لا هب له، ومن قرأ بجر نحاس فمعناه، وشيء من نحاس
فحذف الموصوف لدلالة ما قيل عليه، أو هو صفر^(٢) مذاب يصب على رؤسهم، ﴿فَلَا
تَنْتَصِرَانِ﴾: لا تمتنعان من الله تعالى، وحاصل الكلام لو هريتم يوم القيامة لردتكم

= وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى: "ولكل درجات مما عملوا" [الأنعام: ١٣٢] "فمن
أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً" [الجن: ١٤-١٥] واتفقوا
على أن كافر الجن معذب في الآخرة واختلفوا في مؤمنيههم هل يدخلون الجنة على أربعة
أقوال أحدها أنهم يدخلون الجنة، وعليه جمهور العلماء، وحكاه ابن حزم في الملل عن
أبي ليلي، وأبي يوسف، وجمهور الناس قال وبه نقول، القول الثاني أنهم لا يدخلونها، بل
يكونون في ربضها يريهم الإنس من حيث لا يرونهم، وهذا القول مأثور عن مالك،
والشافعي، وأحمد، وأبي يوسف، ومحمد، وحكاه ابن تيمية في جواب ابن مري،
وهو خلاف ما حكاه ابن حزم عن أبي يوسف، والقول الثالث: أنهم على الأعراف،
الرابع الوقف/١٢ آكام المرجان في أحكام الجان للعلامة بدر الدين الشبلي - رحمه الله.
(١) قال محيي السنة: المراد "أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة" فلاأمر
أمر تعجيز/١٢ وجيز.

(٢) الصُّفْر: النحاس الجيد، واحدته صُفْرَةٌ.

الملائكة، والزبانية بإرسال اللهب من النار، والنحاس لترجعوا، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾: فإنه مع عجزكم، وجهلكم دلكم على ما يخلصكم من هذه النوائب، وتجارة تنجيكم من عذاب أليم مع أن التهديد، والانتقام من الكفار، والتميز بين المطيع، والعاصي من الآلاء، ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي: حمراء كوردة، ﴿كَالدَّهَانِ﴾: يذوب، ويتلون كالأدهان، وذلك من هول القيامة، وعن بعض الوردية: الخيول الوردية، فإن الفرس الورد في الربيع أصفر، وفي أول الشتاء أحمر، وفي اشتداد الشتاء أغبر، وعن بعض الدهان الأديم الأحمر، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فَيَوْمَئِذٍ﴾: يوم الإنشقاق، ﴿لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾^(١) أي: لا يسأل أنس عن ذنبه، ولا جان، وذلك في موطن خاص، هذا يوم لا ينطقون، ولا يؤذن لهم فيعتذرون، ثم يسألون، "فوربك لنسألنهم أجمعين" [الحجر: ٩٢]، أو سؤال علم؛ بل سؤال توبيخ، أو لأنهم يعرفون بسيماهم، وهذا بعد ما يؤمر بهم إلى النار ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾: كاسوداد وجوههم، وزرقة عيونهم، ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾: يجمع بينهما في سلسلة من وراء ظهره^(٢)، ويطرح في النار، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَذِهِ﴾ أي: يقال لهم هذه ﴿جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا﴾: بين النار، ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ﴾: ماء شديد الحرارة، ﴿أَنْ﴾: بالغ النهاية في الحر يؤخذ، فيحرك بناصيته في الحميم فيذوب اللحم يسحبون في الحميم، ثم في النار يسجرون، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(١) عن ابن عباس: هل علمتم كذا وكذا، لأنه أعلم بذلك منهم، لكن يقول: لم عملتم كذا وكذا/١٢ منه.

(٢) صرح بذلك الضحاك، والسدي، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- يؤخذ بناصيته، وقدميه فيكسر كما يكسر الخطب في التنور/١٢ منه.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ۖ فِيهَا ۖ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ۝ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ۝ فِيهَا ۖ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝ فِيهَا ۖ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝ فِيهَا ۖ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ۝ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝ فِيهَا ۖ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الْطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۝ فِيهَا ۖ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ۝ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ۝ فِيهَا ۖ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ۝ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ۝ فِيهَا ۖ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ۝ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝ فِيهَا ۖ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ۝ مُدْهَمَّتَانِ ۝ فِيهَا ۖ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاحَتَانِ ۝ فِيهَا ۖ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ ۝ فِيهَا ۖ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ۝ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ۝ فِيهَا ۖ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ۝ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ۝ فِيهَا ۖ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ۝ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ۝ فِيهَا ۖ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ۝ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضِرٍ وَعَبَقَرِيٍّ حِسَانٍ ۝ فِيهَا ۖ الْآءِ رَبِّكُمْ تُكَذِّبَانِ ۝ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ۝﴾

﴿وَلِمَنْ خَافَ^(١) مَقَامَ رَبِّهِ﴾: موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب، أو المقام مقمّم للتعظيم كأخاف جانبه والسلام على مجلسه، ﴿جَنَّتَانِ﴾: لكل من الإنسان جنتان

(١) لكل فرد من الخائفين جنتان، روى النسائي، وغيره أنه -عليه السلام- قرأ يوماً هذه الآية، ولمن خاف مقام ربه جنتان قال أبو الدرداء: قلت وإن زنا وإن سرق، فقال: ولمن

للمقربين من ذهب، قيل: جنة للإنسي، وجنة للجن، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾: أنواع النعم جمع فن^(١)، أو أغصان جمع فن، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾: تحت تلك الأشجار، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾: صنفان صنف رأيتم، وصنف ما رأيتم، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَكَيْنِينَ﴾^(٢)، حال من "من خاف"، فإنه في معنى الجمع، ﴿عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِنُهَا﴾: الذى يلى الأرض، ﴿مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾: ديباج ثخين إذا كان هذه البطائن، فما ظنكم بالظواهر، وعن بعض ظواهرها من نور جامد، ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾: ثمرهما، ﴿ذَانِ﴾: قريب يجنى منه القاعد والراقد، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ﴾: فى

= خاف مقام ربه جنتان، قلت: وإن زنا وإن سرق، قال: وإن رغم أنف أبى الدرداء، ونقله ابن جرير أيضاً/١٢ منه.

وذكر فى الفتح هذا الحديث، وعزاه إلى الترمذى وأحمد، والبزار، وأبى يعلى والطبرانى وغيرهم [صحيح، أخرجه أحمد (٣٥٧/٢)، والنسائى فى "التفسير" وغيرهما] قال مجاهد والنخعي: هو الرجل الذى يهم بالمعصية، فيذكر الله فيدعها من خوفه، وفيه إشارة إلى سبب استحقاق الجنتين فى نفس الأمر، وهو أنه ليس بمجرد الخوف، بل الخوف الناشئ عنه ترك المعاصي/١٢ فتح.

(١) قاله ابن عباس -رضى الله عنهما- وغيره/١٢ وجيز.

(٢) والاتكاء يطلق على الاضطجاع، وعلى التربع/١٢ وجيز.

قال فى القاموس: توكأ عليه: تحامل، واعتمد، واتكأ: جعل له متكأ، وقوله -صلى الله عليه وسلم- "أما أنا فلا أكل متكأ" [أخرجه البخارى وغيره] أي: جالساً جلوس المتمكن المتربع، ونحوه من الهيئات المستدعية لكثرة الأكل، بل كان جلوسه للأكل مستوفزاً مقعياً غير متربع، ولا متمكن، وليس المراد الميل على شق كما ظنه عوام الطلبة، وذكر الاتكاء لأنه حال الصحيح الفارغ القلب المتنعم البدن بخلاف المريض، والمهموم/١٢ فتح.

أماكن الجنتين، أو في الفرش، **﴿فَاصِرَاتُ الطَّرَفِ﴾**: نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لا ينظرن إلى الغير تقول لبعلهما: والله ما أرى في الجنة أحسن منك لا أحب إلى منك الحمد لله الذي جعلك لي وجعلني لك، **﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾**^(١): لم يجامعهن، **﴿إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ﴾**: في حمرة الوجنة، أو في الصفاء، **﴿وَالْمَرْجَانُ﴾**: اللؤلؤ في البياض، **﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾**: أحسنوا في الدنيا، فأحسن إليهم في الآخرة، **﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَمِنْ دُونِهِمَا﴾**: سوى تينك الجنتين للمقربين، **﴿جَنَّتَانِ﴾**: لمن دونهما لأصحاب اليمين من الورق، **﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُدْهَمَّتَانِ﴾**: سوداوان من شدة خضرهما لريهما، وصف الأولين بكثرة أشجارهما، وهاتين بالخضرة لما بينهما من التفاوت، **﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾**^(٢): فوارتان بالماء، والجري أقوى من النضخ، **﴿فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ﴾**: أفردهما بالذكر لفضلهما، فإن الرطب فاكهة، وغذاء،

(١) وفي السمين أصل الطمط الجماع المؤدى إلى خروج دم البكر، ثم أطلق على كل جماع طمط، وإن لم يكن معه دم، وقيل الطمط دم الحيض، أو دم الجماع، قال الواحدي: قال المفسرون: لم يطأهن، ولم يغشهن، ولم يجامعهن قبلهم أحد، ولم يتسلط عليهن، وفي هذه الآية، بل في كثير من آيات هذه السورة دليل على أن الجن يدخلون الجنة إذا آمنوا بالله سبحانه، وعملوا بفرائضه، وانتهوا عن مناهيه، قال ابن عباس: في الآية **﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ﴾** لم يدن منهن، ولم يدمهن، وفي الآية دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الإنسان، فإن مقام الامتنان يقتضى ذلك إذ لو لم يطمثوا لم يحصل لهم الامتنان/١٢ افتح.

(٢) قال أهل اللغة: النضخ بالحاء المعجمة أكثر من النضح بالحاء المهملة، لأن بالحاء الرش، وبالحاء المعجمة فوران الماء، قاله السمين/١٢ افتح.

والرمان فاكهة ودواء^(١)، وصف الأوليين بأن فيهما من كل فاكهة صنفين، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ﴾: خيرات الأخلاق خُفِّفَ كَهَيِّنٍ فِي هَيِّنٍ وَلَيْسَ، ﴿حِسَانٌ﴾: حسان الخلق، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ﴾: مخدرات مستورات، أو مقصورات الطرف على أزواجهن وصفهن في الأولى بقاصرات الطرف التي تدل على أنهن بالطبع قد قصرت أعينهن عليهم، وهي أتم من المقصورات التي فيها إشعار بقصر القصر، ﴿فِي الْخِيَامِ﴾^(٢): كل خيمة من زبرجد وياقوت، ولؤلؤة واحدة فيها سبعون باباً من الدر، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ^(٣) إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾، زاد في وصف الأوائل كأنهن الياقوت والمرجان، ﴿مُتَكَيِّنَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾: مجالس فوق الفرش، أو وسائد، أو رياض الجنة، ﴿وَعَبْقَرِي حِسَانٍ﴾: كل شيء نفيس من الرجال وغيره يسمى عند العرب عبقرية قيل تزعم العرب أن عبقر اسم بلد من بلاد الجن فينسبون إليه كل شيء عجيب، نعت بطائن فرش الأولين، وسكت عن ظواهرها إشعاراً بأن وصفها متعذر، فأين هذا من ذاك، ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾: تعالى اسمه؛ لأنه مطلق على ذاته فما ظنك بذاته، ﴿ذِي الْجَلَالِ﴾: أهل أن يجل فلا يعصى،

(١) وقد ذهب إلى أنهما من جملة الفاكهة جمهور أهل العلم، وبه قال الشافعي، فيبحث أكل أحدهما من حلف لا يأكل فاكهة، وحينئذ فعضفهما عليه من عطف الخاص على العام تفصيلاً، ولم يخالف في ذلك إلا أبو حنيفة وقد خالفه صاحبه أبو يوسف، ومحمد، وهو قول خلاف قول أهل اللغة، ولا حجة له في الآية ١٢/فتح.

(٢) أخرج البخاري، ومسلم، وغيرهما عن أبي موسى الأشعري عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها للمؤمن من أهل لا يراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمن/١٢ فتح.

(٣) قيل: فيه دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الإنس/١٢ منه.

﴿وَالْإِكْرَامِ﴾: وأهل أن يكرم فيعبد، ويشكر، ولا يكفر، وفي الحديث (*) "من إجلال الله تعالى إكرام ذى الشبهة المسلم، وذى السلطان، وحامل القرآن غير الغالى فيه، ولا الجافى منه".

والحمد لله حق حمده.

(*) رواه الإمام أحمد [حسن، وانظر صحيح الجامع (٢١٩٩)]/١٢ منه.

سورة الواقعة^(١) مكية

وهي ست وتسعون آية وثلاث ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ
الْأَرْضُ رَجًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ
أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ
الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّيْقُونِ السَّيْقُونِ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ
الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾
﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ
وَلَدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يُصَدَّعُونَ
عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهْهَ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾
﴿حُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ الثَّلَاثِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

(١) عن ابن مسعود سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه الفاقة أبدًا" أخرجه البيهقي في الشعب، والحارث بن أبي أسامة [ضعيف، انظر ضعيف الجامع (٥٧٨٥)، والضعيفة] وأبو يعلى، وابن مردويه وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "سورة الواقعة سورة الغناء فافرقوها وعلّموا أولادكم" ["موضوع" وانظر كشف الخفاء للعجلوني (٥٢٥/١)] أخرجه ابن عساكر ١٢/فتح.

لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿١٦﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿١٧﴾ وَأَصْحَابُ
 الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿١٨﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿١٩﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٢٠﴾ وَظِلِّ
 مَمْدُودٍ ﴿٢١﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٢٢﴾ وَفَنَكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٢٣﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ
 ﴿٢٤﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٢٥﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٢٦﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٢٧﴾
 عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٢٨﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٢٩﴾

﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ أي: اذكر إذا قامت القيامة، ﴿لَيْسَ لَوْقَعَتِهَا﴾: لحيتها،
 ﴿كَاذِبَةٌ﴾ أي: كذب، بل هي واقعة صادقة نحو جملة صادقة، أو ليس لأجل وقعها
 نفس كاذبة، فإن من أخبر عنها صدق، قيل: لا تكون حين تقع ^(١) نفس تكذب على
 الله تعالى، فإن كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة، ﴿خَافِضَةٌ﴾: تخفض قومًا، ﴿رَافِعَةٌ﴾:
 ترفع آخرين، ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ﴾: حركت تحريكًا شديدًا ظرف لخافضة، أو بدل
 من إذا وقعت، ﴿رَجًّا وَبُسَّتِ الْجِبَالُ﴾: فتت حتى تعود كالسويق، أو سبرت، ﴿بَسًّا
 فَكَانَتْ هَبَاءً﴾: غبارًا، ﴿مُتَبِّثًا﴾: منتشرًا، ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا﴾: أصنافًا، ﴿ثَلَاثَةً﴾ أي:
 ينقسم الناس يومئذ إلى ثلاثة أصناف، ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾: الذين هم عن يمين
 العرش، أو كانوا عن يمين آدم عند إخراج الذرية من ظهره أو الذين يؤتون كتبهم
 بأيمانهم، أو أصحاب المنزلة السنية، أو أصحاب اليمين، ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾، جملة
 استفهامية تعجبية خبر للمبتدأ ^(٢)، ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾، مقابل الميمنة بالمعاني، ﴿مَا

(١) على الوجه الأخير اللام في لوقعها للتأنيث نحو "يا ليتني قدمت لحياتي" [الفجر: ٢٤] /
 ١٢ منه.

(٢) أي الجملة الاستفهامية خبر لأصحاب الميمنة، بإقامة الظاهر مقام المضمر أي: أصحاب
 الميمنة أي شيء لهم / ١٢ منه.

أَصْحَابُ الْمَشْئَمَةِ وَالسَّابِقُونَ^(١): إلى الهجرة، أو إلى إجابة الرسول أو إلى الخيرات،
 «السَّابِقُونَ»^(١)، خير للمبتدأ نحو شعري شعري، «أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ
 النَّعِيمِ»: قربت درجاتهم في الجنة، وقيل: حال من ضمير المقربون، أو خير بعد خير،
 «ثَلَاثَةٌ» أي: هم جماعة كثيرة، أو خير آخر لأولئك، «مِنَ الْأَوَّلِينَ»: الأمم الماضية، من
 آدم إلى محمد -عليهما الصلاة والسلام- «وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ» من هذه الأمة، فإن
 السابقين منهم أقل من مجموع السابقين من سائر الأمم أو هم كثير من متقدمي هذه
 الأمة، وقليل من متأخريها، وكثير من السلف على ذلك، وعليه بعض الأحاديث،
 «عَلَى سُرُرٍ مَوْضُوعَةٍ»: منسوجة بالذهب مشبكة بالجواهر خير آخر للضمير
 المحذوف، «مُتَكَبِّرِينَ عَلَيْهَا»^(٢) مُتَقَابِلِينَ: وجوه بعضهم إلى بعض^(٣) ليس أحد وراء
 أحد حالان من ضمير على سرر، «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ»: للخدمة، «وَلَدَانٌ»: غلمان،
 «مُخَلَّدُونَ»^(٤): لا يشيئون^(٥) ولا يتغيرون، «بِأَنْوَاعٍ»: إناء لا عروة ولا خرطوم

(١) قال الحسن وقتادة: هم السابقون إلى الإيمان من كل أمة عند ظهور الحق من غير
 تلغيم/١٢فتح.

(٢) أي: على السرر على الجنب أو غيره، كحال من يكون على كرسي فيوضع تحته شيء
 آخر للاتكاء عليه/١٢فتح.

(٣) من غاية الأنس/١٢.

(٤) قيل: هم ولدان المسلمين الذين يموتون صغارا، لا حسنة لهم ولا سيئة، وهو ضعيف،
 وقيل: هم أطفال المشركين ماتوا قبل التكليف، ولا يبعد أن يكونوا مخلوقين في الجنة
 ابتداء كالحور العين من غير ولادة للقيام بهذه الخدمة ليسوا من أولاد الدنيا، وهذا هو
 الصحيح، وأطلق عليهم اسم الولدان لأن العرب تسمى الغلام وليدا ما لم يحتلم، والأمة
 وليدة وإن أسنت/١٢فتح.

(٥) لا يموتون/١٢.

له، والباء للتعدية، «وَأَبَارِيقٌ»: الجامع للوصفين^(١)، «وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ»: من خمر جار، «لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا»^(٢) وَلَا يُنْزِفُونَ»: لا ينشأ عنها صداعهم، ولا ذهاب^(٣) عقلهم، «وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ»: يختارون، «وَلَحْمِ طَيْرٍ»^(٤) مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ^(٥) عَيْنٌ أي: وفيها حور عين، أو عطف على ولدان، ومن قرأ بالجر فعطف على جنات أي: أولئك في صحبة حور عين، أو على بأكواب بحسب المعنى، فإن حاصل معناه ينعمون بأكواب، وكذا وكذا أو بحسب اللفظ أيضاً أي: يطوف الغلمان بالخور العين عليهم في خيامهم وخلواتهم، «كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ»^(٦): المصون عما يضرُّ به، «جَزَاءً» أي: يفعل ذلك كله بهم للجزاء، «بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^(٧) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا: عبثاً باطلاً، «وَلَا تَأْتِيَمًا»: ولا ما يوقع في الإثم أو لا نسبة إلى الإثم أي: لا يقال لهم أثمتم، «إِلَّا قِيلًا»: قولا، «سَلَامًا سَلَامًا» أي: إلا التسليم منهم

(١) من العروة والخرطوم/١٢.

(٢) عن شربها/١٢.

(٣) بخلاف خمر الدنيا، أو المعنى لا يتفرقون عنها، ولا تقطع لذتهم يقال: تصدع السحاب عن المدينة أي: تفرق/١٢.

(٤) أخرج أحمد والترمذي عن أنس قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: "إن طير الجنة كأمثال البخت ترعى في شجر الجنة"، فقال أبو بكر: يا رسول الله إن هذا الطير لناعمة قال: "أكلها أنعم منها، وإن لأرجو أن تكون ممن يأكل منها" [صحيح، انظر صحيح سنن الترمذي (٢٠٦٣)/١٢ فتح.

(٥) والخور: شديداً بياض أجسادهن، قال أبو عمر: وليس في بني آدم إنما قيل للنساء حور العين تشبيهاً بالظبا والبقر، والعين شديداً سواد العيون مع سعتها/١٢ فتح.

(٦) وفي الحديث: "صفائهن كصفاء الدر الذي لا يمسه الأيادي" /١٢ وجيز.

(٧) في الدنيا وأن المنازل في الجنة على قدر الأعمال، وأما نفس دخول الجنة فبرحمة الله وفضله، وعلى ذلك النص الصريح الصحيح/١٢ وجيز.

بعضهم على بعض بدل من قيل أو مفعول به، والمستثنى إما متصل أي: لا لغوا إلا السلام، ومعلوم أن السلام ليس بلغو، فلا لغو، ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ﴾^(١) الْيَمِينِ: هم الأبرار دون المقربين، ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ﴾: لا شك له، أو مثني الغصن من كثرة الحمل، ﴿وَوَطَّحَ﴾: أم غيلان(*) له أنوار طيب الرائحة، وظل بارد، أو موز ويؤيد الأول ما روى عن بعض السلف أن المسلمين نظروا إلى "وج" وهو واد بالطائف فأعجبهم ظلال أشجارها، وأشجارها سدر، وطلح فتزلت، ﴿مَنْضُودٍ﴾: متراكم قد نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه، ﴿وَوَظِلٌّ مَمْدُودٌ﴾: منبسط، أو دائم، وفي الحديث^(٢) "إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ما يقطعها واقرعوا إن شئتم" وظل ممدود، ﴿وَمَاءٌ مَسْكُوبٌ﴾: مصبوب يجري على الأرض من غير أحدود، ﴿وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ لَا مَقْطُوعَةٍ﴾: في زمان، ﴿وَلَا مَنُوعَةٍ﴾: من أحد، ﴿وَفَرُشٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ في الحديث^(٣) "ارتفاعها كما بين السماء والأرض" أو رفيدة القدر، أو مرفوعة بعضها فوق بعض، وقيل: نساء رفعن بالجمال والفضل على نساء الدنيا، والعرب تسمى المرأة فراشاً ولباساً، ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ﴾، الضمير لما دل عليه السياق، وهو ذكر الفرش على النساء أي: أعدنا إنشاءهن، ﴿إِنْشَاءً﴾: جديداً، ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾^(٤) عُرْباً: عواشق^(٥)

(١) لما ذكر نعيم المقربين يذكر نعيم الأبرار/١٢ وجيز.

(٥) أم غيلان: شجر السَّمُر، والسَّمُر: نوع من الشجر صغار الورق، قصار الشوك، وله برمة صفراء يأكلها الناس.

(٢) رواه الشيخان/١٢ وجيز.

(٣) رواه الترمذي والنسائي [ضعيف، كما في تعليق الشيخ الألباني على المشكاة (٥٦٣٤)]/١٢.

(٤) عذارى قاله ابن عباس أي: كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى، ولا يحصل لهن

وجع في إزالة البكارة/١٢ فتح.

(٥) صرح بهذا المعنى أكثر السلف/١٢ وجيز.

لأزواجهن، أو مغنوجة، أو كلامهن^(١) عربي، «أثراً»: مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين، أو مستويات في الأخلاق لا تباغض ولا تحاسد كما في ضرائر الدنيا يأتلفن ويلعن جميعاً، وفي الحديث^(٢) "هن اللواتي قبضن عجائز، خلقهن الله بعد الكبير فجعلهن عذارى متعشقات على ميلاد واحد أفضل من الحور العين كفضل الظهارة على البطانة، ومن يكون لها أزواج في الدنيا تخير فتختار أحسنهم خلقاً"، «لأصحاب اليمين»، متعلق بأنشأنا، أو صفة لأبكاراً أو خبر لمخدوف.

﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ٢٦ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ٢٧ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ٢٨ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ٢٩ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ٣٠ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ٣١ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ٣٢ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ٣٣ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ٣٤ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ٣٥ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ٣٦ لَمَجْمُوعُونَ ٣٧ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ٣٨ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الْضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ٣٩ لَّا كِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّنْ زُقُومٍ ٤٠ فَمَالِثُونَ مِنْهَا الْبَطُونَ ٤١ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ٤٢ فَشَرِبُوا شَرِبَ الْهَيْمِ ٤٣ هَذَا نَزَلُهم يَوْمَ الدِّينِ ٤٤ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ٤٥ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ ٤٦ ءَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ٤٧

(١) قد نقل ابن أبي حاتم حديثاً دالاً على هذا المعنى/١٢ وجيز.

(٢) هذا مختصر ما في الترمذي، والطبراني [وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان القرشي يضعفان في الحديث والحديث ضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف الترمذي" /١٢ وجيز.

نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦﴾ عَلَىٰ أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ
 وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ
 ﴿٨﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٩﴾ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿١٠﴾ لَوْ
 نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿١١﴾ إِنَّا لَمُعْرِضُونَ ﴿١٢﴾ بَلْ نَحْنُ مُحَرِّمُونَ
 ﴿١٣﴾ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿١٤﴾ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ
 الْمُنزِلُونَ ﴿١٥﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿١٦﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ
 الَّتِي تُورُونَ ﴿١٧﴾ أَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿١٨﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا
 تَذَكُّرًا وَمَتَلَعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿١٩﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٢٠﴾ *

﴿ثَلَاثَةٌ﴾: هم جماعة كثيرة، **﴿مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾:** الأمم الماضية غير هذه الأمة، **﴿وَتِلْكَ مِنْ
 الْآخِرِينَ﴾:** من هذه الأمة، أو ثلة من المتقدمين من هذه الأمة، وثلة من المتأخرين
 منهم، وعلى التفسير الأول يلزم أن المقربين من هذه الأمة قليلون بالنسبة إلى جميع الأمم
 الماضية، ولا يلتزم قلتهم، ولكن الأبرار كثيرون بالنسبة إليهم أيضًا، **﴿وَأَصْحَابُ
 الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ فِي سَمُومٍ﴾:** حر نار، **﴿وَحَمِيمٍ﴾:** ماء في غاية
 الحرارة، **﴿وِظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾:** دخان أسود، **﴿لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ﴾:** حسن المنظر، أو
 نافع، **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾:** في الدنيا، **﴿مُتَرَفِينَ﴾:** منهمكين في الشهوات،
﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ﴾: الذنب، **﴿الْعَظِيمِ﴾:** وهو الشرك، أو اليمين
 الغموس، **﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَأَنْتَا لَمَبْعُوثُونَ﴾:** همزة
 الإنكار كررت لمزيد الإنكار، والعامل في إذا ما دل عليه مبعوثون، **﴿أَوْ آبَاؤُنَا
 الْأَوَّلُونَ﴾:** عطف على محل إن واسمها، أو على ضمير مبعوثون، وجاز للفصل بالهمزة
 أي: أبيعث آباؤنا أيضًا، فإنهم أقدم؟! فبعثهم أبعد، **﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ
 لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾:** إلى ما وقَّعت به الدنيا، وحدثت من يوم معين

عند الله تعالى، ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ إِلَيْهَا الصَّالُونَ الْمُكَذِّبُونَ لَا كِلُونَ مِنْ شَجَرٍ﴾، من
للابتداء، ﴿مِنْ زُقُومٍ﴾، من اللبان، ﴿فَمَا لئُونَ مِنْهَا﴾^(١) البُطُونُ: يسجرون حتى
يأكلوا ملاً بطونهم، ﴿فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾^(٢)، تأنيث الضمير في منها،
وتذكيره في عليه على المعنى ولفظه ﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ﴾: مثل (*) شرب الإبل
التي بها الهيام داء تشبه الاستسقاء، وعن بعض الهيم الإبل المراض تمص الماء مصّاً، ولا
تُروى، وكل من المعطوف والمعطوف عليه أخص من الآخر فحسن العطف، ﴿هَذَا
نُزْلُهُمْ﴾: رزقهم الذي يعد لهم تكريمة لهم، ﴿يَوْمَ (٣) الدِّينِ﴾: يوم الجزاء، وإذا كان
هذا نزلهما فما ظنك بما يعد لهم من بعد، ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ﴾: بعد أن لم تكونوا شيئاً
مذكوراً، ﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ أي: فهلا تصدقون بابتداء الخلق كأن أعمالهم خلاف ما
يقضيه التصديق، فحضرهم عليه، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾: تصبون في الأرحام من
النطف؟! ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾، فعلم أن الابتداء منا، ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا
بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: مغلوبين عاجزين، ﴿عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ
أَمْثَالُكُمْ﴾: نغير صفاتكم جمع مثل، ﴿وَنُنشِئُكُمْ فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: في صفات لا
تعلمونها أي: فما نحن بعاجزين عن الإعادة، وهي تبديل الصفات إلى صفات أخرى،
أو ما نحن بعاجزين على أن نأتي بخلق مثلكم بدلا عنكم، وعلى أن نخلقكم فيما لا
تعلمونه من الصور كالقردة، والخنازير، فعلى هذا الأمثال جمع مثل بسكون الشاء، وفي
الآية الثانية والثالثة ما يشعر، وبلائهم هذا المعنى، وهو قوله: "لو نشاء لجعلناه حطاماً"،

(١) الضمير للشجر، وهو اسم جنس يؤنث ويذكر/١٢ وحيز.

(٢) الماء الحار الذي في نهاية الحر، فهذا غذاؤهم وهذا شراهم/١٢.

(٣) وفي النسخة ن: جمع أهيم مثل.

(٣) ولما ذكر ما لأصحاب الشمال استدلل لهم على خلاف ما هم عليه كأن يفضحهم

فقال: "نحن خلقناكم" الآية/١٢ وحيز.

"ولو نشاء جعلناه أجاجاً"، أو يكون معنى الآية، نحن خلقناكم ابتداء، فهلا تصدقون بالبعث، ثم استدل، وقال أما ترون المني فكيف تجمع أولاً في الرجل، وهو منبث في أطراف العالم، ثم يجمع في الرحم بعدما كان منبثاً في أعضاء الرجل، ثم نكون الحيوان منه، فإذا افرق بالموت مرة أخرى ألم نقدر على جمعه وتكوينه مرة أخرى؟! ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾: فهلا^(١) تذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى، ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ تبدرون حبة، ﴿أَأَنْتُمْ تَرْزَعُونَهُ﴾: تبتونه؟! ولذلك قال عليه السلام: "لا يقولن أحدكم زرعت، وليقل^(٢) غرث" ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾: هشيماً لا يتتفع به، ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾: بالمقالة تنتقلون بالحديث^(٣)، ﴿إِنَّا لَمُعْرِضُونَ﴾: استئناف مبين لمقاتلهم، أي: يقولون إنا لمعذبون مهلكون، أو للزمون غرامة ما أنفقنا، والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض، ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: محدودون ممنوعون، وعن الكسائي: التفكه من الأضداد يستعمل في التمتع والتحزن، ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾: السحاب جمع مزنة، ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾: شديد الملوحة، ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾: تقدحون، ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾، للعرب شجرتان المرخ والعفار تحك أحد غصنيهما

(١) أي: فهلا تذكرون قدرة الله سبحانه على النشأة الأخرى، وتقيسوها على النشأة الأولى، وفيه دليل على صحة القياس حيث جهلهم في ترك قياس النشأة الأخرى على النشأة الأولى/١٢ مدارك.

(٢) قال أبو هريرة -رضي الله عنه- ألم تسمعوا الله يقول: أفرايتم ما تحرثون؟! الآية، رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو نعيم والبيهقي في الشعب/١٢.

(٣) وقد استعير من التنقل بأنواع الفاكهة إلى التنقل بالحديث/١٢ وجز.

بالآخر فيتناثر منهما شرر النار، «نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً^(١)»: لنار جهنم، «وَمَتَاعًا»: منفعة، «لِلْمُقْوِينَ»: الذين يزلون القواء، أي: المفاضة، فإن انتفاعهم بالزند أكثر من انتفاع الحضرين، أو الجائعين، فإن أصل القواء الخلو، «فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ»: فحدد التسييح، ونزله عن النقائص باستعانة ذكر اسمه العظيم، أو اسم ذاته العظيم تزيها عما يقولون، أو تعجبا أو شكرا.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ وَإِنَّهُمْ لَقَسَمُوا لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُمْ لَقَرَّاءٌ أَنْ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكْذِبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةٌ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

(١) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم" قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله قال: "فإنها فضلت عليها بتسعة وستين، جزءا كلها مثل حرها". رواه البخاري ومسلم/١٢ الباب.

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾، لا مزيدة لتأكيد^(١) القسم، أو رد لقول الكفار أنه سحر وشعر، ثم استأنف القسم، ﴿بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ أي: نجوم القرآن، ومواقعها أوقات نزولها، أو بمغارب^(٢) نجوم السماء، أو منازلها، أو انتشارها يوم القيامة، ﴿وَأِنَّهُ﴾: هذا القسم الذى أقسمت به، ﴿لَقَسَمَ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾^(٣): لو تعلمون اعتراض بين الموصوف والصفة، ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ﴾، جواب القسم، ﴿كَرِيمٌ﴾: كثير النفع، ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾: مصون من الشياطين وهو اللوح، ﴿لَا يَمَسُّهُ﴾ أي: الكتاب المكنون الذى فى السماء، ﴿إِلَّا الْمَطَّهِرُونَ﴾^(٤) أي:

(١) وبه قال أكثر المفسرين/١٢ الباب.

(٢) والتخصيص بالمغارب لما فى المغرب زوال أثرها الدال على أن له مؤثراً كما استدل إبراهيم -عليه الصلاة والسلام- بالأقول فقال: "لا أحب الآفلين" /١٢ وحيز.

(٣) والله تعالى سر فى تعظيمه هو الذى يعلمه/١٢ وحيز.

(٤) ذهب الجمهور إلى منع الحدث من مس المصحف، وبه قال على وابن مسعود وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد -رضى الله عنهم، وعطاء والزهرى والنخعى والحكم وحماد وجماعة من الفقهاء منهم مالك والشافعى وروى عن ابن عباس -رضى الله عنهما- والشعبى وجماعة منهم أبو حنيفة أنه يجوز للمحدث مسه، وقد أوضح الشوكانى ما هو الحق فى هذا فى شرحه للمنتقى، فليرجع إليه قال ابن عباس -رضى الله عنهما: فى الآية الكتاب المتزل من السماء لا يمسه إلا الملائكة، وعن أنس -رضى الله عنه- قال: المطهرون الملائكة، وعن علقمة قال: أتينا سلمان الفارسي، فخرج علينا من كنيف، فقلنا: لم اتوضأت يا أبا عبد الله، ثم قرأت علينا سورة كذا وكذا قال: إنما قلل الله: "فى كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون"، وهو الذى فى السماء لا يمسه إلا الملائكة، ثم قرأ علينا ما من القرآن شئنا أخرجه عبد الرزاق، وابن المنذر وعن عبد الله بن أبى بكر بن عمرو بن حزم عن أبيه قال: فى كتاب النبى -صلى الله عليه وسلم- لعمر بن حزم: "لا يمسه القرآن إلا على طهر" أخرجه مالك فى الموطأ عن عبد الله بن أبى بكر وأخرجه أبو داود فى المراسيل من حديث الزهرى قال: قرأت فى صحيفة عبد الله المذكور أن

الملائكة^(١)، وعن بعض زعمت قريش أن القرآن تنزلت به الشياطين فردهم الله تعالى بقوله: "لا يمسه إلا المطهرون" كما قال: "وما تنزلت به الشياطين" [الشعراء: ٢١٠] أو لا يمسه القرآن إلا المطهرون من الجنابة والحدث، والمراد من القرآن حينئذ المصحف كما نُقِلَ "نهي -عليه الصلاة والسلام- أن يسافر بالقرآن أي: المصحف إلى الأرض العدو"، ويكون نفياً بمعنى النهي أو لا يجد طعمه ونفعه إلا المطهرون من الشرك، ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، صفة أخرى للقرآن، وفيها مبالغة، ﴿أَفْبَهَذَا الْحَدِيثِ﴾ أي: القرآن، ﴿أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾: متهاونون مكذبون، ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾: الرزق^(٢) بمعنى الشكر في لغة أو تشكر رزقكم الذي هو المطر، ﴿أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾: بمعطية، وتقولون: مطرنا بنوء كذا، أو تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن تكذيبكم، ﴿فَلَوْلَا﴾: هلا، ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾: النفس، ﴿الْخُلُقُومَ وَأَنْتُمْ﴾: يا أهل الميت، ﴿حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾: حاله أو أمرى وسلطان ولا تقدرين على دفعه، والواو للحال، ﴿وَتَحْنُ أَقْرَبُ﴾^(٣)، المراد الملائكة كما قال تعالى: "وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم

= رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "ولا يمسه القرآن إلا طاهر"، وقد أسنده الدارقطني عن عمرو بن حزم وغيره، وفي أسانيدنا نظر، وعن ابن عمر أنه كان لا يمسه المصحف إلا متوضئاً، وعن معاذ بن جبل أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لما بعثه إلى اليمن كتب له في عهده "أن لا يمسه القرآن إلا طاهراً" أخرجه ابن مردويه/١٢ فتح.

- (١) كذا فسره ابن عباس، والأكثر من السلف/١٢ وجيز.
- (٢) أي: شكر رزقكم الذي هو المطر فسره الرسول المتزل عليه -صلى الله عليه وسلم- بذلك كما نقله الإمام أحمد والترمذي، وهو المنقول عن ابن عباس/١٢-١٢ وجيز ومنه.
- (٣) يقول الملائكة: ولكن لا تبصرون يقول: لا تبصرون الملائكة، نقله السيوطي في الدر المنثور برواية ابن مردويه عن ابن عباس في حديث طويل/١٢، وقد مر بعض الكلام =

حفظه حتى إذا جاء "الآية [الأنعام: ٦١]، أو نحن أعلم، **«إِلَيْهِ»**: إلى المحتضر، **«مِنْكُمْ»**: أيها الحاضرون، **«وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ»**: قربنا، ولا تعرفون قدرتنا، **«فَلَوْلَا»**: فهلا، **«إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ»**: محاسبين مجزيين في القيامة، **«تَرْجِعُونَهَا»**: النفس إلى مقرها بعدما بلغت الحلقوم، **«إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»**: إنه لا بعث ولا حساب لولا الثاني تأكيد للأول، والعامل في الظرف ترجعونها، وهو المحضض عليه أي: هلا ترجعونها إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدنيين صادقين في ذلك، وجواب الشرط يدل عليه السياق، وحاصله أنكم تنسبون إلى الافتراء كتابي، وإلى الساحر رسولي، وإلى غيري رحمتي ومطري، وتزعمون أن لا بعث ولا حساب، ولا إله يجازي فنفيتم قدرتي واختياري، فما لكم لا تردون روح من يعز عليكم إذا بلغ الحلقوم، وأنتم ناظرون إليه، وما يقاسيه من شدة الترع، فإذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا أن فوقكم قادر مختار بيده الأمر لا عجز ولا تعطيل، **«فَأَمَّا إِنْ كَانَ»**: المتوفى، **«مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ»**: فله راحة، **«وَرِيحَانٌ»**: رزق حسن، وعن بعض من السلف: إنه لا يفارق أحد من المقربين حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيقبض روحه فيه، وفي الحديث ^(١) "ينطلق إلى ولي الله ملك الموت مع خمس مائة من الملك معهم ضباط" ^(٢) الريحان أصل الريحان واحد وفي رأسها عشرون لونًا لكل لون ريح سوى ريح صاحبه، **«وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ»**: ذات تنعم، أي: يبشر بهذه الثلاثة، **«وَأَمَّا إِنْ كَانَ»**: المحتضر، **«مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَّكَ»**: أي: فيقال له سلام لك يا صاحب اليمين، **«مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ»**: من إخوانك، أو

= على هذه الآية في سورة "ق" تحت قوله تعالى: "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" [ق: ١٦]، فتذكر/١٢.

(١) في الترمذي وغيره [ذكره ابن كثير في "تفسيره" (٥٣٧/٢) وعزاه لأبي يعلى الموصلي وقال: حديث غريب] ١٢/وجيز.

(٢) الضباط الجماعات، واحدها ضبارة كعمارة/١٢ منه.

حصل لك سلامة من العذاب حال كونك من أهل اليمين يبشر بالبشارتين، وعن بعض المفسرين: فسلامة لك يا محمد منهم لا تهم لهم فإنهم في سدر مخضود، ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾: المحتضر، ﴿مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾: أصحاب الشمال، ﴿فَنُزِّلَ مِنْ حَمِيمٍ﴾ أي: فله ذلك، ﴿وَتَصْلِيَةٌ﴾: إدخال، ﴿جَحِيمٍ إِنَّ هَذَا﴾: الذى ذكرت، ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾^(١): حق هو اليقين لا مرية فيه، أو اليقين اسم للعلم الذى لا لبس له، والإضافة بمعنى اللام، ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، قيل: الباء زائدة^(٢)، وقد ورد لما نزلت قال -عليه السلام- "اجعلوها في ركوعكم" ولما نزلت "سبح اسم ربك الأعلى" قال: "اجعلوها في سجودكم"(*) .

والحمد لله رب العالمين.

(١) والحق هو اليقين من غير ريب قيل: هو من إضافة المترادفين على المبالغة كما تقول:

صواب الصواب، ويقين اليقين يعنى أنه نهاية في ذلك/ ١٢.

(٢) في البحر (سبح) يتعدى بنفسه وبحرف الجر/ ١٢ وجيز.

(٥) حديث ضعيف ضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف ابن ماجه".

سورة الحديد مدنية وقيل: مكة

وهي تسع وعشرون آية وأربع ركوعات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾

﴿سبح﴾، جاء في مفتاح السور بلفظ الماضي، والمضارع، والمصدر، والأمر إشعاراً بأن الموجودات من الابتداء إلى الانتهاء مقدسة لذاته طوعاً أو كرها وإن من شيء إلا يسبح بحمده، ﴿لله﴾: هذا الفعل عدى بنفسه، وباللام أيضاً، ﴿ما فى السموات والأرض﴾: من الموجودات، ولكن لا تفقهون تسبيحهم، ﴿وهو العزيز الحكيم﴾: فيستحق التسبيح، ﴿له ملك السموات والأرض﴾: هو الخالق المتصرف، ﴿يحيى ويميت﴾، استئناف، أو حال، ﴿وهو على كل شيء قدير هو الأول﴾: فليس قبله شيء، ﴿والآخر^(١)﴾: فليس بعده شيء يبقى بعد فناء الممكنات، ﴿والظاهر﴾: الغالب من ظهر عليه إذا غلبه، أو ظاهر لأن جميع الكائنات دليل ذاته، ﴿والباطن^(٢)﴾ الذى بطن كل شيء أي: علم باطنه أو باطن لأنه غير مدرك بالحس، وفى الحديث^(٣) "أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك

(١) أخرج البيهقي فى الأسماء والصفات عن مقاتل بن حيان قال: بلغنا فى قوله عز وجل هو الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، والظاهر فوق كل شيء، والباطن أقرب من كل شيء، وإنما يعنى بالقرب علمه وقدرته، وهو فوق عرشه، وهو بكل شيء عليم هو الذى خلق السماوات والأرض فى ستة أيام مقدار كل يوم ألف عام، ثم استوى على العرش يعلم ما يلج فى الأرض من القطر، وما يخرج منها من النبات، وما يترل من السماء من القطر، وما يعرج فيها يعنى ما يصعد إلى السماء من الملائكة، وهو معكم أين ما كنتم يعنى قدرته وسلطانه وعلمه معكم أين ما كنتم، والله بما تعملون بصير/١٢ در منثور.

(٢) وفى كتاب العلو للذهبي روى بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان قال: بلغنا -والله أعلم- فى قوله هو الأول والآخر والظاهر والباطن هو الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء والظاهر فوق كل شيء، والباطن أقرب من كل شيء وإنما يعنى بالقرب علمه وقدرته، وهو فوق عرشه، وهو بكل شيء عليم. رواه البيهقي بإسناد عنه انتهى/١٢.

(٣) هذا فى صحيح مسلم وغيره/١٢.

شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء" وفي الترمذي (*) عد عليه الصلاة والسلام سبع أرضين بين كل أرضين خمسمائة سنة ثم قال: "والذى نفس محمد بيده لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط^(١) على الله ثم قرأ هو الأول والآخر" الآية، ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ^(٢)﴾: قد مر تفسيره في سورة الأعراف، وغيرها، ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ﴾: كالحب والقطر، ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾: كالشجر والنبات، ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾: كالملك، والمطر، ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾: كالأرواح، والأعمال، والملك والأبخرة، ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ^(٣)﴾: لا ينفك علمه عنكم، ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾:

(٥) "ضعيف" ضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف الترمذي".

(١) قال الترمذي: فسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وعلم الله في كل مكان، وهو على العرش كما وصف نفسه في كتابه/١٢.

(٢) قال الشيخ عبدالقادر في الغنية: وكونه عز وجل على العرش مذكور في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل، بلا كيف، وفي رسالة التزول لابن تيمية قال أبو عمر الطلمنكي: قد أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله تعالى على عرشه بائن من جميع خلقه، وتعالى الله عن قول أهل الزيغ، وعما يقول الظالمون علواً كبيراً انتهى/١٢.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: "وهو معكم أينما كنتم" قال: عالم بكم أينما كنتم وأخرج البيهقي في الأسماء والصفات عن سفيان الثوري أنه سئل عن قوله: "وهو معكم" قال: علمه/١٢ در منشور.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة التزول: وقد ثبت عن السلف أنهم قالوا: هو معهم بعلمه وقد ذكر ابن عبدالبر، وغيره أن هذا إجماع من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولم يخالفهم فيه أحد يعتد به، وهو مأثور عن ابن عباس والضحاك، ومقاتل بن حيان، والثوري، وأحمد بن حنبل، وغيرهم، وفي رسالة التزول أيضاً فلفظة المعية ليست في لغة العرب، ولا شيء من القرآن أن يراد بها اختلاط إحدى الذاتين بالآخر كما في قوله:

فيحازيكم عليه، ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، هو كالمقدمة للإعادة والإبداء فلذا كرره، ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾: فيحكم في خلقه ما يشاء، ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾: فيطول النهار، ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾: فيطول الليل، ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(١) آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ: الله تعالى، ﴿مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ أي: مستخلفين من كان قبلكم بتوريثه إياكم، أو جعلكم الله خلفاء في التصرف، وهو في الحقيقة لله تعالى، فلا تبخلوا^(٢)، ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾: بالإيمان، والإنفاق لا ينفعان إلا أنفسكم، ﴿وَمَا لَكُمْ﴾، متبدأ أو خير، ﴿لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، حال، ﴿وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾، الواو للحال فهما حالان متداخلان يعني: أى عذر لكم في ترك الإيمان، والرسول يدعوكم، ﴿لِتُؤْمِنُوا

= "محمد رسول الله والذين معه" [الفتح: ١١٩]، وقوله: "أولئك مع المؤمنين" [النساء: ١٤٦] وقوله: "اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" [التوبة: ١١٩] وقوله: "جاهدوا معكم" [الأنفال: ٧٥] ومثل هذا كثير، فامتنع أن يكون قوله وهو معكم يدل على أن ذاته مختلطة تكون بذوات الخلق، وأيضاً فإنه افتتح الآية بالعلم، وختمها بالعلم، فكأن السياق يدل على أنه أراد أنه عالم به، وقد بسط الكلام عليه في موضع آخر يبين أن لفظ المعية في اللغة، وإن اقتضى المجامعة والمصاحبة والمقاربة، فهو إذا كان مع العباد لم يناف ذلك علوه على عرشه، ويكون حكم معيته في كل موطن بحسبه، فمع الخلق كلهم بالعلم والقدرة والسلطان، ويخص بعضهم بالإعانة والنصر والتأييد/١٢.

(١) ولما ذكر تسييح العالمين، وما احتوى عليه من الملك والتصرف، وذكر لنفسه الصفات العلى، وختم بالعلم بخفيات الصدور، وأمر عباده بالإيمان والإنفاق في الخير، فقال: "آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ" ١٢/وجيز.

(٢) فيه ترهيد في المال إذ مصيره إلى الغير، وأنه ينتقل منكم كما انتقل من آبائكم قيل لأعرابي: لمن هذه الإبل؟ قال: هي لله عندي/١٢ وجيز.

بِرَبِّكُمْ أي: إلى هذا الأمر الجليل اليسير، **﴿وَقَدْ أَخَذَ﴾**: الله، **﴿مِثَاقَكُمْ﴾**: حين أخرجكم من ظهر آدم أو بإقامة الحجج، **﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾**: بحجة ودليل، وعن بعض المفسرين الميثاق بيعة الرسول -عليه الصلاة والسلام، فإن الخطاب مع المؤمنين على سبيل التوبيخ، **﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾**: القرآن، **﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾**: الله، أو العبد، **﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾**: الجهالات، **﴿إِلَى النُّورِ﴾**: العلم، **﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا﴾**: في أن لا تنفقوا الظاهر أن هذا خطاب للمؤمنين، والأول للكافرين، **﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾**: هو يتصرف في كل شيء وحده فإنكم ميتون تاركون لأموالكم، **﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾**: فتح مكة، **﴿وَقَاتِلْ أَوْلِيكَ أَكْثَرُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ﴾**: بعد فتح مكة، **﴿وَقَاتِلُوا﴾**: فإنه كان الأمر قبل الفتح شديداً، أو الناس في ريب في أمر الرسالة لكن بعد الفتح ظهر الإسلام، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وقلت الحاجة إلى الإنفاق، **﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾** أي: وعد كلا من المنفقين من قبل ومن بعد الجنة، **﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾**: فلا يضيع عنده عمل عامل.

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (١٠)
 يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمْ
 الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١)
 يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ
 ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ
 الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ (١٢) يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى

وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ
 اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿١٦﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 مَأْوِيَكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٧﴾ * أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ
 قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ
 قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٨﴾ أَعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ
 الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ
 كَرِيمٌ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ
 رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ
 الْجَحِيمِ ﴿٢١﴾

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾: من أنفق المال رجاء ثواب الله كمن
 يقرضه، وهو عام لكل إنفاق هو لله تعالى، ﴿فِيضَاعِفَهُ لَهُ﴾: يعطى أجره أضعافاً،
 وقراءة النصب على جواب الاستفهام، والرفع على العطف على يقرض، ﴿وَلَهُ أَجْرٌ
 كَرِيمٌ﴾ أي: وذلك الأجر المضموم إليه الإضعاف كريم محمود في نفسه يعني: كما أنه
 زائده في الكم بالغ في الكيف، وهو جملة حالية، ﴿يَوْمَ تَرَى﴾ ظرف لله، أو ليضاعف،
 أو اذكر، ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾: وذلك
 دليلهم إلى الجنة على قدر أعمالهم^(١)، وأدناهم نوراً من كان في إمامه فيطفو مرة، ويقدُّ
 أخرى عبر عن جميع الجهات بالجهتين، وجملة يسعى حالية، ﴿بُشْرَاكُمْ الْيَوْمَ﴾: يقول

(١) هذا قول ابن مسعود -رضي الله عنه- والأحاديث الصحاح تدل على قلة النور وكثرته
 بحسب الأعمال/ ١٢ منه.

الملائكة لهم ذلك، ﴿جَنَّاتٌ﴾ أي: دخول جنات^(١) ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ يَوْمَ يَقُولُ، بدل، ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا﴾: انتظرونا، ﴿تَقْتَبِسُ مِنْ نُورِكُمْ﴾: نستضيء منه، ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاعَكُمْ فَالْتَمِسُوا﴾^(٢) نُورًا، القائل المؤمنون، أو الملائكة أي: ارجعوا إلى المكان الذي قسم فيه النور، واطلبوا فيه نوراً، فلا يستضيئون من نورهم كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير، ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمُ﴾: المؤمنين والمنافقين، ﴿بِسُورٍ﴾: حجاب، ﴿لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ﴾: باطن السور أو الباب، ﴿فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾: لأنه يلي الجنة، ﴿وَوَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ﴾: من جهته، ﴿الْعَذَابُ﴾: فإنه يلي النار، ﴿يُنَادُونَهُمْ﴾: المنافقون المؤمنين، ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾: في الدنيا نوافقكم في أعمالكم؟ ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾: بالنفاق والمعاصي، ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾: انتظرتم في شأن المؤمنين الدوائر، وعن بعض أخرتم التوبة، ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾: في الدين، ﴿وَعَرَّيْتُمُ الْأَمَانِي﴾: أمنييتكم الباطلة غررتكم، ﴿حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾: الموت، ﴿وَعَرَّيْتُمُ الْغُرُورُ﴾: الشيطان، فيقول: اعملوا فالله تعالى عفو، ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ﴾: لا يقبل، ﴿مِنْكُمْ فِدْيَةٌ﴾: فداء، ﴿وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ﴾: النار، ﴿مَوْلَاكُمْ﴾: أولى^(٣) بكم، أو النار ناصركم، فلا ناصر لكم، ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾^(٤): النار، ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ

(١) قدرنا المضاف وهو دخول ليصح وقوعه خبر بشراكم/١٢ منه.

(٢) قيل: معناه ارجعوا خائفين، والتمسوا نوراً، وقد علموا أن لا نور وراءهم وإنما هو تخيب وإقناط لهم، وسخرية/١٢ منه.

(٣) يعنى مولى مفعول من أولى أي: مكانكم الذى يقال فيه هو أولى لكم/١٢ منه.

(٤) ولما أجمل، وفصل الوعد والوعيد، والبشارة والتهديد الشديد وهم على حالهم ولم يؤثر فيهم قال: "ألم يأن" الآية/١٢ وحيز.

(٥) من أبى الأمر يأنى إذا جاء أنه أي: وقته/١٢.

تَخْشَعُ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ۖ أَي: ألم يأت وقت الخشوع؟ ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾: القرآن أي: عند ذكر الله، والموعظة وسماع القرآن، عن ابن عباس —رضى الله عنهما— إن الله تعالى استبطأ قلوب المهاجرين، فعاتبهم بهذه الآية على رأس ثلاث عشرة^(١) من نزول القرآن، وعن بعض: مل الصحابة ملة، فقالوا: حدثنا يا رسول الله، فأُنزل الله تعالى "نحن نقص عليك أحسن القصص" [يوسف: ٣] ثم ملوا، فقالوا: حدثنا، فقرأ "الله نزل أحسن الحديث" [الزمر: ٢٣]، ثم ملوا فقالوا حدثنا، فأُنزل الله تعالى الآية، ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾: كاليهود: والنصارى عطف على تخشع، أو هـى عن مماثلة أهل الكتاب، وفيه التفات، ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾: الزمان بينهم وبين أنبيائهم، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: مالو إلى الدنيا، وأعرضوا عن مواعظ الله تعالى، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون من الدين، ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُخَيِّ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾: فلا تيأسوا من أن يلين القلوب بعد قسوتها قيل: تمثيل لإحياء الأموات، فيكون معناه الزجر والتحذير عن القساوة، ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢) إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ: المتصدقين، وقراءة تخفيف الصاد معناه الذين صدقوا الله تعالى، ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ﴾، عطف على صلة الألف^(٣) واللام، لأنه بمعنى إن الذين اصدقوا أو يكون نصب، والمتصدقات على التخصيص، فإن المصدقين عام للذكر والأنثى على التغليب كما إن أقرضوا عام كأنه قيل إن المصدقين، وأخص المتصدقات

(١) وفي بعض الروايات على رأس خمس عشرة سنة، وهذا دليل على أن السورة مدنية/١٢ منه.

(٢) ولما استبطأ خشوعهم جرضهم على ما هو سبب الخشوع، فقال: "إن المصدقين" الآية/١٢ وجيز.

(٣) قيل: إنه عطف على الصلة من حيث المعنى لا من حيث اللفظ، فإن حاصله أن الناس الذين تصدقوا وتصدقن وأقرضوا/١٢ منه.

منهم، ولهذا قال - عليه الصلاة والسلام: "معشر النساء تصدقن" الحديث^(١) فيكون والمتصدقات اعتراضاً على سبيل الاستطراد فلا يلزم الفصل بين أجزاء الصلة بأجنبي، ولما لم يكن الإقراض غير ذلك التصدق قيل: وأقرضوا أي: بذلك التصدق، ولم يقل والمقرضين، ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾: لوجه الله تعالى، ﴿بِضَاعَفُ﴾ أي: ثواب القرض خير إن، ﴿لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾: حسن، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ عن مجاهد كل مؤمن صديق، وعن الضحاك هم ثمانية نفر سبقوا إلى الإيلاء أبو بكر، وعلي، وزيد، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد، وحمة - رضى الله تعالى عنهم ﴿وَالشَّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أي: في جنات النعيم أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في أنهار الجنة، ثم تأوى إلى القناديل مبتدأ^(٢) أو خير، أو المراد المؤمنون كلهم^(٣) كالصديقين والشهداء عند الله تعالى، فيكون والشهداء عطفاً على الصديقين، وفي الحديث "مؤمنوا أمتي شهداء، ثم تلا هذه الآية" ويدل عليه قوله تعالى "ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين" [النساء: ٦٩] ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي: أجر كل منهم مقصور عليهم وكذا نورهم، أو للمؤمنين مثل أجر الشهداء ونورهم ولا يلزم منه المماثلة من جميع الجهات، ﴿وَوُثِّرُهُمْ﴾: الذى يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾: ملازموها لا ينفكون عنها.

﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ

(١) تتمته "فإن أريتكن أكثر أهل النار" ١٢/ منه.

(٢) يعنى منقطع عما قبله صرح بذلك ابن عباس - رضى الله عنهما - وكثيرون ١٢/ وحيز.

(٣) وهذا قول ابن مسعود، وجماعة من السلف ١٢/ وحيز.

يَكُونُ حُطْمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

﴿اعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ﴾: ما هي إلا أمور خالية كملاعب الصبيان لا فائدة، ولا غاية تترتب عليها سوى إتعاب البدن، ﴿وَلَهْوٌ﴾: تلهون به عما ينفعكم، ﴿وَزِينَةٌ﴾: تزينون بها، ﴿وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ﴾: يفتخر به بعضكم على بعض، ﴿وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾، مباحاة بكثرة الأموال والأولاد، ثم قرر ذلك بقوله: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ﴾، مستأنفة أي: مثله كمثله أو خير بعد خير أي: ما هي إلا كمثله، ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ﴾^(١): الزراع، أو الكافرون فإنهم أشد إعجابًا بخضرة الدنيا، ﴿نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾: يبس بعاهة، ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطْمًا﴾: هشيمًا متفتتًا، ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾: فلا تنهمكوا في شهواتها، ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ

(١) المتبادر الكافرون، فإنهم أشد إعجابًا بخضرة الدنيا لا الزراع/١٢ وحيز.

وَرَضْوَانٌ^(١): فاطلبوا ما هو خير وأبقى، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا^(٢) مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾: كمتاع يدلّس به على المشتري ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فسادُه، ﴿سَابِقُوا^(٣)﴾: سارعوا مسارعة السابقين في المضمار، ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ﴾: موجباتها، ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾، قد مر في سورة آل عمران، ﴿أَعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ^(٤) ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾: فلا يجب عليه شيء، ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾: فارتقبوا فضل الله تعالى وإن جل، ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾: كالقحط، ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: صفة لمصيبة، ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾: كالأمرض، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾: في اللوح حال يعنى مسطوراً فيه، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَبْرَأَهَا﴾: نخلق المصيبة أو الأرض والأنفس، ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾: ثبته في كتاب، ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلَا تَأْسَوْا﴾ أي: أعلمكم أنها مثبتة لثلاث تحزنوا ﴿عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾: الله من متاع الدنيا، فإن من علم أن كل ما قدر له لم يكن ليخطئه، وكل ما

(١) لما حقر أمر الدنيا غاية التحقير عظم أمر الآخرة بعبارة وحيزة بليغة، فقال: "وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور" ١٢/وحيز.

(٢) أي: لمن اطمئن بها، ولم يجعلها ذريعة إلى الآخرة، عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور ألهتك عن طلب الآخرة فأما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله تعالى، فنعم المتاع، ونعم الوسيلة ١٢/أبو السعود.

(٣) ولما ذكر ما يتول إليه أمر الدنيا بين ما هو ثابت دائم، وأمر بالمسارعة إليه لثلاث يفوت فقال: "سابقوا إلى مغفرة" الآية/١٢.

ولما رغب عباده إلى مسارعة الطاعة، وحذرهم عن التكبر والبخل أعقبه بمنته على العباد بإرسال من علمهم طرق الرشادة، فقال: "ولقد أرسلنا" الآية/١٢ وحيز.

(٤) صفة لجنة دالة على أنها موجودة الآن، وتكرر ذلك في الكتاب والسنة فهو المذهب ١٢.

لم يقدر لم يكن ليصيبه ليس من شأنه الفرع والفرح، بل النظر إلى تقلبيه الله تعالى ظهرًا وبطنًا إن رضى فله الرضاء، وإن سخط فله السخط، والمراد من الحزن الجزع، ومن الفرح ما يلهى عن الشكر ويفضى إلى البطر والأشر، ولذلك قال: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ أي: متكبر، ﴿فَخُورٍ﴾: على الناس بمتاع الدنيا عن جعفر الصادق - رضى الله عنه - يا ابن آدم ما لك تتأسف على مفقود لا يردده إليك الفوت، وما لك تفرح بموجود لا يتركه في يديك الموت، ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾، بدل من كل مختال فإن أكثرهم بخلاء، ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾: يعرض عن الإنفاق والطاعة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾: فإنه غنى عنه، وعن إنفاقه وطاعته محمود في ذاته لا يضره كفر ولا ينفعه شكر، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا^(١) بِالْبَيِّنَاتِ﴾: المعجزات، ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ^(٢)﴾، جنس الكتاب، ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ أي: العدل أو الميزان المعروف قيل:

(١) ولا يحتاج إلى القول بأن الرسل الملائكة إلى الأنبياء فإنه خلاف قول السلف/١٢ وجيز.
(٢) ومن وجوه المناسبة بين الكتاب والميزان والحديد أن المعاملة إما مع الخالق، وطريقها الكسب أو مع الخلق وهم إما الأحياء، والمعاملة معهم بالسوية وهى بالميزان، أو مع الأعداء، والمعاملة معهم بالسيف والحديد، ثم إن الحديد لما كانت الحاجة إليه شديدة جعله سهل الوجدان كثير الوجود، والذهب لما قلت الحاجة إليه جعله عزيز الوجود، وعند هذا يظهر أثر جود الله، ورحمته على عبده فإن كل ما كانت حاجتهم إليه أكثر جعل وجدانه أسهل، ولهذا قال بعض الحكماء: إن أعظم الأمور حاجة إليه هو الهواء لا جرم جعله الله أسهل الأشياء وجداناً وهياً أسباب التنفس والآية حتى إن الإنسان يتنفس دائماً بمقتضى طبعه وبعد الهواء الماء وبعد الماء الطعام، وكل طعام كانت الحاجة إليه أشد كان وجدانه أسهل، وكلما كان وجدانه أعسر كانت الحاجة إليه أقل، ولما كانت الحاجة إلى رحمة الله أشد من الحاجة إلى كل شيء فترجو من فضله أن يجعلها أسهل الأشياء وجداناً قال الشاعر:

سبحان من خص العزيز بعزه والناس مستغنون عن أجناسه
وأذل أنفاس الهواء وكل ذي نفس فمحتاج إلى أنفاسه/١٢ كبير.

نزل جبريل -عليه السلام- بالميزان إلى نوح -عليه السلام-، وقال: مر قومك يزنوا به، ﴿لَيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ أي: ليتعاملوا بالعدل، ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾: أنشأنا، وأحدثنا عن ابن عباس -رضي الله عنهما- ثلاثة أشياء نزلت مع آدم السندان والكلبتان والمطرقة^(١)، ﴿الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾: هو القتال به مع من عاند الحق، ﴿وَمَنْفَعُ النَّاسِ﴾: إذ هو آلة لأكثر الصنائع، ﴿وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ﴾: عطف على معنى فيه بأس شديد ومنافع فإنه حال يتضمن تعليلًا أي: أنزلناه للبأس وللنفع وللعلم وقيل: عطف على ليقوم الناس، ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: دينه، ﴿وَرُسُلُهُ﴾: باستعمال آلات الحرب مع أعداء الله تعالى، ﴿بِالْغَيْبِ﴾: غائبًا عن الله تعالى عن ابن عباس -رضي الله عنهما- يصرونه ولا ينصرونه، ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾: في أمره، ﴿عَزِيزٌ﴾: في ذاته لا يحتاج إلى نصره ناصر.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ⁽ⁿ⁾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ عَائِلِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ ⁽ⁿ⁾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ^(TA) لَيْلًا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ⁽ⁿ⁾

(١) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم/١٢ وحيـز.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾: لم يرسل بعدهما نبي إلا من ذريتهما^(١)، ﴿فَمِنْهُمْ﴾: من الذرية، ﴿مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: خارجون عن الطاعة، ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم﴾: آثار نوح وإبراهيم عليهما السلام، ومن عاصرهما، ﴿بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا﴾: هم، ﴿بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾: أي: عيسى، ﴿رَأْفَةً﴾: رقة شديدة، ﴿وَرَحْمَةً﴾: كانوا متوادين رحماء، ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾، منصوبة على شريطة التفسير أي: وابتدعوا رهبانية يعني جاءوا بالرياضة الشاقة، والانقطاع عن الناس من عند أنفسهم، ﴿مَا كَتَبْنَاَهَا﴾^(٢) عليهم: ما أمرناهم بها، ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾: لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله تعالى ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾: ذم بوجهين الابتداع في دين الله تعالى، وعدم القيام بما التزموا مما زعموا أنه قربة، ﴿فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾: وهم الثابتون على دين عيسى -عليه السلام- والرهبانية، ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: الذين غيروا دين عيسى عن ابن مسعود قال -عليه الصلاة والسلام^(٣): "هل تدري من أين اتخذت بنو إسرائيل الرهبانية؟ قلت: الله ورسوله أعلم،

(١) ولذلك أفردهما بالذكر لأن الكتاب لهما، ونوح هو الأب الثاني، وإبراهيم هو جد العرب، وبه فخرهم/١٢ وجز.

(٢) أخرج أبو داود، وأبو يعلى الضياء عن أنس أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال "لا تشددوا على أنفسكم فيشدد عليكم" فإن قومًا شددوا على أنفسهم فشدد عليهم فترك بقاياهم في الصوامع، والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم [وذكره ابن كثير في "تفسيره" (٣١٦/٤) وعزاه لأبي يعلى الموصلي/١٢-١٢ در منثور.

(٣) أخرج معنى هذا الحديث عبد بن حميد والحكيم والترمذي في نوادر الأصول وأبو يعلى، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي في

قال "ظهرت عليهم الجبابة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب أهل الإيمان، فقاتلوهم فهزم المؤمنون ثلاث مرات، فلم يبق منهم إلا القليل، فقالوا: نعالوا نتفرق في الأرض إلى أن يبعث الله النبي الذي وعدنا عيسى يعنون: محمدًا صلى الله عليه وسلم-، فتفرقوا في غيران الجبال، وأحدثوا رهبانية، فمنهم من تمسك بدينه، ومنهم من كفر، ثم تلا هذه الآية"، وفي رواية "فأتينا الذين آمنوا منهم أجرهم الذين آمنوا بي، وكثير منهم فاسقون الذين كذبوني"، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ»، الخطاب للمؤمنين أهل الكتاب، «وَأَمِنُوا بِرَسُولِهِ»: محمد -عليه الصلاة والسلام «يُؤْتِكُمْ كَفْلَيْنِ»: نصيين، «مِنْ رَحْمَتِهِ»: للإيمان بنبينا، وللإيمان برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وذلك لمن بقى على دين عيسى -عليه السلام- ولم يغير، «وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ»: على الصراط، «وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»: وكثير من السلف على أن هذه الآية لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى في شأن هذه الأمة المرحومة، ففضلهم على أهل الكتاب بالنور والمغفرة، «لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ»: الذين لم يؤمنوا، «أَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ»: أي: يعطيكم الله تعالى نصيبين من رحمته، لأن يعلم الكافرون منهم أنه لا يتمكنون من نيل شيء من فضل الله تعالى، فلا مزيدة^(١)، «وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»، وعلى التفسير الثاني معناه أعطيناكم يا أمة محمد كفلين من رحمته

= شعب الإيمان من طرق عن ابن مسعود [وفي بعض طرقه داود بن المحير وهو أحد
الوضاعين للحديث. ولكن أسند أبو يعلى من طريق آخر فقوى الحديث من هذا الوجه.
كذا قال ابن كثير في "تفسيره" (٣١٦/٤) ١٢/در منثور.

(١) نحو: ما منعك أن لا تسجد، وفي بعض القراءات "ليعلم"، وفي بعضها "لئن يعلم" ١٢/

وحيز.

كما أعطى المؤمنون من أهل الكتاب أجرين ليعلم المؤمنون من أهل الكتاب أن فضل الله تعالى ليس بيد أحد، فلو أعطاهم أجرين لأجل إيمانين أعطى المؤمنين كفلين لأجل الإيمان الواحد بفضلله قيل: "لا" غير مزيدة، والمعنى لئلا يعلم أهل الكتاب عجز المؤمنين ونقصاتهم.

والحمد لله على كل حال.

سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ مَدِيَّةٌ سِوَى الْعَشْرِ الْأَوَّلِ ،
وَهِيَ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ آيَةً وَثَلَاثُ رُكُوعَاتٍ .
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ
تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ١
هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهُتُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ
الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ٢
وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ
يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٣
يَتَمَاسَا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤
إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
كَبِئْسُوا كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ٥
يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ٦﴾

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ (١) وَاللَّهُ يَسْمَعُ
تَحَاوُرَكُمَا: تراجعكما الكلام ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ نزلت في خولة ، ظاهر منها

(١) أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات عن أبي يزيد قال: لقي امرأة عمر بن
الخطاب يقال لها : خولة ، وهو يسير مع الناس ، فاستوقفته ، فوقف لها ، ودنا منها

زوجها أوس بن الصامت ، وكان الظهار طلاقاً ، فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : " حرمت عليه " فحلفت إنه ما ذكر طلاقاً ، فقال : " حرمت عليه " فقالت : أشكو إلى الله فاقني ، وجعلت تراجع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وترفع رأسها إلى السماء وتشكو إلى الله تعالى (*) «الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ» كانت عبارتهم في الظهار: أنت كظهر أمي، أى ما هن أمهاتهم على الحقيقة «إِنَّ أُمَّهَاتَهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ» المظاهرين «لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ»: لا يعرف في شرع «وَزُورًا» باطلاً محرّفاً عن الحق «وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ» فغفر عما سلف. «وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا» أي: يتداركون ما قالوا ، والمتدارك عائد إليه ، ومنه المثل : عاد غيث ما أفسد، أى : تداركه بالإصلاح ، عن ابن عباس رضى الله عنهما : العود الندم ، قال الفراء : عاد فلان لما قال أو فيما قال، أى رجع عما قال، وهو إمساكها عقيب الظهار زماناً يمكنه الطلاق ، ولم يطلق أو المراد العزم على الوطئ «فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ» أي: فعلهم أو فالواجب إعتاق رقبة ، والشافعى حمل ما أطلق على ما قيد في كفارة القتل^(١) بالايمان ؛ لاتحاد الموجب «مَنْ قَبْلَ أَنْ يَتَمَاسًا» من قبل أن يجامع المظاهر المظاهر منها ، فلا يجوز

= أصغى إليها رأسه ، ووضع يده على منكبيها ، حتى قضت حاجتها ، وانصرفت فقال له رجل : يا أمير المؤمنين حبست رجال قريش على هذه العجوز! قال : ويحك (وتدرى من هذه؟ قال : لا، قال : هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات ، لهذه خولة بنت ثعلبة ، والله لو لم تنصرف حتى إلى الليل، ما انصرفت حتى تقضى حاجتها ١٢/ الدر المنثور. [قال ابن كثير (٣١٨/٤): هذا منقطع بين أبي يزيد وعمر بن الخطاب وقد روى من غير هذا الوجه].

(*) كما روى البخارى والنسائى وغيرهما.

(١) يعنى تحرير رقبة مؤمنة/ ١٢.

الوطء قبل الكفارة ، والأكثر على أنه لا يحرم سائر الاستمتاع قبل الكفارة ، وعن بعضهم التماس الاستمتاع مطلقاً **«ذَلِكُمْ»** : الحكم بالكفارة **«تَوْعَظُونَ بِهِ»** كى تترجروا به عن الظهار **«وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ الرِّقَّةَ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ^(١) مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا^(٢)»** ولا يجوز الجماع فى لىالى الشهرين ، فلو فعل فى الاستئناف خلاف **«فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ»** الصوم لمرض أو كبر أو فرط شهوة **«فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا»** وعن مالك : من يكفر بالإطعام يجوز له الوطء قبله ؛ لأنه غير مقيد بقوله : "من قبل أن يتماسا" وبيان كمية الإطعام لكل مسكين قد مر فى أواخر سورة المائدة **«ذَلِكَ»** أى فرض لك الذى بينا **«لَتُؤْمِنُوا»** لتصدقوا **«بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ»** فى قبول شرائعه وترك بدع الجاهلية ، **«وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ»** لا يجوز تعديها ، **«وَاللَّكَافِرِينَ»** عن ابن عباس رضى الله عنهما : لمن جحدته وكذبه **«عَذَابٌ أَلِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ يَعَادُونَ وَيَعَانِدُونَ شرعه «وَرَسُولُهُ كُتِبُوا»** أحزوا ولعنوا **«كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ»** ككفار الأمم الماضية **«وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ»** تدل على صدق ما جاء به الرسول **«وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ»** ظرف لمهين ، أو مفعول لا ذكر **«(*) جَمِيعًا»** مجتمعين **«فَيَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا»** من خير وشر **«أَخْصَاهُ اللَّهُ»** ضبطه عليهم **«وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ»**.

(١) متوالين لا يفطر فيهما فإن أفطر استأنف إن كان الإفطار لغير عذر وإن كان لعذر من سفر أو مرض فقال سعيد بن المسيب والحسن وعطاء بن أبى رباح وعمرو بن دينار والشعبي والشافعي ومالك : أنه يبنى ولا يستأنف وقال أبو حنيفة : إنه يستأنف وهو مروي عن الشافعي / ١٢فتح.

(٢) المماساة : الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة أو نظر إلى فرجها بشهوة / ١٢ منه.

(٥) أي: اذكر يوم.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى
 ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ
 إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
 عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ
 وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْآثِمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ
 يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ
 يَصْلَوْنَهَا فَيُشْسِ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا
 تَتَنَجَّوْا بِالْآثِمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا
 اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾
 يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ
 لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
 دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ
 فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُودِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ
 غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُودِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذَا لَمْ
 تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
 وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾
 ما يقع سر^(١) ثلاثة نفر وتناجيهم ﴿إِلَّا هُوَ﴾ أى الله ﴿رَابِعُهُمْ﴾^(٢) بالعلم والاستثناء من
 أعم الأحوال ﴿وَلَا خَمْسَةٍ﴾ أى ولا نجوى خمسة ﴿إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ وتخصيص
 العددين قبل لخصوص الواقعة ، فإنها نزلت لتناجى المنافقين ، أو لأن أهل النجوى لا
 يكونون إلا قليلين غالباً من الاثنين إلى ما دون العشرة ، فآثر الثلاثة^(٣) ليكون قوله "ولا
 أدنى من ذلك" دالاً على الاثنين وهو عدد لا يمكن التناجى بأقل منه ، والخمسة أيضاً
 ليكون "ولا أكثر" دالاً على السبعة ﴿وَلَا أَدْنَى﴾ أقل ﴿مِنْ ذَلِكَ﴾ كالاثنين ﴿وَلَا أَكْثَرَ﴾
 كالسبعة ، ولا لنفى الجنس ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ بالعلم وفى قراءة "وَلَا أَكْثَرَ" بالرفع هو
 عطف على محل من نجوى ، أى ما يكون أدنى ولا أكثر ﴿أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا
 عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى
 ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ كانت اليهود والمنافقون يتناجون^(٤) ، ويتغامزون بأعينهم
 لإغصاب المؤمنين فنهاهم النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم عادوا لمثله ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِاللِّثَمِ
 وَالْعُدْوَانِ﴾ بما هو إثم لهم ، وعدوان للمؤمنين ﴿وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ تواصل بمخالفته

(١) فسر يكون يقع إشارة إلى أن كان تامة ونجوى فاعل كان ومن زائدة لاستغراق
 النفي ١٢/ منه.

(٢) أخرج البيهقى فى الأسماء والصفات عن الضحاك "ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو
 رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم" قال: هو الله على العرش وعلمه معهم ١٢/ الدر
 المنثور.

(٣) إذ لو أوتر الأربعة وما فوقها مثلاً كان الأدنى الثلاثة دون الاثنين إلا على التوسع ولما
 أوترت جيء بالخمسة ليناسب الوترين ولأن الله تعالى وتر يحب الوتر/ ١٢ منه.

(٤) أخرج معنى هذه القصة ابن أبى حاتم عن مقاتل بن حيان ذكره السيوطى فى الدر
 المنثور. [الدر المنثور (٦/ ٢٦٩)]

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ يقولون: سام عليك، والسَّام: الموت
﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ فيما بينهم سرًّا ﴿لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ أى لو كان هو
نبيًّا فهلا يعذبنا الله بشتى ما إياه ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ عذابًا ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿فَبِئْسَ
الْمَصِيرُ﴾ جهنم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ كاليهود والمنافقين ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ بما يتضمن نفعكم
ونفع غيركم ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ إِنَّمَا النَّجْوَى أى ذلك النجوى
الذى هو بالإثم ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ فإنه الأمر به ﴿لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ليوهمهم أن
عليهم شرًّا ﴿وَلَيْسَ﴾ الشيطان أو التناجى ﴿بِضَارِهِمْ شَيْئًا﴾ من الضرر^(١) ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ فإنه هو حسبهم وكافهم.

﴿يَا أَيُّهَا^(٢) الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا﴾ توسعوا ﴿فِي الْمَجَالِسِ^(٣)﴾ فَافْسَحُوا
في المكان ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ^(٤)﴾ يوسع عليكم في الدارين ، نزلت حين جاء بعض من
أهل بدر^(٥) إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يوسع الصحابة لهم فكَرِهَ
عليه الصلاة والسلام ذلك كرامة لأهل بدر فأقام عليه الصلاة والسلام بعضًا ، وأمر
أهل بدر أن يجلسوا مكائهم ، فشق على البعض ذلك ، وفي الصحيحين : " لا يقيم
الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا". ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا﴾

(١) فيكون شيئًا مفعولًا مطلقًا لضارهم ، كأنه قال : ليس بضارهم ضررًا / ١٢ منه.

(٢) ولما نهى المؤمنين عما هو سبب للتباغض والتنافر أمرهم بما هو سبب التواد والتقارب
فقال: " يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا" الآية / ١٢ وحيز.

(٣) متعلق بتوسعوا / ١٢ منه.

(٤) أى في جميع الأمور من الرزق والصدر والقبر وكل ما ينبغي الوسعة فيه / ١٢
منه.

(٥) نقله محيي السنة عن مقاتل ونقل بعض المفسرين عن كثير من السلف / ١٢ منه.

انفضوا وقوموا لأكرمكم ﴿فَانشُزُوا﴾ فقوموا، وإذا قيل انفضوا للصلاة أو للجهاد أو إلى خير فلا تناقلوا ، أو إذا قيل لكم قوموا واخرجوا فإنهم إذا كانوا في بيته عليه الصلاة والسلام كل منهم يحب أن يكون آخرهم خروجاً فرمما يشق ذلك عليه صلى الله عليه وسلم لما له من حاجة ، فأمروا أنهم إذا أمروا بالانصراف يأتمروا سريعاً ﴿يَرْفَعُ﴾ ^(١) اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ﴿بطاعتهم لرسوله﴾ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ^(٢) دَرَجَاتٍ أَي ويرفع الله تعالى العلماء منهم خاصة ، ونصب درجات بالبدل من الذين آمنوا والذين أوتوا العلم ، أو بالتمييز، والمعنى : لا يحسب أحدهم أنه إذا تفسح ، أو أمر بالخروج فخرج يكون نقصاً في حقه ، بل هو رفعة ومرتبة عند الله تعالى ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ^(٣) نزلت حين كثرت مجالسة الأغنياء ومناجاتهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشق عليه ذلك ، فأمر الله تعالى الخلائق بالصدقة أمام مناجاته فانتهاوا عن كثرة المناجاة . عن على رضي الله عنه: هذه آية لم يعمل بها أحد قبلي ، ولا أحد يعمل بها بعدى ، كان عندى

(١) ومعنى الآية أنه يرفع الذين آمنوا على من لم يؤمن درجات، ويرفع الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا درجات ، فمن جمع بين الإيمان والعلم ، رفعه الله بإيمانه درجات ، ثم رفعه بعلمه درجات، قيل : المراد بالذين آمنوا من الصحابة وكذلك بالذين أوتوا العلم ، وقيل المراد: الذين قرءوا القرآن ، والأولى حمل الآية على العموم في كل مؤمن ، وكل صاحب علم من علوم الدين من جميع أهل هذه الملة ، ولا دليل على تخصيص الآية بالبعض دون البعض / ١٢ .

(٢) قيل : قوله "والذين أوتوا العلم درجات" مشعر بأن المراد بـ "انشزوا" قوموا لأكرمكم.

(٣) في الآية دلائل على وجوب تلك الصدقة ، وهو قوله: "فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم" وقوله: "وتاب الله عليكم" / ١٢ منه.

دينار فصرفته بعشرة دراهم ، فكنت إذا جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تصدقت بدرهم ، فنسخت فلم يعمل بها غيري (*) «ذَلِكَ»: التصدق «خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» هذا رخصة مناجاتهم للفقراء بلا تصدق «أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ»: أي: أحفتم تقديم الصدقة^(١) لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر ، وجمع الصدقات لجمع المخاطبين «فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا» ما أمرتم به «وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ» عذرهم ورخص لكم في أن لا تفعلوه «فَأَقِمْوُا^(٢) الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ» فلا تفرطوا فيهما «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ» في أوامره ونواهيه ؛ ليكون كالجابر «وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ».

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٥١﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٢﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٣﴾ لَنْ تَغْنَى عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿٥٥﴾ اسْتَحَوْذَ عَلَيْهِمْ

(٥) أخرجه الحاكم في "المستدرک" (٤٨٢/٢) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

(١) على ما فسرنا يكون "أن تقدموا" مفعول أشفقتهم وقيل : تقديره: أشفقتهم الفقر من أن تقدموا ، والأول أولى / ١٢ منه.

(٢) كأنه قيل : فلما قصرتم في ذلك ، فلا تقصروا في هذا / ١٢ منه.

الشَّيْطَانُ فَأَنْسَلَهُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ
 الْخَاسِرُونَ ﴿٦٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٦١﴾ كَتَبَ اللَّهُ
 لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
 وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ
 أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ
 وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا
 عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُقْلِحُونَ ﴿٦٣﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ (١) إِلَى الَّذِينَ الْمُنَافِقِينَ ﴿تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود ، كان
 المنافقون ينقلون إليهم أسرار المؤمنين ﴿مَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ لأنهم منافقون ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ من
 اليهود أيضًا ؛ لأنهم مذبذبون ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ وهو ادعاء الإسلام ﴿وَهُمْ
 يَعْلَمُونَ﴾ (٢) أن المحلون عليه كذب ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا
 يَعْمَلُونَ﴾ يعنى هذا العذاب ؛ لإصرارهم على سوء العمل ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ التى
 حلفوا بها ﴿جَنَّةً﴾ وقاية من القتل والنهب ﴿فَصَدُّوا﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يعنى
 بالحلف الكذب ، يقون أنفسهم ويأمنون وفى خلال أمنهم يصدون الناس عن الدين
 الحق ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ لَّنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ أى
 من عذابه ، أو شيئاً من الإغناء ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ نزلت

(١) ولما ذكر مساءة المنافقين فى نجواهم أعقبه بمساءة أخرى لهم فقال : "ألم تر إلى الذين"

الآية/ ١٢ وحيز.

(٢) فيه دليل على أن الكذب يطلق على ما يعلم المخبر عدم مطابقته وما لا يعلم/ ١٢

وحيز.

حين قال عليه الصلاة والسلام : سيأتيكم إنسان^(١) ينظر بعيني شيطان ، فإذا ناداكم فلا تكلموه ، فجاء رجل أزرق فقال له عليه الصلاة والسلام : علام تشتمني أنت وفلان ، فانطلق الرجل ، فدعاهم وحلفوا له ، واعتذروا إليه ﴿يَوْمَ يَعْتَصِمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ ظرف لن تغني ﴿فَيَخْلِفُونَ لَهُ﴾ لله تعالى على أنهم ما كانوا مشركين ﴿كَمَا يَخْلِفُونَ لَكُمْ﴾ كذبا في الدنيا أنهم منكم ﴿وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ حسبوا أن الأيمان الكاذبة تروج الكذب في الآخرة ، كما روجت في الدنيا ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ اسْتَحَوْذَ﴾ استولى ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ فلا يذكرون الله تعالى أصلاً ولا يصلون ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ﴾ جنود ﴿الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ﴾ يعادونه ﴿وَرَسُولُهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ في جملة من لهم ذل في الدارين .

﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ حكم وقرر ﴿لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ إما بالحجة وإما بها وبالسيف "ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون" [الصفات: ١٧١-١٧٢] الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يعنى لا يجتمع الإيمان ومحبة أعداء الله تعالى ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ أى من حاد الله ﴿آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾^(٢) أقاربهم ﴿أُولَئِكَ﴾ الذين لم يوادوهم ﴿كَتَبَ﴾ الله ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾: أثبتة فيها ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾: من عند

(١) رواه أحمد وغيره، ولا شبهة أن هذا الرجل من المنافقين/ ١٢ منه. [وقال الشيخ أحمد شاكر في "تعليقه على المسند" (٢٤٠٧): وإسناده صحيح.]

(٢) بدأ بالآباء لأن الواجب على الأولاد طاعتهم فنهاهم عن توادهم ثم ثنى بالأبناء لأنه أعلق بالقلوب ثم ثالثاً بالإخوان لأن لهم التعاضد ثم رابعاً بالعشيرة لأن بهم التناصر والمقاتلة/ ١٢ وجيز.

الله تعالى وهو النصر على العدو أو نور القلب ﴿وَيَدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ لما سخطوا على
القرائب لله تعالى عوضهم بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أنعم عليهم من الفضل العظيم
﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ أنصار دينه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بخير
الدارين.

اللهم اجعلنا منهم.

سُورَةُ الْحَشْرِ مَدِيَّةٌ

وَهِيَ أَرْبَعٌ وَعِشْرُونَ آيَةً، وَثَلَاثُ مِائَتِ مِائَةِ كَوَاعَاتٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١ هُوَ الَّذِي
اَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ اَهْلِ الْكِتٰبِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ اَنْ
يَخْرُجُوْا وَظَنُّوْا اَنْهُمْ مَّانِعَتُهُمْ حُصُوْنُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَاَتٰهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوْا
وَقَذَفَ فِي قُلُوْبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُوْنَ بُيُوْتَهُمْ بِاَيْدِيهِمْ وَاَيْدِی الْمُؤْمِنِيْنَ فَاعْتَبِرُوْا
يٰۤاُولِی الْاَبْصٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا اَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَلَهُمْ فِي الْاٰخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذٰلِكَ بِاَنْهُمْ شَاقُوْا اللَّهَ وَرَسُوْلَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ
فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِّنْ لِّیۡنَةٍ اَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلٰی
اُصُوْلِهَا فَبِاِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْرِیَ الْفٰسِقِيْنَ ﴿٥﴾ وَمَا اَقَاءَ اللَّهُ عَلٰی رَسُوْلِهِ مِنْهُمْ فَمَا
اَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خِيْلٍ وَلَا رِکَابٍ وَلٰكِنَّ اللَّهَ یُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلٰی مَنْ یَّشَآءُ وَاللَّهُ
عَلٰی كُلِّ شَیْءٍ قَدِیْرٌ ﴿٦﴾ مَا اَقَاءَ اللَّهُ عَلٰی رَسُوْلِهِ مِنْ اَهْلِ الْقُرْیَ فَلِلَّهِ
وَلِلرَّسُوْلِ وَلِیْدِ الْقُرْبٰی وَالْیَتٰمٰی وَالْمَسٰکِیْنِ وَابْنِ السَّبِیْلِ کَیْ لَا یَكُوْنَ
دُوْلَةٌ بَیۡنَ الْاَغْنِیَآءِ مِنْکُمْ وَمَاۤ اَتٰکُمُ الرُّسُوْلُ فَخُذُوْهُ وَمَا نَهٰکُمْ عَنْهُ فَاَنْتَهُوْا
وَاتَّقُوا اللَّهَ اِنَّ اللَّهَ شَدِيْدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاۤءِ الْمُهَاجِرِیۡنَ الَّذِیۡنَ اُخْرِجُوْا مِنْ
دِیَارِهِمْ وَاَمْوَالِهِمْ یَبْتَغُوْنَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَیَنْصُرُوْنَ اللَّهَ وَرَسُوْلَهُ
اُولٰٓئِکَ هُمُ الصَّٰلِحُوْنَ ﴿٨﴾ وَالَّذِیۡنَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْاِیۡمٰنَ مِنْ قَبْلِہُمْ یُحِبُّوْنَ مَنْ

هَاجَرِ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُقْلِحُونَ ﴿١٠﴾
وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾

«سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» "وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم" [الإسراء: ٤٤] «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» بنى النصير «مِنْ دِيَارِهِمْ» لما نقضوا العهد أحل الله بهم بأسه فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم الحصينة التي ما طمع بتسخيرها أحد إلى أذرعات من أعمال الشام وهى أرض الحشر ولذلك قال: «لِأَوَّلِ»^(١) الْحَشْرِ أى: لابتداء^(٢): الحشر صرح به ابن عباس رضى الله عنهما وكثير من

(١) اللام متعلق بأخرج وهى لام التوقيت أى عند أول الحشر كأقم الصلاة للدُّلوك الشمس/١٢.

(٢) قد أجمع المفسرون على أن هؤلاء المذكورين فى الآية هم بنو النصير ولم يخالف فى ذلك إلا الحسن البصرى فقال: هم بنو قريظة وهو غلط فإن بنى قريظة ما حشروا بل قتلوا بحكم سعد بن معاذ أخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل عن عائشة قالت: كانت غزوة بنى النصير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر وكان مترهم ونخلهم فى ناحية المدينة فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء على أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتعة والأموال إلا الحلقة يعنى السلاح فأنزل الله فيهم "سبح لله ما فى السموات" إلى آخر القصة/ ١٢ الدر المنثور.

السلف^(١) وعن الحسن رضى الله عنه قال عليه الصلاة والسلام لبني النضير: "هذا أول الحشر وأنا على^(٢) الأثر" قيل: هم أول من أجلى من جزيرة العرب فهم أول المحشورين فإن الحشر إخراج جمع من مكان إلى آخر «مَا ظَنَنْتُمْ» أيها المؤمنون «أَنْ يَخْرُجُوا» لشدة حرصهم وشدّة حصونهم «وَوَظَّنُوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ» أى: زعموا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله تعالى فحصونهم مبتدأ ومانعتهم خبره، أو حصونهم فاعل مانعتهم، لاعتماده فإنه فى الحقيقة خبر المبتدأ وفى هذا النظر^(٣) دلالة على فرط وثوقهم بحصونهم واعتقادهم أنهم فى عزة بسببها «فَأَتَاهُمُ اللَّهُ» عذابه «مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا» من حيث لم يخطر ببالهم «وَوَقَدَفَ» ألقى «فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ» يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ» الحملة حال «بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ» فإنهم يقطعون الأبواب وما استحسّنوه من السقوف ويحملون معهم والباقي يخبره المؤمنون واليهود عرضت المؤمنين لذلك وكانت السبب فيه فهم خربوا ديارهم بأيدي المؤمنين «فَاعْتَبِرُوا» فاتعظوا «يَا أُولِى الْأَبْصَارِ» ولا تتبعوا أفعالهم وعقائدهم «وَلَوْ لَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ» الخروج من الوطن «لَعَذَّبْنَاهُمْ فِى الدُّنْيَا» أى: لأنزل عليهم بلاء آخر كالقتل والسبى فإنه قد كتب أنه سيعذبهم فى الدنيا «وَلَهُمْ فِى الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ» أى هذا لهم حتم لازم على أى حال «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا» عاندوا وخالفوا «اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ مَا قَطَعْتُمْ» ما منصوب بقطعتم أى: أى شيء «مَنْ لَيِّنَةٍ» هى نوع خاص من النخل أجودها فى ألوان التمر أو سوى العجوة والبرنى أو

(١) رواه ابن جرير وغيره/ ١٢/ وجيز.

(٢) والمشهور أن أرض الشام محشر الخلق يجمع الخلق فيها إلى أرض محشر القيامة وقد صرح بذلك ابن عباس - رضى الله عنه - وجم غفير من عظماء السلف / ١٢/ وجيز.

(٣) الذى هو من باب تقديم الخبر على المبتدأ حيث لم يقل أن حصونهم تمنعهم دلالة على فرط وثوقهم بحصونهم فكانه لا حصن أمنع من حصونهم / ١٢.

جميع أنواع النخل ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾ فائدة هذا القيد أنه يعلم منه أنهم كانوا يستأصلون ما يقطعون من أصوله وبنياته ولا يخلون ساقها ﴿فَيَاذَنُ^(١) اللَّهُ﴾ بأمره ورضائه. نزلت لما حاصره وأمر عليه الصلاة والسلام بقطع نخيلهم إرغاماً لقلوبهم، قالوا إنك تنهى عن الفساد ثم تفسد في الأرض فحاك ذاك في صدور المؤمنين ﴿وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾ علة لخدوف أى: أذن لهم فى قطع بعض وإبقاء بعض ليخزيهم على فسقهم بمزيد حسرتهم وغيظهم ﴿وَمَا أَفَاءُ﴾ ما منصوب بأفاء أى: الذى رده ﴿اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ من تلك اليهود من الأموال ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ﴾ ما نافية أى ما أجرىتم ﴿عَلَيْهِ﴾ على تحصيله ﴿مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ^(٢)﴾ والركاب ما يركب من الإبل، يعنى إنما مشيتم على أرجلكم لقرهم منكم ولا تعبتم بالسفر والقتال ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رَسُولَهُ^(٣) عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا تطمعوا أن يكون مال الفيء كمال الغنيمة أربعة أخماسها لكم بل ما هو لكم من الغنيمة هو من الفيء للنبي صلى الله عليه وسلم ولذلك ما أعطى الأنصار منه إلا ثلاثة نفر منهم ﴿مَّا أَفَاءَ اللَّهُ

(١) فى البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل

بنى النضير وقطع وهى البويرة ولها يقول حسان رضى الله عنه:

لهان على سراة بنى لؤى حريق بالبويرة مستطير

فأنزل الله "ما قطعتم من لينة" ١٢/ فتح.

(٢) والآية إن نزلت قبل فتحهم كانت مخيرة بغيب وإن كانت بعد حصول الأموال كان

ذلك بيانا لما يستقبل ١٢/ وجيز.

(٣) أخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن عمر بن الخطاب قال: كانت أموال بنى النضير مما

أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ومما لم يوجف عليه المسلمون بنخل ولا ركاب

وكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنة ثم

يجعل ما بقى فى السلاح والكراع عدة فى سبيل الله/ ١٢ فتح.

عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى» جميع البلدان الذى يفتح «فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ» جملة ما أفاء الله بيان للجملة السابقة، ولذلك لم يعطف، كأنه لما قيل: ما خول الله برسوله من أموال بنى النضير شيء لم يحصلوه بالقتال، فلا يقسم قسمة الغنائم . قيل: كيف يقسم؟ قيل: "ما أفاء الله" الآية . فعلم أن مال الفبيء، وهو مال أخذ من الكفار من غير قتال، ولا إيجاب خيل وركاب ليس للجنود فيه نصيب، بل هو مختص للرسول، ولذى القربى، والثلاثة الباقية^(١). وعلم من الحديث أنه ينقسم بخمسة؛ أربعة أخماس لخاصة النبي -صلى الله عليه وسلم، والخمس الباقى ينقسم على هؤلاء الخمسة، وبيان المصارف قد مر فى سورة الأنفال فلا نعيده «كَيَّ لَا يَكُونَنَّ» الفبيء «دُولَةً» ما يتداول «بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ» فلا يصيب الفقراء كأيام الجاهلية «وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ» أى: ما أمر به «فَخُذُوهُ» تمسكوا به «وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ» عن إتيانه «فَانتَهُوا» عنه أو ما أعطاكم من المال فاقبلوا وما نهاكم عن أخذه فانتهوا «وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ»^(٢) لمن خالف «لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ» بدل من المساكين، أو من لذى القربى، وما عطف عليه «الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ» فإن كفار مكة أخذوا أموالهم «يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا» جملة حاله «وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ» فى دعوى

(١) نصدق أن المجموع لهؤلاء الخمسة لا نصيب للغزاة فيه فإن مطمح نظرهم أن يكون الفبيء كالغنيمة فتكون أربعة أخماس لهم والخمس لهؤلاء الخمسة فبين الله لهم أن المجموع لهؤلاء الخمسة فتأمل / ١٢ منه.

(٢) عن أبى رافع إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيته عنه فيقول: لا أدري ما وجدنا فى كتاب الله اتبعناه". أخرجه أبو داود والترمذى وقال: هذا حديث حسن / ١٢ فتح. [وصححه الشيخ الألبانى فى "صحيح الجامع"]

الإيمان ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ جعلوا الإيمان مستقرا لهم كما جعلوا المدينة كذلك أى: لزموا المدينة والإيمان، وتمكنوا فيهما^(١) والتعريف فى الدار؛ للتنويه، كأنها الدار التى تستحق أن يسمى داراً ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من قبل هجرتهم، وهم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ﴾ فى أنفسهم ﴿حَاجَةً﴾ كحسد وغيظ ﴿لَمَّا أُوتُوا﴾ أى لا يجدون من مال أعطى المهاجرون فى أنفسهم حقداً وغرضاً، فإنه قد قسم مال بنى النضير بين المهاجرين دون الأنصار ﴿وَيُؤْتِرُونَ﴾ يقدمون المهاجرين ﴿عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ فيما عندهم من الأموال ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجة إلى ما عندهم نزلت حين انطلق رجل من الأنصار برجل، قال عليه الصلاة والسلام فى شأنه: "رحم الله من يضيفه الليلة إلى بيته"، ولم يكن فى بيته سوى قوت صبيانه، فنومهم وأطعمه قوتهم، فبات هو وعياله جائعين. فقال عليه الصلاة والسلام: "ضحك^(٢) الله من فلان"^(٣) ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ من سلم من الحرص الشديد الذى

(١) على ما ذكرنا تبوعوا الإيمان من الاستعارة المكنية وقيل: هو من قبيل علفتها تينا وماء باردا أى تبوعوا الدار وأخلصوا الإيمان/ ١٢ منه.

(٢) أخرجه البخارى ومسلم وغيرهما/ ١٢ فتح.

(٣) قال شيخ الإسلام أبو العباس فى بعض فتاواه: وقول القائل: إن الضحك خفة روح ليس بصحيح وأن ذلك قد يقارنه ثم قول القائل خفة الروح إن أراد به وصفا مذموما فهذا يكون لما لا ينبغي أن يضحك منه وإلا فالضحك فى موضعه المناسب له صفة مدح وكمال وإذا قدر حيان أحدهما يضحك مما يضحك منه والآخر لا يضحك قط كان الأول أكمل من الثانى ولهذا لما قال النبى صلى الله عليه وسلم: "ينظر إليكم أذلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب فقال له أبو رزين العقيلي: يا رسول الله أو يضحك الرب؟! قال: "نعم" قال لن نعدم من رب يضحك خيرا، فجعل الأعرابى العاقل بصحة فطرته ضحكه دليلا على إحسانه وإنعامه، فدل على أن هذا الوصف مقرون

يحمّله على ارتكاب المحارم ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ﴾ المراد التابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾ في الدين ﴿الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا﴾. ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ واعلم أن للفقراء لا يمكن أن يكون بدلاً من الله وللرسول؛ لأن الرسول أيضاً لا يسمى فقيراً، فهو بدل من لذوى القربى وما بعده، ومن لم يشترط في ذوى القربى الفقر، يقول: إن للفقراء ليس للفقيد، بل بياناً للواقع من حال المهاجرين، وإثباتاً لمزيد اختصاصهم، وأن قوله: "وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ" عطف على الفقراء، لا على المهاجرين، سيما وقد ثبت فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل الخلفاء رضى الله

= بالإحسان المحمود وأنه من صفات الكمال، والشخص العبوس الذى لا يضحك قط هو مذموم بذلك، وقد قيل في اليوم الشديد العذاب: إنه يوما [كذا بالأصل] عبوسا قمطيريا . وقد روى أن الملائكة قالت لآدم: حياك الله وبياك، أى: أضحكك، والإنسان حيوان ناطق ضاحك وما تميز به الإنسان عن البهيمة صفة كمال فكما أن النطق صفة كمال فكذلك الضحك صفة كمال فمن يتكلم أكمل ممن لا يتكلم، ومن يضحك أكمل ممن لا يضحك وإذا كان الضحك فينا مستلزماً لشيء من النقص، فالله تعالى منزّه عن ذلك، وذلك النقص مختص لا عام فليس حقيقة الضحك مطلقاً مقرونة بالنقص كما أن ذواتنا وصفاتنا مقرونة بالنقص ووجودنا مقرون بالنقص، ولا يلزم أن لا يكون الرب موجوداً وأن لا يكون له ذات ومن هنا زلت القرامطة الغلاة كصاحب الأقاليد وأمثاله فأرادوا أن ينفوا عنه كل ما يعلم بالقلب أو ينطق به اللسان من نفى وإثبات فقالوا: لا نقول موجود ولا لا موجود ولا موصوف ولا لا موصوف مما في ذلك على زعمهم من التشبيه؛ وهذا يستلزم أن يكون ممتنعاً وهو مقتضى للتشبيه بالممتنع والتشبيه للممتنع عن الله أن يشارك المخلوقات في شيء من خصائصها، أو أن يكون مماثلاً لها في شيء من صفاته كالحياة والعلم والقدرة فإنه وإن وصف به فلا تماثل صفة الخالق صفة المخلوق كالحدث والموت والفناء والإمكان/ ١٢.

عنهم من بعده أنهم يعطون الأغنياء من ذوى القربى وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين قرأ هذه الآية إلى قوله: "رُعُوفٌ رَحِيمٌ" قال: استوعبت هذه المسلمين وليس أحد إلا له حق، وقد خطر بخاطرى أن الله تعالى سَمَّى جميع المهاجرين والأنصار والتابعين فقراء، وإن كانوا أغنياء؛ لأنه لو كان المراد فقراءهم؛ لناسب أن يقول لفقراء المهاجرين بطريق الإضافة. وعن بعض المفسرين أن قوله: "للفقراء" ليس بدلاً بل تقديره اعجبوا^(١) لهم فإن السياق فى مدحهم، فإنه لما أمر باتباع الرسول عَجَّب الناس اتباع هؤلاء، والذى يؤيده قوله: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا" مُصَدِّراً بقوله: "أَلَمْ تَرَ" وهى كلمة للتعجب، فإن ذكرهم جاء مقابلاً لذكر أضدادهم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٥﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلِّنَ الْأََدْبَرُ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿٦﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٨﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ فَكَانَ عَقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾﴾

(١) العجب مستعمل باللام كقوله: عجبى لمولود وليس له أب/ ١٢ منه.

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ هُمْ
بنو قريظة والنضير «لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ» من المدينة «لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ» نوافقكم ونرافقكم
«وَلَا تُطِيعُ فِيكُمْ» في إخلاف ما وعدناكم وفي قتالكم «أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ
لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ
قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ» وقد وقع كذلك فإن ابن أبي وأصحابه عاهدوهم على ذلك ثم
أخلفوهم «وَلَئِنْ تَصَرُّوهُمْ» على الفرض^(١) «لَيُؤَلَّنَّ الْأَذْبَارَ» لينهزمون «ثُمَّ لَا
يَنْصُرُونَ» بعد ولا ينفعهم نفاقهم . قيل: معناه لينهزم من اليهود، ثم لا ينفعهم نصرة
المنافقين «لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً» رهوبية مصدر فعل المجهول؛ لأنهم مرهوب منهم لا
راهبون «فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ» لأن نفاقهم من خوفكم، ولو خافوا من الله لتركوا
النفاق «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ» فإنه لو كان لهم دراية، لعلموا أن الله هو الحقيق
بأن يخشى «لَا يُقَاتِلُونَكُمْ» اليهود «جَمِيعًا» مجتمعين «إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ
وَرَاءِ جُدُرٍ» لا يبرزون لقتالكم لفرط خشيتهم منكم وإن كانوا مجتمعين «بِأَسْهُمٍ»
شدقهم في الحرب «بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ» يعنى إذا حارب بعضهم بعضا فيشتد بأسهم لكن إن
قاتلوكم لم يبق لهم تلك الشدة «تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا» متفقين «وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى» متفرقة
وأصل الحرب الاتفاق «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ» فإن العقل هو الداعى إلى الاتحاد
والاتفاق، وعن بعض^(٢) تحسبهم أى: اليهود والمنافقين «كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
قَرِيبًا» أى: مثل اليهود كمثال الذين استقروا من قبلهم في زمان قريب، وهم أهل بدر

(١) قوله: على الفرض، إشارة إلى أن قوله: "ولئن نصروهم" بعد "ولئن قوتلوا لا ينصروهم"

لا منافاة / ١٢ منه.

(٢) هو قول إبراهيم النخعي / ١٢.

أو يهود بنى قينقاع^(١)، فقد أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلهم ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ سوء عاقبة كفرهم في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ كَمَاثِلُ الشَّيْطَانِ﴾ أى: مثل المنافقين في إغراء اليهود كمثل الشيطان ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ﴾ تبرأ عنه في العاقبة، كما فعل براهب^(٢) حمله على الفجور^(٣)، ثم على سجوده، ثم تبرأ منه . وكما قال يوم بدر: "لا غالب لكم اليوم من الناس، وإني جار لكم" إلى قوله: "إني بريء منكم" [الأنفال: ٤٨] ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

(١) فقد أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى النضير بزمان قريب من المدينة فكانوا أمثالهم صرح بذلك ابن عباس رضى الله عنهما / ١٢ وحيز.

(٢) عن علي بن أبي طالب إن رجلا كان يتعبد في صومعة، وأن امرأة كان لها اخوة فعرض لها شيء فأتوه بها فزينت له نفسه فوقع عليها فحملت، فجاءه الشيطان فقال: اقتلها فإنهم إن ظهروا عليك افتضحت فقتلها ودفنها فجاءوه وأخذوه فذهبوا به فبينما هم يمشون إذ جاءه الشيطان فقال: إني أنا الذى زينت لك فاسجد لى سجدة أنجيك فسجد له، فذلك قوله: "كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر" الآية أخرجه أحمد في الزهد والبخارى في تاريخه والحاكم وصححه والبيهقى وغيرهم / ١٢ فتح. [وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر كما في "الدر المنثور" (٢٩٥/٦)]

(٣) واسمه برصيصة مشهورة ذكرها البغوى وأوردها السيوطى في الدر المنثور عن على وابن مسعود وابن عباس وقولهم: عن أبي أمامة مرفوعا وعزاه إلى البيهقى / ١٢ كمالين.

(٤) ولما انقضى في هذه السورة أحوال اليهود والمنافقين وسيرتهم وعظ المؤمنين فإن الموعدة بعد ذكر عيوب الأعداء أنفع فقال: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله / ١٢ وحيز.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١٧﴾ لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نُضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٨﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٩﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٠﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢١﴾﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾^(١) ﴿انظروا ما ادخرتم ليوم القيامة﴾ ﴿واتقوا الله﴾ تكرير للتأكيد ﴿إن الله خير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله﴾ ﴿نسوا حقه﴾ ﴿فأنساهم﴾ ﴿الله﴾ ﴿أنفسهم﴾ ﴿حق أنفسهم فلم يفعلوا مل ينفعهم﴾ ﴿أولئك هم الفاسقون﴾ ﴿الكاملون في الفسق﴾ ﴿لا يستوى أصحاب النار﴾ ﴿الذين نسوا الله فلم يتقوا﴾ ﴿وأصحاب الجنة﴾ ﴿الذين عرفوا حق الله فاتقوا﴾ ﴿أصحاب الجنة هم الفائزون﴾^(٢) ﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل﴾ وخطبناه بالأمر والنهي

(١) عبر عنه بالغد لأنه كائن قريب قيل كأن الدنيا والآخرة هاران يوم وغد وتنكيره لتعظيمه

وإهام أمره كأنه قال: لغد لا يعرف كنهه لعظمه / ١٢ وحيز.

(٢) قالوا: لأن فرضنا بعثا وقيامه فمزلنا أعظم / ١٢ وحيز.

وفهمناه الحكم والمثل «لَرَأَيْتُهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا» متشققا «مَنْ خَشِيَ اللَّهَ وَتَلَكَ الْأَمْثَالُ» التي في القرآن «نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» والمراد توبيخ الإنسان على عدم تخشعه وقلة تدبره وعدم الاعتاظ بالقرآن «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ» ما غاب عنا «وَالشَّهَادَةِ» وما حضر «هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ» الطاهر البليغ في التزاهة عن كل نقصان «السَّلَامُ» ذو السلامة من كل نقص «المُؤْمِنُ» واهب الأمن أو المصدق للمؤمنين والكافرين في وعدهم ووعدهم «المُهَيِّمِنُ» الرقيب المطلق على السرائر «الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ»^(٢) العظيم أو الذي جبر خلقه على مراده أو جبر حالهم

(١) كرهه لأن التوحيد هو المقصود الأصلي / ١٢ وجيز.

(٢) فيه وجوه أحدها أنه فعال من جبر إذا أغنى الفقير وأصلح الكسير . قال الأزهري وهو

جابر كل كسير وفقير، وهو جابر دينه الذي ارتضاه . قال العجاج:

قد جبر الدين الإله فجبر

والثاني أن يكون الجبار من جبره على، إذا أكرهه على ما أَرَادَهُ. قال السدي: إنه الذي

يقهر الناس ويجبرهم على ما أَرَادَهُ. الثالث: قال ابن الأنباري: الجبار في صفة الله الذي

لا ينال الرابع قال ابن عباس: الجبار هو الملك العظيم هذا ما في الكبير . وقال الحافظ

العلامة شمس الدين ابن القيم رحمه الله في النونية.

وكذلك الجبار من أوصافه والجبر في أوصافه قسمان:

جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ذا كسرة فالجبر منه دان

والثاني: جبر القهر بالعز الذي لا ينبغي لسواه من إنسان

وله مسمى ثالث وهو العلو فليس يدنو منه من إنسان

من قولهم جبارة للنخلة العليا التي فاقت لكل بنان

وأصلحها «الْمُتَكَبِّرُ»^(١) الذى تكبر عن كل نقص وأصل الكبرياء الامتناع «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ» المقدر «الْبَارِئُ» المبرز الموجب لما قدر «الْمُصَوِّرُ» الممثل للمخلوقات الموجد لصورها «لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» بلسان قائله أو حاله «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» وفى مسند الإمام أحمد والترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، ثم قرأ الثلاث الآيات من آخر سورة الحشر، وكل الله به سبعين ألف ملك، يصلون عليه حتى يمسي، فإن مات ذلك اليوم مات شهيداً، ومن قالها حين يمسي كان بتلك المترلة".

(١) واعلم أن المتكبر فى حق الخلق اسم ذم لأن التكبر هو الذى يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص فى حق الخلق لأنه ليس له كبر ولا علو بل ليس معه إلا الحقارة والذلة والمسكنة، فإذا أظهر العلو كان كاذبا فكان ذلك مذموما فى حقه أما الحق سبحانه فله جميع أنواع العلو والكبرياء فإذا أظهره فقد أرشد العباد إلى تعريف جلاله وعلوه؛ فكان ذلك فى غاية المدح فى حقه سبحانه، ولهذا السبب لما ذكر هذا الاسم قال: "سبحان الله عما يشركون". كأنه قيل: إن المخلوقين قد يتكبرون ويدعون مشاركة الله فى هذا الوصف لكن الله سبحانه منزّه عن التكبر الذى هو حاصل للخلق/ ١٢ كبير.

سُورَةُ الْمُتَحَنِّةِ مَدِيَّةٌ
وَايَاتُهَا ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَفِيهَا مَرْكُوعَانِ .
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهْدًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِنْ يَشَقِّقُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أُولَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَآغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ

الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ *

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ نزلت في حاطب بن (١) أبي بلتعة، لما كتب إلى كفار مكة، حين أراد عليه الصلاة والسلام الخروج إلى مكة - إن المؤمنين قد جاءوكم فاحذروا، وأرسل بيد امرأة، قبعث عليه السلام عليًّا وعمارًا وغيرهما، وأخذوا منها الكتاب، فخطب عليه السلام حاطبًا فقال: يا رسول الله، والله إلى المؤمن بالله ورسوله، لكن كنت امرئًا ملصقًا في قريش، عندهم أهلى ومالى، ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله، فكبت إليهم بذلك . فقال عليه السلام: "صدق حاطب، لا تقولوا له إلا خيرًا" ﴿تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ﴾ أخبار المؤمنين ﴿بِالْمُودَّةِ﴾ بسببها أو تفضون إليهم بالمودة، فيكون من باب التضمين، لا أن الباء زائدة والجملة حال أو صفة لأولياء ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ حال من الفاعل ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَيَاكُمُ﴾ أى: من مكة استئناف أو حال من كفروا ﴿أَنْ تُوْمِنُوا﴾ أى: بأن تؤمنوا ﴿بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ﴾ من الأوطان ﴿جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ جواب الشرط ما يدل عليه لا تتخذوا ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَةِ﴾ مثل تلقون إليهم بالمودة، والجملة استئناف، كأنه قيل: لم لا تتخذ؟ فقيل تسرون إلى آخره، يعنى توادوهم سرًا، وأنا مطلع على سركم ومطلع عليه رسولى، فلا طائل ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ﴾ منكم ﴿بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ﴾ أى: الاتخاذ ﴿مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ طريق الصواب ﴿إِنْ يَتَّقُواكُمْ﴾ يظفروا بكم ويغلبوكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءَ﴾ ولا ينفعكم إلقاء المودة ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾ كالقتل والضرب والشتم ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ (٢) تمنوا ارتدادكم ولو للتمني، يعنى لا

(١) كما في البخاري/ ١٢.

(٢) يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدين والدنيا جميعا من قتل الأنفس وتمزيق الأعراض وردكم كفارا ومضار الدين الذى هو ردكم كفارا أسبق المضار منهم لعلمهم أن

توادوهم فإنهم معكم في نهاية العداوة ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ﴾ قراياتكم ﴿وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾ الكفار ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ فيدخل المؤمن الجنة والكافر النار، أو لا ينفعكم إلا طاعة الله لا الأقارب والأولاد، فإنه يوم يفرق بينكم؛ بأن يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبه وبنيه ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(١) قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ^(٢) حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَي فِيهِمْ خصلة من حقها أن يؤتسى بها، ويتبع ﴿إِذْ قَالُوا﴾ ظرف لخبر كان ﴿لِقَوْمِهِمُ﴾ الكفار ﴿إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ بدينكم ومعبودكم ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ فإنه حينئذ ينقلب العداوة والبغضاء موالاة ومحبة ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ أَي لَكُمْ فيه خصلة من حقها الاتباع إلا هذا قال تعالى: "ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين"، إلى قوله "إن إبراهيم لأواه حلیم" (التوبة: ١١٣-١١٤)، ﴿وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ من تمام قوله لأبيه ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ من تمام الأسوة الحسنة ﴿وَالَيْكَ أَتَيْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ رَبَّنَا لَا

= الدين أعز، ولأجل هذا ودوا بصيغة الماضي بعد ذكر المضارع في الشرط والجزاء/ ١٢ منه.

(١) ولما نهي الله عن موالاة الكافرين ذكر قصة إبراهيم فإنه متبع لا في الأمور في نوع مولاته لأبيه فقال: "قد كانت لكم" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) كرر الحث على الائتساء بإبراهيم وقومه تقريرا وتأكيذا عليهم، وقيل: ذكر في الآية شيعين أحدهما: "إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم" الآية . والثاني ما دعوا الله به "ربنا عليك توكلنا" الآية فقال الله تعالى: "لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة" فيما قالوا لقومهم: إنا براء منكم. ولكم فيهم أسوة حسنة فيما دعوا الله به حين قصد الكفار جفاهم يعنى اقتدوا بهم في كليتهما وقيل روا بووكه اين دوامر بدووفت آنده باشد./ ١٢ (زاهدى).

تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا ۖ لَا تَعَذِّبْنَا بِأَيْدِيهِمْ وَلَا بَعَذَابٍ آخَرَ فَيَقُولُوا لَوْ كَانُوا عَلَى الْحَقِّ مَا أَصَابَهُمْ ذَلِكَ فَيَفْتَنُوا أَوْ لَا تَسْلُطْهُمْ عَلَيْنَا فَيَفْتَنُونَا ۖ ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ كرر لمزيد الحث والتأكيد ولهذا صدره بالقسم وجعل قوله: ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ بدل بعض من لكم وعقبه بقوله: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ عن الاقتداء ويتوال الكفار ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فلا يضر الله بل لا يضر إلا نفسه.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٥ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتُلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٦﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُواكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَلَّهُوْا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَسَلُّوْا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتَّوَا الدِّينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٩﴾ يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ

وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَيْنِ يَفْتَرِيْنَهُ بَيْنَ أَيْدِيْهِنَّ وَأَرْجُلَيْهِنَّ وَلَا يَعَصِيْنَكَ فِيْ مَعْرُوفٍ فَبَايَعُهُنَّ وَأَسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦﴾ يَأْتِيْهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٧﴾

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْْتُمْ مِنْهُمْ﴾ أى مشركى مكة ﴿مَوَدَّةً﴾ بأن يهديهم فألف بين قلوبكم ﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(١) لما فرط منكم من الموالاة ومنهم حين الكفر ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ﴾ أى عن الإحسان إلى الكفرة الذين ﴿لَمْ يَقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ بدل اشتغال من الذين ﴿وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ تفضوا إليهم بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ نزلت حين جاءت أم أسماء بنت أبى بكر هدايا فأبت أسماء أن تقبل وأن تدخل بيتها؛ لأن أمها مشركة ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا بِكُمْ وَاتَّفَقُوا وَأَعَانُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾ بدل من الذين ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢) يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا^(٣) إِذَا

(١) ثم إنه تعالى بعد ما ذكر من ترك انقطاع المؤمنين بالكلية عن الكفار رخص في صلة الذين لم يقاتلوهم من الكفار فقال: "لا ينهاكم الله" الآية .

(٢) والحاصل أن من يضرركم في كفره فلا توالوهم، ولما كان إرجاع أحد عند قومه من الموالاة بين أمره فقال: "يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات" الآية / ١٢ وجيز .

(٣) في نظم هذه الآيات وجه حسن معقول وهو أن المعاند لا يخلو من أحد أحوال ثلاثة إما أن يستمر عناده أو يرجى منه أن يترك العناد أو يترك العناد ويستسلم، وقد بين الله تعالى في هذه الآيات أحوالهم وأمر المسلمين أن يعاملوهم في كل حالة على ما يقتضيه الحال، أما قوله تعالى: "قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا إننا

جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ» كان النبي عليه السلام يحلفهن أنهن ما خرجن إلا لحب الإسلام لا لفرار من أزواجهن ولا لعشق أحد «اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ» بظهور الأمارات^(١) وسماه علما ليعلم أن الظن الغالب في مثل هذا المقام كالعلم «فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ» لأن المسلمة لا تحل للكافر وفي العبارة تأكيد ومبالغة لا يخفى ومنه علم أنه حصلت الفقرة ولا يجوز استئناف النكاح «وَأَتَوْهُمْ» أى: أزواجهن الكفار «مَا أَنْفَقُوا» عليهن من المهر «وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ» فإن الإسلام أبطل الزوجية^(*) «إِذَا أَتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ» مهورهن هذا القيد ليعلم أن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام مهرهن بل لابد من إصداد، وقد تقدم أن صلح الحديبية على أن من جاءنا منكم رددناه إليكم فهذه الآية مخصصة لعهدهم^(٢) نقض الله العهد بينهم في النساء خاصة، وقد كان في ابتداء الإسلام جائز أن يتزوج المشرك مؤمنة، وهذه الآية ناسخة، والأكثر على أنها متى انقضت^(٣) العدة ولم يسلم الزوج انفسخ نكاحها

= براء منكم" فهو إشارة إلى الحالة الأولى ثم قوله: "عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة" إشارة إلى الحالة الثانية ثم قوله: "يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات" إشارة إلى الحالة الثالثة ثم فيه لطيفة وتلبية وحث على مكارم الأخلاق، لأنه تعالى ما أمر المؤمنين في مقابلة تلك الأحوال الثلاث بالجزاء إلا بالتي هي أحسن وبالكلام إلا بالذى هو أليق/ ١٢ كبير.

(١) والظن الغالب في أعمال الشرع في حكم العلم/ ١٢ وحيز.

(*) أى: بين المسلم والكافرة، أو بين المسلمة والكافر وهو ما أراده هنا.

(٢) والحكم برد الصداق إنما هو في نساء أهل العهد وأما من لا عهد فلا رد/ ١٢ منه.

(٣) وعلم من قولنا: متى انقضت العدة أن هذا الحكم في المدخولة فإن غير المدخولة حكمها

الفسخ حين إسلامها فليس عليها العدة/ ١٢ منه.

منه، ويحكم بالانفساخ من حين إسلامها ﴿وَلَا تُمَسِّكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ جمع عصمة أى: ما اعتصم به من عقد ونسب، والكوافر جمع كافرة، هذا التحريم من الله على المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن أيضا ولذلك لما نزل طلق عمر^(١) رضى الله عنه امرأتين مشركتين له بمكة ﴿وَأَسْأَلُوا﴾ أيها المؤمنون من الكفار ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ من صدق نسائكم اللاحقات بالكفار ﴿وَلَيْسَ أَسْأَلُوا﴾ أى: المشركون ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ من صدق المهاجرات، أمر المؤمنين بأن يكون العهد بينكم كذا فطالبوهم بصدق المرتدات ويطالبوكم بصدق المهاجرات المؤمنات ﴿ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ﴾ إشارة إلى جميع ما ذكر فى الآية ﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ استئناف ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ والأمر ببرد الصدق إلى الكفار لأجل العهد وإلا لم يجب ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ﴾ انفلت منكم ﴿شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ أحد منها أى: من كانت ﴿إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ﴾ جاءت نوبتكم من العقبة وهى النوبة أو أصبتم من الكفار العقبى أى: الغيمة وعليه كلام الأكثرين والحديث يؤيده ﴿فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ﴾ إلى الكفار ﴿مِّثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ مما فى ذمتكم من مهر المهاجرات، أو من مال الغيمة^(٢) نزلت حين نزلت الآية المتقدمة وأبى المشركون أن يؤدوا مهر الكوافر، وحاصله: إن لم يؤدوا مهر المرتدة المنفلتة منكم فلا تؤدوا أنتم أيضا إلى الكفار مهر المهاجرة المنفلتة منهم، حين جاءت نوبتكم، بل أعطوا زوج المرتدة منكم مثل مهرها، مما فى ذمتكم من مهر المهاجرات، أو أعطوا زوجها مثل مهرها من مال الغيمة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾^(٣) يَأْتِيهَا النَّبِىُّ إِذَا جَلَدَكَ

(١) كما فى البخاري/ ١٢ وحيز.

(٢) قالوا: هذا حكم الله فى تلك النازلة خاصة بإجماع الأمة، قال القشيري: قال قوم: هذا الحكم ثابت إلى الآن نزلت حين نزلت الآية المتقدمة وأبى المشركون أن يؤدوا مهر الكوافر/ ١٢ وحيز.

(٣) فإن الإيمان بالله يقتضى الاجتناب عن معاصيه/ ١٢.

الْمُؤْمِنَاتُ يَبَيعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا» عن بعض السلف أنها نزلت في يوم الفتح، وكلام الأكثرين على أنها قبل الفتح «وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ»^(١) «وَلَا دَهْنٌ» فإن وأد البنات من شكيمتهن «وَلَا يَأْتِينَ بَهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ» بأن تلتقط مولوداً وتقول لزوجها: هذا منك، فإن الولد إذا وضعت سقط بين يديها ورجليها^(٢) «وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ» وهو لا يأمر إلا بالمعروف، لكن قيد به للتنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق، ولو فرض أنه رسول -الله صلى الله عليه وسلم- في معصية الخالق «فَبَايِعْهُنَّ» هو العامل في إذا جاءك «وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» هي عن موالة الكافرين مطلقاً أو اليهود منهم في آخر السورة، كما هي في أولها «قَدْ يَيْسُوا مِنَ الْآخِرَةِ» لإنكارهم الحشر ولعلمهم بأنهم على الضلال فإن اليهود من المعاندين «كَمَا يَيْسُ الْكُفَّارُ الْأَحْيَاءُ» مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ» أى: من الاجتماع مع الأموات فإنهم منكرو الحشر، أو كما يئس الكفار الذين هم أصحاب القبور من كل خير؛ لأنهم علموا شقاوتهم.

اللهم لا تجعلنا في زمركم.

-
- (١) وفي المسوى شرح الموطأ باب البيعة على أركان الإسلام وترك الكبائر وغير ذلك من أحكام الشرع قال الله تعالى: "يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبایعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً" الآية، ثم ذكر الأحاديث وقال: فيه دليل على أن البيعة غير مقصورة على قبول الخلافة والذي يتعاهده مشايخ الصوفية له وجه في الشرع. انتهى ١٢.
- (٢) هكذا فسرہ ابن عباس ومقاتل ويؤيده الأحاديث/ ١٢ منه.

سُورَةُ الصَّفِّ مَكِّيَّةٌ
وَهِيَ أَرْبَعٌ عَشْرَةَ آيَةً وَفِيهَا مَرْكُوعَانِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ① يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا
تَفْعَلُونَ ③ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ
بُنَيَّنٌ مَرَّصُونَ ④ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ لِمَ تُوذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ
أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ
⑤ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا
بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ⑥ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ
وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ⑦ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ
اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ⑧ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ
بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ⑨

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ قد مرَّ مراراً
تفسيره ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ﴾ حذف ألف ما الاستفهامية إذا كانت مع حرف الجر
أكثر من إثنين ﴿تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا﴾ ① المقت أشد البغض منصوب

(١) في هذا الأسلوب من المبالغات فإنه أسند الفعل إلى أن تقولوا ونصب مقتاً على تفسيره
دلالة على أن قوله ما لا تفعلون مقت خالص لا شوب فيه، واختير لفظ المقت الذي

بالتمييز «عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا» فاعل كبر «مَا لَا تَفْعَلُونَ» في هذا الأسلوب من الكلام ما لا يخفى من المبالغة نزلت في جماعة قالوا: لوددنا أن الله دلنا على أحب الأعمال إليه، فنعمل به. فأخبر الله نبيه أنه الجهاد، فلما فرض نكل عنه بعضهم، وكرهوا، أو نزلت لما التمسوا الجهاد فابتلوا به، فولوا يوم أحد مدبرين، أو في قوم قالوا: قاتلنا طعنا ضربنا صرنا، وهم كاذبون، أو في المنافقين يعدون نصر المؤمنين ولا يفون، وعلى أى ففيه وعيد شديد لمخلف الوعد والعهد «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا» مصطفىين «كَانَتْهُمْ بُيُوتٌ مَرُصُوصٌ»^(١) قد رص بعضه ببعض فليس فيه فرجة حال من ضمير صفا «وَإِذْ قَالَ مُوسَى» أى اذكر للتسليّة «لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوذُونَنِي»^(٢) وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ» لظهور المعجزات «فَلَمَّا زَاغُوا» صرفوا عن الحق مع علمهم «أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ» عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» أى: من سبق في علمه أنه فاسق «وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ»^(٣) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيِ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا» منصوب بما في الرسول من معنى الإرسال أى: أرسلت في حال تصديقي وتبشيري «بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ

= هو أشد البغض ولم يقتصر على البغض وعلى أن جعل البغض كبيرا حتى جعل أشده وأفحشه، وعند الله أبلغ من ذلك فإنه إذا أثبت كبر مقته عنده فقد تم كبره/ ١٢ منه.

(١) ولما ذكر محبة الله للمقاتلين ذكر ما يدل على التمرد عن النصرة والجهاد فقال "وإذ قال موسى لقومه" الآية / ١٢ وجيز.

(٢) قالوا إنه آدر أى: متفخ الخصية وليس كذلك وكذبه / ١٢ جلالين.

(٣) لم يقل يا قوم لأنهم لم يعترفوا بأنه نبي الله إليهم، أو لأن أبا موسى منهم بخلافه عليهما الصلاة والسلام / ١٢ وجيز.

أَحْمَدُ^(١) فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ «سِحْرٌ مُبِينٌ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ» أي: لا أحد أظلم ممن افترى على الله حال كونه مدعواً بلسان نبيه إلى سعادة الدارين وهى الإسلام «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا» أصله أن يطفئوا فزادت الـلام تأكيداً للمعنى الإرادة كما فى لا أبأ لك تأكيداً للمعنى الإضافة «نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ»^(٢) وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» إتمامه «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى» بالقرآن والمعجزة «وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ» ليعلى دين الحق على سائر الأديان أو رسوله على أهل الأديان «وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»^(٣) قد فسرنا الآيتين فى سورة براءة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَرَّةٍ تَنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١﴾ تَوَّابُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣﴾ وَأُخْرَىٰ

(١) وفى حديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما "إن لى أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر وأنا العاقب والعقب الذى ليس بعده نبي" / ١٢ فتح.

(٢) شبهت ومثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه، فيكون تهكما بهم فى إرادتهم إبطال الإسلام بقولهم فى الإسلام هذا سحر / ١٢ منه.

(٣) ذُكر المشركون فى الثانى لأن استيلاء قريب على سائر الأقارب أشد عليهم وهم أكثر حسداً عليه من غيرهم أما إتمام نوره بإبقاء دينه فالمشرك وغيره على السواء والكافر يطلق على الأعم غالباً / ١٢ وجيز.

تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٣﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ عذاب الله مطلقاً ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ استئناف مبين للتجارة فإنهم قالوا: دلنا يا رب ﴿ذَلِكَ﴾ أى الإيمان والجهاد ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ لستم جاهلين ﴿يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ جواب للأمر المذكور بلفظ الخير ^(١) للمبالغة قيل: جواب للشرط أى: إن تؤمنوا وتجاهدوا يغفر لكم والجنة عدن قد مرَّ ﴿وَأُخْرَى﴾ أى: ولكم نعمة أخرى ﴿تُحِبُّونَهَا﴾ فإن أمور العاجل محبوب على النفوس ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ بدل أو بيان ﴿وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ عاجل ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يا محمد بثواب الدارين عطف على تؤمنون؛ لأنه بمعنى آمنوا فإن قوله: "يا أيها الذين آمنوا" متناول للنبي عليه السلام وأمه فقد دل على تجارته وتجارهم، أو يكون جواباً للسؤال وزيادة، كأنهم قالوا: دلنا يا ربنا، فقيل: آمنوا؛ يكن لكم كذا، وبشرهم يا محمد بثوبته، وقيل: عطف على محذوف، أى: قل يا أيها الذين آمنوا، وبشر أو أبشر وبشر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ

(١) يعنى تؤمنون وتجاهدون خير لفظاً أمر حقيقة ومعنى/ ١٢ منه.

(٢) إشارة إلى دفع اعتراض هو أن المخاطبين فى تؤمنون هم المؤمنون وفى بشر هو النبي عليه الصلاة والسلام، وقوله: تؤمنون بيان لما قبله على طريق الاستئناف، فكيف يصح عطف وبشر عليه؟ فأجاب بأجوبة أربعة فتأمل/ ١٢ منه.

لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ أَي: من جندى متوجها إلى نصرته الله **﴿قَالَ
الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾** يعنى كونوا أنصاره، مثل كون الحواريين أنصار^(١) الله
وقت قول عيسى: من أنصارى إلى الله، فما مصدرية، وهى مع صلتها ظرف، وهو
كقولهم: ما رأيت رجلا كالיום. أي: كرجل رأيت اليوم. حذف الموصوف مع صفته،
واكتفى بالظرف عنهما، وهذا من توسعاتهم فى الظروف، وقيل تقديره: قل لهم كما
قال عيسى **﴿فَأَمَنْتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** بعيسى **﴿وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ
آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾** بالغلبة والاستيلاء **﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾** غاليين وذلك بعد رفع
عيسى ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال السلف: لم يزل دين عيسى طامسًا،
حتى بعث الله محمدًا، فأمن المؤمنون بعيسى وبمحمد عليهما الصلاة والسلام، فصاروا
ظاهرين إلى آخر الأمر، فيقاتل المسيح الدجال.

والحمد لله رب العالمين .

(١) هذا وجه صحة التشبيه؛ لأن ظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقول عيسى، وهو ليس كذلك
فافهم / ١٢ منه.

سُورَةُ الْجُمُعَةِ ^(١) مَكِّيَّةٌ
وَهِيَ إِحْدَى عَشْرَ آيَةٍ وَفِيهَا مِرْكُوعَانِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝
هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝
يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝
ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو
الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝
مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ
يَحْمِلُ أَثْقَالًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ۝
قُلْ يَتَّيِّبُهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ
النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝
قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ
تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝﴾

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ
هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ العرب فإن أكثرهم لا يقرءون ولا يكتبون ﴿رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ مع أنه أمي أيضاً ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ من العقائد الرديئة والأعمال

(١) أخرج مسلم وأهل السنن عن أبي هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الجمعة سورة الجمعة، وإذا جاءك المنافقون/ ١٢ فتح.

القيحة ﴿وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ السنة ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ لأنهم مشركون وإن هي المخففة بدلالة اللام ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ عطف على الأيمن وهم من جاءوا بعد قرنه إلى يوم الدين وكل من أسلم صار منهم فإن المسلمين كلهم أمة واحدة، أو المراد أهل فارس^(١) ومنهم صفة الآخرين لأن أول وآخر لا يستعمل بمن مع أن الجمع من أفعل التفضيل مطلقا لا يستعمل بمن ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ لم يدركوهم فإنهم بعدهم قيل: لم يلحقوا بهم في الفضل ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ذَلِكَ الذي أعطاه من النبوة العظيمة وما خص به أمته ﴿فَضَّلَ اللَّهُ يُونُسَ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ مَثَلُ الَّذِينَ^(٢) حُمِّلُوا التَّوْرَةَ﴾ علموها وكلفوا العمل بها ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لم يعملوا ولم ينتفعوا بها ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا^(٣)﴾ كتبًا كبارًا^(٤) أو يحمل إما حال والعامل معنى المثل، أو صفة؛ لأن التعريف في الحمار للجنس ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ حذف المضاف من المخصوص، أي: مثل الذين، أو المخصوص محذوف أي مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله هو

(١) في البخارى ومسلم والترمذى وغيرهما أنه لما نزلت "وأخرين منهم" سألوا من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعهم حتى سألوا ثلاثا، ثم وضع يده على سلمان وقال: لو كان الإيمان عند الثريا لنالته، رجال من هؤلاء، ولهذا قال مجاهد وغيرهم: هم الأعاجم / ١٢ منه.

(٢) ولما وصف الأمة المرحومة مقدمهم وتاليهم ذم اليهود فقال: "مثل الذين حملوا التوراة" / ١٢ وحيز.

(٣) قال ميمون بن مهران: الحمار لا يدرى أسفر على ظهره أم زبل وكذا اليهود وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله، وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن، ولم يعمل بما فيه وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه؛ ولهذا قال ميمون بن مهران: يا أهل القرآن اتبعوا القرآن قبل أن يتبعكم ثم تلا هذه الآية، ثم ذم هذا المثل، والمراد منه ذمهم فقال: "بئس مثل القوم" الآية / ١٢ فتح.

(٤) لا يعرف أنه كتاب أو تراب / ١٢ وحيز.

والضمير إلى مثل الذين حملوا ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا
 إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ قد
 ذكرنا في سورة البقرة وجهين في معناه ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدِمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ بسبب
 ذنوبهم وعلمهم بها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فيجازيهم ﴿قُلْ إِن الْمَوْتَ الَّذِي
 تَفِرُّونَ مِنْهُ﴾ وتخافون المباهلة لأجله أو تخافون أن تتمنوه باللسان ﴿فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ لا
 محالة والفاء لتضمن الذى معنى الشرط والجملة خبر إن ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ
 وَالشَّهَادَةِ﴾ السر والعلانية ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١) بأن يجازيكم عليه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ
 اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ^(٢) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ
 فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ
 تُفْلِحُونَ ^(٣) وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا آنَفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكَوْكَ قَائِمًا قُلْ مَا
 عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِوٍ وَمِنَ التِّجْرَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ^(٤)﴾

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾^(٢) أذن لها عند قعود الإمام على المنبر
 ﴿مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ من بيان وتفسير لإذا وقيل: بمعنى في ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ

(١) ولما ذم اليهود وهم فوتوا شرف يوم الجمعة وصلاته واختاروا السبت كما في الحديث
 المعتمد؛ أعقبه بنصح الأمة المرحومة فيما نالوا من الشرف فقال: "يا أيها الذين آمنوا"
 الآية/ ١٢ وحيز.

(٢) واعلم أن صلاة الجمعة فريضة من فرائض الله بهذا النص وبما صح من السنة، وقد واطب
 عليها النبي صلى الله عليه وسلم من الوقت الذى شرعها الله تعالى فيه إلى أن قبضه، وحكى
 ابن المنذر الإجماع على أنه فرض عين، وهى كسائر الصلوات لا يخالفها إلا فى مشروعية
 الخطبتين قبلها، ومن تأمل فيما وقع فى هذه العبادة الفاضلة من الأقوال الساقطة والمذاهب

اللَّهُ^(١) أي: اهتموا^(٢) في سيركم إليها كي لا يفوت منكم وليس المراد هاهنا المشي السريع ففي الصحيحين "إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا" **«وَذَرُوا الْبَيْعَ»** المعاملة فإنها حرام **«ذَلِكَ»** السعى إليه **«خَيْرٌ لَّكُمْ»** من المعاملة **«إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»** إن كنتم من أهل العلم **«فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ»** فرغتم منها **«فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ»** لقضاء حوائجكم **«وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ»**^(٣) رزقه^(٤) وهذا أمر بإباحة بعد الحظر عن بعض السلف من

= الزائغة والاجتهادات الداحضة قضى من ذلك العجب، ولا يوجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله حرف واحد يدل على ما ادعوه من كون تلك الأمور كالمصر الجامع والعدد المخصوص والإمام الأعظم والحمام ونحوها شروطاً لصحة الجمعة أو فرضاً من فرائضها أو ركناً من أركانها فيأله العجب ما يفعل الرأي بأهله، ومن يخرج من رعوسهم هذه الخزعات الشبيهة بالقصص والأحاديث الملفقة، وهي من الشريعة المطهرة بمعزل، وكل من ثبت قدمه ولم يتزلزل عن طريق الحق بالقليل والقال يعرف أحسن المعرفة، ومن جاء بالغلط فغلطه رد عليه مضروب به في وجهه وتفصيل ذلك في النيل والسيول للشوكاني/ ١٢ فتح البيان في مقاصد القرآن.

(١) واستدل بالآية من قال: إنما يجب إتيان الجمعة على من كان يسمع النداء، ومن لا يحتاج إلى إذن السلطان، لأنه تعالى أوجب السعي، ولم يشترط إذن أحد. ومن قال: لا يجب على النساء لعدم دخولهم في خطاب الذكور / ١٢ إكليل للسيوطي.

(٢) كقوله: "من أراد الآخرة وسعى لها سعيها" [الإسراء: ١٩] وقوله "إن سعيكم لشتى" [الليل: ٤] وقوله "أن ليس للإنسان إلا ما سعى" [النجم: ٣٩] / ١٢ فتح.

(٣) أخرج ابن المنذر عن سعيد بن جبير قال: إذا انصرفت يوم الجمعة فاخرج إلى باب المسجد فساوم بالشيء وإن لم تشتريه / ١٢ در منثور. وعن عراك بن مالك أنه كان إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد قال: اللهم أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين / ٢١ كبير.

(٤) وفي البيع بعد صلاة الجمعة بركة عظيمة كما جرب / ١٢ وجيز.

باع واشترى بعد الجمعة برك الله له سبعين مرة ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ في حال انتشاركم ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ نزلت حين قدمت غير المدينة أيام الغلاء والنبي عليه السلام يخطب فلما سمع الناس الطبل لقدمها انصرفوا إليها إلا اثني عشر رجلاً، قيل: تقديره إليها وإليه فجذب إليه للقرينة وقيل: أفرد التجارة لأنها المقصودة إذ المراد من اللهو طبل قدوم العير ﴿وَتَرَكُوكَ قَائِمًا^(١)﴾ في الخطبة وكان ذلك في أوائل وجوب الجمعة حين كانت الصلاة قبل الخطبة مثل العيد كما روى أبو داود في كتاب المراسيل ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهِو وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ لمن توكل عليه، فلا تتركوا ذكر الله في وقته.

والحمد لله حق حمده.

(١) أخرج ابن أبي شيبه عن طاوس قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً وأبو بكر وعمر وعثمان، وإن أول من جلس مع المنبر معاوية بن أبي سفيان، وأخرج عن الشعبي قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة استقبل الناس بوجهه فقال: السلام عليكم ويحمد الله ويقرأ سورة ثم يجلس ثم يقوم فيخطب ثم يترل"، وكان أبو بكر وعمر يفعلانه/ ١٢ در منشور.

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ مَدِيَّةٌ
وَهِيَ إِحْدَى عَشْرَ آيَةٍ وَفِيهَا مِرْكُوعَانِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ
وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنِ
سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ
عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ
يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ
الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ
لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّازٌ رُءُوسُهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ
عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ
حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾
يَقُولُونَ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ
وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ أي: عند أنفسهم، وهذا هو الكذب الشرعي
اللاحق به الذم، ولذلك لا ينسبون المجتهدين إلى الكذب، وإن نسبوا إلى الخطأ، أو لأن

الشهادة هو ما وافق فيه اللسان والقلب^(١) وشهادة الزور كإطلاق البيع على الفاسد تجوزاً، أو لأن الشهادة يفهم منها عرفاً المواطأة، كيف لا وقد أكد به بيان واللام «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ» حلفهم الكاذب «جُنَّةٌ» وقاية عن المضرة «فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» جاز أن يكون الصد متعدياً ولازماً «إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ذَلِكَ» النفاق والكذب «بِأَنَّهُمْ آمَنُوا» بلسانهم «ثُمَّ كَفَرُوا» بقلوبهم أو ظاهراً ثم كفروا سرّاً أو حين رأوا آية «فَطَبَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ» ثم كفروا فاستحكموا في الكفر «فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ» صحة الإيمان وحقيقته أو لا يفقهون أنهم طبع على قلوبهم ويحسبون أنهم على الحق «وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ» فإنهم أشكال حسنة «وَأِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ» لفصاحتهم «كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُسْتَدَّةٌ» أي: تسمع لما يقولون مشبهين بأخشاب منصوبة إلى حائط في الخلو عن الفهم والنفع، فإن الخشب إذا انتفع به كان في سقف أو غيره من مظان الانتفاع، وما دام متروكاً أسند إلى الحائط فلا ينتفع به «يَحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ عَلَيْهِمْ» أي: واقعة عليهم لجنهم فهم أجسام لا قلوب لهم، أو لأنهم على وجل من أن يترل الله أمراً يهلك أستارهم «هُمْ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُهُمْ» لا تأمنهم «فَاتَّلَهُمْ اللَّهُ» دعاء عليهم وطلب من ذاته أن يلعنهم، أو تعليم للمؤمنين «أَلَّى يُؤْفَكُونَ» كيف يصرفون عن الهدى «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّا رُءُوسَهُمْ» أمالوها إعراضاً ورغبة عن الاستغفار «وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ» يعرضون «وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ سَوَاءَ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ» أي: استغفارك وعدمه سواء عليهم، بأن لا يلتفتوا إليه «لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ» لأن الله لا يغفر لهم لشقاوتهم «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» في الأزل وفي علم الله «هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ» للأنصار «لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا» ينفقوا

(١) فيكون الموافقة داخلية في الوضع وهو مفهومه اللغوي / ١٢ منه.

﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بيده الأرزاق فهو الرزاق لهم لا الأنصار ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا﴾ من المدينة ﴿الْأَذَلُّ﴾^(١) جرى بين بعض المهاجرين وابن سلول جدال في غزوة بني المصطلق، فقال لعنه الله ما قال، وأراد من الأعز نفسه، ومن الأذل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبارك عليه، ثم قال: لا تنفقوا على المهاجرين يا جماعة الأنصار حتى ينفضوا. فلما سمع عليه السلام مقالته، جاء وحلف بأنه كذب وصَلَّ إليك، فزلت "إذا جاءك المنافقون" الآية. فقيل لابن سلول: قد نزل فيك آي شداد، فاذهب إليه لعله يستغفر لك، فلوى رأسه. فقال: أمرتموني بالإيمان فآمنت، ثم بالزكاة فأعطيت، فما بقي إلا أن أسجد له ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ

(١) أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة - قال سفيان: يرون أنها غزوة بني المصطلق - فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال مهاجري: يا للمهاجرين وقال الأنصاري: يا للأنصار فسمع ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "ما بال دعوة الجاهلية؟!" قال: رجل من المهاجرين كسع رجلاً من الأنصار فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "دعوها فإنها منتنة فسمع ذلك عبد الله بن أبي فقال: أو قد فعلوها؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل الحديث. الكسع: أن تضرب دبر الإنسان بيدك أو بصدر قدمك يقال: اتبع فلان أدبارهم يكسعهم بالسيف مثل يكسؤهم أي يطردهم وكانت تلك الغزوة في السنة الرابعة وقيل: في السادسة/ ١٢ فتح.

وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٥﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ﴾ (١) ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ﴾ (٢) ذكرِ اللَّهِ الصَّلوات الخمس وسائر العبادات والمراد نهيهم عن اللهو (٤) ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي الشغل بالدنيا عن الدين ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ولا تسمعوا قول المنافقين لا تنفقوا على من عند رسول الله ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا﴾ هلا ﴿أَخَّرْتَنِي﴾ أمهلتنى ﴿إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ مدة أخرى يسيرة ﴿فَأَصْدَقْ﴾ أتصدق ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بالتدارك وكل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل الإمهال، للتدارك وقراءة أكن عطف على محل فأصدق؛ فإن موضع الفاء مع الفعل جزم بخلاف أكون فإنه عطف على ما بعد الفاء ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فمُجَازٍ عليه.

(١) ولما ذكر الله سبحانه قبائح المنافقين ومن شأنهم أن لا يذكرون الله إلا قليلاً رجع إلى خطاب المؤمنين مرغباً لهم في ذكره فقال: "يا أيها الذين آمنوا" الآية / ١٢ - للمحشى عفا الله عنه.

(٢) كما شغلت المنافقين / ١٢.

(٣) عام للصلاة والتسبيح والتحميد وغيرها / ١٢ وجيز.

(٤) كما ألهى المنافقين عن التدبر في كلام الله وعواقب أنفسهم / ١٢ وجيز.

سُورَةُ التَّغَابُنِ مُخْتَلَفٌ فِيهَا وَأَيُّهَا ثَمَانِي عَشْرَةٌ وَفِيهَا رُكُوعَانِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ٢ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ٣ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٤ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٥ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ٦ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ٧ فَاْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ٨ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ١٠﴾

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ﴾ مقدر كفره ﴿وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ مقدر

إيمانه ومثله في الإجمال والتفصيل قوله: "والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه" الآية (النور: ٤٥) «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» فيعاملكم بما يناسبه «خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ» بالحكمة «وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ» من بين ما خلق فيهما وفيه إشارة إلى أن الغرض من خلقهما الإنسان «وَالِيهِ الْمَصِيرُ» فأحسنوا السرائر «يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» فلا يخفى عليه شيء من الأشياء السماوية ولا الأرضية ولا النفسية «أَلَمْ يَأْتِكُمْ» أيها الكفار «تَبَاؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ» الأمم السالفة «فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ» ضرر كفرهم وهو أنواع العقوبات التي حلت عليهم في الدنيا «وَلَهُمْ» في الآخرة «عَذَابٌ أَلِيمٌ ذَلِكَ» العذابان «بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَعَالُوا» على سبيل الإنكار: «أَبَشَرُ يَهْدُونَنَا» والبشر يطلق على الجمع أيضا «فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا» أعرضوا عن آيات الله «وَأَسْتَعْنَى اللَّهُ» عن طاعتهم «وَاللَّهُ غَنِيٌّ» عن كل شيء «حَمِيدٌ» يدل على حمده كل مخلوق «زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ» يا محمد: «بَلَى» تبعثون «وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ» بالمجازاة «وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» لقدرته الشاملة «فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا» القرآن «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» فلا يضيع عنده عمل عامل «يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ» ظرف لتنبؤن أو مقدر باذكر «لِيَوْمِ الْجَمْعِ» لأجل ما في يوم الجمع جمع الملائكة والثققلين «ذَلِكَ يَوْمُ التَّعَابِنِ^(١)» تفاعل من الغبن وهو فوت الحظ، يظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الإيمان، وكل مؤمن بتقصيره في الإحسان «وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ

(١) كلام ابن عباس ومجاهد وقتادة دال على أن الغبن مختص بأهل النار لا أنه عام كما أشار إليه الشارح واختاره؛ لأن تغابن السعداء على الزيادة ثبت في الأحاديث الصحاح ١٢/ منه.

الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ مَلَاظِمُوهَا
﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَيُسَوِّغُ الْمَصِيرُ﴾ النار.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا
الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ
وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ
وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا
وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُقْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ
شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾
لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فيسلم لقضائه
ويسترجع ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ فلا
عليه ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ لأن عليه التبليغ وقد بلغ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(١) لأن الله هو النافع الضار وحده والمؤمنون يؤمنون
بأن لا إله إلا هو ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ﴾ أي: بعضهم ﴿وَأَوْلَادِكُمْ﴾

(١) ولما ذكر أن المصائب بإرادته حذر مما يلحق من الأموال والأولاد فقال: "يا أيها الذين
آمنوا إن من أرواحكم" الآية/ ١٢ وحيز.

عَدُوًّا^(١) لَكُمْ» يشغلکم عما یمنعکم «فَاَحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا» عن ذنوبهم «وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا» بإخفاء معایبهم «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» فیغفر لکم ویتفضل أو فیغفر لهم ما فرط عنهم من شغلکم عن الله. نزلت^(٢) حين أراد الهجرة بعض من آمن بمكة فمنعهم أهلهم وقالوا: صبرنا على إسلامکم ولا نصبر على هجرکم فتركوا الهجرة حیثذ فلما أتوا المسلمین رأوهم قد فقهوا فی الدین فهموا عقاب أهلهم «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ»^(٣) فتنّةٌ اختبار لکم یعنی بعضهم أعداء لکن کلها اختبار یلوکم کیف تحافظون فیهم على حدود الله «وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ» لمن صبر على حدود الله فیهم، أو معناه لیس الأموال، ولا الأولاد إلا بلاء ومحنة، والأجر العظیم هو ما عند الله، فأغمضوا عن محبتهم، وأطمعوا فیما عند الله «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» أي: جهدکم وطاقتکم، وعن کثیر من السلف أنه لما نزلت "اتقوا الله حق تقاته" [آل عمران: ١٠٢] اشتد عليهم العمل، فقاموا حتى ورمت عراقیهم، وتفرحت جباههم،

(١) ولهذا قيل: لا أعدى على الرجل من الزوجة والولد إذا كانا عدوين يذهبان المال والعرض في الدنيا ويورثان البعد والمقت في الآخرة / ١٢ وحيز.

(٢) كذا أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح / ١٢ فتح. [وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح سنن الترمذي" (٢٦٤٢)]

(٣) وعن أبي بريدة قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فأقبل الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما واحداً من ذا الشق، وواحداً من ذا الشق، ثم صعد المنبر فقال: "صدق الله (إنما أموالكم وأولادكم فتنة)، إني نظرت إلى هذين الغلامين يمشيان ويعثران لم أصبر أن قطعتم كلامي ونزلت إليهما" أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والحاكم وصححه وابن مردويه وابن أبي شيبة [وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٩٦٨) / ١٢ فتح.

فأنزل الله قوله: "فاتقوا الله ما استطعتم" تخفيفاً فيكون ناسخة لما في آل عمران ﴿وَاسْمَعُوا﴾ مواظله ﴿وَأَطِيعُوا﴾ أوامره ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ في مصارف الخير ﴿خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾ تقديره اتتوا خيراً لأنفسكم فهو كالفدلكة للأوامر السابقة، أو تقديره يكن خيراً فيكن جواباً للأوامر ومعناه أنفقوا لأنفسكم خيراً من أموالكم ﴿وَمَنْ يُوقَ﴾ وقله الله ﴿شَحًّا﴾ حرص ﴿نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ إِن تَقْرِضُوا اللَّهَ ﴿بِصَرَفِ الْمَالِ﴾ فيما أمر ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ من مال حلال بإخلاص ﴿يُضَاعَفْهُ لَكُمْ﴾ أي أجره أضعافاً كثيرة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ يعطي الجزيل بالقليل ﴿حَلِيمٌ﴾ فيقبل ولا يرد ويصفح ويتجاوز عن الذنوب ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الطَّلَاقِ مَدِيَّةٌ

وَهِيَ إِحْدَى عَشْرَةَ أَوْ اثْنَتَا عَشْرَةَ آيَةً وَفِيهَا رُكُوعَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَاللَّيْ يَسِّنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمِلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَرَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَأَمِّرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاَسَرْتُمْ فَمَشْرُوعٌ لَهُ أُخْرَى ﴿٦﴾ لِيُنْفِقَ ذُو

سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلَیُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا یُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا
إِلَّا مَا آتَاهَا سَیَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ یُسْرًا ﴿٥﴾

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ» أى أردتم تطليقهن خصه عليه السلام بالنداء، وعم
الخطاب؛ لأنه إمام أمته، فنداؤه نداؤهم، أو لأن الكلام معه والحكم يعمهم «فَطَلِّقُوهُنَّ
لِعَدَّتِهِنَّ» ^(١) أى: وقتها، وهو الطهر، أى: لظهرهن الذى يخصينه من عدتهن، وعن
أكثر السلف أنه الطهر الذى لم يجامعها فيه، فطلاق السنة أن يطلقها طاهرًا من غير
جماع فى ذلك الطهر، والبدعى أن يطلقها فى الحيض أو فى طهر قد جامعها فيه .
نزلت ^(٢) حين طلق عليه السلام حفصة فقيل له: "راجعها فإنها صوامة قوامة، وهى من
أزواجك فى الجنة"، وطلق ابن عمر امرأته حائضًا فقال ^(٣) عليه السلام: "ليراجعها"،
وقال: "إذا طهرت فليطلق أو يمسك" وقرأ الآية «وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ» اضطبوها ابتداءها
وانتهاءها للعلم ببقاء زمن الرجعة ولغير ذلك «وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ» فى ذلك «لَا
تُخْرِجُوهُنَّ مِّن بُيُوتِهِنَّ» البيوت التى سكنَ فيها حتى تنقضى عدتهن «وَلَا يَخْرُجْنَ»
من بيوت كنَّ فيها عند الفراق فى مدة العدة فإن خرجت أثمت «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ
مُّبِينَةٍ» استثناء من الأول والفاحشة الزنا فإنها تخرج لإقامة الحد أو إلا أن تَبْذُوكُمْ ^(*) على

(١) اللام فى الأزمان وما يشبهها للتأقبت نحو أقم الصلاة لدلوك الشمس ومن عدَّ العدة
بالحيض قال تقديره: مستقبلات لعدتهن نحو أتيت ليلة بقيت من المحرم أى مستقبلًا
لها/ ١٢ منه.

(٢) كذا ذكر السيوطى فى الدر المنثور وعزاه إلى ابن أبى حاتم/ ١٢.

(٣) كما رواه الشيخان عن ابن عمر/ ١٢ كمالين.

(٥) بذوت على القوم، وأبذيت عليهم، وأبذيت عليهم من البذاء: وهو الكلام القبيح (اللسان:
بذاء).

أهل الزوج وآذهم في الكلام والفعال لأنها كالنشوز في إسقاط^(١) الحق «وَتِلْكَ» الأحكام المذكورة «حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ» فإنه عرضها للعقاب «لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ» أى الطلاق «أَمْرًا» وهو أن يقلب قلبه من الرغبة عنها فيندم يعنى أمرنا بعدم إخراجها مدة العدة لأنه ربما يندم، ومن ذلك ذهب كثير من السلف ومن تابعهم كالإمام أحمد إلى أنه لا يجب السكنى للبائنة وكذا المتوفاة عنها، وبعض^(٢) الأحاديث يدل على مذهبه صريحاً «فَإِذَا بَلَغَ أَجْلَهُنَّ» قاربن انقضاء العدة «فَأَمْسِكُوهُنَّ» بالرجعة «بِمَعْرُوفٍ» بالإحسان إليها «أَوْ فَارِقُوهُنَّ» أتركوهن حتى تنقضى عدتهن فتقع المفارقة الكلية والبيئونة «بِمَعْرُوفٍ» من غير مقابحة ولا مشائمة ولا تعنيف «وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ» على الرجعة والفراق وهو أمر ندب^(٣) عند بعض كأشهدوا إذا تبايعتم «وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ» أيها الشهود عند الحاجة «لِلَّهِ» خالصاً لوجهه «ذَلِكَمُ» جميع ما فى الآية «يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ» مفعول يوعظ «يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا» من كل مكروه

(١) الأول قول ابن مسعود وسعيد بن المسيب والشعبي والحسن والمجاهد وغيرهم من السلف والثاني قول أبي بن كعب وابن عباس وعكرمة/ ١٢ منه.

(٢) فى مسند الإمام أحمد والطبرانى قال عليه السلام فى حديث طويل: "إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة وإذا لم تكن فلا نفقة ولا سكنى"/ ١٢ منه. [أحمد فى "مسنده" (٤١٣/٦) وإسناده حسن]

(٣) وقيل: إنه للوجوب وإليه ذهب الشافعى قال: الإشهاد واجب فى الرجعة مندوب إليه فى الفرقة وإليه ذهب أحمد بن حنبل وفى قول الشافعى: إن الرجعة لا تقتقر إلى الإشهاد كسائر الحقوق وروى نحو هذا عن أبى حنيفة وأحمد عن ابن سيرين أن رجلاً سأل عمران بن حصين عن رجل طلق ولم يُشْهَدْ قال: بئسما صنع طلق فى بدعة وارتجع فى غير سنة فيُشْهَدْ على طلاقه وعلى مراجعته ويستغفر الله/ ١٢ فتح.

﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(١) وعن ابن عباس والضحاك وغيرهما: مَنْ طَلَّقَ وراجع كما أمره الله، جعل الله له من الكرب - سيما عند الموت - مخرجاً، ورزقه من حيث لا يرجو، وأكثر العلماء على أنها نزلت حين جاء صحابي أسير ابنه، وشكا إليه عليه السلام هذا والفاقة. فقال عليه السلام: "اتق واصبر، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله"، ففعل الرجل إذ جاء ابنه^(٢) بإبل وغنم، وعن بعض إن فيها تسليية ووصية للنساء عند الفراق، فإنهن مضطرات غالباً للغيرة والاحتياج والعجز ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ كافيهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ بِأَلْبَغْ أَمْرِهِ﴾ يبلغ ما يريد لا يعجزه مطلوب فهو منفذ أمره ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ تقديراً وتوفيقاً فتوكلوا عليه ﴿وَاللَّائِي يَئْسَنَ﴾ للكبر ﴿مَنْ الْمَحِيضِ مِنْ نَسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾ إن أشكل عليكم حكمهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ أي: فهذا حكمهن ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ بعد كذلك وهن الصغائر

(١) وظاهر الآية العموم ولا وجه للتخصيص بنوع خاص، ويدخل في ذلك ما فيه السياق دخولا أولياً، فإن قيل: نرى كثيراً من الأتقياء مضيقاً عليه في الرزق أجيب بأنه لا يخلو عن رزق والآية لم تدل على أن المتقى يوسع له في الرزق بل دلت على أنه يرزق من حيث لا يحتسب وهذا أمر مطرد في الأتقياء أفاده الكرخي / ١٢ فتح.

(٢) أخرجه الحاكم وصححه وضعفه الذهبي وعن ابن عباس - رضي الله عنه قال: جاء عوف ابن مالك الأشجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن ابني أسره العدو وجزعت أمه فما تأمرني قال: "أمرك وإياها أن تستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله" فقالت المرأة: نعم ما أمرك فجعلنا يكثران منها فتغفل عنه العدو فاستاق غنمهم فجاء به إلى أبيه فزلت هذه الآية أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عنه وفي الباب روايات تشهد لهذا / ١٢ فتح. [وأخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس... فذكره، كما في "الدر المنثور" (٣٥٤/٦)]

«وَأُولَاتِ الْأَحْمَالِ» مطلقة أو متوفى عنها زوجها للحديث^(١) الصحيح الصريح «أَجَلُهُنَّ» منتهى عدتهن «أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» وقد روى عن علي وابن عباس رضى الله عنهما: إن عدة الحامل المتوفى عنها زوجها أبعد الأجلين، عملاً بهذه الآية والتي في سورة البقرة "وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ" الآية (البقرة: ٢٤٠) «وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ» في أحكامه «يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا» آتاه اليسر في أموره «ذَلِكَ» الإحكام «أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ» فيه «يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا» بالمضاعفة «أَسْكِنُوهُنَّ» المطلقات «مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ» أى بعض مكان سكنتم «مَنْ وَجَدَكُمْ» وسعكم وطاقتكم عطف بيان لقوله من حيث سكنتم كأنه قال أسكنوهن مكانا من مسكنكم ما تطيقونه «وَلَا تُضَارَّوهُنَّ» فى السكنى «لِتَضِيقُوا عَلَيْهِنَّ» حتى تضطروهن إلى الخروج، وعن بعض هو أن يطلقها فإذا بقى يومان يراجعها ليضيق عليها أمرها «وَأِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ» عن كثير من السلف هذه من البوائن، أنفق عليها إن كانت حاملاً حتى تضع، بدليل أن الرجعية تجب نفقتها حاملاً أو حائلاً. وقال آخرون: نص على الإنفاق على الحامل الرجعية ؛ لأن السياق كله فى الرجعيات ؛ لأن الحمل ربما يطول مدته، فيتوهم أنه تجب النفقة بمقدار مدة عدة الحامل «وَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ» وهن طوالق «فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ» على الإرضاع «وَأَتَمَّرُوا بَيْنَكُمْ» ليأمر بعضكم بعضاً «بِمَعْرُوفٍ» بجميل فى الإرضاع والأجر «وَأِنْ تَعَاسَرْتُمُ» تضايقتم «فَسْتَرْضِعْ لَهُ» للصبي مرضعة «أُخْرَى» سوى أمه ولا تكرهوا أمه على الإرضاع «لِيَنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ» على مرضعة ولده «وَمَنْ قُدِرَ» ضيق «عَلَيْهِ

(١) قد ثبت فى الصحيحين وغيرهما من حديث أم سلمة أن سبعة الأسلمية توفى عنها زوجها وهى حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخطبت فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الباب أحاديث/ ١٢ فتح.

رِزْقُهُ فَلْيَنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ عَلَىٰ قَدَرِ ذَلِكَ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا فِي النِّفْقَةِ إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ قدر ما أعطاهما من المال ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ تطيب لقلب المعسر، ووعد له باليسر، لما ذكر الأحكام وأخير عما حل بالأمم السالفة بسبب مخالفة أوامره ونواهيه^(١).

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا﴾ فذاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿١﴾
 أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأْوَلَى الْآلِئْبِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿٢﴾ رُّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴿٣﴾
 اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٤﴾

فقال: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ﴾ وكم من أهل قرية ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ تمرت واستكبرت عن اتباع أمر الله ﴿وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ حاسبها بعملها في الدنيا، وأثبتها في صحائف الحفظه ﴿وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكَرًا﴾ منكرًا، وهو ما أصيبوا به من أنواع المصائب، أو المراد بالحساب والعذاب في الآخرة، والتعبير بلفظ الماضي لتحقيقه ﴿فَذَاقَتْ﴾ القرية ﴿وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبة معاصيها ﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ لا ربح فيها أصلاً ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ على التوجيه الثاني تكرير

(١) ليحذر المأمورين عن موافقتهم / ١٢ وحيز.

للعيد^(١) ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في مخالفة أمره لكي لا يصيبكم مثل ما أصابهم ﴿يَا أُولَى الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بدل من أُولَى الْأَلْبَابِ أو صفة أو منادى بحذف يا أيها للقرينة ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ القرآن ﴿رَسُولًا﴾ بدل اشتغال ؛ لأنه مبلغه، وموصوف بتلاوة الآيات أو الذكر الشريف، فالبديل بدل الكل، كأنه في نفسه شرف، فالمراد من الإنزال الإرسال، إلا أن يقال: المراد من الرسول جبريل، أو تقديره أرسل رسولاً، فيكون استئنافاً ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي: من هو في علم الله مؤمن ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾^(٢) إِلَى النُّورِ من الضلالة إلى الهدى أو ليحصل لهم ما عليهم الآن من الإيمان والعمل الصالح ﴿وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ وهو ما أعد للمتقين في الآخرة ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ أخبر عن عظيم سلطانه ؛ ليكون باعثاً على تعظيم ما شرع ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ في العدد ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾^(٣) أى أمر الله وحكمه، ففي كل أرض من

(١) وعلى التوجيه الأول لا تكرر لأن العذاب النكر في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة/ ١٢.

(٢) من الجهالات إلى العلم فإن من آمن وتدير رفع عنه الجهل بسبب تدبر القرآن فإن مجرد الإيمان لا يكفي وتفاصيل الدين مستنبطة من كلام الله/ ١٢ وجيز.

(٣) بين السماوات السبع والأرضين السبع والعلم عند الله أن بين كل أرض أى خلق وكيف سماؤها وأما ما نقل عن ابن عباس -رضى الله عنه- من أن في كل أرض آدم كآدم ونوح كنوح ونبي كنبينا فهو من رواية الواقدي الكذاب الواضع للحديث، هذا ما في الوجيز وذكر في الفتح هذا الأثر وقال: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب: هذا إسناد صحيح وهو شاذ مرة لا أعلم لأبي الضحى عليه متابعا، قال ابن كثير: هذا وأمثاله إذا لم يصح سنده إلى معصوم فهو مردود على

أرضه، وسما من سمائه خلق من خلقه، وقضاء من قضائه ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ﴾ علة الخلق
﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ عن ابن عباس —
رضى الله عنه — قال: لو حدثكم بتفسيرها لكفرتم، وكفركم تكذيبكم بها.

اللهم علمنا حقائق القرآن آمين.

قائله انتهى وتصحيح الحاكم له ليس بذاك . قال السيوطي: ولم أزل أتعجب من
تصحيح الحاكم له حتى رأيت البيهقي قال: إسناده صحيح لكن شاذ بمرة . قال الحافظ
في الفتح: إسناده صحيح والحاصل أن الأثر المذكور وإن صح فهو موقوف شاذ والشاذ
لا يحتج به كما قال الطيبي في الخلاصة وغيره، وبسط الكلام على هذا لا يأتي بفائدة
يعتد بها ويكفي الاعتقاد بكون السماوات سبعا والأرضين سبعا كما ورد به الكتاب
العزیز والسنة المطهرة، لا ينبغي الخوض في خلقهما وما فيها فإنه شيء استأثر الله
سبحانه وتعالى بعلمه لا يحيط به أحد سواه، ولم يكلفنا الله تعالى بالخوض في أمثال هذه
المسائل والتفكر فيها والكلام عليها وبالله التوفيق. وحديث أن الأرضين بين كل أرض
والتي تليها مسيرة خمسمائة عام والعليا منها على ظهر حوت، قد التقى طرفاه في السماء
والحوت على صخرة والصخرة بيد ملك والثانية تسجن الريح والثالثة فيها حجارة
جهنم والرابعة فيها كبريت جهنم.... والحديث بطوله وتفصيله قال الذهبي متعقبا
الحاكم: هو حديث منكر قال بعض أهل العلم: لا ينبغي لأحد أن يغتر بتصحيح الحاكم
للأحاديث حتى ينظر في تعقبات الذهبي له أو كما قال/ ١٢ فتح.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ مَدِيَّةٌ وَهِيَ اثْنَا عَشَرَ آيَةً فِيهَا مَرَكُوعَانِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ
اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا
قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ
تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ
ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ
مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَتِلِّبْنَ عِيدَاتٍ سَتِحَلَّ ثِيَابُكُنَّ بِأَنْبَارٍ ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
ءَامَنُوا قُورًا أَنْفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ
غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
كَفَرُوا لَا تَعْتَدِرُوا أَلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ (١) مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ من العسل، ففي الصحيحين وغيرهما،
عن عائشة أنه عليه السلام كان يمكث عند زينب، ويشرب عسلاً، فتواطأت أنا

(١) معنى تحرم تمنع لا التحريم الشرعى وهذا كما قال الله تعالى: "وحرمنا عليه
المرضع" [القصص: ١٢] أو حرمه بالحلف كما في النذر والمحرم بهما هو الله وهو الذى

وحفصة، أنا نقول له: نجد منك ريح مغاير، فدخل على أحدهما. فقالت له ذلك، فقال: "لا بل شربت عسلاً عند زينب، ولن أعود له، وقد حلفت، لا تخبرى بذلك أحدًا"، وكان يتغى بذلك مرضاة أزواجه، فزلت. ومغاير: شبيه بالصمغ، لها رائحة كريهة ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ﴾^(١) ﴿أَزْوَاجِكَ﴾ مستأنفة أو حال ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فلم يؤاخذك بما صدر منك وقد روى^(٢) أنه عليه السلام أصاب أم إبراهيم في بيت حفصة فعلمت فقالت: أى رسول الله في بيتى وعلى فراشى، فحرمها على نفسه، وقال: "والله لا أطؤها، ولا تذكرى ذلك لأحد"، فذكرته لعائشة، فعوتب في التحريم، وأمر بالكفارة في اليمين، ذكره كثير من السلف ﴿قَدْ فَرَضَ﴾ شرع ﴿اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ تحليلها بالكفارة وهى ما ذكر في سورة المائدة ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ فلا يأمركم إلا بما هو صلاحكم ﴿وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ﴾ منصوب باذكر ﴿إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ حفصة ﴿حَدِيثًا﴾ تحريم العسل أو مارية ﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ﴾ أخبرت حفصة بالحديث عائشة ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أطلع الله نبيه على إنبائها ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ﴾ أى عرف عليه السلام حفصة بعض ما فعلت ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ ولم

عين الكفارة كما هو مبين في كتب الفقه، لكن شأنه العظيم وقدره السنية أن يكون جميع أموره صلى الله عليه وسلم لوجه الله وبإذن من الله وإن كان هذا التحريم والحلف لتطبيب خاطر أهله لحسن العشرة الذى هو أحسن عند الناس / ١٢ وجيز.

(١) وشأنك أن تبغى في أمورك مرضات الله / ١٢.

(٢) روى عن كثير من السلف كابن عباس رضى الله عنهما وعمر بن الخطاب وغيرهما وقال المحدثون: إسناده إلى عمر صحيح / ١٢ وجيز. [وقال ابن كثير في "تفسيره" (٣٨٦/٤): "وهذا إسناد صحيح ولم يخرج أحد من أصحاب الكتب الستة، وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسى في كتابه المستخرج]

يعرفها بعضها على وجه التكرم. عن الحسن ما استقصى^(١) كريم قط، أو جازيها على بعضه بتطليقها، أو إرادة تطليقها، وتجاوز عن بعض، وعن بعض أسر إليها شيئين تحريم الأمة، وتبشيرها بأن الخلافة بعده في أبي بكر وعمر، فأخبرها ببعض ما أفشت، وهو تحريم الأمة، وأعرض عن ذكر الخلافة؛ كراهة الانتشار **﴿فَلَمَّا تَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ﴾** حفصة **﴿مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا﴾** أي: إني قلت^(٢) لأحد **﴿قَالَ تَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ إِنْ تَتُوبَا﴾** يا حفصة وعائشة **﴿إِلَى اللَّهِ﴾** خطاب لهما من الله **﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾** أي: إن تتوبا فقد حق لكما ذلك، فإنه قد عدلت عن الحق قلوبكما، وصدر منكما مل يوجب التوبة **﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا﴾** تعاونا **﴿عَلَيْهِ﴾** فيما يسوءه **﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** فلم يعدم هو من يظاھرہ من الله، وجبريل رأس الكروبيين، وصلاح المؤمنين، فيكون جبريل عطف على محل اسم إن **﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾** أجمعون **﴿بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِرَ﴾** متظاهرون؛ جملة مستقلة معطوفة على جملة "إن الله هو مولاه" الآية **﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾** عن^(٣) عمر - رضى الله عنه - اجتمع - في الغيرة عليه السلام - نساؤه، فقلت: عسى ربه إن طلقكن، أن يبدله أزواجًا خيرا منكُن، فزلت هذه الآية **﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ﴾** منقادات **﴿قَانِتَاتٍ﴾** مواظبات على الطاعات **﴿تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ﴾** قيل معناه: متذللات لأمر الرسول عليه السلام **﴿سَائِحَاتٍ﴾** صائمات، وفي الحديث: "سباحة هذه الأمة

(١) وعن سفيان لا يزال التغافل من فعل الكرام والله أعلم أن المعرض عنه أى شيء قيل إن المعروف حديث العسل والذي أعرض عنه حديث مارية وأما ما روى أنه أسر إليها بشيئين تحريم أمته وتبشيرها بخلافة أبي بكر وعمر بعده فأفشت شيئين وأعرض عن ذكر الخلافة كراهة الانتشار فقال الشيخ أبو الفداء ابن كثير: في إسناده نظر/ ١٢ وحيز.

(٢) وأفشتيت سرك فلما ظنت عائشة فضحتها/ ١٢ وحيز.

(٣) كما في البخارى/ ١٢.

الصيام" (*) . أو مهاجرات «ثِيَّاتٍ وَأَبْكَارًا» وسط العاطف^(١) بينهما لتنافيهما «يَا أَيُّهَا»^(٢) الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ» بترك المعاصي «وَأَهْلِكُمْ» بالنصح والتأديب «نَارًا وَقُودُهَا» ما يوقد بها «النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» حجارة من كبريت ؛ فإنها أشد وأثنى ، أو حجارة الأصنام «عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ» هى خزنة النار «غِلَاطٌ شِدَادٌ» ليس فى قلوبهم مثقال ذرة من الرحمة والشفقة ، ومنظرهم مزعج «لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ» فيما مضى ، وما أمرهم بدل من لفظ الله «وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» فيما يستقبل ، أو لا يمتنعون ويفعلون ، فإن عدم الامتناع لا يدل على الفعل ، فإنه ربما لا^(٣) يقدر «يَا أَيُّهَا»^(٤) الَّذِينَ كَفَرُوا» أى يقال لهم ذلك «لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فى الدنيا .

«يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدٍ

(*) [ورد موقوفا ومرفوع والموقوف أصح كما قال ابن كثير فى "تفسيره" (٢/٢٩٣)].

(١) يعنى هما صفتان متنافيتان لا يجتمعان فلا بد أن يتوسط بينهما العاطف بخلاف الصفات المتقدمة / ١٢ منه .

(٢) ولما وعظ أهل البيت موعظة خاصة اتبع ذلك بموعظة عامة فقال: "يا أيها الذين آمنوا" الآية / ١٢ وحيز .

(٣) وقيل: كرر توكيدا / ١٢ وحيز .

(٤) ولما وعظ المؤمنين بوقاية أنفسهم وأهليهم عن النار ذكر ما يقال لأصحاب النار عند دخولها فقال: "يا أيها الذين كفروا" الآية / ١٢ وحيز .

الْكَفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَطَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦٠﴾ ضَرَبَ
 اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتِ نُوحٍ وَأَمْرَاتِ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ
 عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ
 مَعَ الدَّٰخِلِينَ ﴿٦١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ
 رَبِّ أَبْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ
 الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٢﴾ وَمَرِيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ
 مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا وَكَانَتْ مِنَ الْقَلِيلِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٣﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ وصفت التوبة بالنصح بالهجاز وهو
 في الحقيقة صفة التائب، فإنه ينصح نفسه بالتوبة، أو معناه خالصة، يقال: ناصح، أى
 خالص من الشمع، أو توبة تنصح، وتخط ما خرق الذنب، وهى ترك الذنب، والعزم
 على عدم العود والندم، ثم إن كان الحق لآدمى رده . وعن الحسن هو أن تبغض الذنب
 كما أحببته، وتستغفر منه إذا ذكرته، وعن بعض المحققين أن عدم المؤاخذه بالذنب
 الذى تاب منه إذا لم يعد إليه فإذا عاد إليه فقد يؤاخذ به وفى الحديث الصحيح: "من
 أحسن فى الإسلام^(١)، لم يؤاخذ بما عمل فى الجاهلية، ومن أساء فيه أخذ بالأول
 والآخر"(*) ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
 تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ فيه إشعار بأن العبد ينبغي أن يكون بين الخوف والرجاء، وأنه تفضل
 لا يجب عليه شيء ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾ ظرف ليدخلكم ﴿وَالَّذِينَ^(٢) آمَنُوا

(١) التأويل بأن المراد بالإساءة النفاق بعيد جدًا/ ١٢ وحيز.

(*) أخرجه فى الصحيحين.

(٢) والذين آمنوا بالموافقة، فى الحديث إنه -صلى الله عليه وسلم الله- تضرع فى أمر أمته
 فأوحى الله إليه إن شئت جعلت حسابهم إليك فقال: يا رب أنت أرحم بهم فقال الله:

مَعَهُ عَظَفَ عَلَى النَّبِيِّ، أَوْ مَبْتَدَأَ خَبْرَهُ قَوْلُهُ: ﴿تُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ عَلَى الصَّرَاطِ، يَقُولُونَ حِينَ يَرُونَ أَنَّ نَوْرَ الْمُنَافِقِينَ قَدْ طَفَى ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا
أَتَمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ
بِالسِّيفِ﴾ وَالْمُنَافِقِينَ بِالْحُجَّةِ وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ ﴿وَاعْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَا أَوْاهُمْ جَهَنَّمَ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ^(١)﴾ جَهَنَّمَ ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ
لُوطٍ أَى جَعَلَ امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ مَثَلًا لَهُمْ، أَوْ مَثَلُ لُوطٍ مَثَلُ امْرَأةِ نُوحٍ فِي أَنَّ
قَرَابَةَ أَحَدٍ وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا لَا يَنْفَعُ مَعَ الْكُفْرِ، قِيلَ: هَذَا تَخْوِيفٌ لِعَائِشَةَ وَحَفْصَةَ ﴿كَانَتَا
تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ بِإِظْهَارِ الْإِيمَانِ مَعَ إِسْرَارِ الْكُفْرِ لَا
بِالْفَاحِشَةِ^(٢) ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا﴾ الْبَيَانُ ﴿عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ مِنَ الْإِغْنَاءِ ﴿وَقِيلَ﴾ لَهُمَا
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ مَعَ سَائِرِ الْكُفَرَةِ ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ^(٣) فِرْعَوْنَ﴾ فِي أَنَّ وَصْلَةَ الْكَافِرِ أَى^(٤) كَافِرٍ كَانَ لَا تَضُرُّ مَعَ

إِذْنٍ لَا أَحْزِيكَ فِيهِمْ وَأَمَّا قَوْلُهُ: "رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَحْزَيْتَهُ" [آلِ

عمران: ١٩٢] فَاَلْمُرَادُ دَخُولَ الْخُلُودِ لَا دَخُولَ التَّطْهِيرِ/ ١٢ وَجِيزٌ.

(١) وَلَمَّا قَالَ: "يَوْمَ لَا يَحْزَى اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا" كَانَ فِيهِ تَعْرِيزٌ لْغَيْرِهِمْ فَصَرَحَ أَنَّهُمْ أَهْلُ

الْحَزَى كَمَا قَالَ: "مَنْ تَدْخُلُ النَّارَ فَقَدْ أَحْزَيْتَهُ" [آلِ عمران: ١٩٢]/ ١٢ وَجِيزٌ.

(٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَا بَغَتْ امْرَأةٌ نَبِيًّا قَطُّ إِنَّمَا كَانَتْ حَيَاتُهُمَا فِي الدِّينِ

وَهَكَذَا قَالَ عِكْرَمَةُ وَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَالضَّحَّاكُ وَغَيْرُهُمْ/ ١٢ مِنْهُ.

(٣) جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى حَالَ امْرَأةِ فِرْعَوْنَ مَثَلًا لِحَالِ الْمُؤْمِنِينَ تَرْغِيًا لَهُمْ فِي الثَّبَاتِ عَلَى الطَّاعَاتِ

وَالْتِمَسْكِ بِالْدِّينِ وَالصَّبْرِ فِي الشَّدَةِ وَأَنَّ صَوْلَةَ الْكُفْرِ لَا تَضُرُّهُمْ كَمَا لَمْ تَضُرَّ امْرَأةَ

فِرْعَوْنَ وَقَدْ كَانَتْ تَحْتَ أَكْثَرِ الْكَافِرِينَ وَصَارَتْ بِإِيمَانِهَا بِاللَّهِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ وَفِيهِ دَلِيلٌ

عَلَى أَنَّ وَصْلَةَ الْكُفَرَةِ لَا تَضُرُّ مَعَ الْإِيمَانِ/ ١٢ فَتَحَ.

(٤) رَأَى وَصْلَةَ كَانَتْ/ ١٢ وَجِيزٌ.

الإيمان ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ بدل من امرأة فرعون ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ من نفسه ﴿وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ نقل أنه ^(١) لما تبين لفرعون إسلامها أوتد لها فشد يديها ورجليها. فقالت: رب ابن لي عندك بيتًا، فأبصرت بيتها في الجنة فضحكت فقال: ألا تعجبون من جنونها، فقبض الله روحها رضى الله عنها ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ﴾ عطف على امرأة فرعون ﴿الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ صانته ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ أى بواسطة جبريل كما مر في سورة الأنبياء ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ بما أوحى الله إلى الأنبياء ﴿وَكُتِبَ﴾ جنس الكتب المتزلة ﴿وَكَاَنَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ من الرهط المطيعين لله؛ لأن عشيرتها أهل صلاح، أو من عداد المواظين على الطاعة، والتذكير للتغليب، وفيه إشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال الكاملين.

والحمد لله والمنة.

(١) نقل هذا المعنى أبو يعلى والبيهقى بسند صحيح مع اختلاف يسير/ ١٢ كذا في الدر المنثور.

سورة الملك مكية

وهي ثلاثون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ ② الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ③ ثُمَّ أَرْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ④ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ⑤ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ⑥ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ⑦ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ⑧ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ⑨ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ⑩ فَاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السَّعِيرِ ⑪ إِنَّ الَّذِينَ يُخَشُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ⑫ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ⑬ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ⑭ ﴾

﴿تَبَارَكَ﴾: تعظم، ﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾: التصرف في الأمور كلها، ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ^(١) وَالْحَيَاةَ، اختلف العلماء هل الموت صفة وجودية مضادة للحياة كما دل عليه الآية أو هو عدم الحياة فمن قال بالثاني ذكر في تفسيرها قدرهما أو أوجد الحياة وأزالها، وعن بعض المراد أوجد الخلق من العدم، فسمى العدم موتا كما قال تعالى: "كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم" [البقرة: ٢٨] ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾: ليعاملكم معاملة المختبر، ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾: أخلصه وأصوبه، والجملة واقعة موقع ثانی مفعولى البلوى المتضمن معنى العلم، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا^(٢)﴾: مطابقة بعضها فوق بعض، فهو إما مفعول ثان، أو صفة السماوات، ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾: اختلاف وعدم تناسب، والجملة إما صفة، أو حال أي: ما ترى فيها، فوضع الظاهر موضع المضممر تعظيماً لخلقهن، ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾: في معنى التسبيب أي: قد نظرت إليها مرة فانظر إليها أخرى نظر تأمل هل ترى فيها من خلل؟ والفطور الشقوق، ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾: رجعتين أخريين، وهو كَلَيْتِكَ في أن المراد منه التكرير والتكرير، وفعل مثل هذا المفعول المطلق واجب الحذف^(٣) إذا كان المصدر

(١) هذه الآية مستدل من قال: إن الموت صفة وجودية مضادة لصفة أخرى وجودية، وصرح صاحب الفوائد إن عدمية الموت كانت منسوبة إلى القدريّة، ثم شاعت وعندهم أن خلق بمعنى قدر، وهذا أجدر من تفسيرهم بأوجد الحياة وأزالها/١٢ وجيز.

(٢) مطابقة بعضها فوق بعض، ونصبه على أنه وصف لسبع، وصف بالمصدر للمبالغة، وكأنه لم يذكر العرش والكرسى لأنهما ليسا من جنس السماوات، وطورهما خلاف ما عند أهل الهيئة/١٢ وجيز.

(٣) فلا يجب حذف هنالك، لأنه غير مضاف، وعبرة ابن الحاجب في الكافية مخلة إلا أن يقال أنه اكتفى بالمثل/١٢ منه.

مضافاً نحو: سعديك وليك، «يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً»: بعيداً عن إصابة ما يهوى، «وَهُوَ حَسِيرٌ»: كليل لطول التردد، وكثرة المراجعة، «وَلَقَدْ^(١) زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ» أي: زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها بمصابيح بأى مصابيح لا توازيها مصابيحكم، «وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً^(٢) لِلشَّيَاطِينِ»: ولها فائدة أخرى، وهى رجم الشياطين المسترفة للسمع، وكونها مراجم أن الشهب منقضة من نار الكواكب، «وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ»: فى الآخرة، «وَاللَّذِينَ كَفَرُوا بَرَبِهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ»: جهنم، «إِذَا أُلْقُوا فِيهَا»: طرحوا فى جهنم، «سَمِعُوا لَهَا»: لجهنم ولأهلها لقوله: "لهم فيها زفير" [الأنبياء: ١٠٠] «شَهيقاً»، هو أول ثميق الحمار، وهو أفتح الأصوات، «وَهِيَ تَفُورُ»: تغلي، «تَكَادُ

(١) قال المقبلى فى حاشية الكشف إن قوله "ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح" يكذب المنجمين، والزاعمين علم الفلك فى قولهم إن بعض النجوم فى السماوات كقولهم: إن زحل فى السابعة، والمشتري فى السادسة، والمريخ فى الخامسة، والشمس فى الرابعة، والزهرة فى الثالثة، والعطارد فى الثانية، والقمر فى الدنيا، وهذا من واضحات علمهم بزعمهم، فغيره أكذب منه، وكان البيضاوى يتعاطى هذه الحرفة البائرة؛ لأنه قال: هنا لا ينافى ذلك كون بعض النجوم مركزاً فى سماوات فوق هذه، وتقدم له فى البقرة أنه إذا ضم العرش إلى السبع السماوات وافق كلام الأوائىل إن الأفلاك ثمانية، انتهى هذا ما نقل فى منهية الفتى/١٢.

(٢) والنجوم قارة فيها لا تنفصل، والشهاب كقبس ينفصل من المصابيح يرحم بها، وبهذا صرح على بن أبى طالب، وابن عباس -رضى الله عنهم/١٢ وجيز. قال قتادة: خلق الله النجوم لثلاث: زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها فى البر والبحر، فمن تكلم فيها بغير ذلك فقد تكلم فيما لا يعلم، وتعدى وظلم، ذكره البخارى تعليقاً/١٢.

تَمَيَّزَ: تنقطع، ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾^(١): على الكفار، ﴿كَلِمًا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾: جماعة،
﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾: سؤال توبيخ، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾: ينذركم من عذاب الله؟
﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ أي: كذبنا
وأفردنا في التكذيب حتى نفينا الإنزال رأساً، ﴿إِن أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾: من
تمة كلامهم للرسول على أن المعنى قال الأفواج: قد جاء إلى كل فوج منا رسول
فكذبناهم، وقلنا: ما أنتم إلا في ضلال عظيم^(٢)، أو الخطاب له، ولأمثاله على التغليب،
﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾: كلام الرسل، ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾: الدلائل، ﴿مَا كُنَّا فِي
أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾: في عدادهم، ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾: حين لا ينفعهم، ﴿فَسُحْقًا
لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٣) أي: فبعداً لهم مفعول مطلق وجب حذف فعله، ﴿إِنَّ الَّذِينَ
يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾: غائبين عن أعين الناس أو عن الله أو يخشون عذابه غائباً
عنهم، ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ وَأَسِرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ﴾: يستوى عنده السر والجهر لأنه عليم بضمائر الصدور قبل التكلم، فيكف
لا يعلم ما تكلم به؟! ﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾: قول السر، والجهر، ﴿مَنْ خَلَقَ﴾: الأشياء، ﴿وَهُوَ

(١) وهل تستبعد من قدرة الله أن يجعل للنار غيظاً؟! فإن استبعدت فاجعل ذلك تمثيلاً لشدة

اشتعالها لهم، أو المراد غيظ الزبانية/١٢ وجز.

(٢) إشارة إلى جواب ما يقال أن الظاهر "إن أنتم إلا في ضلال كبير"/١٢ منه.

(٣) وعلى هذا ظاهر الآية أن لو كان جمعاً عاشوا في بعد عن الإسلام بحيث ما لم يطرق

سمعهم كلام نبي، وما تقوهوا قط على تكذيب نبي، فهم غير داخلين في "كلما ألقى"

فإن أثبتوا ما يقتضيه العقل من وجود صانع عالم قادر لتلا يندرجوا في "لو كنا نعقل"

فلا بعد أن يعفو الله عنهم عفواً فإنه هو المتبادر من تلك الآية مع الآيات الأخر، وبعض

الأحاديث يؤيد ذلك/١٢ وجز.

اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ: المتوصل علمه إلى ما ظهر وما بطن أو ألا يعلم الله مخلوقه؟ فإن كل شيء من خلق الله.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ
وَالِيهِ النُّشُورُ ﴿١٠﴾ ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ
﴿١١﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٢﴾
وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٣﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ
فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿١٤﴾
أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي
غُرُورٍ ﴿١٥﴾ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَّجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ
﴿١٦﴾ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٧﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ
قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٨﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٩﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعْلِمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا
أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢١﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا
الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا
فَمَن يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ
تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَن هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ
غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاءٍ مَّعِينٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا﴾: لينة لكي تسيروا فيها، وتزرعوا، ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾: جوانبها، أو جبالها، ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾: من رزق الله الذي فيها من الحبوب، والثمار، أو وطرقها معناه: فسافروا فيها حيث شئتم، واطلبوا من نعم الله بالتجارة وغيرها، ﴿وَالِيهِ التُّشْوُرُ﴾: المرجع فكونوا على حذر في العمل، ﴿أَأْمِنْتُمْ مِّنْ﴾^(١)

(١) أخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد في قوله: "أأمنتم من في السماء" قال: الله. ١٢/در منشور، وذكر صاحب الفتح أقوالاً إلى أن قال: وقيل: هو الله سبحانه، وهو الحق، لأن ظاهر النظم القرآني يقتضي أن الباري تعالى فوق السماء، وفي بمعنى على، والمعنى مَنْ ثَبِت واستقر في السماء أي: علا العالي، وهو العرش، وقال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام في الحموية: إن الله يوصف بالعلو، والفوقية الحقيقية، ولا يوصف بالسفول، ولا بالتحتية قط لا حقيقة، ولا مجازاً ثم من توهم أن كون الله تعالى في السماء أن السماء تحيط به وتحويه، فهو كاذب إن نقله عن غيره، وضال إن اعتقده في رب، وما سمعنا أحداً يفهمه من اللفظ، ولا رأينا أحداً ينقله من أحد، ولو سئل سائر المسلمين هل يفهمون من قوله الله تعالى، ورسوله أن الله في السماء أن السماء تحويه؟ لبادر كل واحد منهم أن يقول: هذا شيء لعله لم يخطر ببالنا، وإذا كان الأمر هكذا فمن التكلف أن يجعل ظاهر اللفظ شيئاً محالاً لا يفهمه الناس منه، ثم يريد أن يتأول؛ بل عند المسلمين أن الله تعالى في السماء وأنه على العرش واحد إذ السماء إنما يراد به العلو، فالمعنى أن الله في العلو، لا في السفلى، وقد علم المسلمون أن كرسية تعالى وسع السماوات، والأرض، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقاته لا نسبة له إلى قدرة الله تعالى وعظمته، فكيف يتوهم أن خلقاً يحصره ويحويه؟! وقد قال سبحانه "ولأصلبكنم في جذوع النخل" [طه: ٧١] وقال: "فسيروا في الأرض" [النحل: ٣٦]. بمعنى على، ونحو ذلك وهو كلام عربي حقيقة لا مجازاً وهذا يعلمه من عرف حقائق معاني الحروف، وأنها متواطئة

فِي السَّمَاءِ: ملكوته وسلطانه، ﴿أَنْ يَخْصِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾: فيغييكم فيها كما

= في الغالب لا مشتركة، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإن الله تعالى قبل وجهه فلا ييصق قبل وجهه" الحديث حق على ظاهره، وهو سبحانه فوق العرش، وهو قبل وجه المصلي، بل هذا الوصف يثبت للمخلوقات أيضاً فإن الإنسان لو أنه يناجى السماء أو أنه يناجى الشمس، والقمر لكانت السماء والشمس والقمر فوقه، وكانت أيضاً قبل وجهه، وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم- المثل بذلك، والله المثل الأعلى، ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا أو إمكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم- "ما منكم من أحد إلا سرى ربه مخلياً به" فقال له أبو رزين العقيلي، كيف يا رسول الله، وهو واحد، ونحن جميع؟ فقال النبي -صلى الله عليه وسلم: "سأتيك بمثل ذلك في آلاء الله تعالى، هذا القمر كلكم يراه مخلياً به، وهو آية من آيات الله تعالى" وقال: "إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر" فشبه الرؤية بالرؤية وإن لم يكن المرئي مشاهداً للمرئي، فالمؤمنون إذا رأوه يوم القيامة، وناجوه كل يراه فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر، ولا منافاة أصلاً، ومن كان له نصيب في المعرفة بالله، والرسوخ في العلم بالله يكون إقراره بالكتاب، والسنة على ما هما عليه أوكد انتهى.

وقال ابن القيم في النونية فصل:

هذا وتاسعها النصوص بأنه	فوق السماء وذا بلا حسيان
فاستحضر الوحيين وانظر	ذاك تلقاه مبينا واضح التبيان
ولسوف تنظر بعض ذلك عن قريب	ب كى تقوم شواهد الإيمان
وإذا أتتك فلا تكن مستوحشاً	منها ولاتك عندها يجبان
ليست تدل على انحصار إلهنا	عقلا ولا عرفاً ولا بلسان
إذا أجمع السلف الكرام بأن	معناها كمعنى فوق بالبرهان
أو أن لفظ سمائه يعنى به	نفس العلو المطلق الحقان

فعل بقارون، بدل اشتغال من من، والباء للتعدية؛ لأن الخسوف لازم، ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾: تضطرب، أي: يحركها عند الخسف حتى يلقىهم إلى أسفل، والأرض تعلو عليهم، ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: ريحًا ذات حجارة^(١) ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾: عند معاينة العذاب، ﴿كَيْفَ نَذِيرٍ﴾: كيف إنذاري، ولا ينفعكم العلم، ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ تَكْوِيرٍ﴾: إنكارى عليهم بالعذاب، ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ﴾: باسطات أجنحتهن، وفوقهم ظرف لصاصات، أو حال، وصاصات حال من ضميره، ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾: أجنحتها بعد

من المخلوق شيء عز ذو السلطان
في حقه هو فوقها ببيان
ولا يحاط بخالق الأكوان
من وصف العلو لزينا الرحمن
بعد التصور يا أولى الأذهان
الجهل أو بحمية الشيطان

= والرب فيه وليس يحصره
كل الجهات بأسرها عدمية
قد بان عنها كلها فهو المحيط
ما ذاك ينقم بعد ذو التعطيل
أيرد ذو عقل سليم قط ذا
والله ما رد امرئ هذا بغير
انتهى. وقال في موضع آخر:

حمن محوى بظرف مكان
قالت في زمن من الأزمان.
فماذا قولهم تبا لذي البهتان.
في كف خالق هذه الأكوان
تعالى الله ذو السلطان
يا قومنا ارتدعوا عن العدوان
فالبهت لا يخفى على الرحمن

ظن الحمير بأن في للظرف والرُّ
والله لم يسمع بذا من فرقة
لا تبهتوا أهل الحديث به
بل قولهم إن السماوات العلا
حقا كخردلة ترى في كف ممسكها
أترونها المحصور بعد أم السماء
كم ذا مشبهة، وكم حشوية
/انتهى.

(١) كما فعل بآل لوط/١٢ وجيز.

البسط وقتاً بعد وقت وعدل إلى صيغة الفعل ليعلم أن القبض طارئ غير أصيل، ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ﴾: في الجو أن يسقطن، ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾: برحمته الواسعة، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾: فمن أراد حفظه يحفظه، ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾، أم متصلة لثلاث يلزم استفهامين معادلة للقرائن التي قبلها أي: أمنت من عذاب الله؟ ألم تعلموا أن الحافظ هو الله؟ أم لكم جند ينصركم من دون الله؟ إن أراد بكم حسفاً وإرسال حاصب، أم لكم رازق يرزقكم إن أمسك الله رزقه عنكم؟ وجاء بصورة الاستفهام إشعاراً بأنهم اعتقدوا أن لهم ناصرًا، ورازقاً غير الله فيسأل عن تعيينه، فهذا خبر من، والذي مع صلته صفته أو بدله، وينصركم صفة جند، وإتيان اسم الإشارة للحقارة، ﴿بَلْ لَّجُوا﴾: تمادوا، ﴿فِي غُتُوٍّ﴾: عناد، ﴿وَنُفُورٍ﴾: تباعد عن الحق، ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾: يقال: كبته، فأكب أي: صار ذا كب نحو: قشع الله السحاب، فأقشع أي: صار ذا قشع أي: يعثر كل ساعة، ويخر لعدم علمه بالطريق الوعر، ﴿أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا﴾: قائماً لا عثر له، ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: مستو غير منحرف، وهذا تمثيل الكافر والمؤمن بالسالكين، مع أنهم في الآخرة كذلك، فالؤمن يمشى على الصراط قائماً إلى الجنة، والكافر يمشى على وجهه إلى نار جهنم، وقد صح أنه قيل: يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم؟! قال: "الذي أمشاهم على أرجلهم قادر أن يمشيهم على وجوههم" (*). ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾: تشكرون شكرًا قليلاً^(١) لهذه

(٥) البخارى في "الرفائق" (٦٥٢٣).

(١) قليلاً صفة لمصدر محذوف، وما زائدة، والجملة مستأنفة أو حال/١٢

النعم **﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾**: بئكم، ونشركم، **﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾**: للجزاء، **﴿وَيَقُولُونَ مَتَى (١) هَذَا الْوَعْدُ﴾** أي: الحشر، **﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾**: أيها النبي، والمؤمنون، **﴿صَادِقِينَ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾**: علم وقت الحشر، **﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾**: لا يعلمه إلا هو، **﴿وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ﴾**: منذر، **﴿مُبِينٌ﴾**: ولا يحتاج الإنذار إلى تعيين وقت البلاء، **﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾** أي: الوعد، فإنه بمعنى الموعد، **﴿زُلْفَةً﴾**: أي: ذا زلفة، يعني لما قامت القيامة ورأوا أنها كانت قريبة، **﴿سَيِّئَةٌ﴾**: قبيحة، **﴿وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾**: بأن علتها الكآبة، **﴿وَقِيلَ﴾**: لهم تقرعاً، **﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾**: من الدعاء أي: تطلبون وتستعجلون به، **﴿قُلْ﴾**: يا محمد، **﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾**: من المؤمنين، **﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾**: فأخر آجالنا، **﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾**: فإنه واقع بهم لا محالة ميتاً أو بقيناً، وهذا كأنه جواب لقولهم نتربص به ريب المنون أو معناه أخبروني: إنا مع إيماننا نخاف عذابه ونرجو رحمته، فأنتم ما تصنعون مع كفركم؟! **﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ آمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾**: لعلمنا بأن غيره لا يتأتى منه النفع والضرر، **﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾**: منا ومنكم، **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَأْوَكُمْ غَوْرًا﴾**: غائراً في قعر الأرض، **﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (٢)﴾**: ظاهر تناله الأيدي، والدلاء (٣) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - "إن سورة في القرآن

(١) استفهام سخرية/١٢.

(٢) ويستحب أن يقول القارئ -عقب معين: الله رب العالمين، كما ورد في الحديث وتليت هذه الآية عند بعض المتحجرين فقال تأتي به الفتوس والمعاول، فذهب ماء عينه وعمى نعوذ بالله من الجرأة على الله وآياته/١٢ جلالين.

(٣) هذا الحديث رواه أهل السنن الأربعة، وقال الترمذي: حديث حسن [وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٣١٥)/١٢ منه.

ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غفر له، تبارك الذى بيده الملك" وعنه — عليه الصلاة والسلام — "لوددت أنهما فى قلب كل إنسان من أمتي"^(١).

والحمد لله الذى هدانا لهذا.

(١) رواه الطبراني، وقال: هذا حديث غريب [أخرجه الطبراني من طريق: محمد بن الحسن بن عجلان الأصبهاني عن سلمة بن شبيب عن إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس... فذكره. كما قال ابن كثير (٣٩٥/٤) وقال: هذا حديث غريب وإبراهيم ضعيف] ١٢/منه.

سورة ن مكية

وهي ثمان وخمسون آية وفيها م ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ وَالْقَلَمَ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝٢ مَا أَنْتَ بِمَجْنُونٍ ۝٣ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝٤ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٥ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٦ بِأَبْصَارِكُمُ الْمَفْتُونُ ۝٧ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۝٨ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ۝٩ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝١٠ وَلَا تُطِعِ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١١ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۝١٢ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ ۝١٣ أُتِيمٍ ۝١٤ عَتُلٍ بَعْدَ ذَالِكَ رَنِيمٍ ۝١٥ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٦ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝١٧ سَنَسِفُهُ عَلَى الْخَرُطُومِ ۝١٨ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝١٩ وَلَا يَسْتَشْنُونَ ۝٢٠ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ۝٢١ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ۝٢٢ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ۝٢٣ أَنْ أَعْدُوا عَلَى حَرِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَرِمِينَ ۝٢٤ فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ ۝٢٥ أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ۝٢٦ وَغَدَوْا عَلَى حَرِّ قَدَرِينَ ۝٢٧ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ ۝٢٨ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ۝٢٩ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ۝٣٠ قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝٣١ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ ۝٣٢ قَالُوا يَلْوِيْلَنَا إِنَّا كُنَّا

طَلَعِينَ ﴿٦٠﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٦١﴾ كَذَلِكَ
الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾

﴿٦٠﴾، عن بعض: المراد منه الحوت الذى هو حامل الأرضين السبع، أو الدواة، وقد نقل إن أول شيء خلق القلم، ثم النون أي: الدواة، فقال له: اكتب ما يكون من عمل، أو رزق إلى يوم القيامة، أو لوح من نور، وفيه حديث مرسل (*) وعلى الوجه يكون قسمًا بحذف حرفه، ﴿وَالْقَلَمُ﴾: الذى خط اللوح المحفوظ، أو جنس القلم كقوله تعالى "الذى علم بالقلم" ^(١) (العلق: ٤)، ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: الملائكة من أعمال العباد وأحوالهم أو الأفلام أسنده إلى الآلة، وجعلها بمنزلة أولى العلم، ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾، جواب القسم أي: ما أنت بمجنون متلبسًا بنعمة ربك حال عن المستكن في الخبر، وقيل: متعلق بمعنى النفى أي: انتفى منك بسبب نعمته الجنون، لا كما يقول الكفرة، ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا﴾: على الإبلان والصبر، ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾: مقطوع، ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ^(٢): لأنك تحتل من الأذى ما لا يحتمل غيرك، ﴿فَسَتُبْصِرُ﴾: يا محمد، ﴿وَيُبْصِرُونَ﴾: المشركون الذين رموك بالجنون، ﴿بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ﴾، الجنون مصدر، كالمجلود والمعقول، أو الباء زائدة، أو بمعنى: في أي:

(*) أخرجه ابن جرير في "تفسيره" وقال ابن كثير (٤/٤٠١): وهذا مرسل غريب.

(١) فإنه أخ اللسان، ومطية الفطنة، ونعمة عظيمة/١٢ وجيز، وقال قتادة: القلم نعمة من الله عظيمة، لولا القلم ما قام دين، ولم يصلح عيش، والله أعلم بما يصلح خلقه/١٢ در منشور، وعن عبادة بن الصامت قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد"، أخرجه الترمذى وصححه [وصححه الشيخ الألبانى في "صحيح الترمذى" (٢٦٤٥)/١٢ فتح.

(٢) قيل لعائشة صف لى خلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالت: خلقه القرآن. هذا ما فى الوجيز، وعزاه السيوطى إلى مسلم، وابن أبى شيبة، والحاكم وغيرهم/١٢ وجيز.

الفريقين من فريقك، وفريقهم المجنون، أو المفتون: الشيطان، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾: فلا عقل لهم أصلاً، وهو المجنون حقيقة، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾: الفائزين بالعقل الكامل، ﴿فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾: صمم على معاداتهم، ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ^(١)﴾، من المداهنة أي: تلاينهم، ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾: فيلانيونك مثل أن تعظم دينهم وآلهتهم، فيعظمون دينك وإلهك، والفاء للسببية، أي: فهم يدهنون حينئذ أو للعطف، أي: ودوا مداهنتك فمداهنتهم، ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾: كثير الحلف، ﴿مَّهِينٍ﴾: حقير القلب والرأي، ﴿هَمَّازٍ﴾: مغتاب عياب، ﴿مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾: نقال للكلام سعاية وإفساداً، ﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾: يمنع نفسه عن الخير، أو الناس عنه، ﴿مُعْتَدٍ﴾: متجاوز عن الحد، ﴿أَثِيمٍ﴾: كثير الآثام، ﴿عُتْلٍ^(٢)﴾: غليظ جاف، وفي الحديث^(٣) "هو الشديد الخلق الصحيح الجسم الأكل الشروب الواحد للطعام والشراب، الظلوم للناس رحيب الجوف"، ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾: بعدما عد من النقائص، ﴿زَنِيمٍ^(٤)﴾: دَعِيٌّ

(١) كما قالوا: سامحنا سنة في تعظيمنا آلهتنا، ثم نطيعك/١٢ وجيز.

(٢) والظاهر أن هذه الأوصاف التي هي مذكورة بصيغة المبالغة ليست لمعين ألا ترى إلى قوله: "كل حلاف"، وقوله: "إنا بلوناهم" نعم ربما ينطبق على معين، واعلم أن اللفظ الثقيل كالعتل والخرطوم في الذم من الفصاحة/١٢ وجيز.

(٣) رواه أحمد في مسنده [وذكره الهيثمي في "المجمع" (١٢٨/٧)] عن عبدالرحمن بن غنم وقال: رواه أحمد وفيه شهر وثقه جماعة وفيه ضعف وعبدالرحمن بن غنم ليس له صحبة على الصحيح/[١٢ منه].

(٤) عن ابن جرير قال -عليه السلام: "نبكى السماء من عبد أصبح الله جسمه، وأرحب جوفه وأعطاه من الدنيا مقصماً، فكان للناس ظلوماً" قال: فذلك العبد الزنيم، وهكذا رواه أبو حاتم، ونص عليه غير واحد من السلف منهم مجاهد، والحسن، وقتادة، وغيرهم إن العتل هو المصحح الخلق الشديد القوى في المأكل والمشرب والمنكح وغير ذلك [رواه ابن أبي حاتم من طريقين مرسلين كما قال ابن كثير (٤/٤٠٤)]/١٢ منه.

منسوب إلى قوم ليس منهم، قيل: هو وليد بن المغيرة، وكان ولد الزنا، أو من له زنقة، وهي قطعة من جلد تعلق في حلق الشاة يعني: يعرف بالشر كما يعرف الشاة بزنتها، **﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾** أي: كذب آيتنا، لأن كان ذا مال وبنين يعني يجعل مجازاة نعمنا الكفر بآيتنا، فهو متعلق بما يدل عليه قوله "قال أساطير الأولين" لا يقال؛ لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله، أو متعلق بلا تطع أي: لا تطعه لماله، وبنيه مع تلك المعاييب، **﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾**: سنجعل على أنفه علامة، ووقعت يوم بدر، وفي لفظ الخرطوم استخفاف، فإنه لا يكاد يستعمل إلا في أنف الخنزير والفيل، أو سئلحق به شيئاً ظاهراً لا يفارقه، ونذله غاية الإذلال، فإن صاحب المال والبنين متكبر غالباً، أو نسود وجهه يوم القيامة، أو سنبين أمره بياناً ظاهراً كما يظهر السمة على الخراطيم، **﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾**: أهل مكة بالقحط^(١) **﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾**^(٢): كما امتحنا أصحاب بستان باليمن كان لرجل يتصدق منها على الفقراء فلما مات قال أبناؤه: كان أبونا أحمق إذ كان يصرف منها شيئاً كثيراً على الفقراء، **﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾**: فحلفوا، **﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾**: ليقطعن ثمرها، **﴿مُضْجِحِينَ﴾**: داخلين في الصبح خفية عن المساكين، **﴿وَلَا يَسْتَنُونَ﴾**: لا يقولون إن شاء الله قيل: لا يستنون حصة المساكين كما كان يخرج أبوهم، **﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾**: على الجنة، **﴿طَائِفٌ﴾**: بلاء طائف، **﴿مَنْ رَبُّكَ﴾**: نزلت نار فأحرقتها، **﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾**: في يومهم، **﴿فَأَصْبَحَتْ﴾**: الجنة، **﴿كَالصَّرِيمِ﴾**: كالليل الأسود المظلم أو كالزرع الذي حصد يابساً، **﴿فَتَنَادَوْا﴾** أي: نادى بعضهم بعضاً، **﴿مُضْجِحِينَ﴾**: داخلين في الصباح،

(١) فإن الله ابتلاهم بالجوع والقحط بدعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أكلوا الجيف، والرمم/٢٢ فتح.

(٢) عن سعيد بن جبير قال: هي أرض باليمن يقال لها: "ضروان" بينها وبين صنعاء ستة أميال/١٢ در مشور.

﴿أَنْ اَعْدُوا﴾: بأن أقبلوا غدوة، ﴿عَلَى حَرْثِكُمْ﴾، فتعديته بعلى لتضمين معنى الإقبال^(١)،
﴿إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾: قاطعين الثمر، ﴿فَانْطَلِقُوا﴾: ذهبوا، ﴿وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ﴾: يتسارون
فيما بينهم، ﴿أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا يَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾، أن مفسرة بمعنى أي، والنهي عن
تمكين^(٢) المسكين من الدخول أي: لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل، ﴿وَعَدُوا عَلَى
حَرَدٍ﴾: على جد وجه، أو على منع المساكين، أو الحرد اسم ليستأهم أو على غيظ
وغضب، والحرد في اللغة القصد والمنع والغضب، ﴿قَادِرِينَ﴾: عند أنفسهم على ثمارها أو
على حرد متعلق بقادرين أي: غدوا قادرين على نكد، وحرمان لا على انتفاع، فإنه ما
حصل لهم إلا الحرمان يقال: حاردت السنة، إذا لم يكن فيها مطر، وحاردت الإبل إذا
منعت درها، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾: الجنة مسودة، ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ﴾: طريق جنتنا ليست
هذه بجنتنا، ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: يعني لما تأملوا وعلموا أنها هي رجعوا عما كانوا،
وقالوا: بل نحن حرمانا نفعها، ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾: أعقلهم وخيرهم، ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا
تُسَبِّحُونَ﴾: هلا تسبحونه، وتشكرونه على ما أعطاكم، ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا
ظَالِمِينَ﴾: سبحوا واعترفوا بذنبهم، حيث لا ينفع فيما مضى، وعن بعض^(٣) معناه: هلا
تستنون، وسمى الاستثناء تسييحاً؛ لأنه تعظيم الله، وإقرار بأن له القدرة فترهه عن العجز،
﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتْلَاوُمُونَ﴾: يلوم بعضهم بعضاً^(٤)، ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا

(١) قال صاحب البحر: الذي في حفظي أن غدا متعد بعلى لا يلى، فلا نحتاج إلى أن نقول:

فيه تضمين معنى الإقبال/١٢ وجيز.

(٢) يعني ظاهره النهي عن الدخول للمسكين، وحقيقة هي لهم عن تمكينه منه ١٢/منه.

(٣) هو مجاهد، والسدي، وابن جريج/١٢/منه.

(٤) في منعهم للمسكين، وعزمهم على ذلك يقول هذا لهذا: أنت أشرت علينا بهذا الرأي،
ويقول ذاك لهذا: أنت خوفتنا الفقر، ويقول الثالث لغيره: أنت رغبتني في جمع الملل، ثم
نادوا على أنفسهم بالويل، حيث قالوا: "يا ويلنا" الآية/١٢/فتح.

كُنَّا طَاغِينَ: متجاوزين الحد، ﴿عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْرًا مِنْهَا﴾: في الدينك أو في الآخرة، ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾^(١): راجون الخير، وقبول التوبة، ﴿كَذَلِكَ الْعَذَابُ﴾: هكذا عذاب من بدل نعمة الله كفراً، أو كفراناً، ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾: منه وأشق، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾: لاحترزوا عن موجب العذاب أو لو كانوا من أهل العلم لعلموا أن عذاب الآخرة أشد.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتِ النَّعِيمِ﴾ ٢٨ ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ ٢٩ ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ٣٠ ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ ٣١ ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ ٣٢ ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَنُ عَلَيْنَا بَلِغَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ ٣٣ ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾ ٣٤ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ ٣٥ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ٣٦ ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهُقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ ٣٧ ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهِذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٨ ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ٣٩ ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾ ٤٠ ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ ٤١ ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ ٤٢

(١) عن ابن مسعود -رضي الله عنه- بلغني أنهم تابوا وأخلصوا فأبدلهم بها جنة تسمى "الحيوان" وعنه يحمل البغل منها العنقود/١٢ وجيز، وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أنهم من أهل الجنة أم من أهل النار؟ قال: لقد كلفتنى لقنا والمعظم يقولون: إنهم تابوا، وأخلصوا، حكاه القشيري/١٢ افتح.

﴿١٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿١٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٢١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾: عند حال من قوله: ﴿جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾: لا تنغص فيها أصلاً، نزلت حين قالوا: إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد لم يكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هي في الدنيا لم يفضلونا، ولم يزيدوا علينا، ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾، أنكر الله ما يدعون، وأبطله، ثم قال لهم- على طريق الالتفات: ﴿مَا لَكُمْ﴾ أى شيء لكم؟ ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾: هذا الحكم الأعوج أتحكمون من عند أنفسكم ورأيكم؟! ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾: من الله، ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾: تقرأون، ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾^(١): هذا كما تقول: علمت أن في الدار لزيد، أو حاصله: هل لكم من الله كتاب تقرأون^(٢) فيه أن ما تشتهونه وتختارونه لكم؟! والجملة حكاية للمدرس قيل ضمير فيه الثانية جاز رجعها إلى عند ربهم، ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا﴾: عهود

(١) أي: تقرأون في هذا الكتاب الذى هو من الله إن لكم في هذا الكتاب ما تخيرونه من تغيير وتبديل، وزيادة ونقصان، أو معناه هل لكم كتاب سماوى تقرأون فيه أن كل ما تختارون ثابت لكم في هذا الكتاب؟ فاخترتم عبادة الأوثان. الاستفهام الأول للتوقيف على خطأ ما قالوا والتوبيخ، والثاني للتعجب، والثالث للإنكار، وأم جاز أن يكون منفصلة أي: بل ألكم كتاب، وبل للانتقال لا لإبطال ما قبل، والهمزة للإنكار، ولما اسم إن وما موصولة، ولكم خبرها، وقوله: "إن لكم" من باب التعليق لتضمنه معنى العلم، وأصله أن لكم بفتح الهمزة، فلما جاءت اللام كسرت ١٢/ وحيز.

(٢) في ذلك الكتاب/١٢.

مؤكد بالآيمان، «بِالْعَةِ»: متناهية في التوكيد، «إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»، متعلق إما بالغة، أو بمتعلق لكم، «إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ»، جواب القسم، فإن حاصله أم أقسمنا لكم، «سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ» أي: الحكم، «زَعِيمٌ»: قائم يدعيه، ويصححه، «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ»: في هذا القول من البشر؟! «فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ»: في دعواهم يعني: إن هذا الدعوى مهمل لا يشاركهم أحد، أو معناه أم لهم آلهة غير الله تصحح لهم ما يدعون، وتثبت فليأتوا بها حتى تصحح، «يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ^(١)»، مقدر باذكر، أو متعلق بـ "فليأتوا"، أي: يوم يشتد الأمر، وكشف الساق مثل في ذلك، أو يوم يكشف عن حقائق الأمور وخفياتها، وفي الصحيحين سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- "يوم يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة"، وقد نقل^(٢) عنه - عليه

(١) وقد أغنانا الله سبحانه في تفسير هذه الآية بما صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقد أخرج البخاري، وغيره عن أبي سعيد قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول "يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، ويبقى من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد، فيعود ظهره طبقاً واحداً" وهذا الحديث ثابت من طرق في الصحيحين، وغيرهما، وله ألفاظ في بعضها طول، وهو حديث مشهور معروف، وإذا جاء نمر الله بطل نمر معقل، وذلك لا يستلزم تشبيهها، ولا تجسيماً، فليس كمثله شيء.

دعوا كل قول عند قول محمد فما آمن في دينه كمخاطر.

قال الشيخ أحمد ولي الله المحدث الدهلوي في كتابه حجة الله البالغة: واستطال هؤلاء الخائضون على معشر أهل الحديث، وسموهم مجسمة ومشبهة، وقالوا: هم المستترون بالبلكفة، وقد وضع على وضوحاً بينا أن استطالتهم هذه ليست بشيء، وأنهم مخطئون في مقالاتهم رواية، ودراية، وخاطئون في طعنهم أئمة الهدى انتهى/١٢ فتح.

(٢) رواه أبو يعلى، وابن جرير، وفي الرواة رجل مبهم [وكذا قال ابن كثير في "تفسيره"

(٤٠٨/٤) [١٢ منه.

الصلاة والسلام- "يوم يكشف عن ساق نور عظيم يخرون له سجداً (*)"، ﴿وَيَدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ﴾ أي: الكافرون والمنافقون، فإن المؤمنين يسجدون بلا دعاء، ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: السجود، لأنه صار ظهرهم طبقاً^(١) واحداً بلا مفاصل كلما أرادوا السجود خروا لقفاهم عكس السجود، ﴿خَاشِعَةً﴾، حال من فاعل يدعون، أو لا يستطيعون، ﴿أَبْصَارُهُمْ﴾: لا يرفعونها لدهشتهم، ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾: تلحقهم، ﴿ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾: في الدنيا، ﴿وَهُمْ سَالِمُونَ﴾: أصحاء، فلا يسجدون لله عن كعب الأحرار، والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات، ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبْ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾: كله إلى فإني عالم بما يستحق لا تشغل قلبك بهم، ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾: سنقرهم من العذاب درجة درجة بالإمهال، وإكمال الصحة، والنعمة، ﴿مَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾: إنه استدراج، وهو إنعامنا عليهم بالمال، وطول العمر، والصحة، فلم يشكروا، وحسبوا أنهم أحباء الله، والثروة قد تكون نعمة، وقد تكون نقمة، والعلامة الشكر، ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾: أمهلهم، ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾: لا يدفع بشيء سمي الاستدراج كيذاً؛ لأنه في صورة الكيد، ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾: يا محمد ﴿أَجْرًا﴾: على الهداية، ﴿فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ﴾: غرامة، ﴿مُثْقَلُونَ﴾: بحملها، فلذا يعرضون عنك، وأم منفصلة، والهمزة للإنكار، ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾: علم الغيب، ﴿فَهُمْ يَكْتُوبُونَ﴾: فلا يحتاجون إليك وإلى علمك، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾^(٢): بإمهالهم، ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾^(٣): يونس - عليه السلام - في العجلة والضجر كما مر في

(٠) هذا التأويل من المصنف في كشف الساق، والصحيح ما ورد في الحديث "يوم يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة". البخاري.

(١) قال أكثر السلف: وفي الصحيحين ما يدل على ذلك/ ١٢ منه.

(٢) فإنه - صلى الله عليه وسلم - أراد أن يدعو على ثقيف/ ١٢ وجزير.

(٣) قيل: فيه مناسبة بتفسير من فسر النون بالحوت/ ١٢ منه.

سورة الأنبياء، ﴿إِذْ نَادَى﴾: في بطن الحوت، ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾: مغموم، ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾: بقبول توبته، ﴿لَنَبَذَ﴾: لطرَح، ﴿بِالْعَرَاءِ﴾: بالفضاء من بطن الحوت، ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾، حال كونه مجرمًا ملومًا يعني لما تداركه برحمته نبذه على حال غير حال الدم، واللوم ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾: اصطفاه، ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١): من الأنبياء، ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، إن مخففة، ﴿لَيَزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ أي: ينظرون إليك بنظر البغضاء، ويكادون يزلقون به قدمك ويلولوها كما تقول: نظر إلى نظرًا يكاد يأكلني، ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾: القرآن، فإنهم لم يملكوا أنفسهم حسدًا حيثذ، وعن بعض: إن فيهم العين فأرادوا أن يصيبوه بالعين^(٢)، فعصمه الله، ونزلت، فمعناه يكادون يصيبونك بالعين لكن قوله، ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ﴾: لمحبيته بالقرآن، ﴿لَمَجْنُونٌ﴾: يناسب الوجه الأول، لأن شأن العيَّانين المدح لا الذم، ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن، ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عظة، ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾، فكيف يمكن نسبة من جاء بمثله إلى الجنون.

والحمد لله على الهداية والدراية.

(١) من الكاملين في الصلاح، قيل: لم يكن نبيًا حين ذهب مغاضبًا، ولهذا فسر من الصالحين بمن النبيين، ولما أمر -عليه الصلاة والسلام- بالصبر أخبره بشدة عداوتهم ليتلقى ذلك بالصبر، ويجترز عنهم، فقال: "وإن يكاد الذين" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) أخرج البخاري عن ابن عباس -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "العين حق" وأخرج الطيالسي، والبخاري في تاريخه، والبخاري عن جابر أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال "أكثر من يموت من أمتي بعد قضاء الله وقدره بالعين" [وقال البخاري ولا نعلم بروى هذا الحديث عن النبي إلا بهذا الإسناد وتعقبه ابن كثير بأن له وجه آخر فذكره وقال: وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات ولم يخرجوه] ١٢/در منشور.

سورة الحاقة مكية

وهي اثنتان وخمسون آية وفيها م ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَاقَّةُ﴾ ١ مَا الْحَاقَّةُ ٢ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ
بِالْقَارِعَةِ ٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ
صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَنِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ
فِيهَا صَرَغِي كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ٨
وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكْتُ بِالْخَاطِئَةِ ٩ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ
فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ١٠ إِنَّا لَمَّا طَعَا أَلْمَاءُ حَمَلْنَكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ١١
لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُنْذُنٌ وَاعِيَةٌ ١٢ فَاذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ
وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ١٣ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ
الْوَاقِعَةُ ١٤ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ١٥ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا
يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ ١٦ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ
خَافِيَةٌ ١٧ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ١٨ فَيَقُولُ هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ١٩ إِنِّي
ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَةَ ٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ٢٢
قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ٢٤
وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ٢٥ فَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ ٢٦ وَلَمْ أَذْرِ مَا
حِسَابِيَةَ ٢٧ يَلَيْتَنِي كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ٢٨ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَةَ ٢٩ هَلْكَ عَنِّي

سُلْطَنِيَّةٌ ﴿٦٠﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٦١﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٦٢﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا
سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٦٣﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْضُرُ
عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٦٥﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ﴿٦٦﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ
غَسْلِينَ ﴿٦٧﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٦٨﴾

﴿الْحَاقَّةُ﴾، سميت القيامة بها؛ لأنها واجبة الوقوع من حق يحق بالكسر أي: الساعة
الواجبة، أو التي فيها حواق الأمور أي: ثوابها كالحساب والعقاب، فيكون من باب
تسمية الشيء باسم ما يلابسه أي: ذو الحاقة، ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾، استفهام لتفخيم شأنها،
وهذه الجملة خبر للحاقة، أي: أى شيء هي؟ كقولك: زيد ما زيد؟ بوضع الظاهر
موضع المضمّر، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾^(١): وأى شيء أعلمك ما هي؟ يعنى لا علم
لك بكنهها لعظمها، فما مبتدأ، وأدراك خبر، ﴿كَذَبْتَ ثُمُودَ وَعَادَ بِالْقَارِعَةِ﴾ أي:
بما وسماها قارعة لقرعها القلوب بالخافة، ﴿فَأَمَّا ثُمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ أي:
بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة، وهى الصيحة، وعن بعض بسبب طغيانهم، فتكون
مصدرا كالعافية "كذبت ثمود بطغواها" (الشمس: ١١) ﴿وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بَرِيحٍ
صَرْصَرٍ﴾: شديدة البرد، ﴿عَاتِيَةٍ﴾، أصل العتو مجاوزة الحد أي: عتت على خزانها،
فخرجت بغير حساب، أو عتت على عاد، فلم يقدرُوا ردها، ﴿سَخَّرَهَا﴾: سلطها،
﴿عَلَيْهِمْ﴾، استئناف، أو صفة، ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾: متتابعات أو

(١) ولما ذكرها، وفخمها أتبع ذلك بذكر من كذب بها، فما حل بهم بسبب التكذيب
تذكيراً لأهل مكة، وتخويفاً لهم من عاقبة تكذيبهم، فقال: "كذبت ثمود" الآية/ ١٢ كبير،
نعم يمكن بيانها بنظائر ما وقع بالأمم السابقة من أنواع العذاب المختلفة طولاً وقصرًا،
وشدة زائدة وغير زائدة مع تخليص من خلص منها، فتفصيل ذلك أنه "كذبت ثمود"
الآية/ ١٢ تبصير الرحمن.

نحسات، أو قاطعات جمع حاسم صفة لسبع ليال، «فَتَرَى الْقَوْمَ» أي: لو كنت حاضراً، أو استحضار لصورهم كأنه يراهم، «فِيهَا»: في تلك الأيام، «صَرَغَى»: موتى جمع صريع حال، «كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ»: أصول، «نَخْلٍ خَاوِيَةٍ»: خالية الأجواف، أو ساقطة، «فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِّنْ بَاقِيَةٍ»: من بقية أو نفس باقية، ولا يبعد أن يراد منها، هل ترى باقية من العذاب لهم؟ يعني: قد وصل العذاب غايته، «وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ»: من الأمم الكافرة، وقراءة كسر القاف، وفتح الباء، فمعناه من عنده من أتباعه، «وَالْمُؤْتَفِكَاتُ»: قرى قوم لوط أي: أهلها، «بِالْخَاطِئَةِ»: بالخطيئة، «فَعَصَوْا» أي: كل منهم، «رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمُ أَخَذَةً رَّابِيَةً»: زائدة في الشدة، «إِنَّا^(١) لَمَّا طَغَا الْمَاءُ» أي: تجاوز عن الحد زمن نوح، «حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ»: في السفينة، فكل من بقى من البشر من أصلاب من في السفينة، «لِنَجْعَلَهَا» أي: تلك الفعلة، وهي إنحاء المؤمنين وإغراق الكافرين، «لَكُمْ تَذْكِرَةً^(٢)»: عبرة وعظة، «وَتَعِيَهَا»: تحفظها، «أُذُنٌ وَاعِيَةٌ» أي: من شأنها أن تحفظ ما سمعت به، ولا تضعه بترك التفكير والعمل به، وفي الحديث "لما نزلت سألت الله أن يجعلها^(٣) أذن علي" فكان

(١) ولما ذكر أمر فرعون، وذكر إغراقهم من علي من نجا، فقال: "إنا لما طغى الماء" الآية/١٢ وحيز.

(٢) تذكرون بها كيفية النجاة عن أهوال القيامة، وهو لمن رآها "وتعيها" أي: تحفظ ما يسمع منها ليوصلها إلى آخرين "أذن واعية" لمن لم يرها، ولما فرغ عن ذكر النظائر السابقة أشار إلى ما يقع في القيامة من نظائرها، "إذا نفخ في الصور نفخة واحدة" هي نظيرة صيحة ثمود، وتحصل بها ريح بها "حملت الأرض والجبال فدكها دكة واحدة"، فالريح كريح عاد، والحمل كحمل المؤتفكات/١٢ تبصير الرحمن.

(٣) ذكره السيوطي في الدر المنثور، وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن مردويه، وأبي نعيم [وقال ابن كثير (٤/٤١٢)] وهو حديث مرسل/[١٢].

على يقول: ما سمعت شيئاً من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فنسيته، **﴿فَإِذَا﴾** (١)
﴿نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً﴾: لا تنفي في وقتها، والمراد النفخة الأولى (٢) لما
ذكر حال المكذبين رجع إلى شرح أهوال القيامة، **﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾**:
رفعت عن أماكنها، **﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾**: ضربت الجملتان بعضها ببعض
ضربة واحدة، فيصير الكل هباء منثوراً، أو بسطنا فصارتا أرضاً لا عوج لها يقال:
أرض دكاء، أى مستوية متسعة، **﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾**: حينئذ، **﴿وَوَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾**: قامت
القيامة، **﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾**: من الحجرة، هكذا روى عن على - رضى الله عنه
﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾: ضعيفة ساقطة القوة، **﴿وَالْمَلَكُ﴾**: المراد منه الجنس،
﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾: جوانبها جمع رجا بالقصر يعنى ألها تنشق، وهى مسكن الملائكة،
فيأوون إلى ما حولها من حافاتها، **﴿وَيَحْمِلُ﴾** (٣) **﴿عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾**: فوق رءوس
الثمانية (٤)، **﴿يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾**: من الملائكة بعد ما بين شحمة أذن ملك منها وعنقه

(١) ولما كان الطوفان كقيامة قامت، ففيها تفجير البحور، أعقبه بذكر أحوالها فقال: "فلذا
نفخ في الصور" الآية/ ١٢ وجيز.

(٢) التى بها خراب العالم/ ١٢ وجيز.

(٣) أخرج الحاكم، وصححه عن ابن عباس - رضى الله عنهما - مرفوعاً قال: يحمل ثمانية
ملك على صورة الأرواح، وفي رواية عنه رءوسهم عند العرش، وأقدامهم فى الأرض
السفلى، ولهم قرون كقرون الوعلة، ما بين أصل قرن أحدهم إلى منتهاهم خمسمائة عام،
وروى أن ما بين أظلافهم إلى ركبهم كما بين السماء والأرض، وروى أن لكل ملك
منهم وجه رجل، ووجه أسد، ووجه ثور، ووجه نسر، ولابن جرير عن أبى زيد مرفوعاً
"يحمله اليوم أربعة، ويوم القيامة ثمانية" [أخرجه الحاكم (٢/ ٥٠٠)] وقال: صحيح على
شرط مسلم وأقره الذهبى/ ١٢ كمالين.

(٤) ولا يلزم إضمار قبل الذكر إلا لفظاً لا تقديرًا/ ١٢ منه.

بمخفق الطير^(١) سبعمائة عام، وعن بعض ثمانية صفوف، وعن بعض المفسرين: المراد بالعرش عرش يوضع يوم القيامة في الأرض لفصل القضاء لا العرش العظيم، «يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ»: على الله لإفشاء الأحوال، وإظهار العدل، «لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ»: سريرة كانت تخفى في الدنيا، ولما كان اليوم يطلق على زمان ممتد يقع فيه النفختان، وأحوال القيامة مطلقاً صح أن يقال فيه العرض، والحساب، وفي الحديث "يعرض الناس"^(٢) ثلاث عرضات، فأما عرضتان، فجدال، ومعاذير وأما الثالثة، فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فأخذ يمينه وأخذ بشماله" «فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ»: تبجحاً^(٣)، «هَؤُلَاءِ»، اسم فعل للجمع أي: خذوا، «اقْرَءُوا كِتَابِيَةَ»، منصوب بالفعل الثاني عند البصريين، والهاء للسكت تثبت في الوقف، وتسقط في الوصل، «إِنِّي ظَنَنْتُ»: علمت، «أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ» أي: أيقنت أني أحاسب، «فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ»، جعل الرضا للعيش مجلوزاً، وهو لصاحبها أو هو كلابن وتامر أي: منسوبة إلى الرضا، «فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ»: رفيعة هي، وقصورها أيضاً، «قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ»: ثمارها قريبة يتناولها الراقد، «كُلُوا وَاشْرَبُوا»، بإضمار القول، «هَنِيئًا»، صفة مصدر محذوف^(٤)، «بِمَا أَسْلَفْتُمْ» أي: بسبب ما قدمتموه من الخيرات، «فِي الْآيَامِ الْخَالِيَةِ»^(٥): الماضية في الدنيا، وقد روى عن ابن

(١) هذا مذكور في الحديث، رواه أبو داود، وفي كتاب السنة من سننه وابن أبي

حاتم [وصححه الشيخ الألباني في "صحيح أبي داود" (٣٩٥٣)/ ١٢ منه.

(٢) رواه الإمام أحمد، والترمذي [قال الترمذي: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم

يسمع من أبي هريرة. وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف الترمذي" / ١٢ منه.

(٣) بتقدم الجيم على الحاء المهملة / ١٢.

(٤) أي: أكلا وشرباً هنيئاً، أو تقديره هنتم هنيئاً / ١٢ منه.

(٥) أخرج البيهقي عن نافع قال: خرج ابن عمر -رضي الله عنهما- في بعض نواحي

المدينة، ومعه أصحاب له، ووضعوا سفرة له فمر بهم راعي غنم، فسلم فقال ابن عمر:

عباس -رضى الله عنهما- إن هذا في الصائمين خاصة أي: بدل ما أمسكتم في الأيام الجائعة، «وَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ»: تحسراً، «يَا لَيْتَنِي لَمْ أَوْتِ كِتَابِيَّةً وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَّةٌ يَا لَيْتَهَا»: الموتة التي متها، «كَانَتْ الْقَاضِيَّةُ»: القاطعة لأمرى، فلم أبعث، أو يا ليت تلك الحالة التي أنا فيها كانت الموتة، فإنها أسهل، «مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةٌ»: ما حصل لي من المال وغيره، ومفعول أغنى محذوف، أو ما على تقدير أن يكون استفهامية إنكارية^(١)، «هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ»^(٢): ضل عني حجتى، أو زال عني ملكى وقوتى، «خُذُوهُ»: لما أمر الله بذلك ابتدره سبعون ألف^(٣) ملك، وروى "لا يبقى شيء إلا دقه، فيقول: ما لي ولك، فيقول: إن الرب عليك غضبان، فكل شيء غضبان عليك «فَقُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ»: لا تدخلوه إلا الجحيم، «ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ

= هلم يا راعى هلم فأصب من هذه السفرة، فقال له: إني صائم، فقال ابن عمر: الصوم في مثل هذا اليوم الحار الشديد سموه، وأنت في هذه الجبال ترعى هذه الغنم؟! فقال له: إني والله ضيعت أيامى الخالية، فقال له ابن عمر وهو يريد يختبر ورعه: فهل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه، فنعطيك ثمنها، ونعطيك من لحمها، فتفطر عليه؟ فقال له: إنما ليست لي بغنم إنما غنم سيدى فقال له ابن عمر: فما عسى سيدك فاعلا إذا فقدها، فقلت: أكلها الذئب؟ فولى الراعى عنه، وهو رافع أصبعه إلى السماء، وهو يقول: فأين الله؟ قال فجعل ابن عمر يردد قول الراعى، وهو يقول: قال الراعى: فأين الله؟ فلما قدم المدينة بعث إلى مولاه فاشترى منه الغنم والراعى، فأعتق الراعى ووهب منه الغنم] أخرجه البيهقى في "شعب الإيمان" (٥٢٩١)/[١٢ در منشور.

(١) فيه إشارة إلى أن ما إما نافية، أو استفهامية/١٢ منه.

(٢) سلطانيته: قوتي، وحجتي، وهاء كتابيه، وحسابيه، وماليه، وسلطانيته للسكت تثبت وقفاً،

ووصلا اتباعاً لمصحف الإمام، والنقل، ومنهم من حذفها وصلا/١٢ جلالين.

(٣) ذكره ابن أبي الدنيا في الأحوال/١٢ منه.

ذَرَّعَهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا^(١) أي: طويلة، وفي الحديث ما يدل^(٢) على أنها أطول من مسافة بين السماء والأرض، ﴿فَاسْأَلُكُوهُ﴾: أدخلوه فيها، وعن ابن عباس^(٣) -رضى الله عنهما- يدخل في استه، ثم يخرج من فيه، ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين^(*) يشوي، ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾، استئناف للتعليل، ﴿وَلَا يَخْضُ﴾: لا يرغب، ﴿عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾: على إطعامه، وفيه إشعار بأن تارك الحض بهذه المترلة، فكيف بتارك الفعل، وبأن أشنع الذمائم البخل، وكان أبو الدرداء يحض امرأته على تكثير المرق للمساكين، ويقول: خلعنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع نصفها بالحض؟ ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾: قريب يحميه، ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾: دم وقيح يسيل من لحومهم، أو شجرة فيها، ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾: أصحاب الخطايا، والمراد المشركون.

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ ٢٨ ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ ٢٩ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ٣٠ ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُوْمِنُونَ﴾ ٣١ ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ ٣٢ ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَلَمِينَ﴾ ٣٣ ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ ٣٤ ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ ٣٥ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ ٣٦ ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ ٣٧ ﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكُرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ٣٨ ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾ ٣٩

(١) حديث ذكره الإمام أحمد، والترمذي/١٢ منه، هو إقرارهم إذا سئلوا من خلق السماوات والأرض؟ قالوا: الله [وقال الشيخ أحمد شاكر (٦٨٥٦): إسناده صحيح] ١٢/وجيز.

(٢) نقله السيوطي في الدر المنثور، وقال: أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم/١٢.

(٥) وفي نسخة ن: حتى.

﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾، لا مزيدة، أو رد لكلام المشركين، وقيل: لا أقسم بظهور الأمر بحيث لا يحتاج إلى القسم، ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾: بما في السماء والأرض، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾: بما هو في علم الله، ولم يطلع عليه أحد، ﴿إِنَّهُ﴾: القرآن، ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾: على الله يبلغه عن الله، فإن الرسول هو المبلغ، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾: يخيله من عند نفسه كما تزعمون، ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾: تصدقون تصديقًا قليلًا^(١)، أو المراد من القلة العدم، ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾^(٢): تذكرون تذكراً قليلاً، فلذلك التبس عليكم الأمر، ولما كان عدم مشاهة القرآن للشعر أظهر ذكر الإيمان مع الأول، والتذكر مع الثاني، ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: هو تنزيل، ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ﴾: الرسول، ﴿عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾: يخلق، ويفترى، ﴿لَا خُذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾^(٣): بيده اليمنى

(١) هو إقرارهم إذا سئلوا من خلق السماوات والأرض قالوا: الله/١٢ وحيز.

(٢) ذكر الإيمان مع نفى الشعر، والتذكر مع نفى الكهانة، لأن عدم مشاهة القرآن للشعر أمر بين لا ينكره إلا معاند كافر بخلاف مباينته للكهانة، فإنها تتوقف على تذكر أحواله -صلى الله عليه وسلم- وتذكر معاني القرآن المنافية لطريقة الكهانة، ومعاني أقوالهم قال أبو جهل: إن محمداً الشاعر، وقال الوليد بن المغيرة: ساحر وقال عقبة: كاهن فترلت هذه الآية، كذا قال مقاتل/١٢ فتح.

(٣) قال ابن جرير: إن هذا الكلام خرج مخرج الإذلال على عادة الناس في الأخذ بيد من يعاقب، وقال الفراء والمبرد والزجاج وابن قتيبة: باليمين أي: بالقوة والقدرة، وبه قال ابن عباس، -رضى الله عنه- وقال ابن قتيبة: إنما أقام اليمين مقام القوة؛ لأن قوة كل شيء في ميامنه، وقيل المعنى: لقتلناه صبراً كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاملة بالسخط/١٢ فتح.

منه ليكون أشد، فإن القتال إذا وقف بين يديه بحيث ينظر المقتول إلى السيف مریداً قتله من خلفه يأخذه بيده اليمنى، وإذا وقف خلفه مریداً قتله من قفاه يأخذ بيساره، أو اليمنى بمعنى القوة، ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾: نياط القلب، وهو جبل الوريد، ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾: دافعين عن القتل، أو عن نفسه بأن تحولوا بينى وبينه، ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: القرآن، ﴿لَتَذَكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾: فإنهم المنتفعون به، ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾: فنجازيهم، ﴿وَإِنَّهُ﴾ الضمير للقرآن أو للتكذيب، ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: يوم يرون ثواب الإيمان به، ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ اليقين هو العلم الذى زال عنه اللبس، والحق هو الثابت، فالإضافة إما بمعنى اللام، أو بمعنى من أو بيانة، ﴿فَسَبِّحْ﴾: الله، ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾، والعظيم إما صفة المضاف أو المضاف إليه.

والحمد لولى الحمد.

سورة المعارج مكية

وهي أربع وأربعون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبْصَرُونَهُمْ يَوْمَئِذٍ كَأَنَّهُمْ كَالْمَجَرَّمِ كَلَّا هُمْ يَوْمَئِذٍ مُّسْتَضَرُّونَ ﴿١١﴾ وَصَلَحَتِهَا وَأُخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مِّمَّا مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَاتِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ فُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنْ أَبْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ أي: دعا داع، ﴿بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾: البتة، ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾، هو نضر^(١) بن الحارث قال: إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، فالباء لتضمنين معنى دعا بمعنى استدعى، وقيل: لتضمنين معنى استعجل، وعن الحسن^(٢)، وقتادة لما خوفهم الله تعالى العذاب قال بعضهم: سلوا عن العذاب على من يقع؟ فترلت، فعلى هذا الباء لتضمنين معنى اهتم، أو الباء بمعنى عن، كما قيل في: "فاستل به خبيراً" (الفرقان: ٥٩) و يكون للكافرين خبر محذوف جواباً للسائل، أي: هو للكافرين ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾: يرده صفة أخرى لعذاب على الوجه الأول، وجملة مؤكدة للكافرين على الثاني، ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ أي: دافع من جهته، لأنه قدره، وقيل تقديره هو من الله، ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾^(٣): ذى السماوات، فإن الملائكة تعرج فيها أو ذى الدرجات أو ذى الفواضل، ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾: جبريل، أو خلق أعظم من الملك يشبهون الناس، وليسوا ناساً، وعن بعض المفسرين: المراد أرواح المؤمنين، فقد ورد أنها يصعد من سماء إلى سماء حتى ينتهى إلى السابعة، ﴿إِلَيْهِ﴾^(٤): إلى محل قربته، ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: من سنى الدنيا لو صعد غير الملك، وذلك لأن غلظ كل أرض خمسمائة،

(١) وهو ممن قتل يوم بدر صبراً/١٢ فتح كما في الدر المنثور من رواية النسائي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه [أخرجه النسائي في "تفسيره" والحاكم في "المستدرک" (٥٠٢/٢)] وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ورمز له الذهبي في "التلخيص" أنه على شرط البخارى/١٢.

(٢) أخرجه ابن المنذر على ما نقله السيوطى في الدر المنثور/١٢.

(٣) ذى الدرجات التى تصعد فيها الملائكة، وقال ابن عباس -رضى الله عنهما: ذى العلو والفواضل/١٢ فتح.

(٤) أي: إلى الله عز وجل هذا ما فى اللباب وفى الوجيز أي: إلى العرش، وهو الذى استوى عليه/١٢.

وبين كل أرض إلى أرض كذلك، وكذا السماء، فيكون إلى محدب سماء السابعة أربعة عشر ألف عام، وبينها إلى العرش ستة وثلاثون، فيكون خمسين ألف سنة، هكذا نقل عن ابن عباس -رضى الله عنهما، أو المراد^(١) يوم القيامة أي: تعرج الملك والروح للعرض والحساب في يوم كذا جعله الله على الكافرين خمسين ألف سنة، ويخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة يصلّيها في الدنيا، وفي الأحاديث الصحاح "إن طول يوم القيامة خمسون ألف سنة"^(*) وقيل في يوم متعلق بواقع، وعن^(٢) بعض المراد مدة الدنيا من أولها إلى آخرها خمسون ألف سنة، وعن بعض^(٣) اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة خمسون ألف سنة ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾^(٤)، على التكذيب، والاستهزاء، وذلك قبل آية القتال، ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ﴾: العذاب، أو يوم القيامة، ﴿بَعِيدًا﴾: من الإمكان، ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾: من الوقوع، ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ﴾، ظرف لمقدر مثل يقع للدلالة المقام، أو لقريباً، أو بدل عن "في يوم" على ثاني وجوهه ﴿كَالْمُهْلِ﴾: كدردى الزيت، وقيل: كالفلز^(٥) المذاب، ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾: كالصوف المندوف، ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾: قريب عن قريبه للشدة، ﴿يُبْصِرُ وَهُمْ﴾^(٦)، التبصير التعريف،

(١) وقد صح ذلك عن ابن عباس أيضاً، وعكرمة، والضحاك، وابن زيد وغيرهم ١٢/منه.

(*) انظر "تفسير ابن كثير" (٤١٩/٤ - ٤٢٠) والدر المنثور (٤١٦/٦ - ٤١٧).

(٢) قول عكرمة، ومجاهد ١٢/.

(٣) قول محمد بن كعب ١٢/منه.

(٤) أخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن ابن عباس -رضى الله عنهما- في قوله: "فاصبر صبراً جميلاً" قال: لا تشكوا إلى أحد غيري ١٢/در منشور.

(٥) فلز بكسرتين وتشديد زاي معجمة يطلق على جواهر الأرض كلها.

(٦) عن ابن عباس -رضى الله عنهما- في قوله: "يبصروهم" قال: يعرف بعضهم بعضاً ويتعارفون ثم يفر بعضهم من بعض ١٢/در منشور.

والإيضاح أي: يبصر الأحماء الأحماء، ومع ذلك لا يسأل عنه لاشتغالهم بحال أنفسهم استئناف، أو حال وذو الحال في معنى المعرف بالاستغراق، أو صفة حميما، ولما كان الحميم عامًّا جمع الضميرين، «يُودُ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي» "لو" بمعنى أن، «مِنْ عَذَابٍ^(١) يَوْمِئِذٍ بَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ» أي: هو بحيث يتمنى الافتداء بأقرب الناس فضلا عن أن يهتم بحاله، ويسأل عنه، «وَفَصِيلَتِهِ»: عشيرته، «الَّتِي تُتَوَيَّه»: تضمه في النسب، أو في الشدائد، أو المراد من الفصيلة الأم، «وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ» أي: يود لو يفتدي، ثم لو ينجيه الافتداء، وهيئات أن ينجيه، فثم للاستبعاد، «كَلَّا»، ردع للمحرم عن الودادة، «إِنَّهَا» أي: النار، أو ضمير مبهم يفسره ما بعده، «لَطَى»: لهب، أو هو علم للنار، «نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى» الشوى: الأطراف، أو جمع شواة، وهى جلدة الرأس، أو لحم الساقين، أو محاسن الوجه، وأم الرأس، أو اللحم والجلد، أو الجوارح ما لم يكن مقتلا، «تَدْعُوا»: النار إلى نفسها بأسمائهم، «مَنْ أَدْبَرَ»: عن الحق، «وَتَوَلَّى»: عن الطاعة، «وَجَمَعَ»: المال، «فَأَوْعَى»: فأمسكه في وعائه، ولم يصرفه في الخير، «إِنَّ الْإِنْسَانَ»: التعريف للاستغراق، «خُلِقَ هَلُوعًا^(٢)»: شديد الحرص قليل الصبر، «إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا»: لم ينفق أصلا، والأحوال الثلاثة مقدرة، أو محققة، لأنه مجبول طبيعته على الجزع، والبخل عند الفقر، والمال، «إِلَّا الْمُصَلِّينَ»: إلا من قدر الله أنه من أهل التوحيد، والطاعة،

(١) قرئ بتنوين عذاب، ونصب يومئذ به؛ لأنه بمعنى تعذيب/١٢ بيضاوي.

(٢) قال ابن عباس -رضي الله عنهما- تفسيره ما بعده، وهو قوله تعالى: "إذا مسه الشر" الآية/١٢ الباب.

وسأل محمد بن عبدالله بن طاهر ثعلبا عن الهلع فقال: قد فسر الله تعالى، ولا يكون تفسيراً أبين من تفسيره، وهو الذى إذا ناله شر أظهر شدة الجزع، وإذا ناله خير بخل به، ومنعه الناس، وهذا طبعه، وهو مأمور بمخالفة طبعه، وموافقة شرعه/١٢ مدارك.

فإنه ما خلقه كذلك، ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾^(١): لا يتركون فريضة، ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾، كالزكاة وغيرها، ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾، مر تفسيره في سورة "الذاريات" ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتِ الدِّينِ﴾: يوم الجزاء، فلا يعملون السيئات، ولو عملوا نادراً يتوبون عن قريب خوفاً عن الجزاء، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ﴾: خائفون، ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾، معترضة تدل على أن ليس لعاقل الأمن من عذاب الله، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾، سبق في أول سورة "قد أفلح المؤمنون" ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾: لا يخونون، ولا يغدرون، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ﴾^(٢)

(١) فإن قلت: كيف قال على صلاتهم دائمون، ثم قال بعده على صلاتهم يحافظون؟ قلت: بمعنى إدامتهم عليها أن يواظبوا على أدائها، وأن لا يتركوها في شيء من الأوقات، وأن لا يشتغلوا عنها بغيرها إذا دخل وقتها، والمحافظة عليها ترجع إلى الاهتمام بها، وهو أن يأتي بها العبد على أكمل الوجوه، وهذا إنما يحصل بأمور ثلاثة: منها ما هو سابق للصلاة كاشتغال بالوضوء، وستر العورة، وإبصار المكان الظاهر للصلاة، وقصد الجماعة، وتعلق القلب بدخول وقتها، وتفريغه عن الوسواس، والاتفات إلى ما سوى الله - عز وجل - وأما الأمور المقارنة للصلاة، فهي أن لا يلتفت في الصلاة يمينا، ولا شمالا وأن يكون حاضر القلب في جميعها بالخشوع، والخوف وإتمام ركوعها، وسجودها وأما الأمور الخارجة عن الصلاة، فهو أن يحترز عن الرياء، والسمعة، وخوف أن لا يقبل منه مع الابتهاال، والتضرع إلى الله تعالى في سؤال قبولها، وطلب الثواب، فالمداومة على الصلاة ترجع إلى نفسها، والمحافظة عليها ترجع إلى أحوالها وهياتها/١٢ الباب.

(٢) وهذه الشهادة من جملة الأمانات، إلا أنه خصها بالذكر لفضلها، لأن بها تحيا الحقوق وتظهر وفي تركها تموت وتضيع/١٢ الباب.

قَائِمُونَ»: محافظون عليها لا يكتُمون، ولا يزيدون، ولا ينقصون، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾: على أركانها، وواجباتها، ومستحباتها افتتح في وصفهم بذكر الصلاة، واختتم بها كما في سورة المؤمنين لشرفها، وكمال الاعتناء بها، ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ ^(١) مُكْرَمُونَ﴾: عند الله.

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ^(٢) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ^(٣) أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ^(٤) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا يَعْلَمُونَ ^(٥) فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ^(٦) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ^(٧) فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ^(٨) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ ^(٩) خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ^(١٠)﴾

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾: مسرعين حولك مادي أعناقهم إليك، ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾: فرقا شتى، جمع عزة نزلت فيمن يجتمع حوله -عليه السلام- يستمعونه، ويستهنئون به، وعن اليمين إما متعلق بعزين، أو هو أيضا حال، أو بمهطعين، ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾، كانوا يقولون: لو كانت جنة، فلندخلها قبلهم، ﴿كَلَّا﴾، ردع عن هذا الطمع، ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّمَّا

(١) ولما قال: "أولئك في جنات مكرمات" دل على أن من هو ينقص تلك الصفات ليس في جنات، فهذا لا بد أن لا يطعم أحد منهم في الجنة، فقال: "فمال الذين كفروا" الآية/١٢ وجيز.

يَعْلَمُونَ^(١) أي: من تراب، ثم من نطفة، وهى جملة للتعليل، كأنه قال: ارتدعوا عن طمع الجنة، لأن الدليل دالٌّ على ضلالكم، فإنكم على استحالة البعث وهو ممكن، لأننا خلقناكم من نطفة، وكذا وكذا، ومن كان قادراً على مثل ذلك كيف لا يقدر على الإعادة، أو معناه إنا خلقناهم من نطفة قدرة فمن أين يدعون التقدم من غير تطهير النفس بالإيمان، والأعمال؟ أو إنا خلقناهم من أجل ما يعلمون وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون" (الذاريات: ٥٦)، ﴿لَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾: مشارق الكواكب، ومغارها، ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ﴾: على أن نعيدهم يوم القيامة بأبدان خير من هذه، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾: عاجزين مغلوبين، أو معناه نحن قادرون على أن نهلكهم، ونأتى بدلهم بخلق خير منهم، ﴿فَذَرَهُمْ يَخْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾، هذا قبل وجوب القتال، ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾: القبور، ﴿سِرَاعًا﴾: مسرعين إلى إجابة الداعى، ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ^(٢) يُوفِضُونَ﴾: يسرعون إلى النصب يتدرون أيهم يستلمه أول

(١) عن بشر بن جحاش قال: قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم "فمال الذين كفروا" إلى قوله: "مما يعلمون" ثم بزق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على كفيه، ووضع عليها أصبعه، وقال يقول الله: "ابن آدم أنى تعجزني، وقد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك، وعدلتك مشيت بين بردين، وللأرض منك وئيد، فجمعت، ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت: أوافى أو ان الصدقة" [أخرجه البيهقي فى "شعب الإيمان" (٣٤٧٣)/١٢فتح.

(٢) قرأ الجمهور نصب بفتح النون، وسكون الصاد، وهو اسم مفرد بمعنى العلم المنصوب الذى يسرع الشخص نحوه، وقال أبو عمرو: هو شبكة الصائد يسرع إليها عند وقوع الصيد فيها مخافة انفلاته/١٢فتح، وقيل: هو كل ما نصب، وعبد من دون الله/ مدارك.

فعلوا حين عاينوا أنصاهم في الدنيا، أو يسارعون إلى علامة وغاية منصوبة،
﴿خَاشِعَةً﴾: ذليلة خاضعة، ﴿أَبْصَارُهُمْ تَرَاهُمْ﴾: تلحقهم، ﴿ذِلَّةٌ﴾: هوان، ﴿ذَلِكَ﴾
الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾: في الدنيا.

والحمد لله على الإيمان.

سورة نوح مكية

وهي تسع أو ثمان وعشرون آية وفيها ركوعان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١ ﴾
 قَالَ يَلْقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٢ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ٣ يَغْفِرْ
 لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ٤ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ
 لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ٦ فَلَمْ يَزِدْهُمْ
 دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ٧ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِي
 عَازِلِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا ٨ وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ٩ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ
 جِهَارًا ١٠ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ١١ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ
 إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ١٢ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ١٣ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ
 وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ١٤ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ
 وَقَارًا ١٥ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ١٦ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ
 طِبَاقًا ١٧ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ١٨ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ
 مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ١٩ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ٢٠ وَاللَّهُ جَعَلَ
 لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ٢١ لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ٢٢ ﴾

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ﴾: بأن أنذر، أي: بأن قلنا له أنذر، ﴿قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ،

لنضمن الإنذار معنى القول جاز أن يكون أن^(١) مفسرة، «وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ»: بعضها، وهو ما سبق وقيل: من^(٢) زائدة، «وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى»: منتهى آجالكم، ولا يستعجلكم بالعقوبة، فإن الطاعة وصلة الرحم يزداد بهما في العمر^(٣)، «إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ»: الأجل الأطول، «إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ»: فآمنوا قبل مجيئه، أو إن الأجل المقدر إذا جاء على الوجه المقدر به أجلا لا يؤخر، فبادروا في حين الإمهال، «لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»: من أهل العلم لعلمتم ذلك، «قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا»: أي: دائما، «فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا»: من الحق، «وَأِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ»: إلى الإيمان، «لَتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ»: لئلا يسمعوا دعوتي، «وَأَسْتَعْشُوا نِيَابَهُمْ»: تغطوا بالثياب لئلا يروني، أو لئلا أعرفهم، «وَأَصْرُوا»: على ضلالهم، «وَأَسْتَكْبَرُوا»: عن اتباعي، «أَسْتَكْبَرُوا»، قالوا: "أنؤمن لك واتبعك الأرذلون" (الشعراء: ١١١)، «ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا»: أي: دعوتهم مرة بعد أخرى بأى وجه أمكنني و"ثم" للتراخي الزماني، أو الرتبي، "وجهارا" مصدر من غير لفظه، «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ»: بالتوبة، «إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَارًا^(٤)»: كثير الدرور

(١) فيه إشارة إلى أن في "أن اعبدوا الله"، و"أن أنذر" يحتمل الوجهين، فيحوز في الأول أن يكون مفسرة أيضاً، وفي الثانية أن يكون تقديره بأن اعبدوا الله/١٢ منه.

(٢) اختار ابن جرير "أن" من هاهنا بمعنى عن، أي: يصفح لكم عن ذنوبكم/١٢ منه.

(٣) كما أن بعض المعاصي يستعجل العقوبة/١٢ وحيز.

(٤) عن بعض المفسرين: إن قوم نوح لما كذبوه زماناً طويلاً حبس الله عنهم المطر، وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة، فهلكت أمواهم، ومواشيهم، فلهذا قال لهم نوح: "استغفروا ربكم" الخ/١٢ منه.

حال، والمفعول مما يستوى فيه المذكر والمؤنث، ﴿وَيَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾: بساتين، ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾: لا تخافون له عظمة، حتى تركوا عصيانه "والله" إما حال من وقاراً، أو مفعول ترجون بزيادة اللام، و"وقاراً" تمييز^(١) كفجرنا الأنهار عيوناً، أو لا ترون له عظمة، أو لا تعتقدون الوقار، فيثيبكم على توقيركم، ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾: نطفة، ثم علقه، ثم وُثِمَ حال موجبة لتعظيمه وتوقيره ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾: مطابقة بعضها فوق بعض، ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ﴾: فيهن، ﴿سِرَاجًا﴾: تريل الظلمة كما يزيلها السراج، ولو كان القمر والشمس في أحدهن نوراً وسراجاً لصدق أنهما فيهن، أو إضاءتهما في السماوات كلها، وكلام ابن عباس يدل عليه، ﴿وَاللَّهُ أُنْتَبِئُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ أي: أنشأكم منها، فإن آدم منها، أي: أنبتكم فنتيم نباتاً، فاختصر دلالة على سرعة نفاذ أمره، ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾: بعد الموت، ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾: من الأرض، ﴿إِخْرَاجًا﴾: بالخشر أكده بالمصدر كما أكد الإنشاء دلالة على أنه في التحقق كهو، ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بَسَاطًا﴾: تنقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه، ﴿لَتَسْلُكُنَّهَا﴾: متخذين، ﴿مِنْهَا سُبُلًا﴾: فِجَاجًا: واسعة.

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ ﴿٦٦﴾ وَمَكْرُؤًا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٦٧﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا

(١) يعنى إذا كان وقاراً مفعول تخافون فله حال؛ لأن خاف لا يعدى باللام، وإذا كلن الله هو المفعول بزيادة اللام فوقاراً تمييز/ ١٢ منه.

سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿١١﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿١٢﴾ مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أُعْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿١٣﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿١٤﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿١٥﴾ رَبِّ آغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿١٦﴾

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾: فيما أمرهم به، ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ أي: اتبعوا رؤساءهم الأخسرين بسبب الأموال والأولاد، ﴿وَمَكْرُوا﴾ عطف على لم يزدّه وجمع الضمير باعتبار المعنى، ﴿مَكْرًا كَبَارًا﴾^(١): عظيمًا في الغاية

(١) قال الرازي: ذكر أبو زيد البلخي في كتابه في الرد على عبدة الأصنام أن العلم بأن هذه الخشبنة المنحوتة في هذه الساعة ليست خالقة للسموات، والأرض، والنبات والحيوان علم ضروري، والعلوم الضرورية لا يجوز وقوع الاختلاف فيها بين العقلاء، وعبادة الأوثان دين كان موجودًا قبل مجيء نوح -عليه السلام- بدلالة هذه الآية، وقد استمر ذلك الدين إلى هذا الزمان، وأكثر سكان أطراف المعمورة على هذا الدين فوجب حمل هذا الدين على وجه لا يعترف فسادَه بضرورة العقل، وإلا لما بقى هذه المدة المتطاولة في أكثر أطراف العالم، فإذا لابد أن يكون للذهابين إلى ذلك المذهب تأويلات، ثم بين وجوه التأويلات إلى أن قال: الوجه الرابع أنه كان يموت أقوام صالحون، فكانوا يتخذون تماثيل على صورهم ويشغلون بتعظيمها، وغرضهم تعظيم أولئك الأقوام الذين ماتوا حتى يكونوا شافعين لهم عند الله، وهو المراد من قولهم: "ما نعبدُهم إلا ليقربونا إلى الله زلفًا" (الزمر: ٣)، ولهذا السبب نهى الرسول -عليه السلام- عن زيارة القبور أولاً، ثم أذن فيها انتهى ما في الكبير ملخصاً/١٢.

لاتباعهم في تسويلهم أنهم على الحق كما يقولون في القيامة، "بل مكر الليل والنهار إذ تأمرونا" الآية (سبأ: ٣٣)، «وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ» أي: عبادتها، «وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا»^(١) «وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا» أي: لا تذر الآلهة سيما هؤلاء هي أسماء آلهتهم، «وَقَدْ أَضَلُّوا»: الأصنام، «كَثِيرًا»: من الخلق كما قال الخليل: "واجنبي وبني أن نعبد الأصنام رب إهن أضللن كثيرًا" الآية (إبراهيم: ٣٥، ٣٦)، وعن مقاتل، وقد أضل رؤسائهم كثيرًا، «وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ»، عطف على "رب إهن عصوي" «إِلَّا ضَلَالًا»، دعاء عليهم لتمردهم وعنادهم، كما دعا موسى "ربنا اطمس على أموالهم" (يونس: ٨٨) «مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ»: من أجلها وما مزيدة للتأكيد، «أَغْرُقُوا»: بالطوفان، «فَادْخُلُوا نَارًا»: فإنه يعرض عليهم النار في القبور بكرة وعشيا، أو المراد نار جهنم، والتعقيب لعدم الاعتداد لما بين الإغراق، والإدخال كأنه نومة، «فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا»: ما نصرهم آلهتهم، «وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا» أي: أحدًا يدور في الأرض، أو نازل دار، وأصله ديوار، ففعل به ما فعل بسيد، «إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ»: صبياهم، «وَلَا يَلِدُوا إِلَّا

(١) أخرج البخاري، وابن المنذر، وابن مردويه عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب تعبد، أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث، فكانت لمراد، ثم لبني غطيف عند سبأ وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومه أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك، ونسخ العلم عتبت/ ١٢ در منشور.

فَاجِرًا^(١) كَفَّارًا»، قال ذلك لخبرته بهم، وتجربته لمكثه بينهم ألف سنة إلا خمسين عامًا،
 «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ»، كانا مؤمنين، «وَلَمَنْ دَخَلَ بَيْتِي»: داري، أو
 مسجدي، أو سفيني، «مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ»: إلى القيامة، «وَلَا تَزِدِ
 الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا»: هلاكًا.

والحمد لله الذى جعلنا من أمة محمد - صلى الله عليه وسلم.

(١) عن ابن عباس -رضى الله عنهما- والكلبي ومقاتل كان الرجل ينطلق بابنه إلى نوح
 فيقول: احذر هذا فإنه كذاب، وإن أبى حذرنيه، فيموت الكبير، وينشأ الصغير على
 الكفر/١٢ منه.

سورة الجن مكية

وهي ثمان وعشرون آية وفيها مراكوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١
يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِكْ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا
مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا
ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ
يَعُودُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ
اللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجدْنَاهَا مِثْلَ تَحْرَسًا شَدِيدًا وَشُهِبًا ۝٨ وَأَنَّا
كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهُبًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا
نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ
وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا ۝١١ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَكِن
تُعْجِزُهُ هَرَبًا ۝١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى ۝١٣ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا
يَخَافُ بَحْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٤ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَن أَسْلَمَ
فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ۝١٥ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٦ وَأَلْوُ
اسْتَقِمُّوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا ۝١٧ لِنَقْتَتِلَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن
ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝١٨ وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝١٩
وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝٢٠﴾

﴿قُلْ أُوْحِيَّ إِلَيَّ أَنَّهُ﴾، الضمير للشأن، ﴿اسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾: جماعة ما بين الثلاثة إلى العشرة، ﴿مِّنَ الْجِنِّ﴾^(١)، أمر الله رسوله أن يخبر قومه أن جماعة من الجن استمعوا للقرآن، فآمنوا به وصدقوه، ﴿فَقَالُوا﴾: حين رجعوا إلى قومهم، ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾^(٢) قُرْآنًا

(١) واحتلف هل رآهم النبي -صلى الله عليه وسلم- أم لم يرههم؟ فظاهر القرآن أنه لم يرههم، لأن المعنى: قل يا محمد لأمتك أوحى إلى على لسان جبريل أنه استمع نفر من الجن، ومثله قوله: "وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن" (الأحقاف: ٢٩)، ويؤيد هذا ما ثبت في الصحيح قال "ما قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على الجن، وما رآهم" وروى ابن مسعود أنه رآهم ورجحه العلماء، والحق صحتهما وأن الأول وقع أولا، ثم نزلت السورة، ثم أمر بالخروج إليهم/١٢فتح.

(٢) أخرج أحمد، وعبد بن حميد، والبخارى ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن المنذر، والحاكم، وابن مردويه، وأبو نعيم، والبيهقي، والطبراني عن ابن عباس قال: "انطلق النبي -صلى الله عليه وسلم- في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين، وخبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها، ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء؟ فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك حين رجعوا إلى قومهم، فقالوا: "يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشd فآمنوا به ولن نشرك بربنا أحدا" فأنزل الله على نبيه -صلى الله عليه وسلم- "قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن" وإنما أوحى إليه قول الجن/١٢در منشور، وفي الفتح اختلفوا في وجود الجن فأنكره معظم الفلاسفة واعترف به جمع منهم، وسموهم بالأرواح السفلية، وزعموا أنهم أسرع إجابة من الأرواح الفلكية، إلا أنهم أضعف، وأما

عَجَبًا^(١): في نهاية البلاغة مصدر وضع للمبالغة موضع العجيب، ﴿يَهْدِي﴾: الخلق،
 ﴿إِلَى الرُّشْدِ﴾: إلى الصواب، والسداد، ﴿فَأَمَّا بِهِ وَلَنْ تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾، ولن
 نعود إلى ما كنا عليه من الإشراك، ﴿وَأَنَّهُ﴾ أي: الشأن، ﴿تَعَالَى جَدُّ﴾: عظمة،
 ﴿رَبِّنَا﴾، أو علا ملكه، أو غناه، وقراءة "إن" بالكسر عطف على "إنا سمعنا" من جملة
 المقول، وأما الفتح، فعلى العطف على "به" في "أما به" بحذف حرف الجر وحذفه من
 أن وإن كثير والأولى عندي أن يكون عطفًا لعلی أنه استمع أي: أوحى إلى هذا
 الكلام، وهو أنه تعالى جد ربنا حكاية عن كلام الجن حتى لا يحتاج في وأنه كان رجال
 وغيره إلى تمحل عظيم، فتأمل، ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ بيان لقوله تعالى: "جد
 ربنا"، كأنه قال: تعالى عظمته عن اتخاذ صاحبة والولد، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾:
 إبليس، أو جاهلنا، ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ أي: قولاً ذا شطط، وهو مجاوزة الحد في
 الظلم، ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أي: حسبنا أن
 أحدًا لن يفترى عليه، فكنا نصدق ما أضافوا إليه حتى تبين لنا من القرآن افتراءهم،
 و"كذباً" مصدر؛ لأنه نوع من القول، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالِ
 مِّنَ الْجِنِّ﴾ إذا نزلوا واديًا في الجاهلية قالوا: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء
 قومه، كما كانت عادتهم دخول بلاد الأعداء في جوار رجل كبير منهم، وخفارتهم،
 ﴿فَرَاذُوهُمْ﴾ أي: الجنُّ الإنس، ﴿رَهَقًا﴾: إخافة وإرهابًا، عن عكرمة: كان إذا نزل
 الإنس واديًا هرب الجن منهم، فلما سمع الجنُّ يقول الإنس: نعوذ بأهل هذا الوادي
 قالوا: نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم فدنوا من الإنس فأصابوهم بالجنون، والخليل،

= جمهور أرباب الملل، وهم أتباع الرسل والشرائع، فقد اعترفوا بوجودهم فلا اعتداد
 بمنكرهم، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل/١٢.

(١) لبدعته وحسن مبانيه، ودقة معانيه، وغرابة أسلوبه مع كونه متباينًا لسائر الكتب/١٢ منه.

أو فزاد الجن تكبراً وطغياناً بسبب استعاضة الإنس بهم، **﴿وَأَنَّهُمْ﴾**: أي: الإنس، **﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾**: أيها الجن، **﴿أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾**: بعد ذلك بالرسالة أو لا بعث، ولا حشر، وهذا قول نفر من الجن لقومهم حين رجعوا إليهم، **﴿وَأَنَا لَمَسْنَا﴾**: طلبنا، واللمس والمس استعير للطلب، لأن الماس طالب متعرف، **﴿السَّمَاءَ﴾**: أي: بلوغها لاستراق السمع، **﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا﴾**، اسم بمعنى الحراس كالخدم، **﴿شَدِيدًا﴾**: من الملائكة، **﴿وَشُهْبًا﴾**: من النجوم، **﴿وَأَنَا كُنَّا﴾**: قبل ذلك، **﴿نَقْعُدُ مِنْهَا﴾**: من السماء، **﴿مَقَاعِدُ﴾**: صالحة للترصد، **﴿لِلسَّمْعِ﴾**^(١): لاستماع أخبار السماء، **﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ﴾**^(٢) لَهُ شُهَابًا رَصَدًا: راصداً لأجله يمنعه من الاستماع، **﴿وَأَنَا لَا نَذَرِي أَشَرُّ أَرِيدَ بَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾**: بحراسة السماء، **﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾**: خيراً، وهذا من أدهم، حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل، ثم اعلم أن الكواكب يرمى بها قبل المبعث، لكن ليس بكثير، والأحاديث تدل عليه، وبعد مبعثه قد كثرت الشهب بحيث لم يقدر الجن بعد على استراق السمع من غير أن يأتيه شهاب، فهال ذلك الإنس والجن، نعم: قد يسترى كلمة فيلقها إلى صاحبه، ثم يدركه الشهاب كما ورد في الصحيحين، وهذا هو الذي حملهم على تطلب السبب في ذلك، فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغارها حتى وجدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في الصلاة فعرفوا أن هذا هو السبب في حراسة السماء، فآمن من آمن منهم، وتمرد من تمرد، **﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا﴾**: قوم، **﴿دُونَ ذَلِكَ﴾**، وهم الطالحون، أو المقتصدون، **﴿كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾** أي: كنا ذوى مذاهب متفرقة^(٣)،

(١) قوله: للسمع إما صفة والأظهر أنه متعلق بنقعد/١٢ وحيز.

(٢) الآن ظرف زمان للحال، ويستمع مستقبل، فأتسع في الظرف واستعمل الاستقبال/

(٣) كأن قولهم هذا اعتذار عن تمرد بعضهم/١٢ وحيز.

﴿وَأَنَا ظَنَنَّا﴾ أي: علمنا، ﴿أَنْ لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾: إن أراد بنا أمراً، ﴿وَلَسْ نُعْجِزُهُ﴾: إن طلبنا، ﴿هَرَبًا﴾: هارين، وفي الأرض وهربا حالان وفائدة ذكر الأرض تصوير أنه مع تلك البسطة ليس فيها بمهرب من الله، ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾: القرآن، ﴿آمَنَّا بِهِ﴾، كرروا ذلك للافتخار، ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ﴾ أي: فهو لا يخاف بحذف المبتدأ للدلالة على الاختصاص، ولذلك لم يقل لا يخف، ﴿بِخَسَا﴾: نقصاً في الجزاء، ﴿وَلَا رَهَقًا﴾: ظلماً، ﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ^(١)﴾: الحائرون عن الحق، ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا﴾: قصدوا، ﴿رَشَدًا^(٢)﴾: عظيمًا، ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ^(٣)﴾ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾: كما لكفار الإنس، ﴿وَأَنْ لَّوِ اسْتَقَامُوا﴾، عطف على أنه استمع لا غير أي: وأن الشأن لو استقام الجن أو الإنس والجن، ﴿عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾: الحسن، وآمنوا كلهم، ﴿لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا^(٤)﴾: مطراً كثيراً، ووسعنا عليهم في الرزق، ﴿لَنَفْتِنَهُمْ﴾: لنحشرهم، ﴿فِيهِ﴾: في سقى الماء كيف يشكرونه "آلم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون" (العنكبوت: ١، ٢) أو معناه^(٥) أن

(١) والظاهر أن الكلام كله من قول الجن، وقيل من قوله: "فمن أسلم" قول الله لمحمد - صلى الله عليه وسلم/ ١٢ وجيز.

(٢) فيه دليل على أن الجن يثاب بالجنة، وقد قدمنا هذا البحث في الحاشية على سورة الرحمن تحت قوله تعالى: "سنفرغ لكم أيها الثقلان" (الرحمن: ٣١) / ١٢.

(٣) لأنه لا يمكن عطفًا على محل به في "آمنا به" لأنه لا معنى لقوله آمنا بأن لو استقاموا اللهم إلا أن يقال عبر تعالى كلامهم بهذه العبارة، وأصل كلامهم آمنا بأن لو استقمنا على الطريقة لأسقيناهم ماء، وهو بعيد جدًا / ١٢ منه.

(٤) فإن الجن يحتاجون أيضًا إلى أكل وشرب / ١٢ وجيز.

(٥) الأول: قول ابن عباس -رضي الله عنه- ومجاهد وسعيد بن جبير، وسعيد بن المسيب، والسدي ومحمد بن كعب القرظي وقتادة والضحاك، والثاني قول: ربيع بن أنس وزيد بن أسلم، والكلبي، وابن كيسان، وهو قول أبي مجلز / ١٢ منه.

لو استقاموا على طريقتهم القديمة من الكفر لأوسعنا عليهم الرزق استدراجًا كما قال تعالى: "فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم" الآية (الأنعام: ٤٤) ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾: ولم يؤمن به، ﴿يَسْلُكُهُ﴾: يدخله، ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾: شاقا يعلو المعذب مصدر وصف به عن ابن عباس -رضى الله عنهما- هو جبل في جهنم، ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾: مواضع بنيت للعبادة، أو المراد جميع الأرض، أو أعضاء السجود، ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا﴾: فلا تعبدوا أيها الإنس والجن، ﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾: فيها، أو بما نزلت حين قالت الجن: ائذن لنا يا رسول الله فنشهد معك الصلوات في مسجدك، أو حين قالوا: كيف نشهد الصلاة ونحن ناعون عنك؟ وعن قتادة اليهود والنصارى أشركوا بالله في كنائسهم فأمرنا الله بالتوحيد، ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ قال الجن لقومهم: لما قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعبد الله ويصلى كاد أصحابه من الإنس عليه متراكمين للحرص على العبادة والافتداء، أو كاد الإنس والجن يكونون عليه مجتمعين ليطلوه^(١)، ويطفئوه، أو لما قام^(*) يصلى كاد الجن يكونون عليه متراكمين تعجبًا، وحرصًا على الاستماع.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ ١٢٠ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ١٢١ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ١٢٢ إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا ١٢٣ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا وَقُلْ عَدَدًا ١٢٤ قُلْ إِنِ أَدْرِيتُ أَقْرَبُ مَا تُوَعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ١٢٥ عَلِيمٌ

(١) أي: لإبطال صلاته، وإطفاء نوره، ولكن أبى الله إلا أن يتم نوره/ ١٢ وحيث.

(*) في النسخة ن: كان.

الْعَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿١٦﴾ إِلَّا مَنْ آرَتْنِي مِنْ رَسُولٍ فَأَنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿١٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رَبَّهُمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿١٨﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾: وليس هذا بأمر منكراً^(١) عجيب بدع، وهذا يؤيد الوجه الثاني في قوله: كادوا يكونون عليه لبدا، ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ أي: لا ضرراً ولا نفعاً، ولا رشداً، أوغيثاً، بل الكل بيد الله إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي، ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾: إن أرادني بسوء، ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾: ملجأً أميل إليه، ﴿إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ﴾ أي: لا أملك نفعاً إلا أن أبلغ عن الله، وأبلغ رسالته التي أرسلني بها، و "من الله" صفة لبلاغا لا صلة^(٢) له، وقوله: "قل إني لن يجيرني" معترضة تؤكد نفى الاستطاعة، أو الاستثناء منقطع أي: لكن الإبلاغ هو الذي يجيرني من عذاب الله، ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾: ولم يؤمن، ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾^(٣) فيها أبداً حتى إذا رآوا، غاية لمخوف دل عليه الحال أي: لا يزالون على ما هم عليه حتى وقيل: لقوله يكونون عليه لبداً على التوجيه الثاني، ﴿مَا يُوعَدُونَ﴾: من العذاب، ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾: هو، أو هم، ﴿قُلْ إِنْ﴾ أي: ما، ﴿أَدْرِي أَقْرَبُ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾، غاية كأنهم قالوا متى يكون وقت ما تعدنا فقليل له، قل لا أدري أهو حال أم مؤجل، ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ أي: هو عالمه، ﴿فَلَا يَظْهَرُ﴾:

(١) بل المنكر العجيب هو الإشراك/١٢ وحيز.

(٢) لأن البلاغ مستعمل بعن لا بمن/١٢ وحيز.

(٣) جمعه باعتبار معنى من/١٢ وحيز.

لا يطلع^(١)، «عَلَى غَيْبِهِ^(٢)»، المختص به بدلالة الإضافة، «أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى»:

(١) إطلاع الأنبياء من الملك وهو علم، أو من إلقاء الله في روعهم فهو أيضًا علم، وإما للأولياء من الكرامات، وأن تضم إليها علامات الصدق، فما هي إلا ظن غاية الأمر أنها ربما تصل إلى الظن الغالب، وهو ليس بعلم، وقوله لا يظهر على غيبه أحدًا ينادى على أن المراد منه العلم/١٢ وجيز.

(٢) على قوله: "فلا يظهر على غيبه أحدًا" قال الواحدي: وفي هذا دليل على من ادعى أن النجوم تدل على ما يكون من حادث فقد كفر بما في القرآن، قال في الكشف: وفي هذا إبطال للكرامات، لأن الذين تضاف إليهم الكرامات، وإن كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل، وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب، وفيه أيضًا إبطال للكهانة والسحر والتنجيم؛ لأن أصحابها أبعد شيء من الارتضاء، وأدخله في السخط. قال الرازي: وعندى أن الآية لا دلالة فيها على شيء مما قاله إذ لا صيغة عموم في غيبه، فيحمل على غيب واحد، وهو وقت القيامة؛ لأنه واقع بعد قوله: "أقرب ما توعدون" الآية، فإن قيل: فما معنى الاستثناء حينئذ؟ قلنا: لعله إذا قربت القيامة يظهره، وكيف لا وقد قال: "ويوم تشق السماء بالغمام ونزل الملائكة تزيلاً" (الفرقان: ٢٥)، فتعلم الملائكة حينئذ قيام الساعة، أو هو استثناء منقطع أي: من ارتضاء من رسول يجعل من بين يديه، ومن خلفه حفظة يحفظونه من شر مردة الجن والإنس، ويدل على أنه ليس المراد أنه لا يطلع أحد على شيء من المغيبات إلا الرسل أنه ثبت كما يقارب التواتر أن شقا وسطيحًا كانا كاهنين، وقد عرفا بحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل ظهوره، وكانا مشهورين بهذا العلم عند العرب حتى رجع إليهما كسرى، فثبت أن الله قد يطلع غير الرسل على شيء من المغيبات، وأيضًا أطبق أهل الملل على أن معبر الرؤيا يخبر عن أمور مستقبلية، ويكون صادقًا فيها، وأيضًا قد نقل السلطان سنجر بن ملك شاه كاهنة من بغداد إلى خراسان، وسألها عن أمور مستقبلية فأخبرته بما فوقعت على وفق كلامها، قال: وأخبرني ناس محققون في علم الكلام والحكمة أنها أخبرت عن أمور غائبة بالتفصيل، فكانت على وفق خبرها، وبالع أسو البركات

للاطلاع ، «من رَسُولٍ» ، بيان لمن ، «فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا»

= في كتاب التعبير في شرح حالها، وقال: فحصت عن حالها ثلاثين سنة فتحققت أنها كانت تخبر عن المغيبات إخباراً مطابقاً، وأيضاً فإننا نشاهد ذلك في أصحاب الإلهامات الصادقة، ويوجد ذلك في السحرة أيضاً، وقد نرى الأحكام النجومية مطابقة، وإن كانت قد تتخلف فلو قلنا: إن القرآن يدل على خلاف هذه الأمور المحسوسة لتطرق الطعن إلى القرآن، فيكون التأويل ما ذكرنا انتهى كلامه بمعناه.

قال محمد بن على الشوكاني: أما قوله: إذ لا صيغة عموم في غيبه، فباطل فإن إضافة المصدر واسم الجنس من صيغ العموم كما صرح به أئمة الأصول وغيرهم، وأما قوله: أو هو استثناء منقطع فمجرد دعوى يأباه النظم القرآني، وأما قوله: إن شقا وسطيحا إلخ فقد كانا في زمن تسترق فيه الشياطين السمع، ويلقون ما يسمعونه إلى الكهان فيخلطون الصدق بالكذب كما ثبت في الحديث الصحيح، وفي قوله: إلا من خطف الخطفة ونحوها من الآيات فباب الكهانة قد ورد بيانه في هذه الشريعة، وأنه كان طريقاً لبعض الغيب بواسطة استراق الشياطين حتى منعوا ذلك بالبعثة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام والتحية، وقالوا "وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً"، فباب الكهانة في الوقت الذي كانت فيه مخصوص بأدلتها فهو من جملة ما يخصص به هذا العموم فلا يرد ما زعمه من إيراد الكهانة على هذه الآية، وأما حديث المرأة الذي أورده فحديث خرافة، ولو سلم وقوع شيء مما حكاها عنها من الأخبار لكان من باب ما ورد في الحديث "إن في هذه الأمة محدثين، وإن منهم عمر"، فيكون كالتخصيص لعموم هذه الآية لا نقضاً وأما ما اجترأ به على الله وعلى كتابه من قوله: في آخر كلامه، فلو قلنا: إن القرآن يدل على خلاف هذه الأمور المحسوسة لتطرق الطعن إلى القرآن، فيقال له: ما هذه بأول زلة من زلاتك وسقطة من سقطاتك، وكم لها لديك من أشباه، وأمثال نبضها عرق فلسفتك، وركضها الشيطان الذي صار يتخبطك في مباحث تفسيرك، يا عجباً لك أيكون ما بلغك من خبر هذه المرأة، ونحوه موجباً لتطرق الطعن إلى القرآن، وما أحسن ما قاله بعض أدباء عصرنا:

أي: يجعل من جميع جوانبه حرساً من الملائكة يحفظون الوحي من أن يسرقه الجن، فيلقيه إلى الكهنة، والرسول من أن يتشبه الشياطين في صورة الملك، **﴿لِيَعْلَمَ﴾**: النبي، **﴿أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا﴾** أي: الملائكة، **﴿رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾**، وليس بشيطان جاء بصورة ملك،

= وإذا رامت الذبابة للشمس غطاء مدت عليها جناحا

وقلت من أبيات منها:

مهيب رياح سده بجناح وقابل بالمصباح ضوء صباح.

فإن قلت إذا قد تقرر بهذا الدليل القرآني أن الله يظهر من ارتضى من رسله على ما شاء من غيبه فهل للرسول الذي أظهره الله على ما شاء من غيبه أن يخبر به بعض أمته، قلت: نعم، ولا مانع من ذلك، وقد ثبت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من هذا ما لا يخفى على عارف بالسنة المطهرة، فمن ذلك ما صح أنه قام مقاماً أخبر فيه بما سيكون إلى يوم القيامة، وما ترك شيئاً مما يتعلق بالفتن ونحوها حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه، وكذلك ما ثبت من أن حذيفة بن اليمان كان قد أخبره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما يحدث من الفتن بعده حتى سألته عن ذلك أكابر الصحابة، ورجعوا إليه وثبت في الصحيح، وغيره أن عمر بن الخطاب سألته عن الفتنة التي تموج كموج البحر، فقال: إن بينك وبينها بابا، فقال عمر: هل يفتح أو يكسر؟ فقال: بل يكسر، فعلم عمر أنه الباب، وأن كسره قتله كما في الحديث الصحيح المعروف أنه قيل لحذيفة: هل كان عمر يعلم ذلك؟ فقال: نعم كما يعلم أن دون غداً الليلة، كذلك ما ثبت من إخباره لأبي ذر بما يحدث له مما حدث له، وإخباره لعلي بن أبي طالب بخبر ذي الندية ونحو هذا مما يكثر تعداده، ولو جمع لجاء منه مصنف مستقل، وإذا تقرر هذا فلا مانع من أن يختص بعض صلحاء هذه الأمة بشيء من أخبار الغيب التي أظهرها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم - وأظهرها لرسوله صلى الله عليه وسلم - لبعض أمته وأظهرها هذا البعض من الأمة لمن بعدهم، فتكون كرامات الصالحين من هذا القبيل، والكل من الفيض الرباني بواسطة الجناح النبوي انتهى كلامه رحمه الله تعالى عليه/ ١٢.

وعن كثير من السلف، من الله حرس على كل يخبرونه إذا جاء أحد يخبره أنه ملك من الله، أو شيطان فاحذر، أو ليعلم أن قد أبلغ الأنبياء ويتعلق علمه بتبليغهم رسالاته محروسة عن التغيير، ﴿وَأَحَاطَ﴾: الله، ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾: بما عند الرسل، عطف على أبلغوا على التوجيه الأول، ﴿وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ أي: معدودًا فهو حال، أو عددًا^(١) بمعنى إحصاء، أو أحصى بمعنى عدَّ.

والحمد لله على وفور أفضاله.

(١) فيكون مصدرًا.

سورة المزمل مكية

وهي تسع عشرة أو عشرون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الْمَزْمِلُ ۖ قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۖ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۖ ۝
أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۖ ۝ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۖ ۝
نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ۖ ۝ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۖ ۝
وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۖ ۝ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۖ ۝ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا
جَمِيلًا ۖ ۝ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَىٰ النِّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۖ ۝ إِنَّ لَدَيْنَا
أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ۖ ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ۖ ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ
وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَّهِيلًا ۖ ۝ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا
عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ ۝ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ
أَخْذًا وَّيِيلًا ۖ ۝ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ۖ ۝
الْسَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ۖ ۝ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ
إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ۖ ﴿٢٨﴾ ۝﴾

﴿يَا أَيُّهَا الزَّمَلُ﴾^(١) أي: المتلف^(٢) بثوبه أصله المتزمل، أدغم التاء في الزاء، أو أيها النائم، أو أيها المتحمل للقرآن من الزمل الذي هو الحمل، ﴿قُمْ﴾: إلى الصلاة، ﴿الَّيْلُ﴾: كله، ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾، كان قيام الليل فرضاً على الكل، ثم نسخ، ﴿نُصْفَهُ﴾، بدل من قليلاً^(٣)، وهذا النصف الخالي عن الطاعة، وإن ساوى النصف المعمور بذكر الله في الكمية لا يساويه في التحقيق، بل هو القليل، وذلك النصف بمترلة الكل، ﴿أَوْ انْقُصْ مِنْهُ﴾: الضمير إلى النصف أو الليل المقيد بالاستثناء، والحاصل واحد، ﴿قَلِيلًا﴾، وهو الثلث، ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾، وهو الثلثان، وهذا هو الوجه في الإعراب، والمعنى من غير تكلف الموافق لكلام^(٤) السلف، ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾^(٥): بينه، وقرأه على تودة،

(١) في خطابه بهذا الاسم تنبيه لكل متزمل راقد ليله أن يتنبه إلى قيام الليل وذكر الله تعالى، لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل ذلك العمل، واتصف بتلك الصفة ذكره الخطيب/١٢ فتح.

(٢) لما جاءه الملك وهو بغار حراء رجع إلى خديجة، وقال: "زملوني"، وعادة العرب إذا قصدت الملاطفة مع المخاطب ناداه باسم مشتق من حالة تلبس بها حالة الخطاب كما خاطب -صلى الله عليه وسلم- على بن أبي طالب، بأبي تراب حين كان نائماً وقد لصق بجنبه التراب/١٢ وحيز.

(٣) ولو قال: قم نصف الليل، لكان تركيباً متعارفاً خالياً عن نكتة عظيمة هي: أن الوقت الكثير في غير ذكر الله قليل حقير لا يعبأ به في جنب وقت معمور بذكره تعالى/١٢ وحيز.

(٤) إشارة إلى الوجوه الأخرى التي بينها الزمخشري، فلها غير موافقة لكلام السلف مع ما فيها من التكلف فتأمل/١٢ وحيز.

(٥) والمقصود من الترتيل إنما هو حضور القلب عند القراءة، لا مجرد إخراج الحروف من الحلقوم بتعويج الوجه والفم وألحان الغناء كما يعتاده قراء هذه الزمان من أهل مصر، وغيره في مكة المكرمة، وغيرها بل هو بدعة أحدثها البطالون الأكالون والحمقاء

وتبين حروف، **﴿إِنَّا سُنَلِّقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾**: تَلَقَّيْهِ لعظمة الكلام، وفي الحديث "يترل عليه الوحي في يوم شديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقاً"(*) وأيضاً "كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته وضعت جرائها أى باطن عنقها، فما تستطيع أن تحرك حتى يسرى عنه"(**) أو ثقيل العمل به على المكلفين، والجملة كالعلة لقيام الليل فإن الطاعة سيما في الليل تعين الرجل على نوائبه وتسهل عليه المصائب، **﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾** أي: قيامه مصدر كالعافية، أو ساعاته، فإنها تنشأ أي: تحدث واحدة بعد أخرى أو النفس الناشئة التي تنشأ وتنهض من مضجعها إلى العبادة، **﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْناً﴾** أي: كلفة، أو أشد ثباتاً في الخير، وأما قراءة الوطأ، فبمعنى المواطأة يعني: موافقة القلب، والسمع، والبصر، واللسان بالليل أشد وأكثر، **﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾**: وأشد مقالا، وأصوب قراءة لسكون الأصوات فيه، **﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾**: تقلياً، وإقبالا وإدباراً في أشغالك، وأصله سرعة الذهاب، أو فراغاً وسعة للنوم^(١) والحوائج جملة فيها حث على قيام الليل، **﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾**: ودم على ذكره، **﴿وَتَبَتَّلْ﴾**: انقطع، **﴿إِلَيْهِ﴾**: إلى الله لعبادتك، **﴿تَبَتُّيلاً﴾**، لما لم ينفك التبتل الذي هو لازم عن التبتيل الذي هو متعد يمكن أن يؤتى بمصدر أحدهما عن الآخر، وفيه مبالغة مع رعاية الفواصل أي: انقطع وجرّد نفسك عما سواه تبتيلاً، **﴿رَبُّ﴾** أي: هو رب، **﴿المَشْرِقِ﴾**

= والجاهلون بالشرائع، وأدلتها الصادقة، وليس هذا بأول قارورة كسرت في الإسلام/١٢ فتح.

(*) صحيح أخرجه في الصحيحين.

(**) أخرجه أحمد وعبد بن حميد وابن جرير وابن نصر والحاكم وصححه عن عائشة رضي الله عنها - كما قال السيوطي في "الدر المنثور" (٤٤٣/٦).

(١) هذا قول مجاهد، والضحاك، والحسن، وقتادة، وأبي العالية، وأبي مالك وغيرهم رحمهم الله/١٢ منه رح.

وَالْمَغْرِبِ، وقراءة الجر، فعلى البدل من ربك، ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا^(١)﴾: فإن وحدته في الألوهية تقتضي التوكل عليه، ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾: بالإعراض عنهم، والمداراة معهم، وترك المكافأة، وقيل: هذا آية القتال، ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾: دعني وإياهم، فإني منتقم لأجلك عنهم، ﴿أَوَّلَى النَّعْمَةِ﴾: أرباب التنعم، والترفة^(٢) هم صناديد قريش، ﴿وَمَهْلُهُمْ﴾: زمانا، أو إمهالا، ﴿قَلِيلًا^(٣)﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾: قيودا ثقالا، ﴿وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾: يغص في الحلق، ولا يتزل فيه بسهولة كالزقوم، ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾: نوعا آخر لا يمكن تعريفه، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾: تضطرب، ظرف لمتعلق لدينا، ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا﴾: مثل رمل مجتمع، ﴿مَهِيلًا﴾: منشورا أي: تصير كذلك بعدما كانت حجارة صماء، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾: يا معشر قريش، ﴿رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾: في القيامف ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ أي: ذلك الرسول الذي أرسلنا إليه، ﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾: ثقيلًا، ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ أي: كيف تتقون يوما؟ أي: عذاب^(٤) يوم يجعل الولدان من شدة هوله شيبا إن كفرتم في الدنيا، كأنه قال، هب أنكم لا تؤاخذون في الدنيا كما

(١) أي: إذا عرفت أنه المختص بالربوبية فاتخذها قائما بأمورك، وعول عليه في جميعها وقيل: كفيلا بما وعدك من الجزاء والنصر، وفائدة الفاء أن لا تلبث بعد أن عرفت في تفويض الأمور إلى الواحد القهار إذ لا عذر لك في الانتظار بعد الإقرار/١٢فتح.

(٢) والترفة صفة ذم، فإن الفسق ناشئ منها قال تعالى: "أمرنا مترفيها ففسقوا فيها" (الإسراء: ١٦)، أو ذكرهم بقلّة الشكر والجهالة، فإن النعمة يلزم العاقل شكرها، والنعمة بالفتح التنعم، وبالكسر الإنعام وما ينعم به/١٢وحيـز.

(٣) يعني قليلا إما صفة ظرف محذوف، أو صفة مفعول مطلق محذوف/١٢منه.

(٤) فعلى هذا يوما مفعول به تتقون على حذف المضاف/١٢منه.

أخذنا فرعون، فكيف تتقون أنفسكم هول القيامة إن دتم على الكفر، ودم عليه؟ أو "يوما" مفعول لكفرتم بمعنى جحدتم، أي: كيف تتقون الله إن جحدتم ذلك اليوم، وفي ذكر "إن" التي للشك إشعار بأنه لا ينبغي الشك مع إرسال هذا الرسول النور المبين، وفي الحديث "قرأ - صلى الله عليه وسلم - يوم يجعل الولدان شيبا، قال: ذلك حين يقال لآدم: قم فابعث من ذريتك بعثا إلى النار، قال: من كم يا رب؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين^(١)" ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾: منشق بسبب ذلك اليوم وهوله، أو الباء للآلة، أو منفطر بالله وبأمره، وتذكير منفطر على تأويل السقف، ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا إِنَّ هَذِهِ﴾: الآيات، ﴿تَذَكُّرٌ﴾: عظة، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾: يتقرب إليه بالطاعة.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ نَّحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۖ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۖ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَقَرِّضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ﴾: أقل، ﴿مِن ثُلثي الليل ونصفه وثلثه﴾، وفي قراءة نصب نصفه وثلثه عطف على أدنى، ويكون المراد من أدنى من ثلثي الليل الربع،

(١) والحديث صريح في أن شبيهم للهول لا للطول [أخرجه الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس]. كما قال السيوطي في "الدر المنثور" (٤٤٧/٦) [١٢/١] وحيز.

ليكون تجاوزاً عن الأمر فيترتب عليه قوله: "فتاب عليكم"، ويكون موافقاً لتلك القراءة معنى، «وَطَائِفَةٌ»، عطف على فاعل تقوم، «مَنْ الَّذِينَ مَعَكَ» أي: يقومون أقل، «وَاللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»: لا يعرف مقادير ساعاتهما إلا هو، فيعلم القدر الذى يقومون فيه، «عَلِمَ أَنْ لَنْ تُخْصَوْهُ»: أن لن تطيقوا ما أوجب عليكم من القيام، أو لن تستطيعوا ضبط الساعات، «فَتَابَ عَلَيْكُمْ»: عاد عليكم بالعفو والتخفيف، وعن غير واحد من السلف إن هذه الآية نسخت الذى كان الله أوجبه على المسلمين أولاً من قيام الليل^(١) واختلفوا فى المدة التى بينهما سنة، أو قريب منها أو ستة عشر شهراً أو عشر سنين، «فَاقْرَءُوا»^(٢) مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ: من غير تحديد لوقت لكن قوموا من الليل ما تيسر عن الصلاة بالقراءة، ومذهب حسن البصرى وبعض آخر: الواجب على حملة القرآن أن يقوموا من الليل، ولو بشيء منه، وفى الحديث ما يدل على ذلك، «عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضًى»: لا يستطيعون القيام الذى قررناه، «وَأَخَرُونَ»

(١) وأما من قال: إن قوله "وطائفة من الذين معك" حيث لم يقل، والذين معك دليل على أنه لم يمكن واجباً على الجميع فدليله ضعيف واه، فإن كثيراً تم إحياء الليل وصيام الدهر، والرياضة الصعبة، ولهذا قال: "وطائفة من الذين" ١٢/ وجيز

(٢) ونعم ما قال الحسن البصرى، وغيره: يبقى الوجوب على الكل على قدر من الليل غير معين، وفى الحديث ما يدل على ذلك، وهذا كالصريح، فإن السنة باقية على حالها ١٢/ وجيز، وفى الفتح: وليس فى قوله "فاقرءوا ما تيسر منه" ما يدل على بقاء شيء من الوجوب، لأنه إن كان المراد به القراءة من القرآن فقد وجدت فى المغرب، والعشاء وما يتبعهما من النوافل المؤكدة، وإن كان المراد به الصلاة من الليل، فقد وجدت صلاة الليل بصلاة المغرب والعشاء، وما يتبعهما من التطوع، وأيضاً الأحاديث الصحيحة المصرحة كقول السائل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - "هل على غيرها؟" يعنى الصلوات الخمس، فقال: لا إلا أن تطوع" تدل على عدم وجوب غيرها، فارتفع بهذا وجوب قيام الليل وصلاته على الأمة/ ١٢.

يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ: يسافرون للتجارة، واجتماع كلفة السفر، وكلفة إحياء الليل بالصلاة في غاية من الصعوبة، ﴿وآخَرُونَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، هذا إخبار عن الغيب، فإن السورة مكية، والقتال شرع في المدينة، ﴿فَأَقْرَعُوا مَا تَيْسَرُ^(١) مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾: المفروضة عن بعض: إنه نسخ قيام الليل بالصلوات الخمس، ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾: الواجبة، وهذا يدل على قوله من قال: إن فرض الزكاة بمكة لكن المقادير والمصرف لم يبين إلا بالمدينة، ﴿وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾، يريد سوى الزكاة من الصدقات، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لأنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ﴾، هو ضمير الفصل، ﴿خَيْرًا﴾: من الذي تؤخرونه، أو من الذي أعطيتموه، وهو ثاني مفعولي تجدوه، ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾: نفعًا، وجزاء، وفي الصحيح قال -عليه السلام- "أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه؟ قالوا: ما منا أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال: اعلّموا ما تقولون، قالوا: ما نعلم إلا ذلك، قال: إنما مال أحدكم ما قدم، ومال وارثه ما أخر"، ﴿وَاسْتَغْفِرُوا^(٢) اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

والحمد لله رب العالمين.

(١) كرر ذلك على سبيل التوكيد، ثم أمر بعمودى الإسلام البدني، والمالي فقال: "وأقيموا الصلاة" الآية/١٢ وحيز.

(٢) يعنى اقرعوا ما تيسر، وصلوا وزكوا، وأقرضوا واستغفروا/١٢ وحيز.

سورة المدثر مكية

وهي ست وخمسون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَتْلُهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ١ ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ ٢ ﴿وَرَبِّكَ فُكِّيرٌ﴾ ٣ ﴿وَيَايَاكَ فَطَهِّرْ﴾ ٤
 وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ٥ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٧ فَإِذَا نُقِرَ فِي
 النَّاقُورِ ٨ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ١٠
 ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ١١ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ١٣
 وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ١٥ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَا
 عَنِيدًا ١٦ سَأَرْهُقُهُ صُعُودًا ١٧ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩
 ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ٢٣
 فَقَالَ إِنِّي هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ٢٤ إِنِّي هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ٢٥ سَأُصْلِيهِ
 سَقَرًا ٢٦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبْقَى وَلَا تُدْرُ ٢٨ لَوْحَةٌ لِلْبَشَرِ ٢٩
 عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ ٣٠ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا
 عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيزدادَ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ
 الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ
 مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ
 لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾

«يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ»: المتدثر، أي: لابس الدثار^(١)، الأصح بل الصحيح أنه أول سورة نزلت بعد فترة الوحي جمعًا بين الأحاديث الصحاح، وعليه الجمهور، فإن أول ما نزلت "اقرأ باسم ربك" (العلق: ١) وفي صحيح مسلم "إنه -عليه السلام- يحدث عن فترة الوحي قال: فبينما أنا أمشي سمعت صوتًا من السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء، فخفت منه، فجئت أهلي فقلت: زملوني زملوني، فأنزل الله "يا أيها المدثر قم فأنذر" وفي الطبراني "تأذى من قریش فتغطى بثوبه محزونًا^(*)، فترلت" **«قُمْ»:** من مضجعك، أو قم قيام جد، **«فَأَنْذِرْ»**، ترك المفعول للتعميم، **«وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ»:** خصص ربك بالتكبير، والتعظيم، والفاء في مثله بمعنى الشرط، كأنه قال: ما يكن من شيء فكبر أنت ربك، **«وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ»:** لا تكن عاصيًا غادرًا، والعرب تقول للفاجر: دنس الثياب، وإذا وفي، وأصلح، مطهر الثياب، أو طهر نفسك من الأخلاق الذميمة، أو طهر ثوبك من النجاسات، فإن المشركين لا يطهرون، أو أعرض عما قالوا، ولا تلتفت إليهم، **«وَالرُّجْزَ»:** الأصنام، **«فَاهْجُرْ»**، أو اترك ما يؤدي إلى العذاب، **«وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ»** أي: لا تعط طالبًا لكثير هي أن يهب شيئًا طامعًا في عوض أكثر، وهذا خاصة له عليه السلام، أو هي تزيه، أو لا تمنن بنبتك على الناس طالبًا لكثرة الأجر منهم، أو لا تضعف عن الطاعة طالبًا لكثرة الخير، **«وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ»:** استعمل الصبر لله، فيشمل الصبر على الأذى، وعلى الطاعات، **«فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ»:** نفخ في الصور، الفاء للسببية، كأنه قال: اصبر على أذاهم، فبين أيديهم يوم عسير، **«فَذَلِكِ»**، الفاء للجزاء، **«يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ»**، إذا ظرف لما دل عليه الجزاء، لأن معناه عسر الأمر عليهم، وذلك مبتدأ خبره "يوم عسير"، و"يومئذ" إما بدل من ذلك،

(١) وهو ما يلبس فوق الشعار، وهو الذي يلي الجسد/١٢ وحيز.

(*) أخرجه الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس -رضي الله عنه- كما قال السيوطي في "الدر المنثور" (٤٥٠/٦).

أو معمول له فإنه إشارة إلى وقت النقر أي: وقت النقر في ذلك اليوم، أو ظرف مستقر ليوم عسير أي: وقت النقر وقت عسير حال كون ذلك الوقت في يوم القيامة، ﴿غَيْرُ يَسِيرٍ﴾: عليهم تأكيد، وتعريض بحال المؤمنين^(١)، ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا^(٢)﴾: حال من الضمير المحذوف أي: خلقت حال كونه وحيدًا لا مال له، ولا ولد له، ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾: مبسوطًا كثيرًا^(٣) قيل: وحيدًا حال من مفعول ذرني، أو من فاعل خلقت أي: ذرني وحدي معه، فإنني أكفيكه، أو كان ملقبًا بالوحيد في قومه، فسماه الله هكما، فيكون نصبًا بتقدير أعني، أو وحيدًا عن أبيه، فإنه ولد الزنا فالمراد منه وليد بن المغيرة، وهو كما مرّ زعيم، ﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾: حضورًا معه لا يغيبون للتجارة لاستغنائهم وخدمتهم يتولون الأمر، وهم ثلاثة عشر، أو عشرة، أو سبعة،

(١) فإنه يسير عليهم كما مر في الحديث/١٢ منه.

(٢) وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: إن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له، فبلغ ذلك أبا جهل، فأثاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ليعطوكه، فإنك أتيت محمدًا لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولًا يبلغ قومك أنك منكر له، وأنك كاره له، قال: وماذا أقول؟! فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني لا برجزه، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه هذا الذي يقول شيئًا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله وإنه ليعلو، وما يعلى، وإنه ليحتم ما تحته، قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يَأْتُرُهُ عن غيره، فترلت "ذرني ومن خلقت وحيدًا" أخرجه الحاكم وصححه البيهقي في الدلائل، وقد أخرجه عبدالرزاق عن عكرمة، وكذا غير واحد/١٢ فتح.

(٣) كان لوليد بن المغيرة بين مكة والطائف نعمه، وعبيده، ومزارعه، قاله ابن عباس/١٢ وحيز.

«وَمَهَّدَتْ لَهُ تَمْهِيدًا»: بسطت له في المال، والجاه، وطول العمر بسطًا، «ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ»: على ما أوتيته، «كَلَّا»، ردع له عن الطمع، «إِنَّهُ كَانَ لَآيَاتِنَا عَنِيدًا»: معاندًا مستأنفة لتعليل للردع قيل: ما زال بعد نزول الآية في نقصان، «سَأَرَهُنَّ هُوَ»: سأغشيه، «صُعُودًا»، عقبة شاقة المصعد مثل للإلقاء في الشدائد، وفي الحديث^(١) "الصعود جبل في النار"، وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- "صخرة في النار يسحب عليها الكافر على وجهه" «إِنَّهُ فَكَّرَ»: فيما يخيل طعنًا في القرآن مستأنفة علة للوعيد، «وَقَدَّرَ»: في نفسه ما يقول فيه، «فَقُتِلَ»، دعاء عليه، «كَيْفَ قَدَّرَ»، تعجيب من تقديره نحو: قاتلهم الله أنى يؤفكون، «ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ»، تكرير للمبالغة، وثم للدلالة على أن النظر الثاني فيما قدر يورث تعجبًا أبلغ من الأول، «ثُمَّ نَظَرَ»: في أمر القرآن مرة أخرى، «ثُمَّ عَبَسَ»: قبض بين عينيه، كما هو شأن المهتم المتفكر، «وَبَسَرَ»: اشتد عبوسه، «ثُمَّ أَدْبَرَ»: عن الحق، «وَأَسْتَكْبَرَ»: عن اتباعه، «فَقَالَ»: حين خطرت هذه الكلمة بخاطره من غير تلبث، والفاء يدل عليه، «إِنْ هَذَا»: القرآن، «إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ»: يروى عن السحرة، «إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ»: كالتأكيد للأول، نقل^(٢) إن وليد بن المغيرة مرة سمع القرآن، فمال قلبه إليه، فلامه قومه، فقالوا: لا بد أن تقول قولًا نعلم أنك منكر: قال: والله لا يشبهه رجزة، ولا قصيدة، ولا أشعار الجن، والله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، فقالوا: والله لا

(١) أخرجه أحمد، والترمذي، وابن جرير وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي، قال الترمذي: غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج قال ابن كثير: وفيه غرابة ونكارة انتهى، وقد أخرجه جماعة من قول أبي سعيد [الحاكم في "المستدرک" (٥٠٨/٢)] وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وأقره الذهبي في "التلخيص" [١٢/فتح.

(٢) أخرجه الحاكم، وصححه، والبيهقي في الدلائل ١٢/فتح.

نرضى إلا أن تقول فيه، قال: دعوني حتى أفكر، فلما فكر قال: سحر يَأْثُرُهُ عَنْ
 غيره^(١)، فترلت: ﴿سَأْصِلِيهِ سَقَرٌ وَمَا أدْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾، تعظيم لأمرها، ﴿لَا تَبْقَى﴾:
 شيئاً يلقى فيها إلا أهلكته، ﴿وَلَا تَذَرُ﴾: بعد الإهلاك، فإنه يعاد "كلما نضجت
 جلودهم" الآية [النساء: ٥٦]، ﴿لَوْاحَةٌ﴾: مسودة، ﴿لَلْبَشَرِ﴾: للجلد، ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ
 عَشَرَ﴾: ملكاً، نزع منكم الرحمة يدفع أحدهم سبعين ألفاً، فيرميهم في جهنم حيث
 أراد. لما نزلت قال أبو جهل: أتمم الدهم الشجعاء أيعجز كل عشرة منكم أن تبطشوا
 بواحدة من خزنتها؟ فقال أبو الأسود الجمحي: يا معشر قريش اكفوني منهم اثنين،
 وأنا أكفيكم سبعة عشر إعجاباً منه بنفسه، وكان قد بلغ من القوة أنه يقف على جلد
 بقرة ويجاذبه عشرة ليزعوه من تحت قدمه، فيتمزق الجلد، ولا يتزحزح عنه، وهو الذي
 قال: إن صرعتني آمنت بك، فصرعه -عليه السلام- مراراً ولم يؤمن فترل قوله: ﴿وَمَا
 جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾: لا رجالات، فمن ذا الذي يغلب الملائكة، ﴿وَمَا
 جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: وما جعلنا عددهم إلا عدداً قليلاً هو
 سبب لفتنتهم للاستهزاء به يعنى إخبارى بأنهم على هذا العدد، ﴿لَيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْكِتَابَ﴾: بصدق القرآن، وبأن هذا الرسول حق، لأنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من
 الكتب السماوية، فإخبار الله بأنهم على هذا العدد المخصوص علة لاستيقانهم، والوصف
 أعني: افتتان الكفار بهذا العدد^(٢) لا مدخل له، ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾: بسبب
 الإيمان به، أو بتصدق أهل الكتاب، ﴿وَلَا يَرْتَابَ﴾، عطف على يستيقن، ﴿الَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾: في ذلك جمع لهم إثبات اليقين، ونفى الشك للتأكيد،

(١) رجع إلى كفره ضالاً لأجل خواطرمهم/١٢ وحيز.

(٢) كأنه قال: وما جعلنا عددهم إلا تسعة عشر، فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة
 عشر؛ لأن حال هذه العدة القليلة وأن يفتتن بها من لا يؤمن بالله كأنه قيل، ولقد جعلنا
 عددهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لأجل استيقان المؤمنين، وحيرة الكافرين/١٢ منه رح.

والتعريض بحال من عداهم، فليس لهم يقين، ولهم ريب وشك، ﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: شك، ونفاق، ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾: المشركون، وفي الآية إخبار عن^(١) الغيب، لأنها مكية فظهر النفاق في المدينة، ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا﴾ أى شيء أراد الله بهذا العدد؟! ﴿مَثَلًا﴾، حال من هذا أو تمييز له، وسموه مثلاً لغرابته، ومرادهم إنكاره، وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك المذكور من الإضلال والهدى، ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾: لا يعلم عددهم، وكمية الموكلين بأمر دون أمر إلا الله، وحكم أمثال ذلك كحكم أعداد السماوات والأرض، وغيرهما لا يطلع عليه إلا بعض المقربين، ﴿وَمَا هِيَ﴾: السقر التى وصفت، ﴿إِلَّا ذِكْرَى﴾^(٣): تذكرة، ﴿لِلْبَشَرِ﴾.

﴿كَأَلَّا وَالْقَمَرَ﴾ ١٦ ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا أَدْبَرَ﴾ ١٧ ﴿وَالصُّبْحَ إِذَا أَتَفَرَّ﴾ ١٨ ﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبَرِ﴾ ١٩ ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ ٢٠ ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ ٢١ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ ٢٢ ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ ٢٣ ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ٢٤ ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ ٢٥ ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ ٢٦ ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ ٢٧ ﴿وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾ ٢٨ ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ ٢٩

(١) فهو معجزة له - صلى الله عليه وسلم - حيث أخبر، وهو بمكة عما سيكون بالمدينة بعد الهجرة ١٢ فتح.

(٢) قال عطاء: يعنى من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار لا يعلم عدتهم إلا الله وحده، والمعنى أن خزنة النار، وإن كانوا تسعة عشر فلهم من الأعوان، والجنود من الملائكة ما لا يعلمه إلا الله سبحانه ١٢ فتح.

(٣) فدع الكم والكيف واتعظ بها ١٢ وحيز.

وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴿١١﴾ حَتَّى أَتَيْنَا الْيَقِينَ ﴿١٢﴾ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفْعَةُ الشُّفَعِينَ ﴿١٣﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿١٤﴾ كَأَنَّهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿١٥﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿١٦﴾ بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُّنشَرَةً ﴿١٧﴾ كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ ﴿١٩﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٢٠﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٢١﴾

﴿كَلَّا﴾ (١)، ردع لمن أنكرها، ﴿وَالْقَمَرِ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾: أدبر على المضي كقيل بمعنى أقبل، وقيل: من دبر الليل النهار إذا خلفه، ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾: أضاء، ﴿إِنهَا﴾ أي: سقر، ﴿لِإِحْدَى الْكُبَرِ﴾: لإحدى البلايا الكبر، جمع كبرى، أسقطت ألف التانيث كئائها، يقال: فَعَلُ في جمع فُعْلَةٍ، وعن مقاتل دركات جهنم سبعة: جهنم، ولظى، والحطمة، والسعير، وسقر، والجحيم، والهاوية، وهي (٢) جواب القسم أو تعليل "لكلا" والقسم معترض للتوكيد، ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ تمييز أي: إنها لإحدى الدواهي إنذاراً كقولك: هو أحد الرجال كياسة، ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ﴾، بدل من البشر، ﴿أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ مفعول شاء أي: نذيراً لمن شاء التقدم والسبق إلى الخير، أو التأخر، والتخلف عنه، أو أن يتقدم مبتدأ، ولمن شاء خبره نحو "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر" (الكهف: ٢٩) ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾: مرهونة عند الله في القيامة مصدر كالشتيمة (٣)، فإن فاعيل الصفة لا يؤنث، ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾: فإنهم فكوا

(١) قال ابن جرير الطبري: المعنى رد زعم من زعم أنه يقاوم خزنة جهنم أي: ليس الأمر كما يقول، ثم أقسم على ذلك بالقمر وما بعده، وهذا هو الظاهر من معنى الآية/ ١٢ فتح.

(٢) أي: جملة إنها لإحدى الكبر/ ١٢ منه.

(٣) بمعنى الشتم/ ١٢ فتح.

رقاهم بحسن أعمالهم، ونقل عن علي -رضي الله عنه- إنهم أطفال المسلمين لأنه لا أعمال لهم يركنون بها ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾، حال من أصحاب اليمين، ﴿يَتَسَاءَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: يتساءلون الجرمين عن حالهم، فحذف المفعول؛ لأن ما بعده يدل عليه، ﴿مَا سَلَكَكُمْ﴾: ما أدخلكم، ﴿فِي سَقَرٍ﴾، بيان للتساؤل، وهذا أولى الوجوه، ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصْلِينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ^(١) الْمَسْكِينِ﴾ أي: ما عبدنا ربنا، وما أحسنا إلى خلقه، ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ﴾: في الباطل، ﴿مَعَ الْخَائِضِينَ^(٢)﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ: أي مع هذا كله كنا نكذب بالقيامة، ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ^(٣)﴾: الموت، ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ أي: لو شفَعُوا أجمعين لهم، وهو قول الله، ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ أي: ما لهؤلاء الكفرة معرضين عن التذكير؟ فـ"معرضين" حال من الضمير، ﴿كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ أي: كأنهم في نفارهم عن الحق حمر وحشية فرت من من يصيدها، أو من الأسد، ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنشَرَةً﴾ قالوا: إن سرك أن نتبعك، فأت كلاً منا بكتاب من السماء أن اتبع يا فلان محمداً فإنه رسولك، أو كل منهم يريد أن يتزل عليه كما نزل عليك قال تعالى: "وإذا جاءهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى" الآية (الأنعام: ١٢٤)، ﴿كَلَّا﴾: ردع عن تلك الإرادة، ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾، ولهذا أعرضوا عن التذكرة، ﴿كَلَّا﴾،

(١) فيه دليل على أن الكفار مخاطبون بالشرعيات، والفروع فقول صاحب الكشف: يحتمل أن يدخل بعضهم النار بمجموع ذلك، وهو ترك الصلاة، وترك الإطعام، والخوض في الباطل مع الخائضين، والتكذيب بيوم القيامة، وبعضهم بمجرد ترك الصلاة أو ترك الطعام تخيل منه كما قال صاحب الانتصاب: إن تارك الصلاة يخلد في النار/١٢فتح.

(٢) أرادوا المجاهرة بالفسق/١٢وحيز.

(٣) أي: الموت، وكان سؤالهم سؤال تقرير ليعترفوا بلسانهم بجهلهم، وخسرانهم وإلا فهم عالمون بالسبب/١٢وحيز.

ردع عن الإعراض، ﴿إِنَّهُ تَذَكُّرٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ أي: فمن شاء اتعظ به، أو حفظه، ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾: وما يتعظون به، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، ذكرهم، أو مشيئتهم، ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى﴾: هو أهل أن يتقى، فلا يجعل معه إله، ﴿وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾: وأهل لأن يغفر لمن اتقى أن يجعل معه إلهًا، كذا رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه في تفسير "هو أهل التقوى وأهل المغفرة".

والحمد لله رب العالمين.

سورة القيامة مكية

وهي أربعون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۝ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَنُ ۝ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝ بَلَىٰ قَدَرِينٌ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ ۝ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَنُ ۝ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ۝ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۝ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ ۝ الْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۝ يَقُولُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُ ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۝ يُنَبِّئُ الْإِنْسَنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ ۝ وَأَخَّرَ ۝ بَلِ الْإِنْسَنُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ۝ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۝ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ۝ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ۝ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝ وَوُجُوهٌ ۝ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٌ ۝ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ۝ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ۝ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ۝ وَالْتَقَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ ۝ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ۝﴾

﴿لَا أَقْسِمُ﴾، زيادة لا النافية على القسم للتأكيد^(١) شائع، ﴿يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ هي نفس المؤمن لم تزل تلومه: لم قلت كذا لما فعلت؟ لم تركت؟ أو

(١) قال المبرد: لا زائدة لتأكيد القسم، وقال الفراء: لا نافية ومنفيها ما اشتهر عن الكفار من إنكار البعث ورد بأن الفصحاء يزيدونها في مستهل قصائدهم وقيل: منفيها أقسم =

النفس مطلقاً تلوم يوم القيامة نفسه إن عمل خيراً لم ما استكثرته؟ وإن شراً لم عملته؟ وجواب القسم محذوف نحو "إنكم مبعوثون" يدل عليه قوله: «أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ: جنسه، أو الكفار منهم، «أَنْ لَّنْ نَّجْمَعَ عِظَامَهُ»: بعد تفرقها لعدم قدرتنا، «بَلَى»: نجمعها، «قَادِرِينَ»، حال من فاعل نجمع المقدر، «عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَاتُهُ»: أن نجعل أصابع يديه ورجليه مستوية كخف البعير، فلا يمكنه القبض، والأخذ، وفنون الأعمال، أو على أن نضم الأنامل بعضها إلى بعض كما كانت على صغرها، فكيف بكبار العظام، «بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ»: ليدوم على الفجور فيما يستقبله من الأوقات، والمعنى على إنكار الحسبان، أولاً ثم الإضراب عنه بالإخبار عن حال بما هو أدخل في اللوم والتوبيخ، وفيه إيماء بأنه عالم بوقوع الحشر لكنه متغاب، «يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ»: متى يكون إنكاراً أو استهزاء، «فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ»: تحير فرعاً من شدة الأهوال، «وَحَسَفَ الْقَمَرُ»: ذهب ضوءه، «وَجُمِعَ^(١) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ»: أي: جمع بعض أجزاء الشمس إلى بعض، ويلف كالحصير، وكذا^(٢) القمر، أو جمع بينهما، فلا يكون كل واحد في فلك، «يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ»: أين الفرار؟

= كأنه قال: لا أقسم؛ لأنه لا حاجة إلى القسم لظهوره، وقيل: زيدت توطئة للنفي بعده نحو "فلا وربك لا يؤمنون" (النساء: ٦٥) ويقدر هنا لا يتركون سدى ورد بأنه لم يقصر على النفي نحو "لا أقسم بهذا البلد" (البلد: ١) لقوله: "لقد خلقنا الإنسان في كبد" (البلد: ١-٤) ومثله "فلا أقسم بمواقع النجوم" بقوله: "إنه لقرآن كريم" (الواقعة: ٧٥-٧٧) وقيل: أصله لا قسم بدليل قراءة ابن كثير ثم أشبع اللام فظهر الألف ورد بأن نون التأكيد لازم هذا اللام وكلام الله على طريقة كلام العرب فالقول ما قال المبرد ١٢/ وجيز.

(١) ولم يقل جمعت لتغليب المذكور، وهو القمر مع أن الشمس مؤنث غير حقيقي ١٢/ وجيز.

(٢) هذا قول جمع من السلف ١٢/ وجيز.

﴿كَلَّا﴾، ردع عن طلب الفرار، ﴿لَا وَزَرَ﴾: لا ملجأ، ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: وحده، ﴿يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾: استقرار العباد، ﴿يُنَبِّئُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾: بأعمال أوائل عمره وأواخره، أو بما عمله وما تركه، أو بأعمال عملها، وبأعمال آخرها فعملها كسنة حسنة وسيئة، ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾^(١): حجة بينة تشهد جوارحه عليه نحو: لما جاءت آياتنا مبصرة أو عين بصيرة يعنى لا يحتاج إلى الإنباء، ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾: ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه جمع معذار، وهو العذر، أي: لا ينفعه عذره؛ لأن من نفسه من يكذبه، وعن بعض: ولو ألقى الستور وأخفى الذنوب كل الإخفاء، وأهل اليمن يسمون الستر معذاراً، ﴿لَا تُحَرِّكْ﴾: يا محمد، ﴿بِهِ﴾: بالقرآن، ﴿لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾: لتأخذه على عجلة قد صح عن ابن عباس —رضى الله عنهما— وغيره: إنه إذا نزل جبريل بالوحي قرأ النبي —عليه السلام— قبل فراغه مسارعة إلى الحفظ، وخوفاً من الانفلات، فتزل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾: في صدرك، ﴿وَقُرْآنَهُ﴾: إثبات قراءته في لسانك، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾: بلسان الملك عليك، وأصغيته، ﴿فَاتَّبَعَ قُرْآنَهُ﴾: فاتبع قراءته، وكن مقفياً له فيه، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا﴾^(٢) بيانه: بيان ما أشكل عليك، ﴿كَلَّا﴾، ردع لإلقاء المعاذير، ﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾: تختارون الدنيا على العقبى، ولا تعملون للعقبى، والخطاب لجنس الإنسان؛ لأن فيهم من

(١) ولما ذكر منكر البعث، وإعراضه عن آيات الله، واختياره للعاجلة للفجور أعقبه بحالته، من تناهى اهتمامه بالآيات لنفسه ولغيره، وبرجاء أن يهديه الله فكمال اعتنائهم في العاجلة، وتمام اهتمامه في الآجلة، فيظهر بذلك تباين من يرغب في تحصيل آيات الله، ومن يرغب عنها فبضدها تبين الأشياء فقال: "لا تحرك به لسانك" الآية/١٢ وجز.

(٢) وهو اعتراض بما يؤكد التوبيخ على حب العجلة؛ لأن العجلة إذا كانت مذمومة فيما هو أهم الأمور، وأصل الدين، فكيف بها في غيره؟! والمناسبة بين هذه الآية، وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها/١٢ فتح.

هو كذلك، أو الكفار وقوله: "لا تحرك" إلى قوله: "ثم إن علينا بيانه" اعتراض بذكر ما اتفق في أثناء نزول هذه الآيات مع ما فيه من إنكار العجلة، وإن كان في أمور الخير، وما قبل الاعتراض وما بعده في التوبيخ على حب العجلة، ﴿وَجُؤةَ يَوْمَئِذٍ﴾: يوم القيامة، ﴿نَاضِرَةٌ﴾، من النضارة أي: حسنة بهية مشرقة، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(١):

(١) أي: تنظر إليه عيانًا بلا حجاب، هكذا قال جمهور أهل العلم، والمراد به ما تواتر به الأحاديث الصحيحة من أن العباد ينظرون إلى ربه يوم القيامة كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر، قال ابن كثير: هذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة، والتابعين، وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام، وهذا الأناص/١٢. وقال الإمام شمس الدين ابن القيم -رحمه الله- في كتابه حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح: الآيات والأحاديث، والآثار المنقولة عن الصحابة في دلالتها على العلو، والرؤية أعظم من أن تحصر، وليس مع نفاة الرؤية، والعلو مما يصلح أن يذكر، ثم ذكر مفاسد قولهم في نفى الرؤية إلى أن قال: فقد اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وجميع الصحابة، والتابعون، وأئمة الإسلام على تنابع القرون، وأنكر أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبال الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون، ولكل عدو لله ولرسوله مسلمون، وكل هؤلاء عن ربه محجوبون، وعن بابه مطرودون أولئك أحزاب الضلال، وشيعة اللعين، ثم أطال الكلام في ذكر دلائل الرؤية إلى أن قال: والدليل السابع: قوله عز وجل: "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة"، فأنت إذا حفظت هذه الآية عن تحريفها عن موضعها، والكذب على المتكلم بما سبحانه فيما أراد منها وجدتها منادية هذا صريحًا أن الله سبحانه يُرى عيانًا بالأبصار يوم القيامة، وإن أبيت إلا تحريفها الذى يسميه المخرفون تأويلًا، فتأويل نصوص المعاد، والجنة والنار، والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها، وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك، ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجد متأول مثل هذه

تراه عيانًا حين يرى ربه لا يلتفت إلى غيره، والنظر إلى غيره في جنب النظر إليه لا

= النصوص، وهذا الذى أفسد الدين والدنيا، وإضافة النظر إلى الوجه الذى هو محله في هذه الآية وتعديه بأداة إلى الصريحة في نظر العين وإحلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدى بإلى خلاف حقيقته، وموضوعه، صريح في أن الله أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه، فإن عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله: "انظرونا نقتبس من نوركم" (الحديد: ١٣)، إن عدى بفي فمعناه التفكير والاعتبار كقوله: "أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض" (الأعراف: ١٨٥)، وإن عدى بإلى فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله "انظروا إلى ثمره إذا أثمر" (الأنعام: ٩٩)، فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذى هو محل النظر، وكيف وقد قال -صلى الله عليه وسلم: "وجوه يومئذ ناضرة قال: من البهاء، والحسن إلى ربها ناظرة، قال: في وجه الله -عز وجل" فاسمع أيها الإنسان تفسير النبي -صلى الله عليه وسلم، والأحاديث الدالة على الرؤية متواترة رواها عنه أبو بكر الصديق، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري، وجرير بن عبد الله، وصهيب، وعبد الله بن مسعود، وعلى بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري، وعدى بن حاتم الطائي، وأنس بن مالك الأنصاري، وبريدة بن الحصيب الأسلمي، وأبو رزين، وجابر بن عبد الله وأبو أمامة الباهلي، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين، وعبد الله بن عمر، وسلمان الفارسي، وحذيفة بن اليمان، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وحديثه موقوف، وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة، وفضالة بن عبيد، وحديثه موقوف، فمن أراد الاطلاع عليها فليراجعها في مظانها انتهى. وأيضًا قد بين رحمه الله هذه المسألة أتم بيان في خاتمة قصديته النونية بأشعار لطيفة رشيقة بحيث تنشرح منها الصدور، وتلتزمها الأسماع، حيث قال:

ويرونه سبحانه من فوقهم نظر العيان كما يرى القمران

هذا تواتر عن رسول الله لم ينكره إلا فاسد الإيمان

إلخ فمن يشاء فليطالعها/ ١٢.

يعد^(١) نظراً، ولهذا قدم المفعول، والأحاديث الصحاح في تفسير تلك الآية وأقوال السلف والخلف على ذلك بحيث يعد المكابر معانداً، «وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ بِآسِرَةٍ»: شديد العبوس، «تَظُنُّ»: تتوقع، «أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ»: داهية تكسر فقار الظهر، فهذا ما يفعل بهم في مقابلة النظر إلى الرب لكون ذلك غاية النعمة، وهذا غاية النقمة، والظن في البلاء أشد، والتنوين في وجوه، ونظائره كقلوب يومئذ واجفة للتنويع، ويقوم مقام الوصف المخصص للمبتدأ، أو كان هذا أولى مما قيل: إن بعض المذكور كناظرة وصف محض، وبعضه كإلى رها ناظرة خير، «كَلَّا»، ردع عن إثارة الدنيا، «إِذَا بَلَغْتَ»: النفس^(٢)، «التَّرَاقِي»: أعلى الصدور، «وَقِيلَ»، القائل الملك، «مَنْ رَاقٍ^(٣)»: من يرقى بروحه ملك الرحمة، أو ملك الرحمة، أو ملك العذاب، أو القائل الحاضرون من يرقيه مما به، «وَضَنٌّ»: المحتضر، «أَنَّهُ»: أن ما نزل به، «الفِرَاقُ»: فراق الدنيا، «وَأَلْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ»، الساق مثل في الشدة أي: التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة، وقيل: التوت الساق بالساق عند قلق الموت، «إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ»: المرجع يسوق الملك الروح إلى السماوات كما في الحديث.

﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ۝ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ۝ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّى ۝ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۝ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ۝ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَنُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ۝ أَلَمْ يَكُ نَظْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝ ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ

(١) جواب عما قال الزمخشري: من أنه لا يجوز أن يكون النظر بمعناه؛ لأنه يلزم أن يكون النظر إلى غير وجه الله، ولا شك في بطلانه/١٢ منه.

(٢) دل عليه سياق الكلام/١٢ وجيز.

(٣) وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- من يرقى بروحه لكرهية الملك بروح الكافر/١٢ وجيز.

فَسَوَّى ۝ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ۝ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ۝ ﴿١٢﴾

﴿فَلَا صَدَقَ﴾ أي: الإنسان المذكور في قوله: "أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ" أو المراد أبو جهل ما يجب تصديقه، ﴿وَلَا صَلَّى وَلَكِنْ كَذَّبَ﴾: الحق، ﴿وَتَوَلَّى﴾: عن الطاعة، ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾: يتبختر افتخارًا، وسرورًا، ﴿أُولَى لَكَ فَأُولَى ثُمَّ أُولَى لَكَ فَأُولَى﴾، دعاء عليه من الولي، وهو القرب أي: قاربه ما يهلكه فعل فيه ضمير الهلاك بقرينة السياق، ﴿أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾: مهملاً لا يؤمر ولا ينهى ولا يجازى، ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى^(١) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ﴾: فقدره الله، ﴿فَسَوَّى﴾: عدله، ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ﴾: من الإنسان ﴿الزَّوْجَيْنِ﴾: الصنفين، ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾: الذى أنشأ هذا الإنشاء، ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾، والسنة أن يقول بعده سبحانه فبلى، أو بلى بغير فاء.

والحمد لله وحده.

(١) يصب في الرحم/١٢.

سورة الدهر (*) مكية

وهي إحدى وثلاثون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا
الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ
السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَاقًا
وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا
يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا
كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا
﴿٨﴾ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ
مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَّعْنَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعْنَاهُمْ نَضْرَةً
وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَّيْنَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَعْرَافِ
لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا
تَذَلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَآئِنَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴿١٥﴾
قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا
زَنْجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ﴿١٨﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ

(*) وتسمى أيضًا سورة الإنسان.

مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا ﴿٦٨﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا
وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٦٩﴾ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوْا أَسَاوِرَ مِنْ
فِضَّةٍ وَسَقَلَهُمُ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٧٠﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ
سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا ﴿٧١﴾

﴿هَلْ (١) أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾: قد أتى على جنس بنى آدم، ﴿حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ﴾: طائفة
من الزمن الممتد، ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾: لم يعرف، ولم يذكر، وعن بعض المراء
آدم، فإنه ملقى أربعين سنة قبل نفخ الروح فيه، والجملة حال من الإنسان، أو وصف
لحين يحذف الراجع أي: لم يكن فيه شيء، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾: بنى آدم، ﴿مِّنْ
نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾، جمع مشج أي: أحلاط أي: من نطفة قد اختلط، وامتزج فيها ماء
الرجل والمرأة، أو ألوان فما للرجل لون وللمرأة لون ﴿نَبْتَلِيهِ﴾: مريدين اختباره (٢)،
﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾: فإنه بالسمع والبصر يتمكن من الطاعة والمعصية، ﴿إِنَّا
هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾: بينا له طريق الحق، ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾، حالان من أول
مفعولى هدينا أي: هديناه فى حاله جميعاً، أو مقسوماً إلى الحالين بعضهم شاكر بأن
سلوكوا طريقاً هديناهم، وبعضهم كفور بالإعراض عنه، ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ
سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٣)﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ، جمع بر أو بار، ﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾:

(١) فى معنى النحو: إنه فسر جماعة منهم ابن عباس، والكسائى، والفراء، والمبرد هل أتى بمعنى
قد أتى وقال جمع من النحاة: هل لا يأتى بمعنى قد أصلاً، وتفسير ابن عباس أراد أن
الاستفهام فى الآية للتقرير، وليس باستفهام حقيقى/١٢ وجيز.

(٢) إشارة إلى أن قوله نبتليه جملة حالية/١٢ منه.

(٣) يعنى ما لهم أنهم فى سكير، وعلى أيديهم وأرجلهم السلاسل، وعلى أعناقهم
الأغلال/١٢ وجيز.

من خمر، **﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾**: تخلق منها رائحة الكافور، وبياضه وبرده، فكأنها مزجت بالكافور، أو تمزج لهم بالكافور، وتحتّم لهم بالمسك، **﴿عِينَا﴾**، بدل من محل من كأس بحذف مضاف أي: خمر عين، أو نصب على الاختصاص، أو الكافور اسم عين في الجنة، فيكون عَيْنًا بدلا منه، **﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾** أي: ملتذا بها، أو يشرب بمعنى يروى، فلذلك عدى بالباء، أو الباء زائدة، أو بمعنى من، **﴿عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾**: يجرونها حيث أرادوا من منازلهم، **﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾**^(١)، مستأنفة كأنه قيل: لأى سبب رزقوا ذلك؟ وعن بعض المراد بالنذر الواجب أي: يوفون بما يجب عليهم من الصلاة، والزكاة، وغيرهما، **﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾**: منتشرا غاية الانتشار فيجتنبون عن المعاصي، **﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾**^(٢) الأولى أن يكون الضمير للطعام ليكون موافقا لقوله تعالى "لن تنالوا البر" الآية (آل عمران: ٩٢)، ولأن فيما بعده، وهو لوجه الله فنية أن يكون تقديره على حب الله، **﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾**: وإن كان من أهل الشرك أمر^(٣) - عليه السلام - يوم بدر بإكرام الأسراء أو المراد المسجون من المسلمين، أو المراد الأرقاء نزلت حين نذر^(٤) على وفاطمة صوم ثلاث في مرض ولديهما إن برىا فلما صاما وأرادا الإفطار وقف عليهما مسكين فأثراه فباتا بلا عشاء، ثم وقف عليهما في الليلة الثانية يتيم، فأثراه فباتا جائعين ثم في الثالثة أسير من

(١) والنذر نوعان نوع نذر الشرط نحو أن يقول: هذا منذور إن رزقني الله الصحة ونوع نذر قرينة لأن رزقه الله العافية، وهذا النوع ممدوح محمود/١٢ وحيز.

(٢) في الصحيح "أفضل الصدقة أن تتصدق، وأنت صحيح صحيح شحيح تأمل الغنى، وتحشى الفقر" أي: في حال محبتك للمال، وحاجتك عليه وإليه/١٢ وحيز.

(٣) كذا قاله ابن عباس رضى الله عنه وسعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة/١٢ منه.

(٤) أخرجه ابن مردويه/فتح، وروى البغوى الإمام المحدث ذلك عن مجاهد وعطاء وابن عباس رضى الله عنه أن الآية نزلت في على بن أبى طالب/١٢ منه.

المشركين فأثراه فلم يفطرا في صوم ثلاث إلا بالماء^(*)، ﴿إِنَّمَا تُطْعَمُكُمْ﴾: قائلين ذلك بلسان الحال، أو المقال ليعرف الفقير أنها صدقة ليست للمجازاة، ﴿لَوْجِهَ اللَّهِ﴾: خالصاً غير مشوب بحظ النفس، ﴿لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾، مصدر كالقعود، ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا﴾، مستأنفة للتعليل، ﴿يَوْمًا﴾ أي: عذابه، ﴿عَبُوسًا﴾، مجاز أي: عبوساً فيه أهله، أو كالأسد العبوس في الضرر والشدة، ﴿قَمْطَرِيرًا﴾: شديد العبوس، عن عكرمة وغيره، يعبس الكافر حتى يسيل من بين عينيه عرق كالقطران، وعن ابن عباس -رضى الله عنهما- العبوس الضيق، والقمطير الطويل، ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً﴾، بدل عبوس الكفار، ﴿وَسُرُورًا﴾، بدل حزنهم، ﴿وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾: على ترك الشهوات، وأداء الواجبات، ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾: يلبسونه، ﴿مُتَكِّينَ فِيهَا﴾، حال من أول مفعولى جزاء، أو صفة لثاني مفعوليه على مذهب الكوفية، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: السرر في الحجال، ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا﴾: لا حرٌّ مزعج، ولا بردٌ مؤلم، بل هواء معتدل، ﴿وَدَانِيَةً﴾: قريبة، ﴿عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾، الواو للعطف على متكئين، "ولا يرون" يحتمل أن يكون حالا من ضمير متكئين، ﴿وَذَلَّلَتْ﴾: سهلت، ﴿قُطُوفُهَا﴾: ثمارها، ﴿تَذَلِيلًا﴾: لا يمتنع على قطافها في أى حال يكونون من القيام، والرقود يحتمل أن يكون الواو حالا من ضمير عليهم

(*) هذا الحديث ذكره القرطبي في تفسيره، وقال الترمذي: الحكيم أبو عبد الله في نواذر الأصول: فهذا حديث مزوَّق مزيف قد تطرف فيه صاحبه حتى تشبه على المستمعين، فالجاهل بهذا الحديث يعرض شفتيه تلهفاً ألا يكون بهذه الصفة، ولا يعلم أن صاحب هذا الفعل مذموم. وذلك لأنه بفعله هذا ضيع من يعول، حيث قال -صلى الله عليه وسلم: "كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت" [وذكره الواحدى في: "أسباب التزول" (٣٣١/١)].

بحذف العائد أي: وذلك لهم، ﴿وَيُطَافُ^(١) عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ﴾، الباء للتعدية، ﴿مَنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾: أباريق بلا عروة، ﴿كَأَنَّ قَوَارِيرًا^(٢) قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ أي: جامعة بين صفاء الزجاج، وبياض الفضة، ولينها ونصب قوارير على البدل، أو بتقدير أعني، ﴿قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا﴾، الضمير للطائفتين بها الدال عليه "يطاف عليهم" أي: قدر الخدم الآنية على قدر ربه وحاجتهم لا يزيد فيها الشراب، ولا ينقص، وهو ألد للشارب، وقيل: مرجع هذا الضمير مرجع سائر الضمائر في الآية أي قدروها في أنفسهم، فجاءت مقاديرها، وأشكالها كما تمنوه، ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا﴾: خمرًا، ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا عَيْنًا فِيهَا﴾، المعنى والإعراب كما مر في كان مزاجها كافورًا عَيْنًا، والعرب يستطيب طعم الزنجبيل جدًّا، وعن قتادة وغيره: الأبرار يمزج لهم من هذا تارة ومن ذاك أخرى، وأما المقربون فيشربون من كل منهما صرفًا، ﴿تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا^(٣)﴾، لسلسلة في الحلق ليس فيها إحراق الزنجبيل، ولدغته مع أن فيها طعمه، أو سميت به، لأنها تسيل عليهم في السبل، والطرق، والمنازل، ﴿وَيُطَوَّفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانٌ^(٤) مُخَلَّدُونَ﴾: لا

(١) ولما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم، وصف شراهم بقوله: "يطاف عليهم" الآية/١٢فتح.

(٢) قرأ حفص بغير الألف في الوصل فيهما، ووقف على الأول بالألف وعلى الثاني بغير الألف/١٢.

(٣) ولما وصف شراهم، ووصف آنيته وصف السقاة الذين يسقونهم، فقال: "يطوف عليهم" الآية/١٢فتح.

(٤) وفي الخازن: في سورة الواقعة، والصحيح الذي لا معدل عنه إن شاء الله تعالى أنهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة أهل الجنة كالحور، ولم يولدوا ولم يخلقوا عن ولادة انتهى، قلت: والله أعلم بهم، ولا أقول فيهم بشيء ظنًا وتحمينًا إذ لم يرد نص صريح صحيح في كتاب الله ولا في سنة رسوله. فالوقف أولى وأحوط/١٢فتح.

يموتون، ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنْثُورًا﴾: من صفاء ألوانهم، وطراوتهم، وانبثاثرهم في منازلهم، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ أي: إذا وجدت الرؤية في الجنة، ترك مفعوله ليعم، ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمَلَكًا كَبِيرًا﴾: واسعًا، ﴿عَالِيَهُمْ﴾، بالنصب حال من عليهم^(١) وبسكون الياء مبتدأ، وقوله: ﴿ثِيَابٌ سُندُسٌ﴾، خبره، وهو ما رَقَّ من الثياب، ﴿خُضْرٌ﴾، بالجر صفة سندس، وبالرفع صفة ثياب، ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾: هو ما غلظ من الثياب، وله بريق، ولمعان بالرفع عطف على ثياب، وبالجر على سندس، ﴿وَحُلُلُوءٌ﴾، عطف على ويطوف، ﴿أَسَاوِرٌ﴾، جمع سوار، ﴿مِنْ فِضَّةٍ﴾، وهذا للأبرار، وأما المقربون فيحلون من أساور من ذهب، أو للأبرار أساور من ذهب، وفضة، ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾، عين على باب الجنة من شرب منها نزع ما كان في قلبه من الأخلاق الرديئة، أو طاهرًا من الأقدار لم يدنسه الأيدي، والأرجل كخمر الدنيا، أو لأنه يرشح عرقًا له ريح كالمسك، ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ﴾ أي: يقال لهم ذلك، ﴿جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَّشْكُورًا﴾: غير مضع.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ ١٦ ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطْعَمْ مِنْهُمْ إِثْمًا أَوْ كَفُورًا﴾ ١٧ ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ١٨ ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ ١٩ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ ٢٠ ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ ٢١ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ تَذَكَّرُ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ٢٢ ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ٢٣ ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ٢٤

(١) من ضمير عليهم/١٢.

﴿إِنَّا﴾^(١) نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا: متفرقاً منجماً آية بعد آية، وفي تكرير الضمير مع التأكيد بأن مزيد اختصاص التزيل، ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾: بتأخير نصرك، ﴿وَلَا تَطْغِ مِنْهُمْ آثِمًا﴾^(٢)، أَوْ كَفُورًا، لفظ أو للدلالة على أن إطاعة كل واحد منهما قبيح، فالجمع بين الطاعتين أقبح، والآثم الكافر؛ لأن الفسوق في الأفعال يظهر من الكافر، والكفور المنافق، لأنه صفة القلب، ولا تطع الكافرين، والمنافقين، وعن بعض الآثم^(٣) عتبة، فإنه ركَّاب الفسوق، والكفور الوليد، فإنه الغالي في الكفر، وهما قالوا لو رجعت عن هذا الأمر لزوجناك ابنتينا بغير مهر، وأعطيناك من المال حتى ترضى، ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً﴾^(٤) وَأَصِيلًا: أول النهار وآخره، ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾، كما قال: "ومن الليل فتهجد به نافلة لك" (الإسراء: ٧٩) وعن بعض المراد صلاة الصبح، والعصر، والمغرب، والعشاء، والتهجد، ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾: الدار العاجلة، ﴿وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ﴾: وراء ظهورهم، أو أمامهم، ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾: شديداً، ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾: ربطهم، وتوثيق مفاصلهم، ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ﴾: في شدة الأسر بعد إهلاكهم، ﴿تَبْدِيلًا﴾، والمراد النشأة الأخرى، والتبديل في الصفات، أو المراد إذا شئنا أهلكناهم،

(١) ولما ذكر حال الإنسان، وقسمه إلى العاصي والطائع، وحذر عما أعد للعاصي، ورغب فيما أعد للمطيع أعقبه بما شرف به نبيه، وأرشده، فقال: "إنا نحن نزلنا عليك القرآن" ١٢/ وحيز.

(٢) وهم قائلون - كما مر: ساحنا في عبادة أصنامنا نسمحك في عبادة ربك، ولو رجعت إلى دين عبدالمطلب جدك لآتيناك كذا وكذا/ ١٢ وحيز.

(٣) وهو قول مقاتل ذكره البغوي/ ١٢ منه.

(٤) نقل عن عكرمة أن المراد من البكرة الصبح، ومن الأصيل الظهر والعصر، ومن الليل فاسجد المغرب والعشاء، ومن قوله سبحه ليلاً طويلاً التهجد/ ١٢ منه.

ونأت بخلق جديد مثلهم بدلهم فالتبديل في الذوات، وحقه حيثنذ إن بدل إذا لكن جيء
 بإذا على المبالغة كأن له وقتاً معيناً، ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي: السورة، ﴿تَذَكُّرَةٌ﴾: عظة،
 ﴿فَمَنْ^(١) شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾: طريقاً ومسلكاً إلى الله، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾:
 ذلك، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ
 عَلِيمًا حَكِيمًا﴾: فيعلم من يستحق الهداية، فيقيض له أسبابها، ومن يستحق الغواية
 فييسر له أسبابها، وله الحكم في ذلك، ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾: بهدأيته،
 ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾، نصب الظالمين بفعل يفسره ما بعده، مثل أعد.

اللهم أدخلنا برحمتك في رحمتك ولا تجعلنا من الظالمين.

(١) قوله: "فمن شاء" ليس للتخيير، بل للتحذير من اتخاذ غير سبيله/١٢ وحيز.

سورة المرسلات مكية

وهي خمسون آية وفيها مراكوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝۱ فَالْعَصْفِ عَصْفًا ۝۲ وَالنَّشْرِ نَشْرًا ۝۳﴾
﴿فَالْفَرْقَتِ فَرقًا ۝۴ فَالْمُلْقِيَةِ ذِكْرًا ۝۵ عُدْرًا أَوْ نَذْرًا ۝۶ إِنَّمَا تُوعَدُونَ ۝۷ لَوَاقِعٌ ۝۸ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝۹ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝۱۰ وَإِذَا الْجِبَالُ ۝۱۱ نُسِفَتْ ۝۱۲ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِيتَتْ ۝۱۳ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝۱۴ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۝۱۵ وَمَا ۝۱۶ أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ۝۱۷ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝۱۸ أَلَمْ تَنْهَكَ الْآوَّلِينَ ۝۱۹﴾
﴿ثُمَّ نَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ۝۲۰ كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝۲۱ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝۲۲ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝۲۳ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ۝۲۴ إِلَى قَدَرٍ ۝۲۵ مَعْلُومٍ ۝۲۶ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَدِيرُونَ ۝۲۷ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝۲۸ أَلَمْ نَجْعَلِ ۝۲۹ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۝۳۰ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ۝۳۱ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيَّ شَلْخِلَتٍ ۝۳۲ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ۝۳۳ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝۳۴ انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ ۝۳۵ بِهِ تَكْذِبُونَ ۝۳۶ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۝۳۷ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ۝۳۸ أَلْهَبٍ ۝۳۹ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝۴۰ كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صَفْرٌ ۝۴۱ وَيْلٌ ۝۴۲ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝۴۳ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ ۝۴۴ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝۴۵﴾
﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝۴۶ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ۝۴۷ فَإِنْ ۝۴۸ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۝۴۹ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝۵۰﴾

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ^(١) عُرْفًا﴾، أقسم سبحانه بالرياح المرسلة حال كونها متتابعات^(٢) تهب شيئاً فشيئاً، أو بالملائكة حال كونهم يتبع بعضهم بعضاً وعن بعض^(٣) المراد بالعرف المعروف أي: الملائكة التي أرسلت للمعروف^(٤) من الأوامر والنواهي^(*)، ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾، وبالرياح الشديدة الهبوب، أو بالملائكة العاصفات عصف الرياح في أمثال أمر الله، ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾، وبالرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء، أو بالملائكة الناشرات أجنحتهن لتزول الوحي، أو التي نشرن الشرائع في الأرض، ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرَقًا﴾، وبالملائكة^(٥) الفارقات بين الحق والباطل بسبب الوحي، ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾، وبالملائكة الملقيات إلى الرسل وحيًا، ﴿عَذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ أي: لإعذار المحققين، أو إنذار المبطلين، ويحتمل أن يكونا بدلين من ذكرها، ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾: من مجيء القيامة، ﴿لَوَاقِعَ﴾، هو جواب القسم، ﴿فَإِذَا^(٦) التَّجُومُ

(١) أخرج البخارى ومسلم، وغيرهما عن ابن مسعود -رضى الله عنه- قال: بينما نحن مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في غار بمعى إذ نزلت سورة والمرسلات عرفاً فإنه ليتلوها وإن لآلتقاها من فيه، وإن فاه لرطب بها إذ وثب علينا حية فقال النبي -صلى الله عليه وسلم: "اقتلوها" فابتدرناها فذهبت، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم: "وقيت شركم كما وقيت شرها" ١٢/فتح.

(٢) تقول العرب: الناس إلى فلان عرفاً واحداً إذا توجهوا إليه متتابعين/١٢ وجز.

(٣) هذا مروى عن ابن مسعود -رضى الله عنه/١٢ منه.

(٤) فعلى هذا عرفاً مفعول له لا حال كالوجهين الأولين/١٢ منه.

(٥) وفي النسخة ن: الأمر والنهي.

(٥) روى عن مجاهد إن المراد منه الرياح يفرق بين السحاب لكن نقل ابن كثير عن السلف الإجماع على أن المراد من الفارقات، والملقيات الملائكة/١٢ منه.

(٦) الظاهر أن إذا في قوله: "فإذا التجوم" و"إذا السماء" وغيرهما ظرف لقولنا يقال المقدر في قوله: "لأى يوم" وجاز أن يكون ظرفاً للويل، وعلى هذا يومئذ بدل من إذا فتأمل/١٢ منه.

طُمِسَتْ: مُحِي نورها، أو محقت ذواتها، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾: انشقت، ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ تُسِفَتْ﴾: قلعت، ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِتَتْ﴾: جمعت، وعين لها الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أمهم، ﴿لَأَى يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ أي: يقال لأى يوم أخرت؟ وضرب الأجل لجمعهم، وهو تعظيم لليوم، وتعجيب منه، ﴿لَيَوْمٍ الْفَصْلِ﴾، بين الخلائق لبيان ليوم التأجيل، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾، لعظمته لا يكتنه كنهه، ﴿وَيْلٌ^(١) يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾: بذلك اليوم، هو مثل سلام عليك في العدول إلى الرفع، ويومئذ ظرف للويل، ﴿أَلَمْ يَهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾: من الأمم المكذبة، ﴿ثُمَّ تُتْبِعُهُمُ الْآخَرِينَ﴾: تتبعهم أمثالهم من الآخرين ككفار مكة، ﴿كَذَلِكَ﴾: مثل ذلك الفعل، ﴿تَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ^(٢)﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ، التكرير للتوكيد، وهو حسن شائع في عرف العرب ولغتهم، ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾: نطفة ذليلة، ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾، هو الرحم، ﴿إِلَى قَدَرٍ﴾: مقدار، ﴿مَّعْلُومٍ﴾: من الوقت، ﴿فَقَدَرْنَا﴾: ذلك تقديرًا من التقدير^(٣) لا من القدرة، ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾: نحن، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾، اسم لما يكفت أي: يضم، ويجمع أي: كافئة،

(١) وكررت هذه الآية في هذه السورة عشر مرات، لأنه قسم الويل بينهم على قدر تكذيبهم، فإن لكل مكذب بشيء عذابًا سوى تكذيبه بشيء آخر، ورب شيء كذب به هو أعظم جرمًا من التكذيب بغيره، فيقسم له من الويل على قدر ذلك التكذيب، وقال الكرخي: التكرار في مقام الترغيب والترهيب مستحسن لاسيما إذا تغايرت الآيات السابقة على المرات المكررة كما هنا/١٢فتح.

(٢) ولما ذكر إفاء الجميع أعقبه ببيان أصل الخلقة ليستدل به على تجويز البعث فقال: "ألم نخلقكم" الآية/١٢وجيز.

(٣) يعنى إن قرئ بتخفيف الدال فإن الأولى أن يكون من التقدير لدلالة قراءة قدرنا بتشديد الدال عليه مع قوله: "إلى قدر معلوم" فلا تغفل/١٢منه.

﴿أَحْيَاءٌ وَأَمْوَاتٌ﴾، مفعول كفاتا، أو تقديره تكفت أحياء على ظهرها، وأمواتا في بطنها قيل: كفاتا حال وأحياء ثانی مفعول جعل أو بالعكس فالمراد من الأحياء ما نبت، ومن الأموات ما لا نبت، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيًّ﴾: جبالا ثوابت، ﴿شَامِخَاتٍ﴾: طوالا، ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَّاءً قُرَاتًا﴾: عذبا من الأمطار والأنهار، ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ انْطَلِقُوا﴾ أي: يقال لهم في ذلك اليوم اذهبوا، ﴿إِلَىٰ مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾: في الدنيا، ﴿انْطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ أي: ظل دخان جهنم، ﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾: يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما ترى الدخان العظيم يتفرق ذوائب، ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾: كسائر الظلال، ﴿وَلَا يُعْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾: وغير مغن^(١) عنهم من حر اللهب شيئا، ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ﴾، هو ما تطاير من النار، ﴿كَالْقَصْرِ﴾: كل شررة كالقصر في العظم، أو هو جمع قصرة أي: شجرة غليظة، عن ابن عباس -رضى الله عنهما- كنا نعد إلى الخشبة، فنقطعها ثلاثة أذرع، وفوق ذلك ودونه ندخرها للشتاء، فكنا نسميه القصر، ﴿كَأَنَّهُ﴾ أي: الشرر، ﴿جَمَالَةٌ صُفْرٌ﴾، جمع جمال جمع شبه الشرر بالقصر في عظمه حين ينفض من النار، وبالجمالات في اللون، والكثرة، والتتابع، والاختلاط، وسرعة الحركة حين يأخذ في الارتفاع، والانبساط، ومن قرأ بضم الجيم فالمراد الحبال العظيمة من حبال السفن شبهه بها في امتداده، والتفافه، ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾: للقيامة حالات وأيام، ففي بعضها يخاصمون، وفي بعضها يقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون، ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ أي: لا يحصل لهم الإذن، ولا الاعتذار عقيه فيعتذرون عطف على يؤذن، وما جعله جوابا^(٢) لإيهام أن لهم عذرا لكن لم يؤذن لهم فيه، ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ هَذَا يَوْمٌ الْفَصْلُ﴾: بين الحق والمبطل، ﴿جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ﴾: حتى يمكن الفصل، ﴿فَإِنْ كَانَ

(١) فيه إشارة إلى أن محله الجر كقوله: "لا ظليل" ١٢/ منه.

(٢) يعني ما جعله منصوبا جوابا، ولم يقل فيعتذروا بحذف النون لهذا الإيهام ١٢/ منه.

لَكُمْ كَيْدٌ: في الفرار مني، ﴿فَكِيدُونِ﴾، تفرّيع وتهديد على كيدهم في الدنيا لإطفاء دين الله، ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ﴾ ﴿٤٥﴾ وَفَوَاحٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٦﴾ كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٧﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٨﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ كُلُّوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥١﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٣﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٤﴾

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾، مقابل للمكذبين، ﴿فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ وَفَوَاحٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ أي: مستقرون في أنواع الترفع، ﴿كُلُّوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: مقولا لهم ذلك، ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾: في العقيدة والعمل، ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ كُلُّوا وَتَمَتَّعُوا^(١) قَلِيلًا﴾، كلام مستأنف خطاب للمكذبين في الدنيا، ﴿إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ﴾، استئناف علة لقلة التمتع، ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ وَإِذَا قِيلَ﴾: في الدنيا، ﴿لَهُمْ ارْكَعُوا﴾ أي: صلوا، ﴿لَا يَرْكَعُونَ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾: بعد القرآن، ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إذا لم يؤمنوا به مع أنه لا حديث يساويه أو يدانيه، فلا حديث أحق بالإيمان منه، وقد ورد "من قرأ والمرسلات عرفا" فبأي حديث بعده يؤمنون" فليقل آمنت بالله، وبما أنزل.

والحمد لله وحده.

(١) وقيل: هو حال من المكذبين، ويقال لهم ذلك في الآخرة إذنا بأنهم كانوا في الدنيا أحقء بأن يقال لهم ذلك، وكانوا من أهله تحسيرا وتقريرا كما يدعى لمن هلك بعد الهلاك إشعارا بأنه حقيق بأن يقال له ذلك في حياته/١٢.

سورة النبأ مكية

وهي أربعون آية وفيها ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْلَدًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاهُكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَنَابًا ﴿٢٢﴾ لِّلَّذِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿عَمَّ﴾، حرف جر دخل على ما الاستفهامية، وحذف الألف في كثرة الاستعمال، ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾^(١)، كان أهل مكة يتساءلون فيما بينهم عن القيامة استهزاء، ومعنى هذا

(١) قال الواحدي: قال المفسرون: لما بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخبرهم بتوحيد الله، والبعث بعد الموت، وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم يقولون ماذا جاء به محمد، وما الذي أتى به؟ فأنزل الله ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ١٢/فتح.

الاستفهام التفخيم والتعظيم، ﴿عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ﴾، بيان للشأن المفخم، أو صلة يتساءلون، و"عم" متعلق بفعل يفسره ما بعد، وقراءة^(١) "عمه" دالة عليه، والنبأ: القيامة، وعن بعض: القرآن، ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾: بالإنكار^(٢) والشك، أو ضمير يتساءلون لجنس الناس، ويكون الاختلاف بالإقرار، والإنكار، ﴿كَلَّا﴾، ردع عن هذا التساؤل، والاختلاف، ﴿سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾، تكرير للمبالغة، و"ثم" للإشعار بأن الوعيد الثاني أشد، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾: فراشاً، ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾: للأرض حتى لا يتحرك يعني: ومن قدر على مثل هذا كيف لا يقدر على البعث؟! ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾: أصنافاً ذكراً وأنثى، ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾^(٣): قطعاً عن الحس، والحركة استراحة للبدن أو موئناً، فإن النوم أخو الموت، ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾: غطاء يستركم عن العيون، ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾: وقت معاش تحصلون فيه ما تعيشون به، ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾: سبع سموات، ﴿شِدَادًا﴾: محكمات، ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا﴾ أي: الشمس، ﴿وَهَاجًا﴾: متألقاً حاراً، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ^(٤)﴾، هي السحاب، التي شارفت أن تعصرها الرياح، كأعصرت الجارية،

(١) فإنه وقف عليه، ثم ابتداء بقوله: ﴿يتساءلون﴾ كأنه قال: يتساءلون عمه؟ ثم قال ﴿يتساءلون﴾/١٢ منه.

(٢) هذا إذا كان ضمير يتساءلون لكفار مكة، كما أشرنا إليه/١٢ منه.

(٣) أصل السبت: القطع/١٢ منه.

(٤) عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل، والكلبي، وغيرهما: إن المراد من المعصرات: الرياح، وعن عكرمة وأبي العالية والضحاك والحسن والربيع بن أنس والثوري: إنها السحاب، وعن حسن وقتادة: إن المراد منها: السماوات، فالمراد من قولنا كما صح عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه صح عنه أن المطر من السماء يأتي إلى السحاب، لا أن تفسير المعصرات بالسماوات هو قول ابن عباس -رضي الله عنهما/١٢ منه.

إذا دنت أن تحيض، أو الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب، فهمة أعصرت للحنونة، والرياح كالمبدأ الفاعلي للمبدأ؛ لأنها تنشئ السحاب فجاز أنه منه، أو هي السماوات، فإن الماء يتزل من السماء إلى السحاب كما صح عن ابن عباس، وغيره، فالسماوات يحملن السحاب على العصر، فلهمة للتعدية، «مَاءً ثَجَّاجًا»: منصبا لكثرتة، «لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا»: من الحنطة، والشعير، «وَنَبَاتًا»: خضرًا مما يأكل الناس، والأنعام، «وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا»: ملتفة بعضها ببعض، جمع لف بكسر اللام، أو بضمها جمع لفاء^(١)، فيكون جمع الجمع، أو جمع ملتفة بحذف الزوائد، «إِنَّ يَوْمَ^(٢) الْفَصْلِ كَانَ»: في علم الله، «مِيقَاتًا»: وقتًا محدودًا انتهى الدنيا عنده، أو تنتهي الخلائق إليه، «يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ»، بدل أو عطف بيان، «فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا»: زمرًا وجماعات، «وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ»: شقت، «فَكَانَتْ»: فصارت، «أَبْوَابًا»: ذات أبواب، أو من كثرة الشقوق كان الكل أبواب، «وَسِيرَتِ الْجِبَالُ»: في الهواء كالهباء، «فَكَانَتْ سَرَابًا»: كسراب، فإنها كانت شيئًا فالآن لا شيء، «إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا»، هو الحد الذي فيه الحراس أي: موضع يرصد الكفار فيه، أو طريقًا وممرًا إلى الجنة، «لِلطَّاغِينَ^(٣) مَأْبًا»: مرجعًا، «لَا يَشِينُ فِيهَا أَحْقَابًا»: حقبا^(٤) بعد حقب إلى ما لا يتناهى، وعن علي^(٥): كل حقب ثمانون سنة، كل

(١) كخضراء، وخضر وأخضر/١٢ منه.

(٢) ولما ذكر عجائب آياته الدالة على كمال قدرته، أعقبه بقوله «إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ» ليستدل العاقل عن تلك الآيات على إمكان مثل ذلك اليوم/١٢ ووجيز.

(٣) قوله: «لِلطَّاغِينَ» على التفسير الأول: يحتمل أن يكون متعلقًا بمِرْصَادًا، وأما على الوجه الثاني: فلا بد أن نقول إنه متعلق «بِمَأْبًا»، لا بقوله: «مِرْصَادًا»/١٢ منه.

(٤) الحقب الدهر، كذا في الصحاح/١٢ ووجيز.

(٥) وكذا قال أبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وجم غفير من الصحابة -رضي الله عنهم/١٢ منه. أخرج ابن جرير عن خالد بن معدان، في قوله: "لا يَشِينُ فِيهَا

يوم منها ألف سنة مما تعدون، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾: روحًا ينفس عنهم حر النار، أو نومًا، ﴿وَلَا شَرَابًا﴾: يسكن من عطشهم، ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ أي: لكن يذوقون فيها ماء في غاية الحرارة، ﴿وَعَسَاقًا﴾: ماء يسيل من جلود أهل النار، وعيونهم، أو الزمهرير، ويحتمل أن قوله: "لا يذوقون" حال من ضمير "لا يذوقون"، أو صفة "أحقابًا" على أن ضمير فيها للأحقاب، وحاصله: لا يذوقون فيها أحقابًا غير ذائقين إلا حميمًا، وعساقًا، وبعد ذلك يدلون جنسًا آخر من العذاب، ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ أي: جوزوا بذلك جزاء ذا وفاق لأعمالهم، أو موافقًا لها، ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾: لا يخافون، ﴿حِسَابًا﴾: ولا يؤمنون بيوم الدين، ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾: تكذبوا، وفعال بمعنى تفعليل شائع مطرد، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾: في الإحصاء، والكتابة معنى الضبط، والتحصيل، فيكون كتابًا مفعولًا مطلقًا من أحصينا، لأن أحصى بمعنى كتب، أو بالعكس، وجاز أن يكون حالًا بمعنى المكتوب في اللوح، ﴿فَذُوقُوا﴾ أي: فيقال لهم: ذوقوا، وهو مسبب عن عدم الخوف عن الحساب، وتكذيب الآيات، ﴿فَلَنُؤْزِرَنَّكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾، عن بعض السلف: لم يزل على أهل النار آية أشد من هذه.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ ١٦ ﴿حَدَاقًا وَأَعْنَبًا﴾ ١٧ ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ ١٨ ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ ١٩ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا﴾ ٢٠ ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ ٢١ ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ ٢٢ ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ ٢٣ ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾ ٢٤

= أحقابًا، وقوله: "إلا ما شاء ربك"، أنهما في أهل التوحيد من أهل القبلة/ ١٢
در منشور.

إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا ﴿١٢﴾

﴿إِنْ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾: محل فوز، أو فوزاً وظفراً بالبغيه، ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾: بسايتين فيها أنواع الأشجار المثمرة، سيما العنب، بدل اشتمال، أو بعض من مفازا، ﴿وَكَوَاعِبَ﴾: نساء استدارت ثديهن، ﴿أَنْرَابًا﴾^(١): مستويات في السن، ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾^(٢): مملوءة، ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾: كلاماً خالياً عن الفائدة، ﴿وَلَا كِذَابًا﴾^(٣): تكذيباً أي: لا يكذب بعضهم بعضاً، ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ﴾: بمقتضى وعده، نصب بمصدر مؤكد لقوله: "إن للمتقين مفازاً"، ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾ أي: تفضلاً كافياً^(٤)، بدل من جزاء^(٥)، ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾، بالجر بدل من "ربك"، وبالرفع مبتدأ، ﴿الرَّحْمَنِ﴾، بالجر صفة، وبالرفع مع رفع "رب"، فيكون خبراً له، ومع جره فتقديره: هو الرحمن^(٦) أو مبتدأ خبره قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي: أهل السماوات،

(١) جمع ترب بكسر التاء، وسكون الراء/١٢.

(٢) من دهق الحوض: ملأه/١٢.

(٣) والمعنى: إن هؤلاء السعداء، لا يسمعون كلامهم المشوش الباطل الفاسد، والحاصل أن النعم الواصلة إليهم تكون خالية عن زحمة أعدائهم، وعن سماع كلامهم الفاسد، وأقوالهم الكاذبة الباطلة/١٢ كبير.

(٤) من أحسبه الشيء: إذا كفاه/١٢ منه.

(٥) لا أنه مفعول به جزاء؛ لأن المصدر المؤكد لا يعمل بلا خلاف من النحاة، كذا في البحر/١٢ وجيز.

(٦) يعني فيه ثلاث قراءات رفع "رب" بعد رفع "الرحمن"، وجره مع جره، وجره مع رفعه/١٢ منه.

والأرض، ﴿مِنْهُ﴾: من الله، ﴿خِطَاباً﴾^(١)، فمنه صلة يملكون، أي: لا يُملِكهم الله خطاباً واحداً، إشارة إلى أن مبدأ الملك منه، نعم إن أذن لهم فيقدرون على تكلمه وخطابه، ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾^(٢)، هو بنو آدم^(٣)، أو خلق أعظم من الملائكة على صورة البشر، أو جبريل، أو أشرف الملائكة يعني صاحب الوحي، أو القرآن أو ملك بقدر جميع المخلوقات، هو صف، وسائر الخلائق صف، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًا﴾ أي: صافين، ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾^(٤) إِلَّا مَنْ أْذِنَ^(٥) لَهُ الرَّحْمَنُ، ويوم ظرف لا يملكون، أو لا يتكلمون، وفيه تقرير، وتوكيد لقوله: "لا يملكون منه خطاباً"، فإن الملائكة مع أنهم من

(١) ولما ذكر أن أحداً من الخلق لا يمكنه أن يخاطب الله في شيء، أو يطالبه بشيء قرر هذا المعنى، وأكدته، فقال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ الآية/١٢ كبير.

(٢) أخرج مسلم وأبو داود، والنسائي، والبيهقي في الأسماء والصفات عن عائشة -رضي الله عنها- إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم كان يقول في ركوعه وسجوده: "سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ" ١٢/در منشور.

(٣) قوله: هو بنو آدم.. إلخ، هذا قول ابن عباس، والحسن، وقال قتادة: هذا ما كان ابن عباس -رضي الله عنهما- يكتمه، والثاني: قول مجاهد وأبي صالح، والأعمش، ونقل عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أيضاً، والثالث: قول الشعبي، وسعيد بن جبير، والضحاك، والرابع: قول مقاتل ابن حيان، والخامس: قول ابن زيد، والسادس: قول ابن مسعود/١٢ منه.

(٤) وذلك؛ لأن الملائكة أعظم المخلوقات قدراً ورتبة، وأكثرهم قدرة ومكانة، فبين أنهم لا يتكلمون في موقف القيامة إجلالاً لهم، وخوفاً منه، وخضوعاً له، فكيف حال غيرهم/١٢ كبير.

(٥) تقريراً، وتأكيذاً لقوله: "لا يملكون"، فإن هؤلاء الذين هم أفضل الخلائق، وأقربهم من الله، إذا لم يقدروا أن يتكلموا بما يكون صواباً، كالشفاعة لمن ارتضى إلا بإذنه، فكيف يملكه غيرهم/١٢ بيضاوي.

أفضل الخلائق مقربون غير عاصين إذا لم يقدرُوا أن يتكلمُوا إلا بإذنه فكيف غيرهم؟
﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي: للتكلم شرطان: الإذن، والتكلم بالصواب، فلا يشفع مثلاً لغير المستحق، أو له شرطان: الإذن والتكلم بالصواب في الدنيا، فالكافر لا يتكلم يعني كلاماً ينفعهم، أو ينفع غيرهم، **﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾**^(١): الكائن لا محالة، **﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا﴾**: مرجعاً بالطاعة، وأنواع القربات، **﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾**: عذاب الآخرة، وكل ما هو آت قريب، مع أن مبدأ الموت، **﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾**: من خير وشر، والمرء عام، وقيل: الكافر، والمراد مما قدمت يده الشر، وما إما موصولة مفعول "ينظر"، وإما استفهامية مفعول "قدمت"، قُدِّمَتْ لصدارتها، و"يوم" بدل من "عذاباً" بحذف مضاف، أي: عذاب يوم، أو بدل اشتمال فلا يحتاج إلى تقدير، أو صفة أخرى لعذاباً، **﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾**: في هذا اليوم، وفي الحديث "يود ذلك حين يحكم"^(٢) الله بين الحيوانات، حتى ليقنص للشاة الجماء من القرناء، فإذا فرغ من الحكم قال لها كوني، تراباً، فتصير الحيوانات تراباً فعند ذلك يتمنى الكافر، ويتمنى أن يكون في الدنيا تراباً، فلم أخلق، ولم أكلف^(*).

والحمد لله على الإسلام.

(١) أي: الثابت الكائن/١٢.

(٢) ذكره السيوطي في الدر المنثور، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن

أبي حاتم، والبيهقي/١٢.

(*) وفي نسخة، "فلم يخلق ولم يكلف".

سورة النازعات مكية

وهي ست وأربعون آية وفيها م ركوعان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝ وَالنَّشِيطَاتِ نَشْطًا ۝ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ۝
فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا ۝ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا
الرَّادِفَةُ ۝ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ۝ يَقُولُونَ أَيْنَا
لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝ أَيْنَا كُنَّا عِظْمًا نَّخِرَةً ۝ قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ
خَاسِرَةٌ ۝ فَاِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۝ هَلْ أَتَاكَ
حَدِيثُ مُوسَى ۝ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ
إِنَّهُ طَعَى ۝ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزْكَى ۝ وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى
۝ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى ۝ فَكَذَّبَ وَعَصَى ۝ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ۝
فَحَشَرَ فَنَادَى ۝ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ۝ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ
وَالْأُولَى ۝ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ۝﴾

﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ أقسم سبحانه بالملائكة التي تترع^(١) أرواح الكفار، ﴿غَرْقًا﴾: إغراقًا
في الترع، فإلها تترعها من أقاصي الأجساد من الأنامل والأظفار بعسر وشدة، أو المراد
النجوم التي تترع من المشرق إلى المغرب، وإغراقها قطع الفلك كله حتى تنحط في

(١) هذا قول ابن عباس وابن مسعود - رضي الله عنهم - وغيرهما من السلف ١٢/ منه.

أقصى الغرب، أو المراد قسي الغزاة تترع السهام إغراقاً في الترع، والأصح الأول، وهو قول أكثر الصحابة، **﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾**: الملائكة التي تنشط، أي تخرج أرواح المؤمنين، كما ينشط العقال من يد البعير بسهولة، أو النجوم التي تخرج من برج إلى آخر، أو الغزاة تخرج السهم للرمي، **﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾**: الملائكة التي تسبح في مضيها، وتسرع في قضاء الحوائج، أو السيارات، فكل في فلك يسبحون، أو خيل الغزاة تسبح في جريها، أو السفن^(١)، **﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾**: الملائكة^(٢) التي سبقت ابن آدم بالإيمان والأعمال، أو أرواح المؤمنين تسبق شوقاً إلى لقاء الله، أو النجوم تسبق بعضها بعضاً في السير، أو خيل الغزاة، **﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾**: الملائكة التي تدبر الأمر من السماء إلى الأرض بأمر رها، والسلف ما اختلفوا في هذا الأخير، ولم ينقل عنهم إلا قول واحد، وجواب القسم محذوف، وهو مثل "لتبعثن" وما بعده يدل عليه، **﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾** أي: تضطرب، وتتحرك الواقعة التي ترجف عندها الأجرام، كيوم ترجف الأرض، والجبال، وهي النفخة الأولى، ويوم ظرف لجواب القسم المحذوف، **﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾**: الواقعة التي تردف الأولى، وهي النفخة الثانية، وبينهما أربعون سنة، والجملة حال، وفي الترمذي وغيره "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا ذهب ثلث الليل، قام فقال: يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه^(*)"، **﴿قُلُوبٌ﴾**، مبتدأ خصص بتنكير التنوين، **﴿يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾**: شديدة الاضطراب خائفة، **﴿أَبْصَارُهَا﴾** أي: أبصار أصحابها، **﴿خَاشِعَةٌ﴾**: ذليلة من الخوف، **﴿يَقُولُونَ﴾** مستأنفة للتعليل، كأنه قال: لأنهم يقولون في الدنيا: **﴿أَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾** في الحالة الأولى: أي: الحياة بعد الموت، يقال: رجع في حافرته، أي: من

(١) فإنها تجري في كف الله سبحانه كما ورد في الحديث / ١٢ وجز.

(٢) قاله علي - رضي الله عنه - ومسروق وغيرهما / ١٢ منه.

(*) وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (١٩٩٩).

حيث جاء، وعن مجاهد: أئنا لمردودون إلى الحياة حال كوننا في الحافرة أي القبرة، ﴿أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ أي: أئذا كنا عظامًا بالية تردوا، المحذوف عامل إذا، ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾: ذات خسران، يعني: إن صحت فنحن إذا خاسرون، وهذا منهم استهزاء، ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾، هذا قول الله أي: لا تستصعبوها فما هي إلا صيحة، والمراد النفخة الأخيرة، ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾^(١) أي: فإذا الناس أحياء على وجه الأرض، والساهرة: الأرض المستوية، وعن قتادة: هي جهنم، ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾^(٢)، وهذا تسلية من الله لرسوله، ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ اسم الوادي على الأصح، كما مر في سورة طه، ﴿أَذْهَبَ﴾، أي: قال له اذهب، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾: تكبر وتمرد، ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزْكَىٰ﴾^(٣): أي هل لك ميل، ورغبة إلى أن تتطهر من الشرائع والطغيان، ﴿وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: إلى معرفته^(٤)، ﴿فَتَخْشَىٰ﴾^(٥): من عقابه، ﴿فَأَرَاهُ﴾^(٦) أي: فذهب فبلغ فأراه، ﴿الْآيَةَ

(١) ولما أقسم بأن البعث حق، واتبعه إنكارهم، أعقب تسلية قلب محمد -صلى الله عليه وسلم- بحكاية موسى وفرعون وانتقام الله منه، فقال: ﴿هل أتاك حديث موسى﴾ الآية/١٢ وحيز.

(٢) توقيف لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- على جمع الناس لاستماع الحكاية/١٢.

(٣) تلطّف في الاستدعاء، فإن كل عاقل له رغبة في التحلي بالفضائل، والتطهر عن الرذائل/١٢.

(٤) والوصول إلى عنايته ووصاله/١٢ وحيز.

(٥) الخشية: ملاك الأمر/١٢ وحيز.

(٦) هذه الفاء هي الفصيحة لإفصاحها عن كلام محذوف، يعني فذهب، فقال له ما قال مما حكاه الله في غير موضع، وأجاب عليه بما أجاب، إلى أن قال: "إن كنت جئت بآية

الْكُبْرَى أَي: المعجزة الكبرى، ﴿فَكَذَّبَ﴾: بأنها من الله، ﴿وَعَصَى﴾: الله، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾: أعرض عن الطاعة، ﴿يَسْعَى﴾: ساعياً في الفساد، وإبطال أمره، ﴿فَحَشَرَ﴾: جمع جنوده، ﴿فَنَادَى﴾، في الجمع، ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾: لا رب فوقى، قيل: هم يعبدون الأصنام، فأراد رها وربكم، ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾: نكال الآخرة بالإحراق ونكال الدار الدنيا بالإغراق، وعن مجاهد نكال الكلمة الآخرة، وهي قوله "أنا ربكم الأعلى" ونكال الكلمة الأولى، وهي قوله: "ما علمت لكم من إله غيري" (القصص: ٣٨)، وبينهما أربعون سنة، ونصب نكال، بأنه مصدر مؤكد أو مفعول له، أي: للتنكيل فيهما، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى﴾: لمن كان من شأنه الخشية.

﴿ءَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّيَهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَلَهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَلَهَا ﴿٣٢﴾ مَتَعًا لَّكُمْ

= فأت بها" (الأعراف: ١٠٦)، فعند ذلك أراه الآية الكبرى، واختلف فيها ما هي، فقيل: العصا، وقيل: يده، وقيل: فلق البحر، وقيل: هي جميع ما جاء به من الآيات التسع، والأول أولى، ثم اليد، والأكثر على أنه أراها له، وأطلق عليهما الآية الكبرى لاتحادها معنى، أو أراد بالكبرى العصا وحدها، لأنها كانت مقدمة على الأخرى، ولا ينافي هذا قوله في الآية الأخرى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ وكل آياته كبرى، لأن الإخبار هنا عما أراه له أول ملاقاته إياه، وهو العصا واليد، ثم أردف ذلك برؤية الكل، ولا مساغ لحمل الآية على مجموع معجزاته، فإن ما عدا هاتين الآيتين من الآيات التسع، إنما ظهر على يده -عليه السلام- بعدما غلب السحرة، على مهل في نحو من عشرين سنة/١٢فتح.

وَلَا نَعْلِمُكُمْ ۝ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى ۝ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا
سَعَى ۝ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ۝ فَأَمَّا مَنْ طَغَى ۝ وَءَاثَرَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا ۝ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ۝ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى
النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ۝ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ۝ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ
أَيَّانَ مُرْسَلُهَا ۝ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ۝ إِلَيَّ رِيكَ مُنْتَهَلُهَا ۝ إِنَّمَا أَنْتَ
مُنذِرٌ مَنِ يَخْشَاهَا ۝ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ۝
﴿أَنْتُمْ﴾^(١): يا منكري البعث، ﴿أَشَدُّ﴾: أصعب، ﴿خَلَقَّا﴾: بعد الموت، ﴿أَمِ
السَّمَاءِ﴾ ثم بين كيفية خلقها فقال: ﴿بَنَاهَا﴾، ثم بين البناء فقال: ﴿رَفَعَ سَمَكُهَا﴾:
جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدًا رقيقًا، ﴿فَسَوَّاهَا﴾: عدلها مستوية بلا قطور،
أو تممها وأصلحها، من سويت أمره إذا أصلحته، ﴿وَأَغْطَشَ﴾: أظلم، ﴿لَيْلَهَا
وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾: أبرز ضوء شمسها، أضاف الليل والنهار إلى السماء، لأنهما يحدثان
بحركتها، ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾: بسطها، خلق الأرض قبل السماء لكن
دحوها بعدها، نقل ذلك عن ابن عباس، وفيه إشكال لأن الدحو هو البسط، وخلق
الجنال، والأهوار، والمراعي، كما صرح ابن عباس، وقد مر في سورة "حم" السجدة أن
ذلك مقدم على خلق السماء، ويدل على ذلك صريح الآية في تلك السورة، وأيضًا
كثير من الصحابة صرحوا بأن خلق نفس الأرض في يوم الأحد والاثنين، وخلق الجنال
والآكام وما بينهما في الثلاثاء والأربعاء، وخلق السماء في الخميس والجمعة، قيل:
فالوجه أن يجعل الأرض منصوبًا بمضمر، نحو تذكر وتدير، أو اذكر الأرض بعد ذلك

(١) ولما تم بحمل أمره، وقف من هو على دينه في إنكار البعث بقدرته التامة، فقال: "أَنْتُمْ"

وإن جعل مضمراً على شريطة التفسير، جعل بعد ذلك إشارة إلى المذكور سابقاً، من ذكر خلق السماء لا خلق السماء نفسه، ليدل على أنه متأخر في الذكر عن خلق السماء، تنبيهاً على أنه قاصر في الدلالة عن الأول، لكنه تميم، ولو قلنا: إن "ثم" في قوله "ثم استوى إلى السماء" في سورة حم السجدة، لتفاوت ما بين الخلقين لا للتراخي في المدة، ويكون دحو الأرض بعد خلق السماء، لما يبقى مخالفة بين الآيتين، لكن مخالف لإطباق أهل التفسير، ثم خلق الأرض وما فيها في أربعة أيام، ثم خلق السماء وما فيها في يومين، إلا ما نقل الواحدي في البسيط، عن مقاتل: أن خلق السماء مقدم على إيجاد الأرض فضلاً عن دحوها، وعلى أي وجه لا يخلو عن إشكال فلا تغفل، ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا﴾: عيوها، ترك العطف لأنه حال بتقدير^(١) "قد" أو بيان للدحو وهو المراد منه، ﴿وَمَرَعَاهَا﴾: رعيها، الرعي بالكسر: الكلاء، وبالفتح: المصدر، والمرعى يقع عليهما، وعلى الموضع، ﴿وَالْجِبَالِ أَرْسَاهَا﴾: أثبتها حتى لا يتحرك، ﴿مَتَاعًا﴾: تمتيعاً، ﴿لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ﴾: الداهية، التي تظم^(٢) وتعلو وتغلب على الدواهي، ﴿الْكُبْرَى﴾: وهي القيامة، ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾: ما عمل في الدنيا، وقد نسيها بدل من إذا جاءت، ﴿وَبُورَّتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾^(٣): أظهرت لمن له عين، ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾: تمرد، ﴿وَأَثَرُ﴾^(٤)

(١) في البحر إنه حال، ولهذا ترك العطف، وعند الأخفش: إن الماضي يقع حالا من غير احتياج إلى تقدير/١٢ وجيز.

(٢) قاله المبرد، وقال مجاهد، وغيره: هو من طم السيل الركية، أي: دفنها، والطم: الدفن/١٢ فتح.

(٣) أي: أظهرت النار المحرقة إظهاراً بيناً مكشوقاً، لا يخفى على أحد، والظاهر أنها تبرز لكل راء، فأما المؤمن فيعرف برؤيتها قدر نعمت الله عليه بالسلامة منها، وأما الكافر فيزداد غمّاً إلى غمه وحسرة إلى حسرته/١٢ فتح.

(٤) أي: قدمها على الآخرة باتباع الشهوات المحرمات، ولم يستعد لها ولا عمل عملها/١٢ فتح.

الْحَيَاةَ الدُّنْيَا»، على الآخرة، ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ أي: هي مأواه واللام ساد مسند الإضافة للعلم به، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ ، أي : مقامه بين يديه في الآخرة ، ﴿وَنَهَى النَّفْسَ^(١) عَنِ الْهَوَى﴾ : زجرها عن اتباع شهواتها ، ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ ، وجواب فإذا جاءت هو قوله : "فأما" كأنه قال: فإذا جاءت ، فإن الطاعني للجهنم مأواه ، وإن الخائف للجنة مأواه ، وزيادة إما لزيادة المبالغة ، وتحقيق الترتيب ، والثبوت على كل تقدير ، أو جوابه محذوف كأنه قال: فإذا جاءت وقع ما وقع ، وقوله ، "فأما" تفصيل لذلك المحذوف ، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ﴾ : متى ، ﴿مُرْسَاهَا﴾ : إرساءها وإقامتها ، ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ : في أي شيء أنت يا محمد، من أن تذكر وقتها لهم ، يعني ما أنت من تبين وقتها في شيء ، وقيل: تنمة لسؤالهم ، أي : سألوا متى وقتها؟ وفي أي شيء أنت من ذكرها؟ أي : هل لك يقين أو ظن أو جهل؟ والجواب قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ ، أي : منتهى علمها إلى الله وحده ، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنِ يخْشَاهَا﴾ ، لا مُعِين وقتها ، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا﴾ : في الدنيا ، وقيل: في القبر ، ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ ، أي : ضحى تلك^(٢) العشيّة يعني : استقصروا مدة لبثهم في الدنيا كأنها لم تبلغ يوماً كاملاً ، ولكن ساعة منه إما عشيّة أو ضحاه كما تقول آتيك العشيّة أو غداها.

والحمد لله حق حمده .

(١) قال مقاتل : هو الرجل يهم بالمعصية ، فيذكر مقامه للحساب فيتركها ، والهوى :

ميل النفس إلى شهواتها / ١٢ فتح .

(٢) والإضافة تكون بأدنى ملابس ، ولما كانتا من يوم واحد، كان بينهما ملابس

مصححة لإضافة إحداهما إلى الأخرى / ١٢ فتح .

سورة عبس مكية

وهي اثنان وأربعون آية وفيها ركوع واحد وكذا إلى آخره (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ﴾ ١ ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ﴾ ٢ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى ۚ﴾ ٣ ﴿أَوْ يَذْكُرُ فِتْنَعَهُ الذِّكْرَى ۚ﴾ ٤ ﴿أَمْ أَنْتَ مَنْ اسْتَعْزَى ۚ﴾ ٥ ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۚ﴾ ٦ ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى ۚ﴾ ٧ ﴿وَأَمْ أَنْتَ مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ﴾ ٨ ﴿وَهُوَ يَخْشَى ۚ﴾ ٩ ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۚ﴾ ١٠ ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۚ﴾ ١١ ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۚ﴾ ١٢ ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۚ﴾ ١٣ ﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۚ﴾ ١٤ ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۚ﴾ ١٥ ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۚ﴾ ١٦ ﴿قَتَلَ الْإِنْسَنُ مَا أَكْفَرَهُ ۚ﴾ ١٧ ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۚ﴾ ١٨ ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ۚ﴾ ١٩ ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرَهُ ۚ﴾ ٢٠ ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۚ﴾ ٢١ ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ۚ﴾ ٢٢ ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ۚ﴾ ٢٣ ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَنُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ﴾ ٢٤ ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۚ﴾ ٢٥ ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۚ﴾ ٢٦ ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۚ﴾ ٢٧ ﴿وَعَبَبْنَا وَقَضَبًّا ۚ﴾ ٢٨ ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۚ﴾ ٢٩ ﴿وَحَدَاقَ غُلَبًا ۚ﴾ ٣٠ ﴿وَفَلَكِهِمْ وَابْنًا ۚ﴾ ٣١ ﴿مَتَلَعًا لَّكُمْ ۖ وَلَا تَعْلَمُكُمْ ۚ﴾ ٣٢ ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ۚ﴾ ٣٣ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۚ﴾ ٣٤ ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۚ﴾ ٣٥ ﴿وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ ۚ﴾ ٣٦

(*) أي كل سورة ستأتي ستكون ركوعا بذاتها.

لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ④ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْتَفِرَّةٌ ⑤
 ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ⑥ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ⑦ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ⑧
 أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ⑨

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾^(١): أعرض ، ﴿أَن جَاءَهُ﴾ ، أي : لأن جاءه ، ﴿الْأَعْمَى﴾ ، نزلت
 حين جاء عبد الله بن أم مكتوم النبي -عليه السلام- ، وكان ممن أسلم قديماً ، فجعل
 يسأل عن شيء ويلح ، وهو عليه السلام يخاطب بعض عظماء قريش طمعاً في
 إسلامهم ، فعبس في وجه عبد الله وأعرض عنه ، وهو ضريع ، وأقبل عليهم ، ﴿وَمَا
 يُذَرِّيك﴾ ، أي شيء يجعلك دارياً بحال هذا الأعْمى ، ﴿لَعَلَّهُ يَزْكِي﴾ ، يتطهر من
 الآثام بما يتعلم منك ، ﴿أَوْ يَذْكُرُ﴾: يتعظ ، ﴿فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ ، وينتهي عن
 المحارم ، ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى﴾: عن الله بماله ، ﴿فَأَن تَ لَهُ تَصَدَّى﴾: تعرض له بالإقبال ،
 ﴿وَمَا عَلَيْكَ﴾: بأس وضرر ، ﴿أَلَّا يَزْكِي﴾ ، في ألا يتركى بالإسلام ، فلم أعرضت
 عنه وتعرضت له ؟ ، ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَى﴾: يسرع ، هو ابن أم مكتوم ،
 ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾: الله ، ﴿فَأَن تَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾: تتشاغل ، نقل أنه عليه السلام بعد

(١) قد أجمع المفسرون ، على أن سبب نزول الآية ، أن قوماً من أشراف قريش كانوا عند
 النبي -صلى الله عليه وسلم- ، وقد طمع في إسلامهم فأقبل عبد الله بن أم مكتوم ، فكره
 رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يقطع عليه ابن أم مكتوم كلامه ، فأعرض
 عنه ، فترلت ، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : نزلت "عبس وتولى" في ابن أم
 مكتوم الأعْمى ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يا رسول الله أرشدني ،
 وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين ، فجعل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ، ويقبل على الآخر ، ويقول : أترى بما أقول بأساً؟ ،
 فيقول : لا ، ففي هذا نزلت ، أخرجه الترمذي وحسنه ، وابن المنذر وابن حبان
 والحاكم ، وصححه ، وابن مردويه / ١٢ فتح .

ذلك يكرمه ، ويقول إذا جاءه: "مرحباً بمن عاتبني فيه ربي " واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين ، ﴿كَلَّا﴾ (*) ، ردع عن معاودة مثله ، ﴿إِنِّهَا﴾: القرآن ، وتأنيثه لتأنيث الخبر ، ﴿تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾: اتعظ به ، أو حفظه ، أو أن الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم تذكرة، فمن شاء ذكره ، ﴿فِي صُحُفٍ﴾ ، أي : هو مثبت في صحف ، أو صفة لتذكرة ، ﴿مُكْرَمَةٌ﴾ ، عند الله ، ﴿مَرْفُوعَةٌ﴾: رفيعة القدر ، ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾: من أيادي الشياطين ، ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾^(١) ، ملائكة هم الرسل، والسفير هو الرسول ، ﴿كِرَامٍ﴾ ، على الله ، ﴿بِرَّةٍ﴾: أتقياء ، ولعل الصحف ما بأيدي الملائكة، ينسخون القرآن من اللوح المحفوظ، حين يترلونه إلى السماء الدنيا ، أو المراد من السفرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو القراء ، والسفرة: الكتبة ، فالمراد من الصحف ما بأيدي الناس من المصاحف والألواح^(**) ، ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾^(٢) : ما أشد كفره ، دعاء على من أنكر البعث بأبلغ

(*) وتسمى في اللغة؛ حرف ردع وزجر.

(١) جمع سافر، ككتبة، وكاتب قال ابن عباس : سفرة : كتبة ، وقال : هم بالبنطية القراء ، والمعنى : إنها بأيدي كتبة من الملائكة ينسخون الكتب من اللوح المحفوظ ، قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك وابن زيد ، وفي مسند الإمام أحمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الذي يقرأ القرآن ، وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذي يقرأه وهو عليه شاق له أجران) ، وعن وهب بن منبه هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وعن وقتادة : هم القراء / ١٢ منه، مع شيء من الفتح .

(**) في الأصل: ألواح.

(٢) لما بدأ بذكر القصة المشتملة على ترفع صناديد قريش على فقراء المسلمين، عجب عباده المؤمنين من ذلك ، فكأنه قيل : وأي سبب في هذا العجب ، والترفع منه مع أن أوله نطفة قدرة ، وآخره جيفة مذرة ، وفيما بين الوقتين حمال عذرة ، فلا جرم ذكر تعالى ما يصلح أن يكون علاجاً لعجبهم / ١٢ كبير .

وجه وأشده ، ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ﴾ : شيء حقير مهين ، ﴿خَلَقَهُ﴾ ، بيان لما أنعم عليه ،
﴿مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ ، أطواراً إلى أن تم خلقلته ، أو هيأه لما يصلح من
الأشكال ، ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ﴾ ، إلى الخروج من بطن^(١) أمه ، ﴿يَسْرَهُ﴾ ، أو الطريق إلى
الحق ذلل له نحو : " إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً " (الإنسان: ٣) ، ﴿ثُمَّ
أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ ، أمره بالقبر ، أو صير له قبراً يدفن فيه ، ولم يجعله ممن يلقي كالسباع
تكرمة له ، ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ : أحياء بعد موته ، ﴿كَلَّا﴾ ، ردع للإنسان عن
الكفر ، ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ﴾ ، أي : لم يقض الإنسان أبداً ما أمره الله من الفرائض ،
وفي البخاري عن مجاهد (لا يقضي أحد ما أمره به) ، أي : جميع ما كان عليه ، فإن
الإنسان لا ينفك عن تقصير ، وقيل معناه : كلا إن القيامة توجد الآن ، لأنه لم يقض ،
ولم ينفذ ما أمره الله ، وقدره من مدة حياة الدنيا وكمية بني آدم ، فكأنه ردع
لاستعجالهم بقولهم " أيا ن يوم القيامة " (القيامة: ٦) ، ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ،
فيه امتنان واستدلال بإحياء الأرض على البعث ، ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ : المطر ،
وقراءة (أنا) بالفتح على بدل الاشتمال من طعامه ، ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ ،
بالنبات ، ويحتمل أن يكون المراد الشق بالكرباب على البقر ، وأسند الفعل إلى الموجد ،
والمقرر أن إسناد الفعل حقيقة لمن قام به لا لمن صدر عنه إيجاداً ، ﴿فَأَلْبَتْنَا فِيهَا﴾ : في
الأرض ، ﴿حَبًّا﴾ ، كالحنطة ، ﴿وَعِنْبًا وَقَضْبًا﴾ : القث ، فإنه يقطع ، ويقضب مرة
بعد أخرى^(٢) ، أو مطلق علف الدواب ، ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ : عظاماً

(١) قالوا : إنه كان رأس المولود في بطن أمه من فوق ، ورجلاه من تحت ، فإذا جاء وقت
الخروج انقلب ، فمن ذا الذي أعطاه ذلك الإلهام إلا الله ، ومما يؤكد هذا التأويل أن
خروجه حياً من ذلك المنفذ الضيق ، من أعجب العجائب / ١٢ كبير .

(٢) أي : يقطع في السنة الواحدة مرات / ١٢ وجيز .

لكثرة أشجارها واتساعها ، أو عظم أشجارها وغلظها ، ﴿وَفَاكِهَةً^(١) وَأَبَا﴾ : مرعى من علف الدواب ، ﴿مَتَاعًا﴾ : تمتيعاً ، ﴿لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ﴾ : اسم من أسماء القيامة ، صخه : ضرب أذنه ، فأصمها سميت صيحة القيامة بها ، لأنه تصخ الأذان من شدتها ، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ﴾ ، بدل من إذا جاءت ، ﴿مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ ، حذراً من أن يطلب منه حسنة من حسناته ، لعله ينجو بها ، أو لاشتغاله بشأن نفسه ، أو حذراً من مطالبتهم في التبعات ، ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ ، يكفيه في الاهتمام به ، ويشغله عن غيره ، وهو جواب "إذا جاءت" وفي الحديث (إن عائشة سألت ، أينظر بعضنا عورة بعض ؟ حين قال عليه السلام: يحشرون حفاة عراة غرلاً ، فقال : لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه^(*)) ، أو قال : ما يشغله عن النظر) ، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ : مضيئة ، ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ : فرحة بما نال من كرامة الله ، ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ : كدورة ، ﴿تُرْهَقُهَا﴾ : تغشاها ، ﴿فَتَرَةٌ﴾ : سواد ، وظلمة ، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ ، وكان جمع الغبرة إلى سواد الوجه لجمعهم الفجور إلى الكفر.

اللهم لا تحشرنا بحق القرآن فيهم .

(١) كالتين ، والتفاح / ١٢ وجيز .

(*) أخرجه الترمذي (٣٥٦٧) وقال الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" حسن صحيح.

سورة التكويد مكية

وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُيِّلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ۝ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ۝ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفُقِ الْمُبِينِ ۝ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ۝ فَآيَنَ تَذْهَبُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝ لِمَن شَاءَ مِنكُم أَن يَسْتَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝﴾

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: جمع بعضها إلى بعض ، قُتِلَتْ ، أو أَظْلَمَتْ ، أو أَذْهَبَتْ وُحِيت ، أو أُلْقِيَتْ فِي جَهَنَّمَ ، وَالْأَوَّلَى أَن يَكُونَ رَافِعُ الشَّمْسِ فَعَلًا مُّضْمَرًا يَفْسِرُهُ مَا

بعده لأن : "إذا" طالب^(١) للفعل ، «وَإِذَا الثَّجُومُ انْكَدَرَتْ»^(٢) : تناثرت ، وتساقطت من السماء إلى الأرض ، أو تغيرت فلم يبق لها ضوء ، «وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ» ، عن وجه الأرض ، أو سيرت في الهواء ، «وَإِذَا الْعِشَارُ» : الحوامل من الإبل التي وصلت في حملها إلى الشهر العاشر ، وهي خيار الأموال عند العرب ، «عُطِّلَتْ» : تركت وسييت ، أو العشار : السحاب عطلت عن المطر ، أو المراد : الأرض ، التي تُعَشَّرُ ، عُطِّلَتْ عن الزرع ، «وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ» ، جمعت ، فاختلط الناس والدواب والطيور ، وماج بعضها في بعض ، أو بعثت ليقترض بعضها^(٣) من بعض ، أو أميتت ، عن ابن عباس : حشر كل شيء الموت سوى الجن والإنس ، «وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ»^(٤) : أوقدت فصارت ناراً ، وعن كثير من السلف : يرسل

(١) وعند الأخفش والكوفيين : يجيء الجملة الاسمية بعد إذا ، (فإذا الشمس كورت) مبتدأ وخبر / ١٢ وجيز .

(٢) يقال : انكدرت الطير ، أي : سقطت عن عشها / ١٢ منه .

(٣) قال الشهاب في ربحانة الألباء : وهاهنا أمر نفيس نحو به السيئات ، وبحث عظيم نحى به عظام الرفات ، وهو أن الحيوانات هل يحياها الله تعالى وتنشر ، ويقتص بعضها من بعض ، فأكثر أهل الحديث والسنة والأصول على أنه كذلك ، لوجوده في القرآن في قوله تعالى : "وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ" ، وأقوال سيدنا ورسولنا -صلى الله عليه وسلم- في خبر القصاص يوم القيامة "يؤخذ للجماء من القرآن" / ١٢ فتح .

(٤) عن أبي العالية قال : ست من آيات هذه السورة في الدنيا ، والناس ينظرون إليها وست في الآخرة ، (إذا الشمس كورت) إلى (وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ) هذه في الدنيا ، والناس ينظرون إليها ، (وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) إلى (وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنْزِلَتْ) هذه في الآخرة أخرج عبد بن حميد وابن المنذر هذا في الفتح ، وقال الرازي تحت هذه الآية يمكن وقوعها في أول زمان تخريب الدنيا ويمكن وقوعها أيضاً بعد قيام القيامة وليس في اللفظ ما يدل على أحد الاحتمالين مختصة بالقيامة / ١٢ .

الله على البحر الدبور، فتسعرها فتصير ناراً ، أو ملئت، وفجر بعضها إلى بعض، فتصير الكل بحراً واحداً أو ييست فلم يبق فيها قطرة ماء ، «وَإِذَا النَّفُوسُ زُوِّجَتْ» : بالأبدان ، أو قرن كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله ، أي : الأمثال من الناس بينهم ، أو نفوس المؤمنين بالخور العين ، ونفوس الكافرين بالشياطين ، أو قرنت نفس الصالح مع الصالح في الجنة ، ونفس الطالح مع الطالح في النار ، «وَإِذَا الْمَوْعُودَةُ» : النبات المدفونة حية ، «سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ» ، وسؤالها لتوبيخ قاتلها ، وتبكيته كتبكيته النصاري بسؤال "أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين" (المائدة: ١١٦) ، «وَإِذَا الصُّحُفُ» : صحائف الأعمال ، «نُشِرَتْ» ، للحساب ، فإنها كانت مطوية ، أو فرقت بين أصحابها ، «وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ» : كشفت وأزيلت كما يكشف الغطاء عن الشيء ، «وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ» : أوقدت شديداً ، «وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ» : قربت من المؤمنين ، «عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ» ، من خير وشر ، وهو جواب إذا ، والمراد زمان ممتد من النفخة الأولى ، وهي زمان التكوين إلى آخر الموقف ، ونفس في معنى العموم كثمرة خير من جرادة ، وقيل معناه: علمت نفس كافرة ما أحضرت ، فالتنوين للتنويع ، «فَلَا أُقْسِمُ بِالْخَنَسِ» ، خَنَسٌ : تأخر ، واختفى ، وخنس الكواكب : رجع ، «الْجَوَارِ الْكُنَّسِ» ، الجواري : السيارة ، يقال كنس الوحش إذا دخل كناسه ، عن علي وغيره رضي الله عنهم : هي النجوم تخنس بالنهار ، وتكنس بالليل ، أي : تطلع في أماكنها ، أو المراد السيارات منها ، سوى النيرين تجرى معهما ، أو ترجع حتى تختفي تحت ضوء الشمس ، أو المراد الوحش تأوى إلى كناسها ، وعليه ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد ، «وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ»^(١) : أقبل ظلامه ، أو أدبر ، والأول أولى لقوله تعالى : "والضحى والليل إذا سجى"

(١) ذكر أهل اللغة: أن عسعس من الأضداد ، يقال : عسعس الليل إذا أقبل ، وعسعس : إذا أدبر / ١٢ كبير .

(الضحى: ١، ٢)، "والليل إذا يغشى" (الليل: ١) والتحقيق أن الواو للعطف، والظرف في مثل هذه الموضع معمول مضاف مقدر، أي: وبعظمة الليل إذا، فإن الإقسام بالشيء إعظام له، كما صرح الزمخشري في "لا أقسم بيوم القيامة" (القيامة: ١) لا أنه معمول لفعل القسم لفساد المعنى، إذ ليس المراد أن إقسامه في الليل، وفي الصباح، أو إذا بدل كأنه قيل: والليل وقت غشيانه، ومثل هذا الشائع، ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسٌ﴾: إذا أضاء، ﴿إِنَّهُ﴾: القرآن، ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾^(١) كَرِيمٍ: جبريل، قال عن الله،

(١) قال ابن تيمية في بعض فتاواه: في كلام الرب جل جلاله وإن احتج محتج بقوله: "وإنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين" قيل له: قال في الآية الأخرى: "إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما يؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون" (الحاقة: ٤٢، ٤٠) فالرسول في هذه الآية جبريل، والرسول في الأخرى محمد، فلو أريد به أن الرسول أحدث عبارته لتناقض الخبران، فعلم أنه إضافة إليه إضافة تبليغ لا إضافة إحداث، ولهذا قال: "لقول رسول"، ولم يقل ملك، ولا نبي، ولا ريب أن الرسول بلغه كما قال: "يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك" (المائدة: ٦٧)، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس في الموسم ويقول: "ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي"، ولما أنزل الله: "الم غلبت الروم" (الروم: ١، ٢)، خرج أبو بكر الصديق، فقرأها على الناس فقالوا: هذا كلامك أم كلام صاحبك؟ فقال: ليس بكلامي، ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله، وإن احتج بقوله "ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث"، قيل له: هذه الآية حجة عليك فإنه لما قال: "ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث" علم أن الذكر منه محدث، ومنه ما ليس بمحدث، لأن النكرة إذا وصفت مُبَيَّنَّ بها بين الموصوف وغيره، كما لو قال: ما يأتيني من رجل مسلم إلا أكرمته، وما أكل إلا طعاماً حلالاً، ونحو ذلك، ويعلم أن المحدث في الآية ليس هو المخلوق الذي يقوله الجهمي، ولكنه الذي أنزل حديثاً، فإن الله كان ينزل القرآن شيئاً =

﴿ذِي قُوَّةٍ﴾: شديد القوى ، ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾: ذى مكانة ، ﴿مُطَاعٍ﴾
 ثم: ﴿فِي السَّمَاوَاتِ بَيْنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ ، فإنه من سادة الملائكة ، ﴿أَمِينٍ﴾ ، على
 الوحي والأمر ، ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ﴾: محمد عليه السلام ، ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ ، كما زعمتم ،
 وهذا أيضاً من جواب القسم ، والكلام مسوق لحقيقة المثل ، ليدل على صدق ما فيه
 من أهوال القيامة ، ووصف الآتي بالقول يؤيد ذلك ، ويشد عضده ، وأما وصف من
 أنزل عليه فلا مدخل^(١) له في هذا الغرض الذي هو حقية القرآن ، ولذا وصف جبريل ،
 واكتفى في وصف محمد عليهما السلام بنفي الجنون المزعوم المنافي لأن يكون صاحبه
 ممن أنزل عليه ، ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾: محمد جبريل على صورته^(*) ، ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾: هو

= بعد شيء ، فالمثل أولاً هو قديم بالنسبة إلى المثل آخرًا ، وكلما تقدم على غيره فهو
 قديم في لغة العرب ، كما قال : "كالعرجون القديم" (يس: ٣٩) ، وقال : "تالله إنك
 لفي ضلالك القديم" (يوسف: ٩٥) ، وقال : "إذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفاك
 قديم" (الأحقاف: ١١) ، وقال : "أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وأبائكم الأقدمون"
 (الشعراء: ٧٦) ، وكذلك قوله : "جعلناه قرآنًا عربيًا" لم يقل جعلناه فقط حتى يظن
 أنه بمعنى خلقناه ، ولكن قال : "جعلناه قرآنًا عربيًا" (الزخرف: ٣) ، أي : صيرناه
 عربيًا لأنه قد كان قادرًا على أن يترجمه أعجميًا ، ونزله عربيًا فلما أنزله عربيًا ، كأن قد
 جعله عربيًا دون عجمي ، وهذه المسألة في أصول أهل الإيمان والسنة التي فارقوا بها
 الجهمية من المعتزلة والفلاسفة ونحوهم ، والكلام عليها مبسوط في غير هذا الموضع ،
 والله أعلم / ١٢ .

(١) هذا رد الزمخشري حيث قال : وناهيك بهذا دليلاً على مبانة منزلة جبريل علا بمنزلة
 أفضل الإنس محمد عليه السلام ، إذا وازنت بين الذكرين حين فرقت بينهما وقايست
 بين قول إنه لقول رسول الله ، وبين قوله : "وما صاحبكم بمجنون" / ١٢ منه .
 (*) أي رأى محمد صلى الله عليه وسلم جبريل على هيئته التي خلق عليها . والحديث في
 البخاري .

الأفق الأعلى من ناحية المشرق ، ﴿وَمَا هُوَ﴾ : محمد ، ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ : على كل ما اطلع عليه مما كان غائباً عنه ، ﴿بِضْنَيْنِ﴾ : بمتهم ، ومن قرأ بالضاد فمعناه ليس ببخيل عليه ، بل يبذله لكل أحد ويعلمه ، ﴿وَمَا هُوَ﴾ : القرآن ، ﴿بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ ، فليس بشعر ، ولا كهانة وسحر ، ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ ، هذا يقال لمن ضل الطريق ، مثلت حالهم بحاله في عدولهم عنه إلى الباطل ، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ : عظة ، ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ : لجميع الخلائق ، ﴿لِّمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ ، على الطريق الحق ، بدل من العالمين فإن بالقرآن لم ينتفع إلا من أراد الاستقامة فكأنه لم يوعظ به غيره ، ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ ، الاستقامة ، ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ : إلا وقت أن يشاء الله مشيئتكم ، ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ : مالك الخلق ، عن سفيان^(١) الثوري : لما نزلت " لمن شاء منكم أن يستقيم " قال أبو جهل : الأمر إلينا إن شئنا استقمنا ، وإن شئنا لم نستقم ، فأنزل الله : " وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين " .

(١) وهكذا روى ابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن أبي هريرة / ١٢ .

سورة الانفطار مكية

وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَشَرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝
وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ يَتَأْتِيهَا
الْإِنْسَنُ مَّا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۝ أَلَدَىٰ خَلْقِكَ فَسَوَّلَكَ فَعَدَلَكَ ۝
فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ۝ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ
لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَّا تَفْعَلُونَ ۝ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي
نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ۝ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ۝ وَمَا هُمْ
عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ۝ ثُمَّ مَّا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ
الَّذِينَ ۝ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ۝ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ۝ ﴾
﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ^(١) ﴾: انشقت ، ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَشَرَتْ﴾: تساقطت ،
﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾: فتح بعضها إلى بعض، فصارت بحراً واحداً ، أو
فتحت مجاريها فيذهب ماؤها فلا يبقى بحر ، ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾: قلب

(١) أخرج النسائي عن جابر قال : قام معاذ فضلى العشاء فطول، (فقال النبي صلى
الله عليه وسلم: "أفتان أنت يا معاذ؟ أين أنت عن "سبح اسم ربك" ، "والضحى" ،
"وإذا السماء انفطرت" وأصل الحديث في الصحيحين ولكن بدون ذكر "إذا السماء
انفطرت" ، وقد تفرد بها النسائي / ١٢ فتح . [أخرجه النسائي في "تفسيره"]

تراها^(١)، وبعث من فيها من الموتى أحياء ، ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ^(٢) وَأَخَّرَتْ﴾ ،
 جواب إذا، ومعناه ما مر في سورة لا أقسم ، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ
 الْكَرِيمِ﴾ ، أي شيء جرأك على عصيان من لطف بك حتى قابلت الطاعة بالمعاصي ،
 وما عرفت أن الكرم يقتضي عدم التسوية بين المطيع والعاصي ، عن ابن عباس
 وغيرهما: غره والله جهله ، ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ﴾ : جعل أعضائك سليمة مسواة ،
 ﴿فَعَدَلَكَ﴾ : صيرك معتدلاً متناسبة الخلق ، وقراءة التخفيف إما بمعنى التشديد ، وإما
 بمعنى عدلك وصرفك عن صورة غيرك ، وخلقك خلقة حسنة لا كالبهائم ، ﴿فِي أَيِّ
 صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ : ركبك في أي صورة شاء ، فما زائدة ، في الحديث^(٣) (إن

(١) يقال : بعثر يبعثر بعثرة : إذا قلب التراب ، ويقال : بعثر المتاع : قلبه ظهراً لبطن ،
 وبعثرت الحوض وبهثرته : إذا هدمته وجعلت أعلاه أسفله ، قال الرازي : المراد من
 هذه الآيات أنه إذا وقعت هذه الأشياء ، التي هي أشرط الساعات فهناك يحصل الحشر
 والنشر ، وهي هاهنا أربعة اثنان منها يتعلقان بالعلويات ، واثنان يتعلقان بالسفليات ،
 والمراد بهذه الآيات بيان تخريب العالم وفناء الدنيا ، وانقطاع التكليف ، والسماء
 كالسقف ، والأرض كالبناء ، ومن أراد تخريب دار فإنه يبدأ أولاً بتخريب السقف ،
 ثم يلزم من تخريب السماء انتشار الكواكب ، ثم بعد تخريب السماء والكواكب ، يخرب
 كل ما على وجه الأرض من البحار ، ثم بعد ذلك تخرب الأرض التي فيها الأموات ،
 وأشار إلى ذلك بقوله : " وإذا القبور بعثرت " ، ثم ذكر سبحانه الجواب عما تقدم
 فقال : " علمت نفس " الآية / ١٢ فتح .

(٢) أي : ما قدمت من عمل خيراً وشرّاً ، وأخرت من سنة حسنة ، أو سيئة ، لأن لها أجر
 ما سنه من السنن الحسنة ، وأجر من عمل بها ، كما في الحديث ، ولما أخبر عن وقوع
 الحشر والنشر ذكر ما يدل عقلاً على وقوعه فقال : " يا أيها الإنسان ما غرَّكَ "
 الآية / ١٢ فتح .

(٣) رواه ابن أبي حاتم ، والطبراني في أثناء حديث مطول / ١٢ منه .

النطفة إذا استقرت في الرحم أحضر كل عرق بينه وبين آدم ، ثم قرأ " في أي صورة ما شاء ربك " ، وعن عكرمة وغيره : إن شاء في صورة كلب ، أو خنزير ، لكن بلطف الله خلقه في شكل حسن ، ﴿ كَلَّا ﴾ ، ردع عن الاغترار بالرب الكريم ، ﴿ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴾ ، إضراب إلى بيان حقيقة ما هو السبب في الاغترار والدين : والجزاء ، ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ : ملائكة كراماً على الله يكتبون الأعمال ، والأقوال ، وكراماً صفة لحافظين ، ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ^(١) ﴾ ، فالجزاء ثابت محقق ، وأنتم تكذبون به ، ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ ، يعني : لأجل ذلك يكتبون ، ﴿ يَصْلَوْنَهَا ﴾ : يدخلونها ، ﴿ يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾ : قط بعد دخولها ، بل هم مغلدون فيها ، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ ، فيه تعجيب وتعظيم لشأنه ، أي : لا يدرى كنهه أحد ، وإن تأمله مرات ، ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا ﴾ : لا يقدر أحد على نفع أحد ، ولا على ضرره ، وقراءة " يوم " بالرفع فعلى البدل من يوم الدين ، أو هو يوم لا تملك ﴿ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴾ : وحده لا كما ملكتهم في الدنيا بعض الأمور ظاهراً .

(١) وعن الفضيل أنه كان إذا قرأها قال : ما أشدها من آية على الغافلين / ١٢ فتح .

سورة التطفیف مختلف فيها

وهي ست وثلاثون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيِّمٍ أَلَدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَّحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَءِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُهُ مِسْكَ فِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِرَاجُهُ مِنَ تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ

حَافِظِينَ ﴿١٦﴾ فَأَلْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿١٧﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ
يَنْظُرُونَ ﴿١٨﴾ هَلْ تُؤِتِبُ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٩﴾

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ ، التطفيف: البخس ، والنقص في الكيل والوزن ، وعن (١) ابن عباس: لما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة كانوا من أخبث (٢) الناس كيلاً ، فأنزل الله ، فأحسنوا الكيل بعد ذلك ، ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ﴾: يكتالون حقوقهم من الناس ، ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾: يأخذونها وافية ، ولما كان اكتيالهم منهم أخذ حق عليهم عداه بعلی ، قال الفراء : من وعلي يعتقبان في هذا الموضع ، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ ، أي : كالواهم ، ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ ، أي : لهم ، فهو من باب حذف الجار وإيصال الفعل ، قيل: فيه حذف المضاف ، أي : كالوا مكيلهم وموزونهم ، ﴿يُخْسِرُونَ﴾: ينقصون ، وهؤلاء كأن عادتهم في أخذ حقهم من الناس الكيل دون الميزان لتمكنهم الاكتيال من الاستيفاء والسرقة بتحريك المكيال ونحوه ليسعه ، وأما إذا أعطوا كالوا ووزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعاً ، ولذا ما ذكر الوزن في الأول ، ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ ، فإن الظن بالبعث رادع عن مثل تلك القبائح ، ﴿لَيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: لعظم (٣) ما فيه ، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ ، منصوب بأعني ، أو مبعوثون ، أو بدل من الجار والمجرور ، ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: لحكمه ، ﴿كَلَّا﴾ ، ردع عن الغفلة عن البعث ، وعن التطفيف ، ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ﴾: الذي فيه

(١) أخرجه ابن مردويه ، والبيهقي في الشعب قال السيوطي بسند صحيح/ ١٢ فتح .

(٢) وهذا الوعيد يلحق كل من يأخذ لنفسه زائداً أو يدفع إلى غيره ناقصاً قليلاً/ ١٢ فتح .

(٣) يعني : وصف اليوم بالعظم لعظم ما فيه / ١٢ منه .

أعمالهم ، ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ : هي أرض السابعة ، السفلى ^(١) فيها الشياطين ، وأرواح الكفار ، وهي صخرة تحت الأرض السابعة أو بئر في جهنم ، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ ^(٢) ، لعظمه وغاية قباحته ، ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ ، من المفسرين من جعله خبراً ثانياً لقوله : " إن كتاب الفجار " أو خبر محذوف ، أي : هو يعني كتاب الفجار كتاب مرقوم مسطور بين مفروع عنه ، ومنهم من قال : السجين : كتاب جامع هو ديوان الشر فيه أعمال الأشرار ، وهو كتاب مرقوم ، وسمي الكتاب سجياً الذي هو الحبس ، والتضييق ، لأنه سبب الحبس في جهنم ، أو لأنه مطروح تحت الأرض السابعة في مكان وحش ^(٣) ، هو مسكن إبليس وجنوده استهانة ، وليشهد الشيطان ، وقيل : كتاب ، أي : موضع كتاب بحذف المضاف ، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيَوْمِ الدِّينِ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ : متجاوز عن الحد ، ﴿أَثِيمٍ﴾ : منهمك في الحرمات ، ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ﴾ ، من فرط الجهل والعناد ، ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ كَلَّا﴾ ، ردع عن هذا القول ، ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ، أي : ليس الأمر كما يقوله من أن ذلك أساطير الأولين ، بل كثرة ارتكابهم الآثام ، صارت سبباً لحصول الرين في قلوبهم ، ولهذا تفوه بهذه المقال ،

(١) هذا قول عبد الله بن عمر ، وقتادة ، ومجاهد ، والضحاك ، وقد نقل فيه حديث ، والقول الثاني قول الكلبي ، ونقل عن مجاهد أيضاً ، والثالث نقل فيه حديث غريب منكر / ١٢ منه .

(٢) عن الزجاج : ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ، ولا قومك / ١٢ منه .

(٣) وهذا ظاهر القرآن لكن قول كثير من السلف ، وقد نقل فيه حديث لا بأس به أن السجّين اسم للأرض السابعة ، أو لصخرة تحتها فيها الشياطين ، وأرواح الكفار ، وعلى هذا توجيه القرآن أن قوله : " كتاب مرقوم " خبر ثان لقوله : " إن كتاب الفجار " ، وقوله : " وما أدراك ما سجين " معترضة بين الخبرين ، أو تقديره : هو كتاب مرقوم ، ومرجع هو كتاب الفجار أو التقدير موضع كتاب مرقوم ، فحذف المضاف لعلم من يعلم معنى السجّين به / ١٢ وجيز .

وكذب به ، وفي الحديث ^(١) (إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى تعلوا قلبه ، وذلك الران الذي ذكره الله في القرآن "كلا بل ران" ، ولفظ الترمذي والنسائي ، وابن ماجه (إن العبد) بدل إن المؤمن ، وعن كثير من السلف: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت ، والرین: الصدا ، ﴿كَلَّا﴾ ، ردع عن الكسب الراين ، ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوتُونَ﴾: فلا يرونه ، أو عن رحمته وكرامته ، ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾: ليدخلوها ، ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ كَلَّا﴾ ، ردع عن التكذيب ، أو تكرير للأول ، ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيْنَ﴾ ، عن كثير من السلف: هي السماء السابع ، وفيها أرواح المؤمنين ، أو لوح من زبرجد خضراء معلق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيه ، أو قائمة العرش اليمنى ، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ ، الكلام فيه ما مر في نظيره بعينه ، ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾: يحضره من كل سماء مقربوها ، ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ ، أي : يوم القيامة ، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: على السرر في الحجال ، ﴿يَنْظُرُونَ﴾: إلى ملكهم ونعيمهم ، أو إلى الله ، أو إلى عدوهم كيف يعذبون ، ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾: بهجة التنعم ورونقه ، ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ ^(٣): خمر خالص ، ﴿مَخْتُومٌ﴾: يختم أوانيهم إكراماً لهم كعادة الملوك ، ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾: مقطعه ^(٤) عن الفم ، وآخره مسك ، أو تختم ^(٥) الأواني

(١) روى الحديث ابن جرير ، والترمذي والنسائي ، وابن ماجه ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وهذه العبارة التي نقلنا هي في مسند الإمام أحمد / ١٢ منه .

(٢) وهذا التفسير الإلهي يعني عن تفاسير الخلق / ١٢ فتح .

(٣) الرحيق من أسماء الخمر ، قاله ابن مسعود ، وغيره من السلف / ١٢ .

(٤) المقطع النهاية / ١٢ .

(٥) والحاصل أن المختوم ، والختام إما أن يكون من ختام الشيء وهو آخره ، أو من ختم الشيء ، وهو جعل الخاتم عليه كما تختم الأشياء بالطين ونحوه / ١٢ فتح .

بالمسك مكان الطين ، ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ﴾ : فليرتغب ، ﴿الْمُتَنَافِسُونَ﴾^(١) : المرتغبون ، وفي الحديث المرفوع : (أما مؤمن سقى مؤمناً شربة ماء على ظمأ، سقاه الله يوم القيامة من الرحيق المختوم) ، ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ ، أي : تمزج تلك الخمر للأبرار من تسنيم ، هو عين في الجنة ، ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ : صرفاً ، وتمزج للأبرار ، ونصب عيناً على المدح ، أو الحال ، والكلام في بها كما مر في سورة " هل أتى على الإنسان " ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ : كفار قريش ، ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ : يستهزئون بفقراء المؤمنين ، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ : يشيرون بعضهم بعضاً بأعينهم استهزاء ، ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا﴾ : رجعوا أي : هؤلاء المجرمون ، ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ : ملتذين بالسخرية ، ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ ، نسب المجرمون المؤمنين إلى الضلال ، ﴿وَمَا أَرْسَلُوا﴾ ، قال الله تعالى : وما أُرسل المجرمون ، ﴿عَلَيْهِمْ﴾ : على المؤمنين ، ﴿حَافِظِينَ﴾ ، لأعمالهم ، شاهدين برشدتهم وضلالهم ، ﴿فَالْيَوْمَ﴾ ، أي : القيامة ، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ ، في مقابلة ما ضحكوا بهم في الدنيا ، ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ ، إليهم في النار ، أو إلى الله ، حال من يضحكون ، ﴿هَلْ ثُوبَ الْكُفَّارِ﴾ : هل جوزوا ، ﴿مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ، من السخرية ، وغيرها .

والحمد لله وحده .

(١) وأصل التنافس: التشاجر على الشيء ، والتنازع فيه ، بأن يحب كل واحد أن ينفرد به دون صاحبه ، يقال : نفست الشيء عليه نفاسة ، أي : ضننت به ، ولم أحب أن يصير إليه ، قال البغوي : أصله من الشيء النفيس ، الذي تحرص عليه نفوس الناس ، فميرده كل واحد لنفسه ، وينفس به على غيره أي : يضمن به / ١٢ فتح .

سورة الانشقاق مكية

وهي خمس وعشرون آية
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَينْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّقِيقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقِ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾
﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ ، عن علي رضي الله عنه (تنشق من المجرة^(١)) ، ﴿وَأَذْنَتْ

(١) المجرة: منطقة في السماء قوامها نجوم كثيرة، لا يميزها البصر، فيراها كبقعة بيضاء يقال لها بالفارسية كبكشاي.

لِرَبِّهَا: سمعت^(١) له في أمره بالانشقاق، وأطاعت وانقادت ، ﴿وَحَقَّتْ﴾ ، وهي حقيقة بأن تستمع وتنقاد ، ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ : مد الأديم ، وبسطت فلم يبق فيها جبال ، وبناء ، ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ : ما في بطنها من الأموات والكنوز ، ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ : بلغ جهده في الخلو، حتى لا يبقى في باطنها شيء ، ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ﴾ ، تكرار للأول ، أو أذنت في الإلقاء والتخلية ، وجواب إذا محذوف، يدل عليه ما بعده ، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ ، أي : جاهد بالعمل إليه ساعٍ فملاقٍ لربك فيجازيك ، أو فملاقٍ لكدحك ويصل إليك جزاؤه ، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ، أي : سهلاً بلا تعسير ، وفي الصحيحين عن عائشة: قال عليه السلام: (من نوقش الحساب عذب) ، قالت : فقلت أليس الله يقول : " فسوف يحاسب حساباً يسيراً؟ " ، قال : ليس ذاك بالحساب ، ولكن ذاك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب) وفي غيرها عنها قالت : قال عليه السلام : (إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معذباً ، فقلت) الحديث ، إلخ ، ﴿وَيُنْقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ﴾ : في الجنة من الحور ، والآدميات ، ﴿مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ^(٢) ظَهْرِهِ﴾ ، يثنى شماله إلى ورائه ، ويعطى كتابه بها ، ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا﴾ : هلاكاً يقول : يا ثبوره ، ﴿وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾ :

(١) إنها أطاعته في الانشقاق ، ولم تأب ، ولم تمتنع مشتق من الأذن وهو الاستماع للشيء ، والإصغاء إليه ، وحق لها أن تطيع ، وتنقاد ، وتسمع ، وقد استعمل الأذن في الاستماع في أشعار العرب وفي الحديث (ما أذن الله لشيء إذنه لني يتغنى بالقرآن) قال الشاعر :

صم إذ سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم أذن

(٢) نقل أنه تغل يده إلى عنقه ، ويجعل شماله وراء ظهره ، فيؤتسى كتابه بشماله وراء ظهره/ ١٢ منه .

يدخل النار ، ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾: في الدنيا ، ﴿مَسْرُورًا﴾ ، باتباع هواه ، وبدنياه ليس له هم الآخرة ، ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾: لن يرجع إلى الله ، ﴿بَلَى﴾: يرجع إلى الله ، ﴿إِنْ رَبُّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾: عالمًا بأعماله ، فيعيده ويجازيه ، ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ^(١)﴾: الحمرة بعد الغروب ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه: البياض الذي يلي الحمرة ، وعن مجاهد: النهار كله ، ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾: ما جمع ، وضم من دابة وغيرها ، ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾: استوى وتم بدرًا ، ﴿لَتَرْكِبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾: حالاً بعد حال مطابقة لأختها في الشدة بعد الموت ، أو حالاً بعد حال من مثل الصغر والكبر ، والهرم ، والغنى والفقر ، والصحة والسقم ، أو لتركن ما طابق سنن من كان قبلكم ، وفي الحديث (لتركن سنن من كان قبلكم من اليهود والنصارى حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) ، والظاهر أن "لتركن" بالضم على خطاب الجنس ، فإن النداء له ، وبالفتح على خطاب الإنسان في "يا أيها الإنسان" باعتبار اللفظ ، وعن بعض^(٢) من السلف: لتركن يا محمد سماء بعد سماء ، أي : ليلة المعراج ، أو درجة بعد درجة في الرتبة ، وكان منشأ هذا قول ابن عباس كما بيناه في

(١) والشفق: الحمرة التي تكون بعد غروب الشمس إلى وقت صلاة العشاء الآخرة، قال الواحدي : هذا قول المفسرين وأهل اللغة جميعاً ، قال الفراء : سمعت بعض العرب يقول : عليه ثوب مصبوغ كأنه الشفق ، وكان أحمر ، وحكاه القرطبي عن أكثر الصحابة والتابعين والفقهاء ، وقال أسد بن عمرو وأبو حنيفة في إحدى الروايتين عنه: إنه البياض ، ولا وجه لهذا القول ، ولا متمسك له ، لا من لغة العرب ، ولا من الشرع ، قال في الصحاح: الشفق : بقية ضوء الشمس وحرقتها في أول الليل إلى قريب العتمة ، وكتب اللغة والشرع مطبقة على هذا / ١٢ فتح .

(٢) هو الشعبي ، وروى عن ابن مسعود ، ومسروق ، وأبي العالية / ١٢ منه .

الحاشية^(١) ، و"عن طبق" صفة ل"طبقاً" ، أي : طبقاً مجاوز الطبق ، أو حال من ضمير
 تركب، أي مجاوزين لطبق ، ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ : بالقيامة ، ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ
 الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ : إعظاماً^(٢) وإكراماً ، ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ : به ،
 مكان السجود والخضوع ، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ : بما يضمرون في أنفسهم ،
 ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ، الاستثناء منقطع ،
 وقيل متصل ، أي : إلا من تاب وآمن منهم ، ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ : غير
 مقطوع ، أو منقوص ، والله المنة^(٣) على أهل الجنة في كل حال دائماً سرمداً .

والحمد لله حق حمده ، والصلاة على نبيه

-
- (١) في البخاري عن ابن عباس: (لتركب طبقاً عن طبق)، حالاً بعد حال، قال هذا نبيكم،
 وعن ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنه: (لتركب طبقاً عن طبق) ، قال : يعني
 نبيكم حالاً بعد حال هذا لفظه ، ثم اعلم أن هذه العبارة يحتمل أن مراده أن هذا
 التفسير من النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون قول (نبيكم) مرفوعاً على أنه فاعل ،
 قال : وهو الأظهر ، ويحتمل أن يكون مراده أن النبي عليه السلام ليركب حالاً بعد
 حال فيكون رفع نبيكم بخيرية هذا ، هذا هو المتبادر إلى كثير من الرواة/ ١٢ منه .
- (٢) إعظاماً وإكراماً للقرآن ، أي : لا يتواضعون، تعجب من انتفاء إيمانهم، وقد وضحت
 الدلائل/ ١٢ .

- (٣) هذا رد لمن قال : معناه غير ممنون عليهم كما فسره القاضي أيضاً / ١٢ منه .

سورة البروج مكية

وهي اثنان وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾
قُنُطَيْلٍ أَصْحَبُ الْأَخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾
وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا
بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ
عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ
رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيَعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْعَفُورُ الْودُودُ ﴿١٤﴾ ذُو
الْعَرْشِ الْمَجِيدِ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾
فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْدِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ
مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قَرِئَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾^(١): النجوم العظام ، أو هي البروج الاثني عشر ، أو

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج، والسماء والطارق) أخرجه أحمد، وعن جابر بن سمرة: =

البروج التي فيها الحرس ، «وَالْيَوْمَ الْمَوْعُودِ» : القيامة ، «وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ» ،
 اختلفوا فيه ، والحديث المرسل والضعيف على أنها يوم جمعة ، وعرفة ، وعليه كثير من
 السلف ، أو الشاهد محمد ، والمشهود : القيامة ، أو الجمعة ، أو الله ، أوهما ابن آدم ،
 والقيامة ، أو ابن آدم ، والجمعة ، أو عرفة ، والقيامة ، أو يوم الذبح وعرفة ، أو الله
 والخلف ، أو عكسه ، أو أعضاء بني آدم وبنو آدم ، والجمعة والنحر ، أو آدم والقيامة ،
 أو الملك والقيامة ، أو الملك وبنو آدم ، أو هذه الأمة وسائر الأمم ، أو الله والقيامة ،
 «قُتِلَ» : لعن ، «أَصْحَابُ»^(١) «الْأَخْذُودِ» ، الأظهر أن جواب القسم محذوف ،

= (إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر بالسماء والطارق ، والسماء
 ذات البروج) أخرجه أحمد والدارمي ، وأبو داود والترمذي وحسنه ، والنسائي وغيرهم
 ١٢ / فتح .

(١) أخرج عبد الرزاق ، وابن أبي شيبة ، وأحمد ، وعبد بن حميد ، ومسلم والترمذي ، والنسائي ،
 والطبراني عن صهيب (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان ملك من الملوك فيمن
 كان قبلكم ، وكان لذلك الملك كاهن يكهن له ، فقال له ذلك الكاهن : انظروا لي غلاماً
 فهماً - أو قال : فطناً لقنا - فأعلمه علمي ، فإني أخاف أن أموت فينقطع منكم هذا العلم ،
 ولا يكون فيكم من يعلمه ، قال : فنظروا له على ما وصف ، فأمره أن يحضر ذلك الكاهن ،
 وأن يختلف إليه ، فجعل الغلام يختلف إليه ، وكان على طريق الغلام راهب في صومعة ،
 فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كلما مر به ، فلم يزل به حتى أخبره ، فقال إنما أعبد الله ،
 فجعل الغلام يمكث عند هذا الراهب ويطلب على الكاهن ، فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام :
 إنه لا يكاد يحضري ، فأخبر الغلام الراهب بذلك ، فقال له الراهب : إذا قال لك : أين
 كنت ؟ فقل : عند أهلي ، وإذا قال لك أهلك : أين كنت ؟ فأخبرهم : إني كنت عند الكاهن ،
 فبينما الغلام على ذلك ، إذ مر بجماعة من الناس كثير ، قد حبستهم دابة ، يقال : إنها كانت
 أسداً ، فأخذ الغلام حجراً فقال : اللهم إن كان ما يقول ذلك الراهب حقاً فأسألك أن أقتل
 هذه الدابة ، وإن كان ما يقول الكاهن حقاً فأسألك أن لا أقتلها ، ثم رمى ، فقتل الدابة فقال
 الناس : من قتلها ؟ قالوا : الغلام ، ففرع الناس إليه ، وقالوا : قد علم هذا الغلام علماً =

وهذا دليله كأنه قال : إنيهم ، أي كفار مكة ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود ، وقيل : تقديره لقد قتل^(١) أصحاب الأخدود ، وهو جواب القسم ، والأخدود : الشق

= لم يعلمه أحد ، فسمع أعمى فجاء فقال له : إن أنت رددت علي بصري فلك كذا وكذا ، فقال الغلام : لا أريد منك هذا ، ولكن أرأيت إن رجع عليك بصرك أتؤمن بالذي رده عليك ؟ قال : نعم ، فدعا الله فرد عليه بصره ، فأمن الأعمى ، فبلغ الملك أمرهم ، فبعث إليهم ، فأتي بهم ، فقال : لأقتلن كل واحد منكم قتلة لا أقتل بها صاحبه ، فأمر بالراهب والرجل الذي كان أعمى فوضع المنشار على مفرق أحدهما فقتله ، وقتل الآخر بقتلة أخرى ، ثم أمر بالغلام ، فقال : انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا فألقوه من رأسه ، فانطلقوا به إلى ذلك الجبل ، فلما انتهوا إل ذلك المكان الذي أرادوا أن يلقوه منه ، جعلوا يتهافنون من ذلك الجبل ، ويتدرون حتى لم يبق منهم إلا الغلام ، ثم رجع الغلام ، فأمر به الملك أن ينطلقوا به إلى البحر ، فيلقوه فيه ، فانطلقوا به إلى البحر ، فأغرق الله الذين كانوا معه ، وأنجاه ، فقال الغلام للملك : إنك لن تقتلني حتى تصليبي ، وترميبي ، وتقول إذا رميتني : بسم الله رب الغلام ، فأمر به فصلب ، ثم رماه وقال : بسم الله رب الغلام ، فوقع السهم في صدغه ، فوضع الغلام يده على موضع السهم ، ثم مات ، فقال الناس : لقد علم هذا الغلام علمًا ما علمه أحد ، فإننا نؤمن برب هذا الغلام ، ف قيل للملك : أجزعت أن خالفك ثلاثة فهذا العالم كلهم قد خالفوك ، قال : فخذ أخدودًا ثم ألقى فيها الحطب والنار ، ثم جمع الناس ، فقال : من رجع عن دينه تركناه ، ومن لم يرجع ألقيناه في هذه النار ، فجعل يلقيهم في تلك الأخدود ، فقال : يقول الله : " قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود " حتى بلغ " العزيز الحميد " فأما الغلام فإنه دفن ، ثم أخرج فيذكر أنه خرج في زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه ، كما وضع حين قتل ، ولهذه القصة ألفاظ فيها بعض اختلاف ، وقد رواها مسلم في أواخر الصحيح عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب / ١٢ فتح .

(١) والجواب يشير إلى أن من فعل مثل فعلهم من أذى المسلمين ، ليفتنوهم عن دينهم ملعونون مطرودون ، فإنهم آذوا بعض المؤمنين لأن آمنوا / ١٢ وحيز .

في الأرض ، واختلف فيهم، لكن اتفقت كلمتهم على أن بعض الكفرة عمدوا إلى بعض المؤمنين عشرين ألفاً أو أقل أو أكثر، من أهل فارس ، أو اليمن ، أو الحبشة أو نجران أو الشام ، وقهروهم أن يرجعوا إلى الكفر فأبوا، فحفرُوا لهم في الأرض أخاديد، وأججوا فيها نيراناً ، وأوعدوهم عليها فلم يقبلوا الكفر فقتلُوهم فيها لعنهم الله ، ورحمهم الله^(١) ، ﴿النَّارِ﴾ ، بدل اشتغال من الأخدود ، ﴿ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ ، صفة تبين عظمتها ، أي : لها كثرة ما يرتفع به لهبها ، ﴿إِذْ هُمْ﴾ : الكفار ، ﴿عَلَيْهَا﴾ : على حافة النار ، ﴿فُعُودٌ﴾ ، يعذبون المؤمنين ، ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ : مشاهدون لهذا التعذيب الأليم ، أو يشهد بعضهم لبعض عند أمرهم وملئهم بأنه لم يقصر فيما أمر به ، ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ : ما عابوا ، وما كرهوا ، ﴿مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ ، ما هو حقيق بأن يكون سبباً للثناء ، والألفة جعلوه سبباً للعب والكرهية ، ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ^(٢) الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ، وصفه بصفات توجب الإيمان به وحده ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ ، بالإحراق ، ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا^(٣)﴾ ، لم يندموا عما

(١) أي : لعن الله القاذف ، ورحم المقتول في النار من هؤلاء القوم (أصحاب الأخدود) .

(٢) وهذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم كما في قوله :

لا عيب فيهم سوى أن التريل بهم يسلوا عن الأهل والأوطان والحشم
وقول الآخر :

ولا عيب فيها غير شكلة عينها كذاك عناق الطير شكلاً عيونها
وقول الآخر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بمن فلول من قراع الكتائب
١٢ / فتح .

(٣) عن الحسن البصري : انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أوليائه، وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة / ١٢ .

أسلفوا ، ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ ، لكفرهم ، ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ ، العذاب الزائد في الإحراق بما أحرقوا المؤمنين ، وعن بعض^(١) لهم عذاب الحريق في الدنيا ، وذلك لأن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم^(٢) ، أو المراد الذين بلوهم بالأذى على العموم لا أن المراد أصحاب الأخدود خاصة للفاتنين عذابان لكفرهم ، ولفنتهم ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ ، المراد منهم المطروحون في الأخاديد ، أو أعم ، ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ ، أخذه بالنعف لأعدائه ، ﴿لَشَدِيدٌ﴾ ، مضاعف ، ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِيُ﴾ ، الخلق ، ﴿وَيُعِيدُ﴾ ، بعد الموت ، ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ ، للمؤمنين ، ﴿الْوَدُودُ﴾ ، المحب لهم ، ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ ، مالكه ، ﴿الْمَجِيدُ﴾ ، العظيم في الذات ، والصفات ، وقراءة الكسر على صفة العرش فمعناه علوه وسعته ، ﴿فَعَالٌ لَّمَّا يُرِيدُ﴾^(٣) ، لا يزاحه أحد ، ولا شيء ، ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ ، يا محمد ، ﴿حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ ، هما بدل من الجنود ، والمراد من فرعون هو وقومه ، وهذا تقرير لقوله : "إن بطش ربك لشديد" ، ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ : من قومك يا محمد ، ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾ ، للقرآن ، ولك أي تكذيب ، فلا يعتبرون بسماع قصة من قبلهم ، ومعنى (بل) الإضراب عن الأمر بالإسماع ، والتذكير ، كأنه قال : ذكر قومك بشدة بطش ربك ، وأسمعهم حكاية فرعون و ثمود لعلهم يتعظوا به ، بل هم في تكذيب عظيم لا يمكن لهم الارتداع ، والاعتاظ ، ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ : لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط المحيط ، ﴿بَلْ هُوَ﴾ : بل هذا الذي كذبوا به ، ﴿قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ : عظيم في اللفظ والمعنى ، ﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ ،

(١) هو ربيع بن أنس والكلبي / ١٢ منه .

(٢) حكاه جمع من السلف / ١٢ وجيز .

(٣) لما هدد قريشاً بأصحاب الأخدود ، هددهم ثانياً بفرعون ، وقومه فقال : (هل أتاك)

الآية / ١٢ وجيز .

بالرفع صفة القرآن ، أي : محفوظ من الزيادة ، والنقصان ، وبالجر صفة اللوح ، وعن أنس بن مالك وغيره: إن هذا اللوح المحفوظ في جبهة إسماعيل ، وعن مقاتل : هو عن يمين العرش ، وفي الطبراني ، قال عليه السلام: (إن الله قد خلق لوحًا محفوظًا من درة بيضاء وصفحاتها من ياقوت حمراء قلمه نور ، وكتابه نور لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة يخلق ويرزق ، ويميت ، ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء"(*)).

(*) أخرجه الطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس -رضي الله عنه- كما في "ابن كثير" (٤/٤٩٧) و"الدر المنثور" (٦/٥٥٨).

سورة الطارق مكية
وهي سبع عشرة آية
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ۝ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ۝ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ۝ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ۝ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ۝ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ فَمَهْلٍ الْكَافِرِينَ أَتْمَلُهُمْ رُؤُودًا ۝﴾

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾: الكوكب ، وسماء طارقاً لأنه يظهر في الليل ، فالطارق: الآتي ليلاً ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾: المضيء ، أو الذي يثقب الشياطين إذا أرسل إليها ، والمراد الجنس ، وقيل: الثريا ، أو زحل عبر عنه أولاً بوصف عام ثم فسره بعدما عظم شأنه تعظيماً على تعظيم ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾: ما كل نفس إلا عليها حافظ يحفظ عملها ، أو يحفظها من الآفات ، وقراءة "لما" بالتخفيف ، فتقديره: إن الشأن كل نفس لعلها ، فما صلة ، وهو جواب القسم على الوجهين ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾: يتفكر في مبدأ خلقه ليعترف بصحة الإعادة، فلا يعمل ما يضره في عاقبته، لأن عليه حافظاً يحفظ أعماله ، أو لما لطف عليه بأن وكل عليه حافظاً يحفظه من الآفات ، فليتأمل هو في مبدأ خلقه ليعترف بإعادته ، فلا يكون منكراً لقول ربه ، ولما أرسل لأجله المرسلين ﴿خُلِقَ﴾

جواب الاستفهام ﴿مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾^(١) : ذى دفق كسائر ولاين، أو مدفوق: مصبوب، وهو الممتزج من ماء الرجل والمرأة ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾: صلب الرجل ﴿وَالْتَرَائِبِ﴾: ترائب المرأة، وهي عظام صدرها ﴿إِنَّهُ﴾^(٢) عَلَى رَجْعِهِ لِقَادِرٌ أي : إن الله الذي خلق الإنسان من ماء كذا، القادر على رجعه ، وإعادته بعد موته. ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾: تتميز ، وتتعرف ما أُسِرَّ في القلوب من العقائد ، وما أُخْفِيَ من الأعمال، ظرف لرجعه ، والفاصل غير أجني ، لأنه عامل، أو تفسير للعامل على المذهبين ، أو معناه : إن الله لقادر على رجع الماء إلى مخرجه^(٣) ، ثم قال اذكر يوم تبلى السرائر ﴿فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾^(٤) : يمنعه عن عقاب أراده الله ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾^(٥) : المطر ، سماه به ، لأنه يرجع حيناً فحيناً ، قيل: وصف السماء بالرجع لأنه يرجع في كل دورة إلى ما كان يتحرك منه ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾: الشق بالنبات ، والعيون ﴿إِنَّهُ﴾ أي : القرآن ﴿لَقَوْلٍ فَصْلٍ﴾: فاصل بين الحق والباطل

(١) والدفق : دفع الماء بعضه بعضاً ، فصح أن الماء دافق بعضه ، ومدفوق بعضه، الممتزج من مني الرجل ، والمرأة ، ولذا لم يقل من ماءين، لاتحادهما بعد المزج في الرحم/ ١٢ وحيز .

(٢) الضمير للخالق الدال عليه خُلِقَ / ١٢ وحيز .

(٣) وعليه كثير من السلف / ١٢ وحيز .

(٤) أي : ما للإنسان من قوة من جانب نفسه ، ولا ناصر من جانب غيره، يدفع عقاب الله إن أراده، لما أقسم على أن لكل نفس حافظ لأعماله ، ورتب عليها إثبات البعث، أعقبه بإقسام على إثبات حقبة القرآن الناطق بالبعث ، فقال : " والسماء ذات الرجوع " الآية / ١٢ وحيز .

(٥) قيل: العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض، ثم يرجعه إلى الأرض/ ١٢ منه .

﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾: فإنه جد وحق كله ﴿إِنَّهُمْ﴾ أهل مكة ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ في إطفاء نور القرآن ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾: أقابلهم بما يشبه الكيد في استدراجي لهم ﴿فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ﴾: فلا تستعجل بإهلاكهم ﴿أَمْهَلُهُمْ رُؤْيَا﴾: إمهالاً يسيراً، كرر وخالف بين الفعلين ^(١) لزيادة التسكين، والتصبير.

والحمد لله رب العالمين

(١) يعني: مهل وأمهل ، وإنما دلت المخالفة على الزيادة من الإشعار بالتغاير، فهو أوكد من مجرد التكرار، كما قالوا في حديث: بكر وابتكر / ١٢ وحيز .

سورة الأعلى مكية

وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ
فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ﴿٥﴾
سَنَقِرُكَ فَلَا تَنْسَى ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٧﴾
وَنُيْسِرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى ﴿٩﴾ سَيَذَكِّرُ مَنْ
يَخْشَى ﴿١٠﴾ وَتَجَنَّبْهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا
يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ
فَصَلَّى ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿١٧﴾ إِنَّ
هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾﴾

﴿سَبِّحْ اسْمَ (١) رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ أي : نزه ذاته الذي هو أعلى من أن يقاس بغيره
فالاسم مقحم ، والأعلى صفة لربك ، أو نزه أسمائه عملاً يصح فيه من المعاني ،

(١) نزه ذاته الذي هو أعلى من أن يقاس بغيره ، فالاسم مقحم للتعظيم ، ولما نزل
قال صلى الله عليه وسلم : (اجعلوها في سجودكم) كما رواه أبو داود وابن
ماجه والدارمي ، فجعل فيه سبحانه ربي الأعلى بترك لفظ الاسم في سجودهم
فالحديث دال على إقحامه / ١٢ وحيز . [وضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف سنن ابن

ماجه"]

والأعلى إما صفة للاسم ، أو للرب «الَّذِي خَلَقَ» كل شيء «فَسَوَّى»: خلقه ، ولم يأت به متفاوتًا غير ملتئم «وَالَّذِي قَدَّرَ»^(١): الأشياء على وجه معين «فَهَدَى»: فوجهها إليه «وَالَّذِي أَخْرَجَ» من الأرض «المرعى»: ما يرعاه الدواب «فَجَعَلَهُ» بعد حضرته «غُثَاءً»: يابسًا «أَحْوَى»^(٢) أسود ، وقيل: أحوى حال من المرعى ، أي : من شدة الخضرة أسود «سَنَقَرْتُكَ» على لسان جبريل ، أو سنجعلك قارئًا «فَلَا تَنْسَى» فهذا وعد من الله «إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ» نسيانه بأن نسخ^(٣) تلاوته ، أو إلا ما شاء الله لكن لم يشأ ، وعن مجاهد وغيره ، كان عليه السلام يستعجل بالقراءة قبل إتمام قراءة جبريل مخافة النسيان ، فترل هذا الوعد فلم ينس بعد ذلك شيئًا ، وقيل: نفى بمعنى النهي ، أو نفى ، والألف للفاصلة نحو : السبيل ، «إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى»: ما ظهر من الأحوال وما بطن ، فلا يفعل إلا ما فيه الحكمة البالغة ، «وَيُسِّرُّكَ» ، عطف على سنقرتك ، أي : نُعَدِّلك «لِلْيُسْرَى»: للشرعية اليسرى السمحة ، أو نسهل عليك أفعال الخير ، وقيل: معناه إنه يعلم الجهر مما تقرأه بعد فراغ جبريل ، وما يخفى مما تقرأه في نفسك معه مخافة النسيان ، ثم وعده وقال ، ينسرك للطريقة اليسرى في حفظ الوحي «فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى»^(٤): عظ بالقرآن إن

(١) أي : قدر لكل شيء ما يصلحه فهدها إليه ، وعرفه وجه الانتفاع / ١٢ منه .

(٢) أي : أسود حال من المرعى ، أخر لكونه في فاصلة لأن النبات في حال اليبس يصير أصفر لا أسود ، ولما أمره بالتسبيح لمن رياه ، أعقبه بما هو عين تربية الرسول في رسالته فقال : " سنقرتك " الآية / ١٢ وجيز .

(٣) وعلى هذا النفي بمعناه المتبادر لا أنه بمعنى النهي / ١٢ وجيز .

(٤) أي : ذكر بالقرآن ، إن رأيت أن التذكير نافع ، وهذا القيد والشرط لتوبيخ قريش وتقريعهم ومعناه استبعاد انتفاعهم به .

لقد أسمعتم لو ناديت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي

وجيز .

نفعت التذكير، قال علي رضي الله عنه: ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم، وحاصله إن كنت جربت أن الموعظة لا تنفع فلا تتعب نفسك ﴿سَيَذَكَّرُ﴾: يتعظ، ويتنفع بها ﴿مَنْ يَخْشَى﴾: الله ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾، أي: الذكرى، ويتباعد عنها ﴿الْأَشَقَى﴾ من الكفرة لتوغله في الكفر والعناد، أو المراد من الأشقى الكافر في علم الله ﴿الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى﴾: نار جهنم، فإنها أشد حرًا من نار الدنيا ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾: فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَى﴾^(١): حياة يجد منها روح الحياة، فهذا للكافر، وأما المذنب ففي صحيح مسلم وغيره (إن أناسًا دخلوا النار بخطاياهم يموتون في النار، فيصيرون فحمًا، ثم يخرجون فيلقون على أثمار الجنة فيرش عليهم منها، فينبتون كالخبة في حميل السيل) ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾: تطهر نفسه من الكفر والمعصية ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ﴾ بقلبه ولسانه ﴿فَصَلَّى﴾: الصلوات الخمس نحو: "أقم الصلوة لذكري" (طه: ١٤)، وعن كثير من السلف المراد من أعطى صدقة الفطر^(٢) فصلى العيد، وعلى هذا يكون التزول سابقًا على الحكم، لأن السورة مكية، ولم يكن بمكة عيد ولا فطر كما قالوا في قوله: "وأنت حل بهذا البلد" (البلد: ٢) كما سيحيء ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾: تختارون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ عن ابن مسعود قال: حين وصل إلى هذه الآية، آثرناها لأننا رأينا زينتها، ونساءها، وطعامها، وشرابها، وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل، وجاز أن يكون

(١) يعني: حياة يجد منها روحًا، وسنذكر أن الصلّى لا يكون إلا للكافر، وأما المؤمن الذي يدخل النار، مدة أرادها الله لتطهيره فيموتون في النار، ويصير كالجمرة فلا يجدون ألم النار، ثم يلقون على ثمر من الجنة فينبتون كالخبة من حميل السيل، كما في صحيح مسلم وغيره، وأما الموت الذي فيها فهو موت حقيقي أو غشي يعدم إحساس العذاب، فيه خلاف / ١٢ وجيز .

(٢) هو المنقول عن علي وعمر بن عبد العزيز وأبي الأحوص / ١٢ منه .

الخطاب للأشقيين على الالتفات ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ إِنَّ هَذَا﴾ عن كثير من السلف : الإشارة إلى أربع آيات متقدمة من قوله : " قد أفلح من تزكى " ، وعن بعض منهم : الإشارة إلى جميع السورة ﴿لَفِي الصُّحُفِ^(١) الْأُولَىٰ﴾ : الكتب السماوية المتقدمة ﴿صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ بدل من الصحف الأولى ، وفي مسند الإمام أحمد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب هذه السورة .

الحمد لله رب العالمين .

(١) لم تنسخ في شرع من الشرائع، هذا كما قال صلى الله عليه وسلم: "إن من كلام النبوة الأولى، (إذا لم تستحي فاصنع ما شئت)" ١٢ / وجيز .

سورة الغاشية^(١) مكية

وهي ست وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَلَشِيَّةِ ﴿١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَالِشَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ
 نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَائِنَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ
 لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ﴿٧﴾ وَجُوهٌ
 يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَا تَسْمَعُ
 فِيهَا لَغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾
 وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾
 أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ
 رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ
 سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ
 ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ
 إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾﴾

(١) أخرج أحمد ، ومسلم ، وأهل السلف عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين ، وفي الجمعة سبح اسم ربك الأعلى ، وهل أتاك حديث الغاشية ، وإن وافق يوم الجمعة قرأها جميعاً ، وفي لفظ (وربما اجتماعاً في يوم واحد فقرأهما) / ١٢ فتح .

﴿هَلْ﴾^(١) أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ: القيامة، لأنها تغشى الناس بشدائدها ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾: ذليلة ﴿عَامِلَةٌ﴾: في النار، كالصعود والهبوط مع جر السلاسل فيها ﴿نَاصِبَةٌ﴾: تتعب في ذلك العمل، أو عملت وتعبت في أعمال في الدنيا لا تنفع في الآخرة على غير طريقة السنة^(٢) أو عملت في الدنيا أعمال السوء والتذت بها، فهي في نصب منها في الآخرة ﴿تَصَلَّى﴾: تدخل ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾: متناهية في الحر ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾: انتهى عليها ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾: هو اليابس من الشَّيْر، وهو شوك ترعاه الإبل ما دام رطباً فإذا يبس صار سماً قاتلاً، ويكون الضريع طعام هؤلاء، والزقوم وغيره^(٣) طعام غيرهم، أو في بعض الأحوال ليس طعام الكل إلا هذا ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ وفائدة الطعام أحد الأمرين ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾: ذات هجة ﴿لَسَعِيهَا﴾ في الدنيا ﴿رَاضِيَةً﴾^(٤) في الآخرة، لما رأت ثوابه ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: الحل، أو القدر ﴿لَا تَسْمَعُ﴾ يا مخاطب، أو الوجوه ﴿فِيهَا لَا غِيَةَ﴾: لغوا، أو كلمة ذات لغو ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ التنكير للتعظيم ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾: رفيعة السمك إذا أراد أن^(٥) يجلس عليها صاحبها تواضعت له ثم ترفع ﴿وَأَكْوَابُ﴾ الكوب: إناء لا عروة له ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ بين أيديهم ﴿وَنَمَارِقُ﴾^(٦): وسائد ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾: بعضها بجانب بعض ﴿وَزَرَائِي﴾^(٧): بسط

(١) وفي هذا الاستفهام تحريك نفس السامع إلى تلقي الخير / ١٢ .

(٢) هذا قول عكرمة، والسدي / ١٢ منه .

(٣) فلا مخالفة بين هذه الآية، وبين قوله: " ولا طعام إلا من غسيلين " (الحاقة: ٣٦) / ١٢ منه .

(٤) في الآخرة تقابلها "عاملة ناصبة" على التفسير الثاني وهذا يؤيده، والمفسرون غفلوا

عنه / ١٢ وجيز .

(٥) هكذا قال كثير من السلف / ١٢ منه .

(٦) ففي أي: مكان يريد يمكن الاستناد، والاتكاء من غير احتياج إلى نقل الوسائد / ١٢ وجيز .

(٧) مبسوطة مهياة للجلوس عليها لا تبلى، ولا تغير، ولما وصف الجنة بما وصف بعد أن ذم جهنم، ذكر للمكذبين صنعه ليستدلوا به، فقال: "أفلا ينظرون إلى الإبل" الآية / ١٢ وجيز .

فاخرة ﴿مَبْنُوءَةٌ﴾: مبسوطة ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ لما كذب الكفار عجائب الجنة التي ذكرها الله في تلك السورة ، فذكرهم الله صنعه ، والإبل أغرب حيوان وأنفعه عند العرب ، ﴿وَالْيَ السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ بلا عمد ﴿وَالْيَ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾: راسخة لا تميل لئلا تميد الأرض بأهلها ﴿وَالْيَ الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾^(١): بسطت، نبه العرب في بواديهم بما يشاهد من بعيره الذي هو راكب عليه ، والسماء الذي فوق رأسه ، والجبل الذي تجاهه والأرض التي تحته على كمال قدرة خالقه ، فلا تنكر الجنة ونعيمها ، والبعث وأهوالها ﴿فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾ ما عليك إلا البلاغ ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾: بمتسلط فتكرههم على الإيمان ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾: لكن من تولى وكفر ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾: عذاب جهنم ، أو الاستثناء متصل أي : فذكرهم إلا من انقطع طمعك من إيمانه نحو : " فذكر إن نفعت الذكرى " (الأعلى: ٩)، وقيل: لست بمتسلط عليهم إلا على من تولى ، فإن جهادهم وقتلهم تسلط ، وعلى هذا يكون وعدًا برخصة القتال ، فإن السورة مكية ، ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾: رجوعهم ، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا^(٢) حِسَابَهُمْ﴾ ، في المحشر ، وتقديم الخبر للتخصيص والتشديد في الوعيد.

والحمد لله المجيد الفعال لما يريد

(١) ولما حضهم على النظر أمر بالذكر فقال : " فذكر " لا يَهْتَمُّكَ كَوْنُهُمْ لَا يَنْظُرُونَ

"إنما أنت مذكر" / ١٢ وجيز .

(٢) ولفظ "علينا" دال على تحتم الحساب / ١٢ وجيز .

سورة الفجر مكية

وهي ثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْفَجْرِ ۝ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ ١١ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣ ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠ ﴾
هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّدَىٰ حَجْرٍ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝ إِرْمَ
ذَاتِ الْعِمَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝ وَثُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا
الصَّخْرَ بِآلِوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ طَعَنُوا فِي الْبِلَادِ ۝
فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ
لِبِالْمِرْصَادِ ۝ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ
رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ
۝ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرَمُونَ ۝ أَلَيْسَ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا تَحْضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ
۝ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْثَلًا لِّمَّا ۝ وَتُحِبُّونَ أَمْوَالَ حُبًّا جَمًّا ۝
كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝
وَجِئَاءَ يَوْمَيْدٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ
۝ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدِمْتُ لِحَيَاتِي ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا
۝ وَلَا يُوثِقُ وِثْقَاهُ أَحَدًا ۝ يَتَأَيَّتْهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۝ أَرْجِعِي

إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿١٨﴾ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿١٩﴾ وَأَدْخُلِي
جَنَّتِي ﴿٢٠﴾

﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم سبحانه بالصبح ، أو بصبح يوم^(١) النحر ، أو بصلاة الفجر
﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ عشر ذي^(٢) الحجة ، أو العشر الأول من المحرم ، أو من رمضان
﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ يوم النحر شفع لأنه عاشر ، ويوم عرفة وتر لأنه تاسع ، أو
اليومان من أيام التشريق ، والوتر اليوم الثالث ، أو الصلاة المكتوبة منها شفع ، ومنها
وتر ، أو الخلق والله ، والقول^(٣) فيهما أكثر لكن الذي أوردناه ما اتفق عليه أكثر
السلف والثلاث الأول منقول بالحديث أيضًا ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾: إذا يمضي ، أو إذا
يُسْرَى فيه كقولهم صَلَّى المقامُ ، والمراد ليلة المزدلفة ، أو مطلق الليالي ﴿هَلْ فِي
ذَلِكَ﴾: المقسم به من هذه الأشياء ﴿قَسَمَ﴾: مقسم به ﴿لِذِي حَجَرٍ﴾: عقل ،

(١) هذا هو الذي عليه كلام أكثر السلف / ١٢ منه .

(٢) وقد ورد في فضل هذه العشر أحاديث ، وليس فيها ما يدل على أنها المرادة بما في
القرآن هنا بوجه من الوجوه / ١٢ فتح .

(٣) وفي الفتح بعد نقل الأقوال الكثيرة ، ولا يخفك ما في غالب هذه الأقوال من السقوط
البين ، والضعف الظاهر ، والاتكال في التعيين على مجرد الرأي الزائف والخطر
الخاطئ ، والذي ينبغي التعويل عليه ، ويتعين المصير إليه ما يدل عليه معنى الشفع
والوتر في كلام العرب ، وهما معروفان واضحان ، فالشفع عند العرب: الزوج ،
والوتر : الفرد ، فالمراد بالآية إما نفس العدد ، أو ما يصدق عليه من المعدودات ، بأنه
شفع أو وتر ، وإذا قام دليل على تعيين شيء من المعدودات في تفسير هذه الآية ، فإن
كان الدليل يدل على أنه المراد نفسه دون غيره فذاك ، وإن كان الدليل يدل على أنه
مما دلته هذه الآية ، لم يكن ذلك مانعًا من تناولها لغيره ، ولم يجزم ابن جرير بشيء من
الأقوال في الشفع والوتر / ١٢ .

فالاستفهام للدلالة على استحقاقها، لأن يعظم بالإقسام بما فيدل على تعظيم المقسم عليه ، وتأكيده من طريق الكناية ، أو في ذلك القسم قسم له، فللدلالة على أن ذوى العقول يؤكدون بمثله المقسم، فيدل على تأكيد القسم عليه أيضاً ، وجواب القسم محذوف نحو : ليعذبن إن لم يؤمنوا، ويدل عليه قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾ أي : عاد الأولى ، يعني أولاده سموا باسم أبيهم ، وهم الذين بعث الله فيهم هوداً فكذبوه، وأهلكهم "بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليل" الآية (الحاقة: ٦، ٧) ﴿إِرم﴾ عطف بيان لعاد على حذف مضاف ، أي : سبط إرم ، فإنهم أولاد عاد بن إرم بن عوض بن سام بن نوح ، أو عاد بن عوض بن إرم ، أو اسم بلدتهم ، أي : عاد أهل إرم علم قبيلة أو بلدة فلم ينصرف ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ هم سكان بيوت الشعر التي ترتفع بالأعمدة ، أو طوال الأجسام على تشبيه قدمهم بالأعمدة ، أو أبنية بنوها ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾^(١) : مثل تلك القبيلة

(١) وقد ذكر جماعة من المفسرين، أن إرم ذات العماد اسم مدينة مبنية بالذهب والفضة قصورها ، ودورها ، وبساتينها ، وأن حصباها جواهر ، وتراها مسك ، وليس بها أنيس ، ولا فيها ساكن من بني آدم ، وأنها لا تزال تنتقل من موضع إلى موضع تارة تكون باليمن ، وتارة تكون بالشام ، وتارة تكون بالعراق ، وتارة تكون بسائر البلاد ، وهذا كذب بحسب لا ينفق على من له أدنى تمييز ، وزاد الثعلبي في تفسيره فقال : إن عبد الله بن قلابة في زمان معاوية دخل هذه المدينة ، وهذا كذب على كذب ، وافتراء على افتراء. وقد أصيب الإسلام وأهله بداهية دهياء ، وفاقرة عظمى ، ورزية كبرى من أمثال هؤلاء الكذابين الدجالين الذين يجرعون على الكذب تارة على بني إسرائيل ، وتارة على الأنبياء ، وتارة على الصالحين ، وتارة على رب العالمين ، وتضاعف هذا الشر وزاد كثرة بتصدر جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها ، بل موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز ، فأدخلوا هذه الخرافات المختلفة

للقوة وعظم التركيب ، وفي الحديث^(١) (كان الرجل منهم يأتي على الصخرة ، فيلقيها على الحى - أي : القبيلة - فيهلكهم) ، وقيل : لم يخلق مثل أبنيتهم ، وأما حكاية جنة شداد بن عاد المشهورة المذكورة في أكثر التفاسير فعند المحققين من السلف والمؤرخين أنها من مخترعات^(٢) بني إسرائيل ، ولا اعتبار له **﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا﴾** : قطعوا **﴿الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾** : وادي القرى كما قال تعالى : " وتنتحون من الجبال بيوتاً " الآية (الشعراء: ١٤٩) **﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾** : ذي الجنود الكثيرة ، أو لأنه يعذب بالأوتاد ، أو له جبال وأوتاد يلعب بها عنده **﴿الَّذِينَ﴾** صفة للمذكورين **﴿طَفَّوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾** : بالإضافة بمعنى من ، أي : سوطاً من العذاب به ، أي : نصيباً أو شدة عذاب ، فإن السوط عندهم غاية الإهانة **﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾**^(٣) هو مكان يترقب فيه الرصد ، وهذا تمثيل لإرصاده العباد بالجزاء ، وأنهم لا يفوتونه ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرصد خلقه فيما يعملون ، قيل : هو جواب القسم ، وما بينهما اعتراض **﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ﴾** هو كالمبين لقوله : " إن ربك لبالمرصاد " لأنه لما ذكر أنه تعالى يرصد خلقه في أعمالهم يعد بعض ذمائمهم^(*) **﴿إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾** أي : امتحنه بالنعمة **﴿فَأَكْرَمَهُ﴾** بالمال

= والأقاصيص المنحولة والأساطير المفتعلة في تفسير كتاب الله سبحانه فحرفوا وغيروا وبدلوا / ١٢ فتح .

(١) ذكره ابن أبي حاتم / ١٢ منه .

(٢) قال الحافظ ابن كثير : لا تغتر بما ذكره جماعة من المفسرين من ذكر مدينة يقال لها إرم ذات العماد ، فإن ذلك كله من خرافات الإسرائيليين من وضع الزنادقة ، ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس ، فهذا وأمثاله مختلق لا حقيقة له / ١٢ .

(٣) عن مقاتل بن سليمان قال : أقسم الله : " إن ربك لبالمرصاد " يعني : الصراط / ١٢ .

(*) وفي النسخة (ن) : أعمالهم .

﴿وَنَعْمَهُ﴾ بالسعة ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ دخول الفاء في خبر المبتدأ ، لما في (أما) من معنى الشرط ، وإذا ظرف ليقول أي : أما الإنسان فيقول وقت ابتلائه بالغي : ربي أكرم من ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾: اختبره بالفقر ﴿فَقَدَرَ﴾: ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ أي : وأما هو فيقول وقت ابتلائه بالفقر : ربي أهانني ﴿كَلَّا﴾ ردع عن القطع بأن الغنى إكرام والفقر إهانة ، فكثيراً ما يكون بالعكس ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ أي : بل فعلهم أقبح من قولهم ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ﴾: يحثون أهلهم ﴿عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ أي : على إطعامه ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ﴾: الميراث ﴿أَكَلًا لَّمًّا﴾: ذالماً ، أي : جمع بين الحلال والحرام ، فإنهم لا يورثون النساء والصبيان ﴿وَتَحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾: كثيراً مع الحرص ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن ذنبك وإنكار ثم أتى بالوعيد فقال: ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ ، أي : دكا بعد دكة حتى سويت الأرض والجبال ، فلم يبق تلال ولا وهاد، ظرف ليتذكر الإنسان ﴿وَجَاءَ﴾^(١) رَبُّكَ: لفصل

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه في شرح حديث التزول: قال الشيخ أبو عثمان : وثبت أصحاب الحديث نزول الرب، كل ليلة إلى السماء الدنيا من غير تشبيه له بتزول المخلوقين ، ولا تمثيل ولا تكيف ، بل يثبتون ما أثبتته رسول الله ويتنهون فيه إليه ، ويمرون الخبر الصحيح الوارد على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله سبحانه وتعالى ، وكذلك يثبتون ما أنزل الله في كتابه من ذكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله تعالى : " هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام " (البقرة: ٢١٠)، وقوله عز وجل : " وجاء ربك والملك صفا صفا " ثم ذكر بسنده عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي يقول: قال لي الأمير عبد الله بن طاهر : يا أبا يعقوب هذا الحديث الذي ترويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا " كيف ينزل ؟ قال : قلت: أعز الله الأمير، لا يقال لأمر الرب كيف، ينزل بلا كيف، ثم ذكر بسنده مناظرة إسحاق بن إبراهيم مع بعض الجهمية عند الأمير

القضاء جيئة تليق بقدسه من غير حركة ونقلة ﴿وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾ مصطفىين
محدثين بالجن والإنس ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ في صحيح مسلم (يؤتى بجهنم يومئذ

= عبد الله بن طاهر، فسأل عن حديث النزول الصحيح هو، قال : نعم ، فقال له بعضهم: أترعم أن الله يترل كل ليلة؟ قال : نعم ، قال: كيف يترل ؟ فقال إسحاق: أثبتته فوق؟ فقال : أثبتته فوق ، فقال إسحاق : قال الله عز وجل : "وجاء ربك والملك صفا صفا" ، فقال الأمير عبد الله: هذا يوم القيامة ، فقال إسحاق : أعز الله الأمير من يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم ؟!

ثم ذكر ابن تيمية ثلاثة أقوال لمثبتي النزول في خلو العرش إلى أن قال : والقول الثالث: - وهو الصواب وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها- إنه لا يزال فوق العرش ولا يخلو العرش منه، مع دنوه ونزوله إلى السماء ، ولا يكون العرش فوقه وكذلك يوم القيامة، كما جاء به الكتاب والسنة، وليس نزوله كتزول أجسام بني آدم من السطح إلى الأرض، بحيث يبقى السقف فوقهم ، بل الله مفره عن ذلك، وستكلم عليه إن شاء الله تعالى.

وهذه المسألة تحتاج إلى البسط ، ثم بسط الكلام في الرد على منكري النزول، وإبطاله شبههم إلى أجزاء كثيرة ، وذكر كلام الحفاظ ابن مندة في خلو العرش، ثم رده ردًا طويلًا مشبعًا، وأثبت أن العرش لا يخلو منه، وذكر المذاهب في نزول الرب والكلام فيه إلى أن قال : والقول المشهور عن أهل السنة والحديث: هو الإقرار بما ورد به الكتاب والسنة من أنه يأتي ويترل ، وغير ذلك من الأفعال اللازمة ، قال أبو عمر الطلمنكي: أجمعوا -يعني أهل السنة والجماعة- على أن الله يأتي يوم القيامة ، والملائكة صفا صفا لحساب الأمم، وعرضها كما شاء ، وكيف شاء " هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضى الأمر " (البقرة: ٢١٠)، وقال تعالى : "وجاء ربك والملك صفا صفا" وقال : وأجمعوا على أن الله يترل كل ليلة إلى السماء الدنيا على ما أتت به الآثار، كيف شاء لا يجدون في ذلك شيئًا، انتهى مختصرًا، وملقطًا / ١٢ .

لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها) ، ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ ، بدل من " إذا دكت " ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ معاصيه ، أو يتعظ ويندم ﴿وَأَنَّى لَهُ﴾ أي : أنى ينفعه فإن اللام للنفع ^(١) ﴿الذِّكْرَى يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ : الأعمال الصالحة ﴿لِحَيَاتِي﴾ : هذه ، أو وقت حياتي في الدنيا ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا﴾ أي : لا يعذب أحد من الزبانية أحدًا ، ولا يوثق بالسلاسل والأغلال مثل تعذيب الإنسان وإيثاقه فإن عذابه أشد ، فضمير عذابه للإنسان والإضافة إلى المفعول ، وهذا أرجح ^(٢) الوجوه لكن على هذا يلزم أن عذاب بعض الكفار أشد من عذاب الشياطين ، فكأنه كذلك ، وكذلك معنى يعذب ، ويوثق على قراءة المجهول ﴿يَا ^(٣) أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ أي : يقول الله للمؤمن ذلك ، المطمئنة : الساكنة الدائرة مع الحق ، أو المطمئنة بذكر الله ، أو الآمنة من عذاب الله ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ : إلى جوار الله ، وثوابه ، يقال لها ذلك عند الاحتضار ، وعند البعث ، وفيه إشعار بأن النفوس قبل الأبدان كانت موجودة في عالم القدس ، وعن بعض ^(٤) من السلف معناه : ارجعي يا نفس إلى صاحبك ، أي : بدنك الذى كنت فيه ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ : عند الله ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ أي : في زمرة الصالحين ، الذين

(١) قال الزمخشري - وتبعه القاضي : لابد من تقدير حذف المضاف ، أي : ومن أين له منفعة الذكرى ؟ وإلا فبين " يتذكر الإنسان " ، وبين " وأنى له الذكرى " تناقض ، والشارح أشار إلى رده بأن اللام للنفع ، فلا حاجة إلى تقدير / ١٢ منه .

(٢) لأنه موافق لقراءة المجهول فتأمل / ١٢ منه .

(٣) ولما وصف حال من اطمئن إلى الدنيا ، وصف حال من اطمئن إلى معرفته وعبوديته ، فقال : " يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ " الآية / ١٢ كبير .

(٤) نقل ذلك عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم ، وهو قول عكرمة والكلبي ، واختاره ابن جرير / ١٢ منه .

هم عباد الله على الحقيقة ﴿وَادْخُلِيْ جَنَّتِيْ﴾ عن سعيد بن جبیر : مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم نر على خلقته ، فدخل نعشه ، ثم لم ير خارجاً منه ، فلما دفن تليت عليه هذه الآية على شفیر القبر لا ندری^(١) من تلاها ، رواه الطبرانی عن غيره

والحمد لله حق حمده.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم / ١٢ فتح .

سورة البلد مكية

وهي عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ١ ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ ٢ ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ ٣
 لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ٤ أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ٥
 يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا ٦ أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ٧ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ
 عَيْنَيْنِ ٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ١٠ فَلَا اقْتَحَمَ
 الْعَقَبَةَ ١١ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ١٢ فَكُ رَقَبَةً ١٣ أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ
 ذِي مَسْغَبَةٍ ١٤ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ١٥ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ١٦ ثُمَّ كَانَ مِنَ
 الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ١٧ أُولَئِكَ أَصْحَابُ
 الْمَيْمَنَةِ ١٨ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَيَّأَتْنَاهُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ١٩ عَلَيْهِمْ
 نَارٌ مُؤَصَّدَةٌ ٢٠

﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ : مكة ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ﴾ يعني : في المستقبل ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ :
 تقاتل فيه ، وتصنع ما تريد من القتل ، والأسر ، فهذه جملة معترضة بوعده ففتح مكة ،
 وفي الحديث : (إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض لم يحل لأحد قبلي ولا
 بعدي إنما أحلت لي ساعة من نهار ، فهي حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة*) ، قيل :
 معناه : أقسم بمكة حال حلولك فيها ، فيكون تعظيمًا للمقسم به ﴿وَوَالِدٍ﴾ : آدم
 ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ : ذريته ، أو إبراهيم وذريته ، أو كل والد ، وكل مولود ، وعن ابن

(*) أخرجه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنه .

عباس وعكرمة : الوالد العاقر ، وما ولد الذي يلد وإيثار ما على من لإزادة الوصف كما في " والله أعلم بما وضعت " (آل عمران: ٣٦) ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾: تعب ، يكابد مصائب الدنيا والآخرة^(١)، فعلى هذا يكون تسليته عليه السلام عما يكابده من قريش ، أو في استقامة واستواء^(٢) ، وعن مقاتل : في قوة ، قيل : نزلت في كافر قوى قد ذكرناه في سورة المدثر ﴿أَيَحْسَبُ﴾ الضمير لبعضهم ﴿أَنْ لَّنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾: فينتقم منه ، فإن الكفار لا يؤمنون بالقيامة والمجازاة ، وعلى ما فسره مقاتل ، فمعناه : لأنه مغرور بقوته ، يظن أن لن يقدر عليه أحد ، ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾: أنفقت مالا كثيرا ، يفتخر بما أنفقه رياء وسمعة ، أو معادة للنبي عليه السلام ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾^(٣): يظن أن الله لم يره ، ولا يسأله من أين كسبه وأين أنفقه ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ يصير هما ﴿وَلِسَانًا﴾^(٤) يعبر به عما في ضميره ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستعين هما على النطق والأكل ، وغيرهما ويكون جهالا ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾: طريقَي الخير والشر ، والثديين ، روى الحافظ ابن عساكر عن النبي عليه السلام: (يقول الله تعالى: يا ابن آدم إن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما ، وجعلت لهما غطاء ، فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك ، فإن رأيت ما حرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما ، وجعلت لك لسانا وجعلت له غلافا ، فانطق بما أحللت ، فإن عرض لك ما حرمت عليك فأغلق عليك لسانك ، وجعلت لك فرجا ،

(١) من أول خلقه إلى الجنة فتزول عنه المشقات ، وإما إلى النار فيضاعف شدائده ، ولكن لأجل مكابذته للشدائد يحسب أن له قوة ومنعة / ١٢ منه .

(٢) الكبد الاستواء ، وهو قول ابن مسعود ، وعكرمة ، ومجاهد ، والنخعي ، والضحلك ، وغيرهم ، ويروى عن ابن عباس أيضا / ١٢ منه .

(٣) ثم عدد عليه نعمه قبل أن تكون له قوة ، فقال : " ألم نجعل له " الآية / ١٢ .

(٤) ولم يتعرض للسمع ، لأنه لا يمكن الإفصاح عما في الضمير إلا بالسمع / ١٢ وحيز .

وجعلت له سترًا فأصب بفرجك ما أحللت لك ، فإن عرض لك ما حرمت عليك ، فأرخ عليك سترك يا ابن آدم إنك لا تحمل سخطي ، ولا تطيق انتقامي (*) ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ اقتحم: دخل وتجاوز بشدة، جعل الأعمال الصالحة عقبة، وعملها اقتحامًا لها، لما فيه من مجاهدة النفس ، أي : فلم يشكر تلك النعم بأعمال تلك الحسنات ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ أي : لم تدركه صعوبتها ، وثوابها ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ تفسير للعقبة ، أي : تخليصها من الرق ، وفي الحديث (من أعتق^(١) رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار) ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أي : ذي مجاعة، الناس محتاجون إلى الطعام ﴿يَتِيمًا﴾ مفعول طعام ، أو تقديره: أطعم يتيمًا ﴿ذَا مَقْرَبَةٍ﴾: ذا قرابة منه ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾: افتقار ، هو من لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب ، أو ذو عيال ، أو غريب فقير ، وقراءة "فك" و"أطعم" على الفعل فبدل من اقتحم ، ولما كان حاصل معنى " فلا اقتحم" ^(٢) العقبة " فلا فك" ^(٣) رقبة ، ولا أطعم يتيمًا أو مسكينًا، وقع لا موقعه فإنما قلما تدخل على الماضي إلا مكررة ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ عطف على اقتحم ، أي : ولا كان من ^(٤) المؤمنين ، وثم لتباعد رتبة الإيمان

(*) ذكره ابن كثير في "تفسيره" (٥١٢/٤).

(١) وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة -رضي الله عنه، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: (من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضواً من النار حتى الفرج بالفرج) / ١٢ فتح .

(٢) قحم في الأمر: رمى نفس فيه من غير روية / ١٢ .

(٣) لأن فك رقبة أو إطعام وفي تفسير للعقبة فمن لم يدخل العقبة التي هي هذا أو هذا فلا فك رقبة ولا أطعم يتيمًا / ١٢ منه .

(٤) إشارة إلى أن "لا" قلما تدخل على الماضي إلا مكررة نحو : " فلا صدق ولا صلى " (القيامة: ٣١)، والتكرار هنا بحسب المعنى، كأنه قال : فلا اقتحم العقبة ، ولا كان من

عن العتق والإطعام ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ أي : بعضهم بعضاً ﴿بِالصَّبْرِ﴾ على طاعة الله
﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ : بالرحمة على العباد ﴿أُولَئِكَ﴾ إشارة إلى الذين آمنوا في
قوله : " من الذين آمنوا " أو إلى ضد من ذمه فإنه في حكم المذكور ﴿أَصْحَابُ
الْيَمِينَةِ﴾ : اليمين ، أو اليمين ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ :
الشمال ، أو الشؤم ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ : مطبقة لا يدخل فيها روح ، ولا
يخرجون منها آخر الأبد.

= الذين آمنوا فقلوه : " ثم كان " قام مقام التكرير ، وجاء بثم لتباعد رتبة الإيمان عن
العتق والإطعام / ١٢ وحيز .

سورة الشمس مكية

وهي خمس عشرة آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝ (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَدَّهَا ۝ (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّهَا ۝ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝ (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَدَهَا ۝ (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَنَهَا ۝ (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝ (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝ (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝ (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ۝ (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ۝ (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝ (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ۝ (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝ (١٥) ﴾

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ^(١) ﴾ أي : ضوءها إذا أشرقت ، وعن قتادة هو النهار كله
﴿ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَدَّهَا ﴾ : تبع طلوعه طلوعها ، وهو أول الشهر ، أو غروبها ، يعني :

(١) أقسم سبحانه بهذه الأمور ، وله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته ، وقال قوم : إن القسم بهذه الأمور ونحوها مما تقدم وما سيأتي هو على حذف مضاف ، أي : ورب الشمس ، وهكذا سائرها ولا ملجئ إلى هذا ولا موجب له ، قال الرازي : المقصود من هذه السورة التوغيب في الطاعات ، والتحذير من المعاصي ، وقد أقسم تعالى بأنواع مخلوقاته ، المشتملة على المنافع العظيمة ليتأمل المكلف فيها ، ويشكر عليها لأن ما أقسم الله تعالى به يحصل منه وقع في القلب ، وأقسم الله في هذه السورة بسبعة أشياء ، إلى قوله : " قد أفح من زكاهها " ، فأقسم بالشمس وضحاها ، فإن أهل العالم كانوا كالأموات في الليل ، فلما ظهر أثر الصبح صارت

حين كونه بدرًا ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ الضمير للشمس ، فإنها تنجلي تامًّا إذا انبسط النهار ، أو للظلمة وإن كانت غير مذكورة للعلم بها ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أي : الشمس ، فإنها تغيب في الليل ، وتحقيق عامل مثل هذا الظرف قد مر في سورة التكوير عند قوله : " والليل إذا عسعس " (التكوير: ١٧) ، فلا تغتر بما يرى بادی الرأي ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ أي : ومن بناها ، والعدول إلى (ما) على الوصفية ، والبلوغ في الغاية للإهام فإن (ما) أشد إهامًا ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ : ومن بسطها ﴿وَوَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ : من سوى خلقها ، بتعديل الأعضاء ، والقوى ، ومنها المفكرة ، أو خلقها مستقيمة على الفطرة القويمة ، وفي صحيح مسلم : (إني خلقت عبادي حنفاء فجاءهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم) وتنكير نفس^(١) للتكثير نحو : " علمت نفس " ﴿فَالْهَمَّهَا﴾ : علمها ، وبين لها ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ وجاز أن يكون (الماءات) الثلاثة مصدرية ، كما قال الفراء والزجاج ، وقوله : " فألهمها " عطف على ما بعد ما كأنه قيل : ونفس وتسويتها فإلهمها فجورها ، والمهلة فيها عرفية ، ولا محذور ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ : من طهرها الله من الأخلاق الدنية ، وتأنيث الضمير لأن (من) في معنى النفس ، أو من طهر النفس ، وإسناد الضمير إليه لقيامه به ، والأول أرجح لما في الطبراني وغيره أنه عليه السلام إذا قرأ " فألهمها فجورها وتقواها " وقف ثم قال : (اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها*) ، وفي صحيح مسلم (إنه كان عليه السلام يدعوا بهذا الدعاء) وعن ابن عباس رضي الله

= الأموات أحياء ، وتكاملت الحياة وقت الضحوة ، وهذه الحالة تشبه أحوال القيامة ، ووقت الضحى يشبه استقرار أهل الجنة فيها ، انتهى ١٢ / فتح .

(١) كتمررة خير من جرادة / ١٢ .

(*) ذكره ابن كثير في " تفسيره " (٥١٩/٤) وفي مسنده ابن لهيعة وفيه كلام .

عنهما: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: "قد أفلح من زكاها" أفلحت^(١) نفس زكاها الله عز وجل ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾: دسها الله، ونقصها وعدلها عن الهدى، وأصله دسها كتقصي وتقضض^(٢)، وهو جواب القسم بحذف اللام للطول، أي: لقد أفلح، أو هو استطراد بذكر بعض أحوال النفس، تابع لقوله: "فألهمها"، والجواب محذوف، أي: لَيَدْمَدِمَنَّ الله على كفار مكة إن لم يؤمنوا كما دمدم على ثمود ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾^(٣) بسبب طغيانها ﴿إِذِ ابْتِغَتْ﴾ أي: كذبت حين قام ﴿أَشْقَاهَا﴾ أشقى ثمود، عن عمار^(٤) بن ياسر قال: قال عليه السلام لعلي: (ألا أحدثك بأشقى الناس، قال: بلى، قال: رجلان أحمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذا - يعني قرنه - حتى تبتل منه هذه - يعني لحيته-) ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾: صالح عليه السلام ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ نصب على التحذير، أي: احذروا عقرها ﴿وَسُقْيَاهَا﴾: وشرها في يومها، فإن لها شرب يوم، ولكم شرب يوم معلوم ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾: قتلوا الناقة ﴿فَدَمَدَمَ﴾: فأطبق العذاب ﴿عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾: بسببه ﴿فَسَوَّاهَا﴾: فسوى الدمدة بينهم، ولم يفلت منهم أحد، أو فسوى ثمود بالإهلاك ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ أي: ولا يخاف الله

(١) أخرجه أبو حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والديلمي / ١٢ فتح. [من طريق جوير عن الضحاك عن ابن عباس. وجوير هذا ابن سعيد متروك الحديث والضحاك لم يلق ابن عباس كما قال ابن كثير (٤/٥١٩)].

(٢) تقضض الطائر: هوى ليقع / ١٢ منه.

(٣) قال ابن عباس: اسم العذاب الذي جاءها الطغوى، فقال: كذبت ثمود بعذابها، أخرجه ابن جرير / ١٢ در منثور.

(٤) رواه ابن أبي حاتم عن عمار بن ياسر أخرجه أحمد، والحاكم، والبغوي، والطبراني / ١٢ فتح. [والهيثمي في "المجمع" (٩/١٣٦) وقال: رواه أحمد والطبراني والبخاري باختصار ورجال الجميع موثقون إلا أن التابعي لم يسمع من عمار].

عاقبة الدمدمة وتبعثها، كما يخاف الملوك فيبقى بعض الإبقاء ، أو لا يخاف ذلك
الأشقى عاقبة فعلته ، والواو للحال.
والحمد لله وحده .

سورة الليل مكية

وهي إحدى وعشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ ﴿٣﴾ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَىٰ ﴿٦﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٧﴾ فَسَنِيْسِرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٩﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿١٠﴾ فَسَنِيْسِرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١١﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴿١٢﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٤﴾ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٥﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٦﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٨﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿٢٠﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢١﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾: الخليفة بظلامه ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾: بان وظهر ﴿وَمَا خَلَقَ﴾ أي: ومن خلق، وقيل: مصدرية ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ أي: صنفيهما، أو آدم وحواء ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ﴾: مساعيكم ﴿لَشَتَّى﴾ (١) أي: أشتات مختلفة وأعمالكم متضادة، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ﴾: ماله لوجه الله ﴿وَاتَّقَى﴾: محارمه (*) ﴿وَصَدَّقَ﴾

(١) هذا هو المقسم عليه، ثم فصل السعي بقوله: "فأما من أعطى" الآية / ١٢ وجيز.

(*) أي: الذي حرمه الله على العباد.

بِالْحُسْنَى ﴿١﴾: بالمجازاة وأيقن أن الله سيخلفه ، أو بالكلمة الحسنى ، وهي كلمة التوحيد ، أو بالجنة ﴿فَسُنِّيْسِرُّهُ﴾ في الدنيا ﴿لِلْيَسْرَى﴾: للخلعة التي توصله إلى اليسر، والراحة في الآخرة ، يعني للأعمال الصالحة^(١) ، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾: بالإنفاق في الخيرات ، ﴿وَاسْتَعْنَى﴾: بالدنيا عن العقبى ، ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسُنِّيْسِرُّهُ﴾ ، في الدنيا ، ﴿لِلْعُسْرَى﴾: للخلعة المؤدية إلى الشدة في الآخرة ، وهي : الأعمال السيئة، ولهذا قالوا: من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها ، ﴿وَمَا يُعْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾: هلك ، أو سقط وتردى في جهنم ، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا﴾ ، أي: واجب علينا بمقتضى حكمتنا ، ﴿لِلْهُدَى﴾: للإرشاد إلى الحق ، أو طريقة الهدى علينا فمن سلكها وصل إلينا ، ﴿وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ ، فنعطي ما نشاء لمن نشاء ، ومن طلب عن غيرنا فقد أخطأ ، ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾: تلهب ، وفي الصحيح (إن أهون أهل النار عذاباً رجل يوضع في أحمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه) ﴿لَا يَصْلَاهَا﴾^(٢): لا يلزمها مقاسياً شدتها ، ﴿إِلَّا الْأَشْقَى﴾: الكافر ، ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾: بالحق ، ﴿وَتَوَلَّى﴾: عن الطاعة ، وفي الحديث: (لا يدخل النار إلا شقي ، قيل: ومن هو ؟ قال: الذي لا يعمل بطاعة ، ولا يترك لله معصية*)

(١) والعقيدة الصحيحة / ١٢ .

(٢) الصلى في اللغة أن يحفر حفير ، ويجمع فيه جمر كثير ثم يدس الشاة بين أطباقه، فأما ما يشوى على الجمر أو في التنور، فلا يقال: إنه فيه مصلى ، وقد ذكر ذلك الزمخشري أيضاً في سورة العاشية ، فلهذا قيل : الصلى أشد العذاب ، فعلى هذا قول : " لا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى " معناه ظاهر / ١٢ وحيز .

(*) ضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف الجامع" (٦٣٥٧).

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾^(١): الذي اتقى عن الشرك والمعصية فلا يدخلها^(٢) أصلاً، وأما من اتقى الشرك، وحده فيمكن أن يدخلها، لكن لا يصلّاها ولا يلزمها ، ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾: يعطي ماله ويصرفه في طاعة الله ، ﴿يَتَزَكَّى﴾: يطلب تزكية نفسه وماله، بدل، أو حال ، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾: فيقصد بإيتائه مجازاتها، ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ ، أي : لكن يؤتى لطلب مرضاة الله ، ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾: من ربه حين يدخله في رحمته ، وعن كثير من المفسرين : إن هذه السورة في الصديق رضي الله

(١) لكن من لم يتق إلا عن الشرك ، ويرتكب المعاصي ، فيمكن أن يدخلها من غير أن يصلّاها فإن تطهير المؤمنين بنار جهنم لا يكون إلا في الطبقة الأولى / ١٢ وجيز .

(٢) والأولى حمل الأشقى والأتقى على كل متصف بالصفتين المذكورتين، ويكون المعنى إنه لا يصلي صلياً تاماً لازماً إلا الكامل في الشقاء ، وهو الكافر ، ولا يجنبها ويبعد عنها تبعيّاً كاملاً، بحيث لا يحوم حولها فضلاً عن أن يدخلها إلا الكامل في التقوى ، فلا ينافي هذا دخول بعض العصاة من المسلمين النار دخولاً غير لازم ، ولا تبعيد بعض من لم يكن كامل التقوى عن النار تبعيّاً غير بالغ مبلغ تبعيد الكامل في التقوى عنها ، والحاصل أن من تمسك من المرجئة بقوله :: " لا يصلّاها إلا الأشقى " زاعماً أن الأشقى الكافر لأنه الذي كذب وتولى ، ولم يقع التكذيب من عصاة المسلمين ، فيقال ل فماذا تقوله: في قوله: "وسيجنبها الأتقى" ؟ فإنه يدل على أنه لا يجنب النار إلا الكامل في التقوى ، فمن لم يكن كاملاً فيها كعصاة المسلمين لم يكن ممن يجنب النار ، فإن أولت الأتقى بوجه من وجوه التأويل لزمك مثله في الأشقى ، فخذ إليك هذه مع تلك ، وكن كما قال الشاعر :

على أنني راض بأن أحمل الهوى وأخرج منه لا علي ولا ليا

١٢ فتح .

عنه وهو الأتقى ، وأمّية بن خلف هو الأشقى ، فيكون الحصر^(١) ادعائياً لا حقيقةً ، لأن
غير هذا الأشقى غير ضال وغير هذا الأتقى غير مجنب بالكلية.

والحمد لله على كل حال

(١) كأن الجنة خلقت لهذا ، أو النار خلقت لهذا / ١٢ .

سورة الضحى مكية

وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالضُّحَى ﴾ ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ٣
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ٥ أَلَمْ
يَجِدَكَ يَتِيمًا فَتَّوَّى ٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا
فَأَغْنَى ٨ فَاُمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ٩ وَأُمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١٠ وَأُمَّا
بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ١١

﴿وَالضُّحَى﴾: وقت الضحى ، وهو صدر النهار ، أو المراد النهار ، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا
سَجَى﴾: سكن ظلامه ، أو سكن أهله ، ﴿مَا وَدَّعَكَ^(١) رَبُّكَ﴾ ، جواب القسم ،
أي: ما تركك ترك المودع ، ﴿وَمَا قَلَى﴾: وما أبغضك ، وحذف المفعول للعلم به،
رعاية لفواصل الآي، اشتكى عليه السلام ، فلم يقم ليلة أو ليلتين فأنت امرأة قيل
امرأة أبي لهب، وقالت : يا محمد ما أرى شيطانك إلا تركك ، فتزلت، أو لما تأخر
الوحي خمسة عشر يومًا أو أقل أو أكثر، قال المشركون : إن محمدًا قد قلاه ربه ، لما
رد الله كلام المشركين ، ودفع عنه ما يسوءه، وعد له ما يسره فقال: ﴿وَلَلْآخِرَةُ
خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ ، في الحديث (إننا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا) ،

(١) أخرج البخاري ومسلم وغيرهما، عن جندب البجلي قال : اشتكى النبي صلى
الله عليه وسلم، فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا، فأنته امرأة فقالت : يا محمد ما أرى
شيطانك إلا قد تركك، لم يقربك ليلتين أو ثلاثًا، فأنزل الله " والضحى " / ١٢
فتح .

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ ، عن ابن عباس أعطاه^(١) في الجنة ألف قصر، في كل منها ما ينبغي له من الأزواج والخدم ، وعنه^(٢) من رضاه عليه السلام أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار ، وعن الحسن وغيره المراد الشفاعة ، واللام لام التأكيد عند ابن الحاجب لا لام الابتداء ، دخل على الخير بعد حذف مبتدأ ، ويكون تقديره: ولأنت سوف يعطيك ، ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ ، عدد عليه أياديه من أول نشئه، والمنصوبان مفعولا محذوران ، لأنه بمعنى العلم، أو الثاني حال ، وهو بمعنى المصادفة ، أي : فأواك ورباك وضمك إلى عمك ، وهو مع كفره رعاك وحماك ، ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ : جاهلاً ، ﴿فَهَدَى﴾ : فعلمك ، "ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً" الآية (الشورى: ٥٢) ، وقيل: ضل في شعاب مكة وهو صغير ، فهده ، وقيل: أضله إبليس في طريق الشام عن الطريق في ليلة ظلماء ، فجاء جبريل فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى أرض الحبشة ، وردّه إلى القافلة ، ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ : فقيراً ذا عيال ، ﴿فَأَغْنَى﴾^(٣) : فأغناك بمال خديجة ، ثم بالغنائم ، أو فأغناك عن سواه فجمع له بين مقامي الفقير الصابر والغني الشاكر ، ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ كما كنت يتيمًا فأواك الله ، كن لليتيم كالأب الرحيم ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ كما كنت جاهلاً فعلمك ، لا تزجر سائلاً مسترشداً طالب علم ، ولما هداك إلى ما هو روحك لا تزجر من يطلب منك قوت بدنه ، ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ، فاشكر مولاك الذي أغناك ، فإن من شكر النعم أن يحدث بها ، ومن كفرها أن

(١) رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس قال الشيخ عماد الدين بن كثير : هذا إسناد

صحيح إلى ابن عباس رضي الله عنه ، ومثل هذا لا يقال إلا عن توقيف ١٢/ منه .

(٢) رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس أيضاً ١٢/ فتح ..

(٣) ولما عدد عليه النعم الثلاث ، وصى بثلاث في مقابلتها ، فقال : " فأما اليتيم "

الآية ١٢/ وحيز .

يكتمه، "ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله" (١)، أو ما جاءك من النبوة فحدث بها وادع إليها ، أو من القرآن فاقراه أو بلغه، أو ما عملت من خير فحدث إخوانك ليتابعوك ، وجاز أن يكون نشرًا مشوشًا ، ويكون " أما بنعمة ربك فحدث " في مقابلة هدية الله له بعد الضلال ، والمراد من التحديث تعليم الشرائع والقرآن ، وكيفية العبادة والدعوة إلى الإيمان ، والسنة التكبير بلفظ الله (٢) أكبر ، أو بزيادة لا إله إلا الله والله أكبر ، من آخر والضحي ، أو من آخر الليل إلى آخر القرآن ، ونقل عن الشافعي : أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة ، فقال له : أحسنت وأصبت السنة.

(١) رواه عبد الله بن الإمام أحمد ، وهذا المعنى رواه أبو داود أيضًا/ ١٢ منه . [وصححه

الشيخ الألباني في "صحيح الجامع" (٦٥٤١)]

(٢) أخرج الحاكم ، وصححه وابن مردويه ، والبيهقي في شعب الإيمان ، من طريق أبي الحسين بن أبي بزة المقرئ قال : سمعت عكرمة بن سليمان يقول : قرأت على إسماعيل بن قسطنطين ، فلما بلغت " والضحي " قال : كبر عند خاتمة كل سورة حتى تحتّم ، فإني قرأت على عبد الله بن كثير ، فلما بلغت " والضحي " قال : كبر حتى تحتّم ، وأخبره عبد الله بن كثير : أنه قرأ على مجاهد ، فأمره بذلك ، وأخبره مجاهد أن ابن عباس رضي الله عنه أمره بذلك ، وأخبره ابن عباس أن أبي بن كعب أمره بذلك ، وأخبر أبي : أن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بذلك ، هذا ما في الدر المنثور ، وفي الفتح ، وأبو الحسن المقرئ المذكور ، هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي بزة المقرئ قال ابن كثير : هذه سنة تفرد بها أبو الحسن المقرئ ، وكان إمامًا في القراءات ، وأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي ، وقال : لا أحدث عنه ، وكذلك أبو جعفر العقيلي قال : هو منكر الحديث ، ثم اختلف القراء في موضع هذا التكبير ، فقال بعضهم : من آخر "والليل إذا يغشى" ، وقال آخرون : من آخر الفتح ، وذكروا في مناسبتة التكبير من أول الضحي ، أنه لما تأخر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتر تلك المدة ، ثم جاء الملك ، فأوحى إليه " والضحي " كبر فرحًا وسرورًا ولم يرووا ذلك بإسناد ، يحكم عليه بصحة ولا ضعف / ١٢ .

سورة الانشراح مكية

وهي ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ① وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ② الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ③ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑥ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ⑦ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ⑧ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ ① ، أي : فسحناه ونورناه ووسعناه بالنبوة والحكمة ، أو إشارة إلى شق صدره في صباه ، وإخراج الغل والحسد وإدخال الرأفة والرحمة ، والحكاية مشهورة ، والهمزة لإنكار نفي الانشراح مبالغة ② في إثباته ، ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ ③ : غفرنا لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، أو الخطأ والسهو ، ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ ④ : أثقل ، ﴿ظَهْرَكَ﴾ ⑤ ، كأن الذنوب حمل يثقل الظهر ، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ⑥ ، "في الدنيا والآخرة، إذا ذُكِرَتْ ذُكِرْتَ مَعِيَ" ⑦ ، ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ⑧ ، كضيق الصدر ، والوزر ، ﴿يُسْرًا﴾ ⑨ ، كالشرح ، والوضع ، والتنكير للتعظيم ، ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ⑩ ، جاز أن يكون هذا تأكيداً ، أو جاز أن يكون تأسيساً مستأنفاً

(١) قيل: زيادة لك في الموضعين ، وزيادة عنك في موضع، على طريقة الإيضاح بعد الإجماع، كأنه قيل: ألم نشرح لك ، ففهم أن ثمة مشروحاً ، ثم قيل: صدرك، فأوضح ما علم مبهماً / ١٢ منه .

(٢) كأنه قال شرحنا لك صدرك ، ولذلك ترى عطف وضعنا عليه نحو : " ألم نريك فينا وليداً ولبثت فينا " (الشعراء: ١٨) / ١٢ وحيز .

(٣) رواه أبو يعلى، وابن جرير ، وابن أبي حاتم / ١٢ منه .

، وهو راجح لفضل التأسيس عليه ، وكلام الله محمول على أبلغ الاحتمالين، كيف لا والمقام مقام التسليية ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لن يغلب عسر يسرين" ، وذلك لأن المعرف المعاد عين الأول ، والنكرة المعادة غيره وذكر أن "مع" للمبالغة في اتصال اليسر به اتصال المتقاربين ، ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾: من أمور دنيائك ، أو من التبليغ ، أو من الجهاد ، ﴿فَإِنْصَبْ﴾: فاتعب في العبادة ، أو من صلاتك واتعب في الدعاء ، فإن الدعاء بعد الصلاة مستجابة ، ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾: وحده ، ﴿فَارْغَبْ﴾: بالسؤال، أو اجعل نيتك في العبادة خالصة.

والحمد لله .

سورة التين مكية

وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ
سَفَلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ
مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالذِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ
الْحَكِيمِينَ ﴿٨﴾﴾

﴿وَالَّتَيْنِ﴾: هو المعروف، خص من بين الفواكه لأنه يشبه فواكه الجنة من حيث إنه
بلا عجم^(١) ، ﴿وَالزَّيْتُونِ﴾ ، خصه، لأنه شجرة مباركة نور وفاكهة وإدام ،
والأول: اسم مسجد دمشق ، أو الجبل الذي عندها ، والثاني: مسجد بيت المقدس ،
﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾: الجبل الذي كلم الله عليه موسى، قيل معنى سينين : المبارك
بالسريانية ، وقد مر شرحه في " وشجرة تخرج من طور سيناء " الآية (المؤمنون: ٢٠)،
﴿وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾: أماته أن يحفظ من دخله، كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ،
فهو من آمن، أو المأمون من الغوائل ، فهو من أمنه ، والمراد: مكة ، وعن كثير من
العلماء أقسم بمحال ثلاثة، بعث الله في كل واحد نبيا من أولي العزم ، فالأول : كناية
عن بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى ، والثاني : طور سيناء الذي كلم الله عليه
موسى ، والثالث : البلد الحرام الذي أرسل فيه نبينا محمد -عليه وعليهم الصلاة

(١) ولا جلد / ١٢ وجزير .

والسلام ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: تعديل لشكله ، وتسوية لأعضائه ، وتزوين بعقله ، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ، إلى النار في شر صورة ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ، استثناء متصل ، وهو كقوله : " والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا " (العصر: ١-٣) ، لفظاً ومعنى^(١) ، وعن ابن عباس ، وبعض آخر: المراد من أسفل سافلين أرذل العمر ، فيكون الاستثناء^(٢) منقطعاً ، أي : لكن المؤمنين العاملين ، ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾: غير منقطع على طاعتهم ، ويكتب لهم مثل ما كانوا يعملون في الشباب ، وإن لم يعملوا في الهرم ، ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ﴾: فأى شيء يحملك يا إنسان على هذا الكذب ، ويجعلك كاذباً بعد هذه الأقسام الأكيدة ، أو الدليل الذي هو خلق البداة في صورة حسنة ، ومن قدر على هذا قدر على الإعادة ، ﴿بِالدِّينِ﴾: بسبب الجزاء وإنكاره ، يعني: أي شيء يضطرك إلى أن تكون كاذباً بسبب تكذيب الجزاء؟ فلاستفهام للتوبيخ ، أو معناه ، أي شيء يكذبك يا محمد بعد ظهور هذه الدلائل بالجزاء والبعث؟ فلاستفهام لإنكار شيء يكذبه دلالة ونطقاً ، ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ﴾: عدلاً وتديراً لا ظلم ولا عجز له بوجه ، فلا محال ويقدر على البعث والجزاء ، ولا بد منهما ، والسنة إذا قرأ " أليس الله بأحكم الحاكمين " أن يقال: بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين^(٣).

(١) هذا التوجيه يصح على أن يفسر "أسفل سافلين" بالنار ، والثاني: خاص بأن يفسر بأرذل العمر فتأمل / ١٢ منه .

(٢) وعلى هذا معناه: رددنا عاجزين ناقصين في أمور الدنيا والدين ، إلا من آمن وأطاع في شبابه ، فإنه غير ناقص في أمور الدين ، يكتب له مثل ما كان يعمل / ١٢ وجيز .

(٣) وعن أبي هريرة مرفوعاً: من قرأ والتين والزيتون ، فقرأ "أليس الله بأحكم الحاكمين" ، فليقل: بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين ، أخرجه الترمذي ، وابن مردويه / ١٢ فتح .

سورة العلق مكية

وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى ۝٦ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْرُجْعَى ۝٨ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّى ۝١٠ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۝١٢ أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تَطِيعُہُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۝١٩﴾

﴿اقْرَأْ﴾ أي: القرآن ﴿بِاسْمِ﴾ أي: مفتتحًا باسم ﴿رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ أي: الخلاق ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾: الذي هو أشرف المخلوقات ﴿مِنْ عَلَقٍ﴾: جمع علقه، جمعه لأن الإنسان في معنى الجمع ﴿اقْرَأْ﴾ تكرير للمبالغة ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾: الزائد في الكرم على كل كريم بنعم على العباد، ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم، وتناهي جحودهم ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾ أي: الخط الذي هو من جلائل النعم ^(١) ﴿بِالْقَلَمِ

(١) ولولاه لما دونت العلوم والكتب السماوية ، وما استقامت أمور الدنيا والدين/ ١٢ وجزئ .

عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿١﴾ أى : ما لا يقدر على تعلمه لولا (١) تعليم الله ، وقد
صح أن هذه السورة إلى هذه الآية ، أول آيات نزلت (٢) في جبل حراء ﴿كَلَّا﴾ ردع
لمن كفر بنعمه بسبب طغيانه ، وإن لم يذكر لدلالة الكلام عليه ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ
لَيْطَغَى﴾ : ليتجاوز عن حده ﴿أَنْ رَّاهُ﴾ : رأى نفسه ، لولا أن الرؤية بمعنى العلم ،
لا تمتنع أن يكون مرجع المفعول مرجع ضمير الفاعل ﴿اسْتَغْنَى﴾ أي : رأى نفسه غنياً
ذا مال ، وهو ثاني مفعولي رأى ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يا إنسان ، التفات للتهديد
﴿الرُّجْعَى﴾ : الرجوع فيجازى طغيانك ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى﴾ أي : أبا جهل
﴿عَبْدًا﴾ : هو أشرف العباد صلى الله عليه وسلم ﴿إِذَا صَلَّى﴾ قال عليه اللعنة (٣) :
لئن رأيته ساجداً لأطأن على عنقه ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ
أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ أخبرني ، يا من له أدنى تمييز عن
حال من ينهى (٤) عبداً من العباد إذا صلى ، إن كان على طريقة سديدة في هنيهة عن
عبادة الله ، أو كان آمراً بالتقوى ، فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يزعم ، ألم يعلم
بأن الله يرى حاله ، فيجازهه؟ أخبرني عن هذا الذي ينهى المصلى إن كان على

(١) مثل ما لا يتعلق به علم تصوري ولا تصديقي ، كالجھول المطلق/ ٢ وجيز .

(٢) في الصحيحين وغيرهما ، وهو قول أكثر المفسرين ، كما قاله البغوي ، لا كما قاله

الزمخشري / ١٢ منه .

(٣) ذكر معنى هذا الحديث في الفتح ، وقال : أخرجه أحمد ومسلم ، والنسائي

والبيهقي / ١٢ .

(٤) حاصله أنه من قبيل كلام المنصف ، وإرخاء العنان لغاية التبيكيت ، ولهذا ما ذكر

تعظيم نبيه ، وقال : عبداً " والخطاب بقوله : "أرأيت" لكل من يصلح أن يكون مخاطباً

على الوجه الأول/ ١٢ منه .

التكذيب للحق ، والتولى عن الدين الصحيح كما نقول نحن ، ألم يعلم بأن الله يرى فيحازيه ، فعلى هذا "أرأيت" الثاني تكرر للأول للتأكيد ، وأما الثالث فمستقل للتقابل بين الشرطين ، وحذف جواب الأول لدلالة "ألم يعلم" الذي هو جواب الثالث عليه عند من يجوز أن يكون الإنشاء جواباً للشرط بلا فاء ، وعند من لم يجوز يكون جواب الأول والثالث محذوفاً بقرينة "ألم يعلم" ، أو "أرأيت" الأولى فأختارها متوجهات إلى "ألم يعلم" ، وهو مقدر عند الأولين^(١) ، والحذف للاختصار ، أو معناه ما أعجب من ينهى عبداً عن الصلاة ، إن كان المنهي على الهدى أمراً بالتقوى ، والناهي مكذب متولي ، أو معناه أخبرني إن كان الكافر على الهدى ، أو أمراً بالتقوى ، أما كان خيراً له؟ أو معناه أخبرني يا كافر إن كان المنهي على الهدى في فعله ، أو أمراً بالتقوى في قوله ، فما ظنك وأنت تزجره ، وعلى هذين الوجهين جواب الشرط^(٢) الثاني فقط قوله : "ألم يعلم" ، «كَلَّا» ، ردع للناهي ، «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ» ، عما هو فيه ، «لَنَسْفَعًا» : لنأخذن ، وكتابتها في المصحف بالألف على حكم الوقف ، «بِالنَّاصِيَةِ» : بناصيته ، فلنجرنه إلى النار ، «نَّاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ» ، بدل من الناصية أسند الكذب والخطأ إليها ، وهما لصاحبها مجاز المبالغة ، «فَلْيَدْعُ

(١) أي : أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى ، ألم يعلم بأن الله يرى ، أرأيت إذا كان على الهدى ، أو أمر بالتقوى ، ألم يعلم بأن الله يرى ، وهذا كما تقول : أخبرني عن زيد إن وفدت عليه ، أخبرني عنه إن استجرت ، أخبرني عنه إن توسلت إليه ، أما يوجب حقي ١٢/٩ منه .

(٢) أي : "إن كذب وتولى" ، وجواب الشرط الأول أي : "إن كان على الهدى" محذوف فتأمل ١٢/ منه .

نَادِيَهُ ﴿: أَهْل نَادِيهِ ، يَعْنِي: قَوْمَهُ وَعَشِيرَتَهُ فَلْيَسْتَعْنِ^(١) هُمْ ، ﴿سَنَدُّعُ الزَّبَانِيَةِ﴾: ملائكة العذاب ليَجْروهُ إِلَى النَّارِ ، قَالَ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ : وَاللَّاتِ وَالْعِزَّى^(٢) ، لَئِنْ رَأَيْتَهُ يَصْلِي لِأَطْأَنَ عَلَى رَقَبَتِهِ ، فَلَمَّا رَأَاهُ جَاءَهُ فَإِذَا نَكَصَ عَلَى عَقْبِيهِ وَيَتَّقِي بِيَدِيهِ ، فَقِيلَ لَهُ : مَا لَكَ؟ قَالَ : إِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ خَنْدَقًا مِنْ نَارٍ ، وَهَوَلًا وَأَجْنَحَةً ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : " لَوْ دَنَا مِنِّي لَخَتَطَفْتَهُ الْمَلَائِكَةُ عَضْوًا عَضْوًا " ، ﴿كَلَّا﴾ ، أَي : لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا عَلَيْهِ أَبُو جَهْلٍ ، ﴿لَا تُطْعَمُ﴾: يَا مُحَمَّدُ وَدَمٌ عَلَى طَاعَتِكَ ، ﴿وَأَسْجُدْ وَأَقْتَرِبْ﴾: وَدَمٌ عَلَى السَّجُودِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ حَيْثُ شِئْتَ ، وَلَا تَبَالَهُ.

والحمد لله

(١) لما قَالَ عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ: لِأَطْأَنَ رَقَبَتَهُ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ تَوَعَّدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا سَمِعَ تَوَعَّدَهُ ، قَالَ : أَيَتَوَعَّدُنِي مُحَمَّدٌ ؟ وَاللَّهِ مَا بِالْوَادِيِ أَعْظَمُ نَادِيًا مِنِّي ، فَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى مَفَاخِرَتِهِ / ١٢ وَجِيز .

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ، وَمُسْلِمٌ ، وَالنَّسَائِيُّ ، وَابْنُ جَرِيرٍ ، وَابْنُ الْمُنْذَرِ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ ، وَأَبُو نَعِيمٍ وَابْنُ أَبِي هَاشِمٍ / ١٢ فِي مَثْنٍ .

سورة القدر مكية

وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ
مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ^(١)﴾ ، أي : القرآن ، ﴿فِي لَيْلَةِ^(٢) الْقَدْرِ﴾ : لعظمة شأنها ، ﴿وَمَا
أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ، أي : من ألف^(٣) شهر
ليس فيها تلك الليلة ، والعمل في تلك الليلة أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة
القدر ، ولذلك ثبت في الصحيحين (من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم
من ذنبه) نزلت ، حين ذكر عليه السلام "رجلاً من بني إسرائيل لبس السلاح في سبيل
الله ألف شهر، فعجب الصحابة من ذلك" فأعطوا ليلة خيراً من مدة ذلك الغازي ،
والأصح أنها من خصائص هذه الأمة ، وأنها في رمضان ، وأنها في العشر الأواخر ،

(١) ذكر الواحدي : أنها أول سورة نزلت بالمدينة / ١٢ وجيز .

(٢) أخرج ابن الضريس وابن جرير ، وابن المنذر وابن أبي حاتم وصححه ، وابن مردويه
والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس في قوله : " إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ " ، قال : أنزل
القرآن في ليلة القدر جملة واحدة عن الذكر ، الذي عند رب العزة حتى وضع في بيت
العزة في السماء الدنيا ، ثم جعل جبريل يترل على محمد بجواب كلام العباد وأعمالهم /
١٢ در منشور .

(٣) وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر / ١٢ فتح .

وأما في أوتارها ، وأما تختلف في السنين جميعاً بين الأحاديث ، ولا خلاف بين السلف في أنها باقية^(١) إلى يوم القيامة ، سميت بها لأنها ليلة تقدير الأمور والأحكام إلى السنة المقبلة ، أو لمزلتها وقدرها عند الله ، «تَنْزَلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ» : جبريل ، أو ضرب من الملائكة ، «فِيهَا يَأْذَنُ رَبِّهِمْ» ، مع نزول البركة ، والرحمة ، قال عليه السلام : (الملائكة في الأرض في تلك الليلة أكثر من عدد الحصى) ، وعن كعب الأحبار : (لا يبقى بقعة إلا وعليها ملك يدعو للمؤمنين ، والمؤمنات ، سوى كنيسة ، أو بيت نار ، أو وثن ، أو موضع فيه النجاسات ، أو السكران ، أو الجرس ، وجبريل لا يدع أحداً إلا صافحه فمن اقشعر جلده ورق قلبه ، ودمعت عيناه فمن أثر مصافحته ، «مَنْ كُلَّ أَمْرٍ» ، أي : تنزل من أجل كل أمر قُدر في تلك السنة ، «سَلَامٌ هِيَ» ، ليس هي إلا سلامة لا يقدر فيها شر وبلاء ، أو لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءاً ، أو ما هي إلا سلام لكثرة سلام الملائكة على أهل المساجد ، وعن مجاهد : سلام هي من كل أمر وخطر ، «حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ» ، غاية تبين تعميم السلامة ، أو السلام كل الليلة ، أي : وقت طلوعه ، والمطلع بالكسر أيضاً مصدر كالمرجع ، أو اسم زمان كالشرق على خلاف القياس ، ويستحب أن يكثر فيها من قول اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني .

والحمد لله .

(١) لا كما زعم بعض طوائف الشيعة من رفعها على ما فهموه ، من الحديث الذي فيه : "فرغت" ، والمراد منه رفع علم وقتها بعينها ، لأنه قال : "فالتمسوها في التاسعة ، والخامسة ، والسابعة" / ١٢ منه .

سورة البينة مختلف فيها

وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ
الْبَيِّنَةُ ۝ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتِبَ الْقِيَمَةُ ۝ وَمَا
تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۝ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا
لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ
دِينُ الْقِيَمَةِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ
خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ
خَشِيَ رَبَّهُ ۝﴾

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: اليهود والنصارى ، «وَالْمُشْرِكِينَ»:
عبدة الأوثان ، «مُنْفَكِينَ»^(١): عن كفرهم ، «حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ» ، أي : الرسول

(١) قال أبو سعود (ابن مسعود): منفكين عما كانوا عليه من الوعد باتباع الحق والإيمان

بالرسول المبعوث في آخر الزمان، والعزم على إنجازه ، وهذا الوعد من أهل الكتاب -

مما لا ريب فيه، وأما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم، بعدما شاء ذلك من =

أتاهم بالقرآن ، فبين ضلالتهم فدعاهم إلى الإيمان ، فأمن بعضهم ، ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ ، بدل من البينة ، ﴿يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ ، أي : ما في الصحف المطهرة ، فإنه مكتوب في الملأ الأعلى في الصحف كما مر في سورة عبس ، ﴿فِيهَا﴾ : في الصحف المطهرة ، ﴿كُتِبَ قِيمَةٌ﴾ : مكتوبات ، مستقيمة ، لا خطأ فيها ، ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُورُثُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ﴾ ، أي : تفرقهم واختلافهم ، بعدما أقام الله عليهم الحجج ، فأنهم اختلفوا فيما أَرَادَهُ اللهُ مِنْ كِتَابِهِمْ ، قال تعالى : " لا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات " (آل عمران: ١٠٥) ، وفي الحديث : (اختلف اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة ، هي ما أنا عليه وأصحابي) ، أو معناه : لم يزل أهل الكتاب مجتمعين في تصديق محمد عليه السلام حتى بعث الله ، فلما بعث تفرقوا فأمن بعض ، وكفر أكثرهم ، ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ ، أي : بما في الكتابين ، ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ، أي : إلا لأجل عبادة الله على هذه الصفة نحو " وما أرسلنا

= أهل الكتاب - واعتقدوا صحته ، بما شاهدوا من نصرته على أسلافهم ، وفيه إشارة إلى كمال وكادة وعدهم . انتهى ملخصاً ، قال الواحدي : ومعنى الآية إخبار الله تعالى عن الكفار أنهم لم ينتهوا عن كفرهم ، وشركهم بالله حتى أتاهم محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم ، فبين لهم ضلالتهم ، وجهالتهم ، ودعاهم إلى الإيمان ، وهذا بيان عن النعمة ، والإنقاذ به عن الجهل والضلالة ، والآية فيمن آمن من الفريقين ، قال : وهذه الآية من أصعب ما في القرآن نظماً وتفسيراً ، وقد تخط فيها الكبار من العلماء ، وسلكوا في تفسيرها طرقاً لا تفضي بهم إلى الصواب ، والوجه ما أخبرتك ، فاحمد الله إذ أتاك بياها من غير لبس ، ولا إشكال ، قال : ويدل على كون البينة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه فسرها وأبدل بقوله الآتي : " رسول من الله يتلوا صحفاً مطهرة " ، يعني ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها ، وهو القرآن ، ويدل على ذلك ، أنه كان يتلو عن ظهر قلبه لا عن كتاب ، انتهى كلامه / ١٢ فتح .

من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون" (الأنبياء: ٢٥)،
﴿حُنَفَاءَ﴾: مائلين عن كل دين باطل ، ﴿وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ ، عطف على يعبدوا ،
﴿وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ ، لكنهم حرفوه ، ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾: أي دين الملة والشرعية
المستقيمة ، وقيل: هي جمع القيم ، أي : دين الأمة القائمة لله ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ، أي : يوم القيامة ،
﴿أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾: الخليقة ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ
هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ ، استدل أبو هريرة ، وطائفة من العلماء على تفضيل أولياء الله من
المؤمنين على الملائكة هذه الآية ، ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ، فيه مبالغات لا يخفى ^(١) على التأمل ، ﴿رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ ، استئناف ، بما حصل لهم زيادة على جزائهم ، ﴿وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ﴾ ،
أي : هذا الجزاء ، ﴿لَمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ ، فاتقاه حق تقواه ، وإنما يخشى الله من عباده
العلماء .

(١) تقديم المدح ، وذكر الجزاء المؤذن بأن ما منحه في مقابلة ما وصفوا به ، والحكم عليه
بأنه من عند ربهم ، وجمع جنات ، وتقييدها إضافة ووصفاً بما يزداد لها نعيماً ، وتأكيده
الخلود بالتأييد/١٢ منه .

سورة الزلزال مكية

وقيل مدينة وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ
الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝
يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا
يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝﴾

﴿إِذَا﴾^(١) زُلْزِلَتْ: حركت ، «الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا» ، المقدر لها عند النفخة ،
«وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» : من الأموات ، والكنوز ، وألقاها من جوفها على
ظهرها ، «وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا» ، تعجباً من تلك الحالة ، «يَوْمَئِذٍ» ، بدل من
إذا ، و ناصبها تحدث ، أو عامل إذا مضمّر نحو: اذكر ، وعامل يومئذ تحدث ،
«تُحَدِّثُ» : الأرض الخلق بلسان القال^(٢) ، «أَخْبَارَهَا» ، وفي الترمذي^(٣) ،

(١) عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قرأ إذا زلزلت
الأرض، عدلت له بنصف القرآن ، ومن قرأ قل هو الله أحد، عدلت بثلاث القرآن ،
ومن قرأ قل يا أيها الكافرون، عدلت له بربع القرآن) أخرجه الترمذي ، وابن مردويه/
١٢. [وحسن الشيخ الألباني الحديث دون فضل {إذا زلزلت} في "صحيح الترمذي"

[٢٣١٧]

(٢) صرح بذلك عظماء الصحابة / ١٢ وجيز .

(٣) وقال الترمذي : حديث حسن صحيح / ١٢ منه . [وضعه الشيخ الألباني في "ضعيف

الترمذي"]

والنسائي "قرأ عليه السلام هذه الآية قال : إن أخبرها أن تشهد على كل عبد وأمة بما علم على ظهرها ، أن تقول : عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا" ، ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ ، أي : تحدث بسبب إحياء الرب ، وأمره بالتحديث ، ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ : يرجعون عن موقف^(١) الحساب ، ﴿أَشْتَاتًا﴾ : متفرقين أصنافاً ، وأنواعاً ما بين شقي وسعيد ، ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ، أي : جزائها ، ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ : وزن نملة صغيرة ، أو ما يرى في الشمس من الهباء ، ﴿خَيْرًا يَرَهُ﴾ : مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا^(٢) يَرَهُ ، عن ابن مسعود رضي الله عنه : هذه أحكم آية في كتاب الله ، وكان عليه السلام يسميها "الفاذة الجامعة"^(*) ، وفي إحباط بعض أعمال الخير ، والعفو عن بعض أعمال الشر ، إشكال ، اللهم إلا أن يقال : الآية مشروطة بعدم الإحباط ، والعفو ، وما ذكره النسائي ، وابن ماجه إنه لما نزلت قال أبو بكر : إني أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر ، فقال عليه السلام : "ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ، ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة" ، فلا يخلو عن إشكال لأن قوله : " فمن يعمل " مترتب على قوله : " يومئذ يصدر " ، فالظاهر

-
- (١) كذا فسرہ السلف ، وقيل : يصدر عن مخارجهم من القبور إلى الموقف / ١٢ منه .
(٢) وإن لم يجز به ، ويعفى عنه . قال تعالى : " مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها " (الكهف : ٤٩) ، وعلى هذا لا إشكال في الآية ، وكان صلى الله عليه وسلم يسميها : الفاذة الجامعة ، وعن ابن مسعود : هذا أحكم آية في كتاب الله ، ولو جعلت معنى ليروا أعمالهم جزاء أعمالهم ، فالآية تامة المعنى أيضاً ، فإن عمل الخير المحبوظ والشر المعفو يرى جزاءهما ، فإن عمل الشر الذي به حبط عمل خيره ، لو لم يكن له عمل الخير لكان ذاك الشر أكثر ، وإن عمل الخير الذي بسببه عفي عن عمل شره ، لو لم يكن له عمل الشر لكان ذاك الخير أكثر نفعاً ، فصدق أنه رأى جزائهما هذا هو تحقيق الكلام ، والبحث ، والمناقشة جهل / ١٢ وحيز .

(*) ذكره ابن كثير في "تفسيره" (٤/٥٤٠) وعزاه لابن جرير .

أن رؤية جزاء الأعمال في الآخرة لا في الدنيا، اللهم إلا أن يقال: قد تم الكلام عند قوله: "ليروا أعمالهم"، وقوله: "فمن يعمل" ابتداء كلام وحكم على حياله، وعن سعيد^(١) بن جبير: كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، وكان آخرون يرون أن لا يلامون على الذنب اليسير الكذبة، والنظرة، والغيبة وأشباهها، فرغبهم الله في القليل من الخير، وحذرهم عن القليل من الشر، فترلت: "فمن يعمل مثقال ذرة" إلخ.

والحمد لله .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم / ١٢ در منثور .

سورة العاديات مختلف فيها

وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ ① ﴿فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا﴾ ② ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾ ③
﴿فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا﴾ ④ ﴿فَوْسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ ⑤ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥
وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧ * أَفَلَا يَعْلَمُ
إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ⑨ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ
لَّخَبِيرٌ ⑪

﴿وَالْعَادِيَاتِ﴾^(١) ، أقسم بالخيول التي تعدو في سبيل الله ، ﴿ضَبْحًا﴾ : تضح
ضبحًا ، أو ضابحات ، وهو صوت نفسه عند العدو ، ﴿فَالْمُورِيَاتِ﴾ : الخيول ، التي
توري النار بجوافرها ، ﴿قَدْحًا﴾ : صاكات بجوافرها الحجارة ، ﴿فَالْمُغِيرَاتِ﴾ : تغير
على العدو ، ﴿صُبْحًا﴾ : في وقته ، ﴿فَأَثَرُنَ بِهِ﴾ : هيجن ، ﴿نَقْعًا﴾ : غبارًا ،
﴿فَوْسَطْنَ﴾ : توسطن ، ﴿بِهِ﴾ : بذلك الوقت ، ﴿جَمْعًا﴾ : من الأعداء ، وعن
علي^(٢) رضي الله عنه : المراد الإبل حين تعدو من عرفة إلى مزدلفة ، ثم جماعة توقدون

(١) عن ابن عباس قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فأبطأ خبرها ، فشق ذلك عليه فأخبره الله خبرهم ، وما كان من أمرهم فقال : " والعاديات ضبحًا " ، الحديث أخرجه بن مردويه ، وكذا أخرج البزار وابن المنذر وابن أبي حاتم ، والدارقطني / ١٢ در منشور .

(٢) نقله في الدر المنثور ، وعزاه إلى ابن جرير وابن الأنباري ، الحاكم ، وقال : صححه /

النار في مزدلفة ، ثم المسرعات منها إلى منى فإنها في الصباح ، ويكون الإغارة سرعة السير ، ثم إثارة النقع في الطريق ، ثم التوسط متلبسات بالنقع في الجمع ، وهو اسم مزدلفة ، وعلى هذا الضبح الذي هو للفرس مستعار للإبل ، «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ» ، أي: لنعم ربه ، «لَكِنُودٌ» : لكفور ، «وَإِنَّهُ» : الإنسان ، «عَلَى ذَلِكَ» : على كنوده ، «لَشَهِيدٌ» : يشهد على نفسه بلسان^(١) حاله ، أو وعيد من الله ، أي : إن الله على كنوده لشهيد ، «وَإِنَّهُ» : الإنسان ، «لِحُبِّ الْخَيْرِ» : لأجل حب المال ، «لَشَدِيدٌ»^(٢) : بخيل ، أو لقوي مبالغ ، «أَفَلَا يَعْلَمُ» : الله ، «إِذَا بُعْثِرَ» : بعث ، ظرف "يعلم" ، «مَا فِي الْقُبُورِ» : من الموتى ، «وَحُصِّلَ» ، أي : أظهر محصلاً ، «مَا فِي الصُّدُورِ» ، من الخير والشر ، أجرى العلم مجرى اللازم ، أي : ليس له العلم الكامل بما عليه الأمر في ذلك اليوم؟ ثم يؤكد ذلك بقوله : «إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ» : هو يوم القيامة ، «لَخَبِيرٌ» . لعالم فيجازيهم .

والحمد لله .

(١) بلسان حاله ، لا يمكن جحدوده لظهور أمره / ١٢ وجيز .

(٢) ولما عد عليه قبائح أفعاله خوفه ، فقال : "أفلا يعلم إذا بعثر" / ١٢ كبير .

سورة القارعة مكية

وهي إحدى عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْقَارِعَةُ ﴾ ﴿ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ ﴿ يَوْمَ يَكُونُ
النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴾ ﴿
فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ ﴾ ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ ﴾ ﴿ نَارٍ حَامِيَةٍ ﴾ ﴿
﴿ الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ ﴾ ، مبتدأ وخبر ، أي : القارعة ما هي ؟ كما مر في سورة
الحاقة ، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ يَوْمَ ﴾ ، ظرف لما دل عليه القارعة ، أي : تقرر
يوم ، ﴿ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴾ : في الذلة ، والاضطرار ، والتطايير إلى
الداعي ، كتطايير الفراش إلى النار ، ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ : كالصوف ،
﴿ الْمَنْفُوشِ ﴾ : المندوف ، في خفة سيرها وتطاييرها ، ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾ :
بترجيح قدر الحسنات ، ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ : عيش ، ﴿ رَاضِيَةٍ ﴾ : ذات رضى ،
﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴾ : بأن ترجحت سيئاته ، ﴿ فَأُمُّهُ ﴾ : مأواه ، أو أم رأسه ،
فإنه يطرح فيها منكوسًا ، ﴿ هَاوِيَةٌ ﴾ ، من أسماء جهنم ، ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ ﴾ ،
الضمير للهاوية ، والهاء للسكت ، ﴿ نَارٍ حَامِيَةٍ ﴾ : ذات حرارة شديدة فضلت على
نار الدنيا بتسعة وستين جزء .

اللهم أجربنا منها .

سورة التكاثر مكية

وهي ثمان آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلْهَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ ١ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ٢ ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٣
ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤ ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ ٥ لَتَرَوُنَّ
الْجَحِيمَ ٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ
النَّعِيمِ ٨﴾

﴿أَلْهَاكُمْ﴾: شغلكم ، ﴿التَّكَاثُرُ﴾: المباهاة بكثرة الأموال والأولاد عن طلب
الآخرة ، ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ أي: تمادى بكم إلى أن متم ، وقبرتم ، وفي الحديث:
(حتى زرتم^(١) المقابر: حتى يأتيكم الموت) ، وفي الترمذي عن علي رضي الله عنه "مازلنا
نشك في عذاب القبر حتى نزلت" ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر^(*) وعن عمر بن
عبد العزيز حين قرأ ذلك قال : ما أدري المقابر إلا زيارة ، وما للزائر إلا أن يرجع إلى
مترله إلى جنة أو نار^(**) ، وعن بعض معناه: تكاثرت بالأحياء ، حين قلت: نحن أكثر
عدداً وخدماء وعشيرة ، حتى إذا استوعبتم عددهم ، صرتم إلى المقابر فتكاثرت بالأموات ،
بأن قلت: هؤلاء قبور خدمنا ، وعشائرننا ، وأقاربنا ، ﴿كَلَّا﴾ ، ردع عن الاشتغال بما
يضره عما ينفعه ، ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ، خطأ ما أنتم عليه ، ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ

(١) ذكره ابن أبي حاتم / ١٢ منه .

(*) ضعفه الشيخ الألباني في "ضعيف الترمذي".

(**) أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (١٩٤٥٥).

تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ ، تكرير للتأكيد ، و ثم للدلالة على أن التالي ^(١) أبلغ ، ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ ، ما سترجعون إليه ، ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ : علماً يقيناً ، من غير تذبذب ، لما ألهاكم شيء عن طلب الآخرة ، فجواب "لو" محذوف ^(٢) ، ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ ، جواب قسم محذوف تأكيد للوعيد ، ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ ، تكرير للتأكيد ، ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ ، أي : الرؤية التي هي نفس اليقين ، ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ ^(٣) : عن شكر ما أنعم الله به عليكم من لذات الدنيا ، وفي مسلم ومسنند الإمام أحمد وغيرهما أنه عليه السلام أكل مع أبي بكر ، وعمر رطباً وماء بارداً ، فقال : (هذا من النعيم الذي تسألون عنه) ، وفي الحديث : (يُسْئَلُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ خَرْقَةِ كَفِّ بِمَا رَجُلٌ عَوْرَتُهُ ، أَوْ كَسْرَةِ سَدِّ بِمَا جُوعَتُهُ ، أَوْ جَحْرِ يَدْخُلُ فِيهِ مِنَ الْحَرِّ) ^(٤) والقر* وكلام جمهور السلف على أن السؤال عام.

والحمد لله رب العالمين .

-
- (١) أي : من الأول أشد ، كما تقول للمنصوح : أقول لك لا تغفل / ١٢ منه .
- (٢) ولا يجوز أن يكون هو جواب (لو) ، لأنه محقق الوقوع ، بل جواب قسم محذوف ، أوضح به ما أنذرهم منه بعد إهامه تفخيماً لشأنه / ١٢ منه .
- (٣) والسؤال عام لمؤمن وكافر ، للنصوص الصريحة ، والرؤية التي في قوله : "لترون" ، رؤية قبل الدخول في النار ، لقوله : "ثم لتستلن يومئذ عن النعيم" / ١٢ وحيز .
- (٤) قال الترمذي وابن حبان في صحيحه : قال عليه السلام : (أول ما يسأل عنه العبد من النعيم أن يقال : ألم نصح لك جسمك ، ونرويك من الماء البارد؟) / ١٢ منه .
- [وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة" .]
- (*) تفرد به الإمام أحمد كما قال ابن كثير (٥٤٦/٤) .

سورة العصر مكية

وهي ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾

﴿وَالْعَصْرِ﴾ ، أي : الدهر ، أو ب صلاة العصر ، أو بوقته ، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ : كلهم ، ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ ^(١) ، في مساعيهم ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ، فإنهم فازوا ، ورجوا ، لأنهم اشتروا الآخرة الباقية بالدنيا الفانية ، ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ : أوصى بعضهم بعضاً ، ﴿بِالْحَقِّ﴾ : بالقرآن أو بما هو الخير ، ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ^(٢) : على المصائب ، أو عن

(١) اعلم أن هذه الآية كالتنبيه على أن الأصل في الإنسان أن يكون في الخسران ، والخيبة ، وتقرير أن سعادة الإنسان في حب الآخرة ، والإعراض عن الدنيا ، ثم إن الأسباب الداعية إلى حب الآخرة خفية ، وإن الأسباب الداعية إلى حب الدنيا ظاهرة ، وهي : الحواس الخمس ، والشهوة ، والغضب ، فلهذا السبب صار أكثر الخلق مشغولين بحب الدنيا ، مستغرقين في طلبها ، فكانوا في الخسران والبوار / ١٢ كبير .

(٢) هذه الآية وعيد شديد ، وذلك لأنه تعالى حكم بالخسارة على جميع الناس إلا من كان آتياً بهذه الأشياء وهي الإيمان ، والعمل الصالح ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، فدل ذلك على أن النجاة معلقة بمجموع هذه الأمور / ١٢ كبير .

المعاصي، يعني: يأمرهم بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويحكي عن بعض الأكابر أنه قال : فهمت معنى سورة " والعصر " عن بائع ثلج، يقول : ارحموا على من رأس ماله يذوب. (*)

اللهم وفقنا لمرضاتك (**).

(٥) أى إنه تأمل كلام هذا الرجل فقاس خسران الإنسان بذهاب عمره هباء الذى هو رأس ماله بذهاب رأس مال هذا الرجل هباء وهو الثلج ، وهذه النكتة مناسبة جدًا لإقسامه سبحانه بالعصر، ففيه إشارة إلى قيمة الوقت والزمن الذى هو رأس مال الإنسان.

(**) وفي النسخة (ن): بإرضائك .

سورة الهمزة مكية

وهي تسع آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ① الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ② يَحْسَبُ أَنَّ
مَالَهُ أَخْلَدَهُ ③ كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ④ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ
﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ﴾ ⑤ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئَةِ ⑥ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ
﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ ⑦

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ﴾: من اعتاد يكسر أعراض الناس ﴿لُّمَزَةٍ﴾: من اعتاد بالطعن
فيهم ، وعن بعض السلف الأول: العيب بالغيب ، والثاني في الوجه ، وقيل: باللسان ،
وبالعين ، والحاجب، نزلت في الأخنس بن شريق ، أو غيره ، وعن مجاهد: هي ^(١) عامة
﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا﴾ بدل من كل ، أو منصوب ، أو مرفوع بالذم ﴿وَعَدَّدَهُ﴾: عدّه
مرة بعد أخرى ، أو جعله عدة وذخيرة للنوازل ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾: لفرط
غروره واشتغاله بالدنيا وطول أمله، لا يخطر الموت بباله، فيعمل أعمال من ^(٢) يظن
الخلود ﴿كَلَّا﴾ ردع له عن حسابانه ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾: ليطرحن ﴿فِي الْحُطَمَةِ﴾: من أسماء
جهنم، لأنها يحطم ، ويكسر ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ﴾: أوقدها
الله ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئَةِ﴾ ^(٣): تعلو على أوساط قلوبهم، فإنها ألطف ما في

(١) يعني: الوعيد عام يتناول من باشر مثل ذلك، وإن كان السبب خاصاً، كذا في الوجيز/ ١٢.

(٢) ونعم ما قيل: إن السورة نعي بالويل على أهل الدنيا / ١٢ وجيز .

(٣) سبب تخصيص الأفئدة بذلك، هو: أنها مواطن الكفر، والعقائد الخبيثة، والنيات الفاسدة

البدن ، وأشد تألماً ، وعن كثير من السلف : تأكل كل جسده ، حتى بلغت فؤاده جدّد خلقه ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ : مطبقة ﴿فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ أي : موثقين في عمد ممدودة يعني: أرجلهم ، وأيديهم في حديد كالعمود طويل ، هو حال من ضمير "عليهم".

والحمد لله .

سورة الفيل مكية

وهي خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾
وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَزِمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ
كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد، جعل مشاهدة آثارها وسماع أخبارها بمنزلة الرؤية ﴿كَيْفَ فَعَلَ﴾
نصب كيف بفعل ﴿رَبُّكَ بِأَصْحَابِ﴾^(١) الفيل أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ في تخريب

(١) أخرج ابن المنذر ، والحاكم وصححه ، وأبو نعيم والبيهقي ، عن ابن عباس قال : أقبل
أصحاب الفيل ، حتى إذا دنو من مكة استقبلهم عبد المطلب ، فقال لملكهم : ما جاء
بك إلينا ألا بعثت فنأتيك بكل شيء أردت ، فقال : أخبرت بهذا البيت الذي لا
يدخله أحد إلا آمن ، فجئت أخيف أهله ، فقال : إنا نأتيك بكل شيء تريد ، فارجع ،
فأبى إلا أن يدخله ، وانطلق يسير نحوه ، وتخلف عبد المطلب ، فقام على جبل فقال :
لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله ، ثم قال :

اللهم إن لكل إله حلالاً فامنع حلالك لا يغلبن محالهم

اللهم فإن فعلت فأمر ما بدا لك

فأقبلت مثل السحابة نحو البحر ، حتى أظلتهم طيراً أبابيل التي قال الله : "ترميهم بحجارة
من سجيل" ، فجعل الفيل يعج عجا ، فجعلهم كعصف مأكول/ ١٢ ، وفي الكبير رجع
عبد المطلب وأتى البيت ، وأخذ بحلقته ، وهو يقول :

الكعبة ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾: في تضليع ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾: جماعات جمع إبالة ، وهي الحزمة الكبيرة ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾: من طين متحجر ، معرّب سنكل ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ﴾: ورق زرع ﴿مَّا كُولٍ﴾: أكلته الدواب ورائته ، أو وقع فيه الإكال ، وهو أن يأكله الدود ، وقصته أن ملك اليمن أبرهة بن كنيسة ، وأراد صرف الحج إليها ، فقصدها بعض قريش ، وأحدث فيها ، فلما رأى السدنة ذلك الحدث ، أخبروا الملك بأن ليس هذا إلا من قريش غضباً لبيتهم ، فتوجه الملك لتخريب الكعبة انتقاماً ، ومعه فيل عظيم اسمه محمود ، وقيل: معه فيلة أخرى ، فلما وصلوا قرب مكة تهيئوا للدخول ، أرسل الله طيراً من البحر ، أمثال الخطاطيف مع كل في منقاره ورجليه ثلاثة أحجار ، أصغر من حمصة ، فرمتهم ، فإن وقع الحجر على رأس رجل خرج من دبره ، فهلكوا على بكرة أبيهم

والحمد لله رب العالمين .

لا هم إن المرء يمنع	له فامنع حلالك
وانصرنا على آل الصليب	وعابديه اليوم آلـك
لا يغلبن صليبيهم	ومحـالهم عدوا محـالك
إن كنت تاركهم وكعبتنا	فأمر ما بدالك

ويقول :

يا رب لا أرجو لهم سواك يا رب فامنع عنهم حماكا
فالتفت وهو يدعو ، فإذا هو بطير من نحو اليمن ، فقال : والله إنها لطيـر غريبة ، ما هي
بنجدية ولا هامية ، إلى آخر القصة / ١٢ .

سورة قريش مكية

وهي أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ ۝ إِلَهِهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا
الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝﴾

﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ﴾^(١) عن بعض من السلف : إنه متعلق بالسورة التي قبلها ، أي :
أهلكهم فجعلهم كعصف مأكول ليقى قريش ، وما ألفوا من الرحلتين ، وهما في
مصحف أبي سورة واحدة ﴿إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ﴾ : رحلة في الشتاء ، ورحلة
نصب بإيلافهم ﴿وَالصَّيْفِ﴾ : ورحلة في الصيف ، أطلق الإيلاف ، ثم أبدل المقيد عنه
للتعظيم ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ الأظهر أن يتعلق لإيلاف ، بقوله : "فليعبدوا" ،
والفاء لما فيه من معنى الشرط ، أي : إن لم يعبدوه لسائر نعمه عليهم ، فليعبدوا لأجل
إيلافهم رحلة الشتاء إلى اليمن ، والصيف إلى الشام يتجرون ، ويتنعمون ، وهم
آمنون في رحلتهم ، لا يتعرض عليهم أحد بمكروه ، لأنهم أهل بيت الله ﴿الَّذِي

(١) أخرج البخاري في تاريخه ، والطبراني والحاكم وصححه ابن مردويه ، والبيهقي في
الخلافيات ، عن أم هانئ بنت أبي طالب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال :
(فضل الله قريشًا بسبع خصال ، لم يعطها أحد بعدهم : أي فيهم وفي لفظ النبوة
فيهم - والخلافة فيهم ، والحجاجة فيهم ، والسقاية فيهم ، ونصروا على الفيل ، وعبدوا
الله سبع سنين وفي لفظ عشر سنين - لم يعبد أحد غيرهم ، ونزلت فيهم سورة من
القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم "إيلاف قريش" ١٢/٢ در منثور . [ذكره ابن كثير
في "تفسيره" (٥٥٣/٤) وقال حديث غريب]

جُوعٍ: عظيم أكلوا فيها الجيف ﴿وَأَمَنَّهُمْ مِّنْ خَوْفٍ﴾: عظيم، أبناء جنسهم
واقعون فيه ، فإن الناس غيرهم في حواليتهم يغار عليهم ، وحاصله أن الله من عليهم
بالأمن والرخص.

والحمد لله .

سورة الماعون مكية وقيل مدنية

وهي سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ
عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ
سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَءَوْنَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿أَرَأَيْتَ﴾ الاستفهام للتعجب ﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ﴾: بالجزاء والبعث ﴿فَذَلِكَ﴾
يعني: التكذيب بالدين، هو الذي يحمله على تلك المساوئ ﴿الَّذِي يَدْعُ﴾: يدفع دفعًا
عنيفًا ﴿الْيَتِيمَ﴾ عن ابن عباس: هو بعض المنافقين ﴿وَلَا يَحْضُ﴾: لا يرغب ﴿عَلَى
طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ أي: على إطعامه فضلًا عن أن يطعمه هو ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾
أي: لهم، وضع موضع الضمير، للدلالة على معاملتهم مع الخلق والخالق ﴿الَّذِينَ هُمْ
عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أي: التزموا بالصلاة علانية، ويتركونها بالسر ﴿الَّذِينَ هُمْ
يُرَءَوْنَ﴾: يضلون في العلانية، لأجل أن يظن فيهم الإسلام ﴿وَيَمْنَعُونَ
الْمَاعُونَ﴾^(١): ولا يعطون^(٢) الزكاة، أو يمنعون عارية القدر، والفأس^(٣)، والدلو،

(١) قال عكرمة: الماعون أعلاه الزكاة المفروضة، وأدناه عارية المتاع، ويلتحق بذلك
البئر، والتنور في البيت، فلا يمنع حيرانه من الانتفاع بهما، قال العلماء: ويستحب أن
يستكثر في بيته مما يحتاج إليه الجيران، فيعيرهم، ويتفضل عليهم، ولا يقتصر على
الواجب ١٢/ لباب.

(٢) هذا قول علي، أخرجه ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم
والحاكم، كذا في الدر المنثور/ ١٢.

(٣) قول ابن مسعود أخرجه الطبراني / ١٢.

والملاح ، والنار ، وأمثال ذلك سيما زكاة المال ، وعن بعض المراد من الذي يدع
اليتم، رجل^(١) خاص من قريش ، فعلى هذا ليس المراد من قوله : " فويل للمصلين "
هو الذي يدع لأنه ليس من أهل الصلاة ، بل لما عرف المكذب بمن هو يدفع اليتيم
زجرًا لأن يحترز عنه ، وعن فعله ذكر استطرادًا ما هو أقبح ، يعني : إذا كان عنف
اليتم ، وترك إطعام الطعام بهذه المثابة ، فما بال المصلي الذي هو ساه عن صلاته ،
فلاحتراز عنه وعن فعله أولى وأولى .

والحمد لله رب العالمين .

(١) يعني: أبا سفيان ، فإنه في كفره ينحر في كل أسبوع جزورًا، فأتاه يتيماً وسأله، فقرعه
بعضاه ، فعلى هذا فالمراد من قوله: "للمصلين"، غير من يدع، فإنه كافر لا يصلي/ ١٢
وحيز .

سورة الكوثر مكية أو مدنية

وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ في الأحاديث الصحاح^(١) (هو نهر في الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمي يوم القيامة، آتيه عدد الكواكب يخرج العبد منهم، فأقول : رب إنه من أمي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)، وعن أكثر السلف هو الخير الكثير ، ومنه ذلك النهر ، والنبوة والقرآن ، وعن عطاء: هو حوض في الجنة ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾: دم عليها مخلصاً شكرياً لما أعطيناك ﴿وَانْحَرْ﴾^(٢) أي : البدن ونحوه على اسمه وحده ،

(١) نقله الإمام أحمد ، وهو في حديث صحيح مسلم ، وأبي داود ، وفي البخاري (إنه نهر في الجنة) ١٢/ منه .

(٢) معناه : إن ناساً كانوا يصلون لغير الله تعالى ، وينحرون لغير الله ، فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصلي له ، وينحر له ، متقرباً إلى ربه بذلك ، قاله الخازن ، وفي حديث مسلم (لعن الله من ذبح لغير الله)، وأخرج أحمد عن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (دخل رجل الجنة في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب ، قالوا : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : مر رجلان على قوم لهم صنم ، لا يجوز أحده حتى يقرب إليه شيئاً ، فقالوا لأحدهم : قرب ولو ذبابة فقرب ذبابة فدخلوا سبيله ، فدخل النار ، وقالوا لآخر : قرب ، فقال : ما كنت أقرب لأحد غير الله عز وجل فضربوا عنقه فدخل الجنة) [أخرجه أحمد في "الزهد" ، وأبو نعيم في "الحلية" (٢٠٣/١)] ، قال الإمام الشوكاني بعد ذكر الحديثين : فانظر لعنه صلى الله عليه وسلم =

بخلاف ما عليه المشركون من السجود لغير الله ، والذبح على غير اسمه ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾: مبغضك وعدوك، يا محمد ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾: الأقل الأذل، الذي لا عقب له المنقطع ذكره ، نزل في بعض من المشركين يقول : دعوا محمد فإنه أبتَر، فإذا هلك انقطع ذكره ، وقد روى^(١) أنه إذا مات ابنه عليه وعليهما السلام قالوا: بتر محمد ، فقال الله: أعداؤك متصفون بما قالوا فيك، وما أنت إلا باق ذريتك الكرام إلى يوم القيامة ، وحسن ثنائك على رعوس الأشهاد إلى يوم التناد.

والحمد لله^(٢) .

= لمن ذبح لغير الله، وإخباره بدخول من قرب لغير الله النار، وليس في ذلك إلا مجرد كون ذلك مظنة للتعظيم، الذي لا ينبغي إلا الله ، فما ظنك بما كان شركاً بحقاً؟ قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم رحمه الله في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم في الكلام على قوله : "وما أهل به لغير الله" (البقرة: ١٧٣) إن الظاهر أن ما ذبح لغير الله سواء لفظ به أو لم يلفظ ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبحه ، وقال فيه: باسم المسيح ونحوه، كما أن ما ذبحناه متقربين إلى الله، كان أزكى مما ذبحناه للحم، وقلنا عليه باسم الله ، فإن عبادة الله بالصلاة والنسك له، أعظم من الاستعانة باسمه في فواتح الأمور ، والعبادة لغير الله أعظم من الاستعانة بغير الله ، فلو ذبح لغير الله متقرباً إليه يحرم، وإن قال فيه: بسم الله، كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة ، وإن كان هؤلاء مرتدين، لا تباح ذبيحتهم بحال لكن تجتمع في الذبيحة مانعان ، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الذبح، انتهى / ١٢ .

(١) أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم / در منشور .

(٢) وهذا أحصر سورة، قد كتبنا في شرحها رسالة تليق بأن نلحقها بالتفسير ، لكن قد منعنا الاختصار / ١٢ وجيز .

سورة الكافرون مكية

وهي ست آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكَافِرُونَ﴾ ① لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَا أَنْتُمْ
عَبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ④ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ
لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ⑤

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ نزلت حين قال رهط من قريش : هلم يا محمد تعبد آلهتنا سنة ،
ونعبد إلهك سنة ، ونشرك في أمرنا كله ^(١) ﴿لَا أَعْبُدُ﴾ : في المستقبل ، فإن "لا" على
المضارع للاستقبال ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ : في الحال ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ : في المستقبل ﴿مَا
أَعْبُدُ﴾ : في الحال ، وذكر (ما) هاهنا للمطابقة ، أو لأن المراد ، ما أعبد الباطل ، ولا
تعبدون الحق ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ : في الحال ، أو قط ﴿مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ : في
الحال ، أو قط ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ لم يقل ما عبدت لأنه لم يطابق المقام ؛ لأنهم ينكرون ما هو
عليه بعد النبوة ، ويعتقدونه ويعظمونه قبلها ^(٢) ، وعن بعض العلماء : إن المراد من لا أعبد
نفي الفعل ، ومن لا أنا عابد نفي الوقوع والإمكان ، فلا تكرار ، وعن بعض هو تكرار
وتأكيد على طريقة أبلغ ، فإن الثاني جملة اسمية ، وعن بعض : "ما" في الأخيرين مصدرية ،
أي : ولا أنا عابد ، وتابع عبادتكم وطريقتكم ، ولا أنتم مقتدون عبادتي وطريقي ، ولهذا
قال : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ : الكفر ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ : الإسلام ، لا تتركونه ، ولا أترك ، وهذا
خطاب لمن سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون .

(١) وغولك ، ونزولك من شئت من كرائنا / ١٢ وجيز .

(٢) هكذا فسر البخاري ، وكثير من السلف / ١٢ .

سورة النصر مدنية

وهي ثلاث آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ﴾ أي : لك على أعدائك ﴿وَالْفَتْحُ﴾ : فتح مكة ، فسربه جمهور السلف ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ﴾ هو حال إن جعلت رأيت بمعنى أبصرت ﴿فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ جماعات بعد ما كان يدخل واحدًا واحدًا ، أو اثنين اثنين ، كانت أحياء العرب ينتظرون فتح مكة ، يقولون : إن ظهر على قومه فهو نبي لأهم أهل الحرم ، وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل ، يعني إذا فتحت مكة قريتك التي أخرجتك ، ودخل الناس في دين الله أفواجًا ، فقد فرغ شغلنا في الدنيا بك فتهايا للقدوم علينا ، ولذلك قال : ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ : نزهه عما يقول الظالمون حامدًا له ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ : عما فرط منك من التقصير ، أو عن أمتك ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ : لمن استغفر منذ خلق الخلق ، وكان عليه السلام حين أنزلت أخذ في أشد ما كان اجتهدًا في أمر الآخرة ، وعن الإمام أحمد : قال عليه السلام لما نزلت : " إذا جاء نصر الله والفتح " (نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي) بأنه مقبوض في تلك السنة ، وعن أكثر السلف : إنها أجله عليه السلام ، وفي مسلم ، والطبراني ، والنسائي : إنها آخر سورة نزلت من القرآن جميعًا ، وعن البيهقي وغيره : إنها نزلت في أيام التشريق. بمعنى في حجة الوداع ، فيكون نزولها بعد فتح مكة بستين ، فلا بد أن نقول : إن "إذا" الذي هو للاستقبال سلبت عن معناه ، وقيل : إن فتح مكة أم الفتوح ، والدستور لما يكون بعده من الفتوحات ، فهو وإن كان متحققًا في نفسه ، لكنه متركب باعتبار ما يدل عليه.

(٥) قال الشيخ أحمد شارك (٣٢٠١) : إسناده صحيح.

سورة الذهب * مدنية

وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝ ﴾

﴿تَبَّتْ﴾: هلكت ﴿يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾: نفسه ، وعادة العرب أن تجعل التعبير عن الجملة باليدين نحو : بما قدمت يداك ، وقيل : المراد دنياه وأخراه ﴿وَتَبَّ﴾ الأول : دعاء ، والثاني : خير ، أي : وقد حصل الهلاك والخسران ، نزلت ^(١) لما صعد عليه السلام الصفا ، فقال : (يا صباحا) ، فاجتمعت إليه قريش قال : "أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني؟" قالوا : بلى ، قال : "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد" ، فقال أبو لهب : تبَّا لك ، ألهذا دعوتنا جميعا؟ ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ﴾: من عذاب الله ﴿وَمَا كَسَبَ﴾: الذي كسبه ، وهو ولده ، فإنه قال: إن كان ما يقول ابن أخي حقا ، فأنا أفتدي منه نفسي بمالي وولدي ، وهو مات عليه اللعنة وبعدما أتنن دفنه بعض السودان ، وقد افترس أسد ولده في طريق الشام ﴿سَيَصْلَىٰ﴾: سيدخل ﴿نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾: اشتعال ، أي : جهنم ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ أي : تحمل الحطب في جهنم فتلقي على زوجها ليزداد عذابه ، لأنها كانت عونًا له في شره في الدنيا ، فتكون في القيامة عونًا عليه في شره وعذابه ، والجملة حالية ﴿فِي

(٥) أي: سورة المسد.

(١) أخرجه البخاري ، ومسلم ، وغيرهما / ١٢ فتح .

جِيدَهَا: عَنْقَهَا ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ أَي : مِمَّا مُسِدٌ وَفَتْلٌ كَالْخَطَايِين ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ : سُلْسُلَةٌ مِنْ حَدِيدٍ فَتْلٌ وَأَحْكَمُ مِنْهُ ، وَرَوَى أَنَّهُ تَجْمَعُ الشُّوكُ ، وَتَطْرَحُ لَيْلاً فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَلَى هَذَا فَمَعْنَاهُ وَإِنْ حَالَهَا فِي جَهَنَّمَ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا ، حِينَ تَحْمِلُ الشُّوكَ عَلَى ظَهْرِهَا ، وَقِيلَ مَعْنَاهُ : إِنْ امْرَأَتُهُ حِمَالَةٌ الْخُطْبِ فِي الدُّنْيَا ، فِي عَنْقِهَا حَبْلٌ مِنْ لَيْفٍ ، وَالْغَرَضُ تَحْقِيرُهَا وَتَخْسِيسُ حَالِهَا ، فَإِنَّهَا مِنْ سَادَةِ نِسَاءِ قُرَيْشٍ ، فَقَوْلُهُ : " وَامْرَأَتُهُ " إِيخَافٌ مِنْ عَطْفِ الْجُمْلَةِ ، وَلَا تَكُونُ حَالِيَّةً ، أَوْ هِيَ عَامَةٌ فِي الدُّنْيَا حِمَالَةٌ الْخُطْبِ بَيْنَ النَّاسِ لِنَائِثَةِ الشَّرِّ ، وَعَنْ بَعْضِ إِنْ لَهَا قِلَادَةٌ فَاخِرَةٌ ، فَقَالَتْ : لَأَنْفَقَهَا فِي عِدَاوَةِ مُحَمَّدٍ ، فَأَعَقَبَهَا اللَّهُ مِنْهَا حَبْلاً فِي عَنْقِهَا مِنْ مَسَدِ النَّارِ .

والحمد لله .

سورة الإخلاص مكية

وهي أربع آيات
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾﴾

﴿قُلْ هُوَ (١) اللَّهُ﴾ نزلت (٢) حين قالوا : صف لنا ربك الذي تدعوننا إليه ، فالضمير لما سئل عنه ، و"الله" خبره ﴿أَحَدٌ﴾ خبر بعد خبر ، أو بدل ، أو الضمير للشأن و"الله أحد" جملة هي خبره ، وعند المحققين : إن الأحدية لتفرد الذات ، والواحدية لنفي المشاركة في الصفات ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ : المقصود إليه في الحوائج ، أو السيد الذي قد كمل في جميع أنواع السؤدد ، وعن كثير من السلف (٣) : إنه الذي لا جوف له لا

(١) ولو لم يرد في فضل هذه السورة إلا حديث عائشة عند البخاري ومسلم وغيرهم ، "إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً في سرية فكان يقرأ لأصحابه في صلواتهم فيختم (بقل هو الله أحد) فلما رجعوا ، ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه ، فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال : أخبروه أن الله تعالى يحبه" هذا لفظ البخاري في كتاب التوحيد لكفى به فضيلة / ١٢ فتح .

(٢) ذكره الإمام أحمد ، والترمذي ، وابن جرير / ١٢ منه . [وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٦٨٠)]

(٣) قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن المسيب ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والضحاك والسدي ، وغيرهم ، وروى الطبراني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم / ١٢ منه .

يدخل فيه ولا يخرج منه شيء ، ولذلك قالوا : ما بعده تفسيره ، وتكرير لفظ الله للإشارة بأن من لم يتصف ، به لم يستحق الألوهية ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ لأن الولد من متجانسين ، وهو الأحد الصمد الذي لا يجانسه ، ولا يماثله أحد ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ وذلك لأنه هو الله الأحد الصمد ، فكيف يمكن أن يكون حادثاً محتاجاً إلى أحد مربوباً ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ أي : لم يكن أحد يكافئه ، وبماثله من صاحبة ؛ لأنه أحد صمد ، " وله " إما حال من كفواً ، أو ظرف ليكن وقدمه ؛ لأن الغرض نفى المكافأة عن ذاته ، تقديماً للأهم ، وقد ثبت بروايات صحيحة إن هذه السورة تعدل ثلث القرآن ، ومن قرأ مرة فكأنما قرأ ثلث القرآن ، وفي الترمذي ، والنسائي (إنه سمع رجلاً يقرأها ، فقال عليه السلام : وجبت ، قيل : وما وجبت ؟ قال : الجنة*) ، وفي مسند الدارمي ، قال عليه السلام : (من قرأ " قل هو الله أحد " عشر مرات بنى الله له قصرًا في الجنة ، ومن قرأها عشرين بنى له قصرين ، ومن قرأها ثلاثين بنى ثلاثة ، فقال عمر بن الخطاب : إذا لتكثر قصورنا ، فقال عليه السلام : الله أوسع من ذلك **) ، وفضائل تلك السورة في كتب الحديث لكثيرة.

والحمد لله رب العالمين .

(٥) وصححه الشيخ الألباني في "صحيح الترمذي" (٢٣٢٠).

(٥٥) أخرجه الدارمي في "مسنده" (٣٤٢٩) وقال ابن كثير: هذا مرسل جيد.

سورة الفلق مختلف فيها

وهي خمس آيات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾
﴿قُلْ﴾^(١) أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ^(٢) ﴿هو الصبح ، أو الخلق كله ، لأنه ما من شيء إلا ويفلق ويفرق ظلمة العدم عنه ، أو هو بيت ، أو جب في جهنم إذا فتح صاح جميع

(١) أخرج أحمد ، والبخاري وابن مردويه ، من طرق صحيحة عن ابن مسعود رضي الله عنه إنه كان يحك المعوذتين من المصحف ، ويقول : لا تخطوا القرآن بما ليس منه ، إنهما ليستا من كتاب الله ، إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يتعوذ بهما ، وكان ابن مسعود رضي الله عنه لا يقرأ بهما ، قال البخاري : لم يتابع ابن مسعود أحد من الصحابة ، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ بهما في الصلاة وأثبتا في المصحف/١٢ در منشور. [قال ابن كثير (٥٧١/٤): وهذا هو المشهور عند كثير من القراء والفقهاء أن ابن معوذ كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه فلعله لم يسمعها من النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتواتر عنده ثم لعله رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة فإن الصحابة رضي الله عنهم أثبتوها في المصاحف الأئمة ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك]

(٢) اعلم أن المستعاذ به هو الله وحده رب الفلق رب الناس ، لا ينبغي الاستعاذة إلا به ، ولا يستعاذ بأحد من خلقه ، وقد أخبر تعالى في كتابه أن من استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته رهقاً ، وهو الطغيان ، واحتج أهل السنة على المعتزلة في أن كلام الله غير مخلوق ، إن النبي صلى الله عليه وسلم استعاذ بقوله : " قل أعوذ برب الفلق " و"أعوذ بكلمات الله التامات" ، وهو لا يستعيذ بمخلوق أبداً ، والمستعيذ هو الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكل من أتباعه إلى يوم القيامة ، كذا قال شيخ الإسلام أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام في تفسير المعوذتين/١٢ .

أهل النار من شدة حره ، وذكر الرب ، لأن الإعازة من المضار تربية ﴿وَمِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ﴾: الليل ﴿إِذَا وَقَبَ﴾: دخل ظلامه ، ولا شك أن المضار في الليل أكثر وأشد ، أو هو القمر إذا^(١) وقب ، ودخل في الكسوف ، والاسوداد ، وعن بعض هو الثريا إذا سقطت ، ويقال: إن الأسقام تكثر عند وقوعها ، ويرتفع عند طلوعها ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ^(٢) فِي الْعُقَدِ﴾ أي : النساء ، والجماعات السواحر ، اللواتي يعقدن عقداً ، وينفثن عليها ، والنفث النفخ مع ريق ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: إذا أظهر حسده ، وعمل بمقتضاه ، فإنه إذا لم يظهر أثر ما أضمر ، فلا ضرر منه إلا على نفسه لاغتمامه وهمه ، وقد صح أن يهودياً سحر النبي صلى الله عليه وسلم في إحدى عشرة عقدة ، ودسه في بئر ، فاشتكى ومرض عليه السلام لذلك أياماً ، وقد روى ستة أشهر فجاءه جبريل ، وأخبره بالسحر ، والساحر ، وموضعه ، ونزلت المعوذتان إحدى عشرة آية ، فبعث عليه السلام فاستخرجها ، فجاء بها فكان كلما قرأ آية ، انحلت عقدة ، فحين انحلت العقدة الأخيرة قام عليه السلام ، كأنما نشط من عقال (**).

(١) رواه الإمام أحمد ، والترمذي ، وغيرهما عن عائشة قالت : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فأراني القمر حين طلع ، وقال : "تعوذني بالله من شر هذا ، فإن هذا الغاسق إذا وقب" ، وقال أصحاب القول: بأنه الليل إذا ولج ، هذا لا ينافي قولنا ، لأن القمر آية الليل ، ولا يوجد له سلطان إلا فيه ، وكذلك النجوم فهو يرجع إلى ما قلناه ، والله أعلم/ ١٢ منه . [وصححه الشيخ الألباني في "الصحيحة" (٢٦٨١)]

(٢) أنت النفاثات ، لأن هذه الصناعات إنما تعرف بالنساء ، لأنهن يعقدون(*) وينفثن ، وذلك لأن الأصل الأعظم فيه ربط القلب بذلك الأمر ، وإحكام الهمة والوهم فيه ، وذلك إنما يتأتى من النساء لقله علمهن ، وشدة شهوتهن ، فلا جرم كان هذا العمل . منهن أقوى / ١٢ كبير .

(٥) كذا بالأصل والصواب: يعقدن.

(٥٥) أخرجه في الصحيحين.

سورة الناس مختلف فيها

وهي ست آيات
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ
الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّاسِ ⑥﴾
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ أضاف إلى الناس هاهنا ، لأن وسوسة الصدر، المستعاذ منه في
تلك السورة لا تكون إلا للإنسان ، فكأنه قال : قل أعوذ بربي من شر موسوسي ﴿مَلِكِ
النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾ عطفًا بيان (لرب الناس) ، وهو من قبيل الترقّي في صفات الكمال ،
فإن الملك أعلى من الرب لأن كل ملك رب ومالك ، ولا ينعكس كليًا ، ثم الإله الذي هو
أعلى وخاص لله جعل غاية للبيان ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ أي : الوسوسة ، كالزلازل بمعنى
الزلازلة ، والمراد : الشيطان سمي بالمصدر مبالغة ، أو المراد : ذي الوسواس ﴿الْخَنَّاسِ﴾ : الذي
عادته الخنس ، أي : التأخر ، والرجوع عند ذكر الله تعالى ﴿الَّذِي يُوسْوِسُ فِي صُدُورِ
النَّاسِ﴾ : إذا غفلوا عن ذكر ربهم ﴿مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّاسِ﴾^(١) بيان "الذي" ، أو

(١) واعلم أن في هذه السورة لطيفة أخرى وهي أن المستعاذ به في السورة الأولى مذكور
بصفة واحدة ، وهي : أنه رب الفلق ، والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات ، وهي :
الغاسق ، والنفاثات ، والحاسد ، وأما في هذه السورة ، فالمستعاذ به مذكور بصفات
ثلاثة وهي : الرب ، والملك ، والإله ، والمستعاذ منه آفة واحدة ، وهي : الوسوسة ،
والفرق بين الموضعين ، أن الثناء يجب أن يتقدر بقدر المطلوب فالمطلوب في السورة
الأولى سلامة النفس والبدن ، والمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين ، وهذا تنبيهه
على أن مضرة الدين وإن قلت ، أعظم من مضار الدنيا وإن عظمت / ١٢ كبير .

"الوسواس" ، قال تعالى : " وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن " (الأنعام: ١١٢)، وعن بعض : هو بيان للناس ، والناس يعمهما تغليبا ، أو يطلق على الجن أيضاً ناس حقيقة ، أو لأن المراد من الناس الناسي ، ونسيان حق الله يعمهما ، وفي مسند الإمام أحمد عن عقبة بن عامر إنه عليه السلام قال : " يا عقبة ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة ، والإنجيل ، والزبور ، والقرآن العظيم؟ قال : قلت بلى ، قال : فأقرأني " قل هو الله أحد " ، و " قل أعوذ برب الفلق " ، و " قل أعوذ برب الناس " (*) ، فإن قلت المناسب أن يتعوذ المتعوذ بأعوذ برب الفلق ، وأعوذ برب الناس ، إلى آخر السورتين من غير لفظة " قل " كما لا يخفى ، قلت : المقصود التعوذ بالسورتين المذكورة فيهما الاستعاذة ، من حيث إنهما كلام الله المجيد ، والسورة هي مجموع " قل أعوذ " إلى تمام السورة ، وبدون " قل " بعض السورة ، وليس الغرض التكلم بهذه الكلمات ، فرمما لا ينفع لو غيّر نظم القرآن مع أنه تكليم بجميع تلك الكلمات ، فافهم ، والله أعلم .

والحمد لله الأول الآخر الباطن الظاهر ، أولاً وآخرًا ، باطنًا وظاهرًا ، كلما ذكره الذاكرون ، وسها عن ذكره الغافلون حمداً يليق بعظمة جلاله ، وحسن نواله وجماله ، وأستعيد بعفوه من كل زلل ، واستجير بصفحه ، وغفرانه من كل خطأ وخطئ ، حمداً يوافي نعمه ، ويقابل كرمه ، والحمد لله على ما وفقني ورزقني فراغ البال للاشتغال بالتأمل في آيات كتابك ، ولكشف أستار غويصات خطابك ، والآن أفر من فيح نار الجحيم ، إلى ظل ظليل قرآنه الكريم ، هارباً من سواء عدلك ، ماسكاً فضلك ، إنك أنت الجواد الكريم ، المنعم الرحيم ، وقد تم ، والحمد لله على جسيم إنعامه في عام سبعين وثمانمائة ، في مكة الشريفة تجاه الكعبة ، زادها الله شرفاً .

وأنا حامد لله مصلي على رسوله ، ومسلم عليه .

تم بحمد الله

فهرس سور المجلد الرابع

٣	غافر (المؤمن)
٣٤	فصلت (حم السجدة)
٥٤	الشورى
٧٥	الزخرف
٩٧	الدخان
١٠٩	الجاثية
١٢٠	الأحقاف
١٣٦	محمد
١٥١	الفتح
١٦٦	الحجرات
١٧٧	ق
١٨٩	الذاريات
١٩٩	الطور
٢٠٨	النجم
٢٢١	القمر
٢٣١	الرحمن
٢٤٣	الواقعة
٢٥٧	الحديد

٢٧٣	المجادلة
٢٨٤	الحشر
٢٩٧	المتحنة
٣٠٥	الصف
٣١٠	الجمعة
٣١٥	المنافقون
٣١٩	التغابن
٣٢٤	الطلاق
٣٣٢	التحریم
٣٣٩	الملك
٣٥٠	القلم
٣٦٠	الحاقة
٣٦٩	المعارج
٣٧٧	نوح
٣٨٣	الجن
٣٩٤	المزمل
٤٠١	المدثر
٤١٠	القيامة
٤١٧	الإنسان (الدهر)
٤٢٥	المرسلات

٤٣٠	النبا
٤٣٧	النازعات
٤٤٤	عبس
٤٤٩	التكوير
٤٥٥	الانفطار
٤٥٨	المطففين (التطفييف)
٤٦٣	الانشقاق
٤٦٧	البروج
٤٧٣	الطارق
٤٧٦	الأعلى
٤٨٠	الغاشية
٤٨٣	الفجر
٤٩١	البلد
٤٩٥	الشمس
٤٩٨	الليل
٥٠١	الضحى
٥٠٤	الشرح (الانشراح)
٥٠٦	التين
٥٠٨	العلق
٥١٢	القدر

٥١٤	البينة
٥١٧	الزلزال (الزلزلة)
٥٢٠	العاديات
٥٢٢	القارعة
٥٢٣	التكاثر
٥٢٥	العصر
٥٢٦	الهمزة
٥٢٨	الفييل
٥٣٠	قريش
٥٣٢	الماعون
٥٣٤	الكوثر
٥٣٦	الكافرون
٥٣٧	النصر
٥٣٨	المسد
٥٤٠	الإخلاص
٥٤٢	الفلق
٥٤٤	الناس